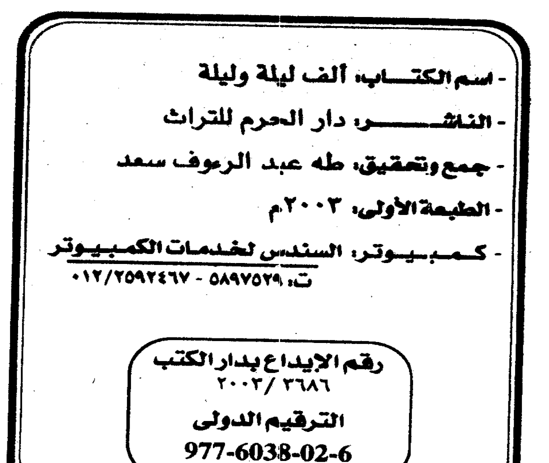


ألف ليلة وليلة

الجزء الثالث

جمعه
طه عبد الرءوف سعد

الناشر
دار الحرم للتراث
٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة- القاهرة
ت - ٥٩١٦٠٢١



- اسم الكتـــاب: ألف ليلة وليلة
- الناشـــــر: دار الحرم للتراث
- جمع وتحقيق: طه عبد الرءوف سعد
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م
- كمبيوتر: السندس لخدمات الكمبيوتر
ت: ٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢/٢٥٩٢٤٦٧

رقم الإيداع بدار الكتب
٣٦٨٦ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولي
977-6038-02-6

الطبعة الأولى
٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

حكاية بلوقيا مع جانشاه

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر الوزير، وأما ما كان من أمر الملك طيغموس فإنه جهز ألفًا وخمسمائة حمل من الحرير والجواهر واللؤلؤ واليواقيت والذهب والفضة والمعادن وجهز شيئًا كثيرًا من آلة العرس وحملها على الجمال والبغال وسلمها إلى وزيره عين زار وكتب له كتابًا مضمونه: أما بعد فالسلام على الملك بهروان واعلم أننا قد جمعنا المنجمين والحكماء وأرباب التقاويم فأخبرونا إننا نرزق ولدًا ذكرًا ولا يكون ذلك الولد إلا من ابنتك وها أنا قد جهزت لك الوزير عين زار ومعه أشياء كثيرة من آلة العرس، وإنى قد أقمت وزيرى مقامى فى هذه المسألة ووكلته فى قبول العقد وأريد من فضلك أن تقضى للوزير حاجته فإنها حاجتى ولا تبدى فى ذلك إهمالاً ولا إمهالاً وما فعلته من الجميل فهو مقبول منك واحذر من المخالفة فى ذلك. واعلم يا ملك بهروان أن الله قد من على بمملكة كابل وملكنى على بنى شهلان وأعطانى ملكًا عظيمًا وإذا تزوجت ابنتك أكون أنا وأنت فى الملك شيئًا واحدًا وأرسل إليك فى كل سنة ما يكفيك من المال، وهذا قصدى منك.

ثم إن الملك طيغموس ختم الكتاب وناوله لوزيره عين زار وأمره بالسفر إلى بلاد خراسان، فسافر الوزير حتى وصل إلى قرب مدينة الملك بهروان فأعلموه بقدوم وزير الملك طيغموس فلما سمع الملك بهروان بذلك الكلام جهز أمراء دولته للملاقاة وجهز معهم أكلاً وشربًا وغير ذلك وأعطاهم عليقًا لأجل الخيل وأمرهم بالسير إلى ملاقاة الوزير عين زار. فحملوا الأحمال وساروا حتى أقبلوا على الوزير، وحطوا الأحمال ونزلت الجيوش والعساكر وسلم بعضهم على بعض، ومكثوا فى ذلك المكان عشرة أيام وهم فى أكل وشرب. ثم بعد ذلك ركبوا وتوجهوا إلى المدينة وطلع الملك بهروان إلى مقابلة وزير الملك طيغموس وعانقه وسلم عليه وأخذه وتوجه به إلى القلعة، ثم إن الوزير قدم الأحمال والتحف وجميع الأموال للملك بهروان وأعطاه الكتاب، فأخذه الملك بهروان وقرأه وعرف ما فيه وفهم معناه وفرح فرحًا شديدًا ورحب بالوزير وقال له: أبشر بما تريد ولو طلب الملك طيغموس روحى لأعطيته إياها. وذهب الملك بهروان من وقته إلى ابنته وأمها وأقاربه وأعلمهم بذلك الأمر واستشارهم فيه؛ فقالوا له: افعل ما شئت. ثم إن الملك بهروان رجع إلى الوزير عين زار وأعلمه بقضاء حاجته ومكث الوزير عند الملك بهروان مدة شهرين، ثم بعد ذلك قال الوزير للملك: إننا نريد منك أن تنعم علينا بما أتيناك فيه ونروح إلى بلادنا، فقال الملك للوزير: سمعًا وطاعة. ثم أمر بإقامة العرس وتجهيز الجهاز ففعلوا ما أمرهم به. وبعد ذلك أمر بإحضار وزرائه وجميع الأمراء من أكابر دولته فحضروا جميعًا، ثم أمر بإحضار الرهبان والقسيسين فحضروا وعقدوا عقد الابنة للملك طيغموس وهيأ الملك بهروان آلة السفر وأعطى ابنته من الهدايا والتحف والمعادن ما يكل عنه الوصف وأمر بفرش أزقة المدينة وزينها بأحسن زينة، وسافر الوزير عين زار بابنة الملك بهروان إلى بلاده. فلما وصل الخبر إلى الملك طيغموس أمر بإقامة الفرح وزينة المدينة، فما مضت على امرأة الملك أيام قلائل حتى حبلت ولما تمت أشهرها وضعت ولدًا ذكرًا مثل البدر فى ليلة تمامه، فلما علم الملك طيغموس أن زوجته وضعت ولدًا ذكرًا مليحًا فرح فرحًا شديدًا وطلب الحكماء والمنجمين وأرباب التقاويم وقال لهم: أريد منكم أن تنظروا طالع هذا المولود وناظره الولد

سعيدًا ولكنه يحصل له فى أول عمره تعب وذلك عند بلوغه خمس عشرة سنة، فإن عاش بعدها رأى خيرًا كثيرًا وصار ملكًا عظيمًا أعظم من أبيه وعظم سعده وهلك ضده وعاش عيشًا هنيئًا، وإن مات فلا سبيل إلى ما فات، والله أعلم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الملك ذلك الخبر فرح فرحًا شديدًا وسماه جانشاه وسلمه للمراضع والقوابل وأحسن تربيته، فلما بلغ من العمر خمس سنين علمه أبوه القراءة وصار يقرأ فى الإنجيل وعلمه الحرب والطعن والضرب فى أقل من سبع سنين وجعل يركب للصيد والقنص وصار بهلوانًا عظيمًا كاملاً فى جميع آلات الفروسية، وصار أبوه كلما سمع بفروسيته فى جميع آلات الحرب فرح فرحًا شديدًا، فاتفق فى يوم من الأيام أن الملك طيغموس أمر عسكره أن يركبوا للصيد والقنص فطلعت العساكر والجيوش وركب الملك طيغموس هو وابنه جانشاه وساروا إلى البرارى والقفار واشتغلوا بالصيد والقنص إلى عصر اليوم الثالث فسنحت لجانشاه غزالة عجيبة اللون وشردت قدامه. فلما نظر جانشاه إلى تلك الغزالة وهى شاردة قدامه تبعها وأسرع فى الجرى وراءها وهى هاربة، فانتبه سبعة من مماليك طيغموس وذهبوا فى أثر جانشاه، فلما نظروا إلى سيدهم وهو مسرع وراء الغزالة راحوا مسرعين وراءه وهم على خيل سوابق وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى بحر فتهاجم الجميع على الغزالة ليمسكوها قنصًا ففرت منهم الغزالة وألقت نفسها فى البحر.

وكان فى ذلك البحر مركب صياد فقفزت فيه الغزالة فنزل جانشاه ومماليكه عن خيلهم إلى المركب وقنصوا الغزالة وأرادوا أن يرجعوا إلى البر وإذا بجانشاه ينظر إلى جزيرة عظيمة فقال للمماليك الذين معه: إنى أريد أن نذهب إلى الجزيرة، فقالوا له: سمعًا وطاعة، وساروا بالمركب إلى ناحية الجزيرة حتى وصلوا إليها، فلما وصلوا إليها طلعوا فيها وصاروا يتفرجون عليها، ثم بعد ذلك عادوا إلى المركب ونزلوا فيه وساروا والغزالة معهم قاصدين البر الذى أتوا منه، فأمسى عليهم المساء وتاهوا فى البحر فهبت عليهم الريح وأجرت المركب فى وسط البحر وناموا إلى وقت الصباح، ثم انتبهوا وهم لا يعرفون الطريق، ولم يزالوا سائرين فى البحر.

هذا ما كان من أمرهم، وأما ما كان من أمر الملك طيغموس والد جانشاه فإنه تفقد ابنه فلم يره، فأمر العسكر أن يروح كل جماعة منهم إلى طريق، فصاروا دائرين يفتشون عن ابن الملك طيغموس وذهب جماعة منهم إلى البحر فرأوا المملوك الذى خلوه عند الخيل فأتوه وسألوه عن سيده وعن الستة المماليك. فأخبرهم المملوك بما جرى لهم، فأخذوا المملوك والخيل ورجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك الخبر، فلما سمع الملك بذلك الكلام بكى بكاءً شديدًا ورمى التاج من فوق رأسه وعض يديه ندمًا وقام من وقته وكتب كتبًا وأرسلها إلى الجزائر التى فى البحر وجمع مائة مركب وأنزل فيها عساكر وأمرهم أن يدوروا فى البحر ويفتشوا عن ولده جانشاه. ثم إن الملك أخذ بقية العساكر والجيوش ورجع إلى المدينة وصار فى نكد شديد، ولما علمت والدة جانشاه بذلك لطمت وجهها وأقامت عزاءه.

هذا ما كان من أمرهم، وأما ما كان من أمر جانشاه والمماليك الذين معه فإنهم ما زالوا

تائهين فى البحر، ولم يزل الرواد دائرين يفتشون عنهم فى البحر مدة عشرة أيام فما وجدوهم فرجعوا إلى الملك وأعلموه بذلك، ثم إن جانشاه والمماليك الذين معه هبت عليهم ريح عاصف وساقت المركب الذى هم فيه حتى أوصلته إلى جزيرة، وخرج جانشاه والستة المماليك من المركب وتمشوا فى تلك الجزيرة حتى وصلوا إلى عين ماء جارية فى وسط تلك الجزيرة فرأوا رجلاً جالسًا على بعد قريبًا من العين فأتوه وسلموا عليه، فرد عليهم السلام، ثم إن الرجل كلمهم بكلام مثل صفير الطير، فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ثم إن الرجل التفت يمينًا وشمالاً وبينما هم يتعجبون من ذلك إذا بالرجل قد انقسم نصفين وراح كل نصف فى ناحية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖❖❖

قالت شهر زاد: وبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم أصناف رجال لا تحصى ولا تعد وأتوا من جانب الجبل وساروا حتى وصلوا إلى العين وصار كل واحد منهم منقسمًا نصفين، ثم إنهم أتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم، فلما رآهم جانشاه يريدون أكلهم هرب منهم وهربت معه المماليك فتبعهم هؤلاء الرجال، فأكلوا من المماليك ثلاثة وبقى ثلاثة مع جانشاه، ثم إن جانشاه نزل إلى المركب ومعه الثلاثة المماليك ودفعوا المركب إلى وسط البحر وساروا ليلاً ونهارًا وهم لا يعرفون أين يذهب بهم المركب، ثم إنهم ذبحوا الغزالة وصاروا يقتاتون منها فضربتهم الرياح فألقتهم إلى جزيرة أخرى فنظروا إلى تلك الجزيرة فرأوا فيها أشجارًا وأنهارًا وأثمارًا وبساتين وفيها من جميع الفواكه والأنهار تجرى من تحت تلك الأشجار، وهى كأنها الجنة. فلما رأى جانشاه تلك الجزيرة أعجبته وقال للمماليك: من فيكم يصعد إلى هذه الجزيرة وينظر لنا خبرها؟ فقال مملوك منهم: أنا أطلع وأكشف لكم عن خبرها وأرجع إليكم. فقال جانشاه: هذا أمر لا يكون وإنما تطلعون أنتم الثلاثة وتكشفون لنا عن خبر هذه الجزيرة وأنا قاعد لكم فى المركب حتى ترجعوا. ثم إن جانشاه أنزل الثلاثة المماليك ليكشفوا عن خبر الجزيرة.

فطلع المماليك إلى الجزيرة وداروا فيها شرقًا وغربًا فلم يجدوا فيها أحدًا، ثم مشوا فيها إلى وسطها فرأوا على بعد قلعة من الرخام الأبيض وبيوتها من البلور الصافى، وفى وسط تلك القلعة بستان فيه من جميع الفواكه اليابسة والرطبة وما يكل عنه الوصف وفيه جميع المشموم ورأوا فى تلك القلعة أشجارًا وأثمارًا وأطيارًا تغرد على تلك الأشجار وفيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة إيوان عظيم وعلى ذلك الإيوان كراس منصوبة وفى وسط تلك الكراسى تخت منصوب من الذهب الأحمر، مرصع بأنواع الجواهر واليواقيت.

فلما رأى المماليك حسن تلك القلعة وذلك البستان داروا فى تلك القلعة يمينًا وشمالاً فما رأوا فيها أحدًا ثم طلعوا من القلعة وراحوا إلى جانشاه وأعلموه بما رأوه، فلما سمع جانشاه ابن الملك منهم ذلك الخبر قال لهم: أنه لا بد لى من أن أتفرج فى هذه القلعة ثم إن جانشاه طلع من المركب وطلعت معه المماليك وساروا حتى أتوا القلعة ودخلوا فيها، فتعجب جانشاه من حسن ذلك المكان، ثم داروا يتفرجون فى البستان ويأكلون من تلك الفواكه، ولم يزالوا دائرين إلى وقت المساء، ولما أمسى عليهم المساء أتوا إلى الكراسى المنصوبة وجلس جانشاه على التخت المنصوب فى الوسط وصارت الكراسى منصوبة عن يمينه وشماله، ثم إن

جانشاه لما جلس على ذلك التخت صار يتفكر ويبكى على فراق تخت والده وعلى فراق بلاده وأهله وأقاربه وبكت حوله الثلاثة المماليك.

فبينما هم فى ذلك الأمر إذا بصيحة عظيمة من جانب البحر فالتفتوا إلى جهة تلك الصيحة فإذا هم قردة كالجراد المنتشر وكانت تلك القلعة والجزيرة للقردة، ثم إن هؤلاء القردة لما رأوا المركب الذى أتى فيه جانشاه خسفوه على شاطئ البحر وأتوا جانشاه وهو جالس فى القلعة. ثم قالت ملكة الحيات: كل هذا يا حاسب ما يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا، فقال لها حاسب: وما فعل جانشاه مع القردة بعد ذلك؟

قالت له ملكة الحيات: لما طلع جانشاه وجلس على التخت والمماليك عن يمينه وشماله أقبل عليهم القردة فأفزعوهم وأخافوهم خوفًا عظيمًا، ثم دخلت جماعة من القردة وتقدموا إلى أن قربوا من التخت الجالس عليه جانشاه وقبلوا الأرض قدامه ووضعوا أيديهم على صدورهم ووقفوا قدامه ساعة، وبعد ذلك أقبلت جماعة منهم ومعهم غزلان فذبحوها وأتوا بها إلى القلعة وسلخوها وقطعوا لحمها وشووها حتى طابت للأكل ووضعوها فى صوانى من الذهب والفضة ومدوا السماط وأشاروا إلى جانشاه وجماعته أن يأكلوا فنزل جانشاه من فوق التخت وأكل وأكلت معه القرود والمماليك حتى اكتفوا من الأكل ثم إن القرود رفعوا سماط الطعام وأتوا بفاكهة فأكلوا منها وحمدوا الله - تعالى - ثم إن جانشاه. أشار إلى أكابر القرود وقال لهم: ما شأنكم ولمن هذا المكان؟ فقال له القرود بالإشارة: اعلم أن هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود - عليهما السلام -. وكان يأتى إليه فى كل سنة مرة ويتفرج فيه ويروح من عندنا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قالت له القرود: اعلم أيها الملك إنك بقيت علينا سلطانًا ونحن فى خدمتك فكُلْ واشرب وكُلّ ما أمرتنا به نفعله، ثم قام القرود وقبلوا الأرض بين يديه وانصرف كل واحد منهم إلى حال سبيله ونام جانشاه فوق التخت، ونام المماليك حوله على الكراسى إلى وقت الصباح، ثم دخل عليه الأربعة الوزراء الرؤساء على القرود وعساكرهم حتى امتلأ ذلك المكان وصاروا حوله صفًا بعد صف وأتت الوزراء وأشاروا إلى جانشاه أن يحكم بينهم بالصواب، ثم صاح القرود على بعضهم وانصرفوا وبقى منهم جانب قدام الملك جانشاه من أجل الخدمة. ثم بعد ذلك أقبل قرود معهم كلاب فى صورة الخيل وفى رأس كل كلب منهم سلسلة فتعجب من هؤلاء الكلاب ومن عظم خلقتها.

ثم إن وزراء القرود أشاروا إلى جانشاه أن يركب ويسير معهم، فركب جانشاه والثلاثة المماليك وركب معهم عسكر القرود وصاروا مثل الجراد المنتشر وبعضهم ماش، فتعجب من أمورهم، ولم يزالوا سائرين إلى شاطئ البحر فلما رأى جانشاه المركب الذى كان راكبًا فيه قد خُسف التفت إلى وزرائه من القرود وقال لهم: أين المركب الذى كان هنا؟ فقالوا له: اعلم أيها الملك انكم لما أتيتم إلى جزيرتنا علمنا أنك تكون سلطانًا علينا وخفنا أن تهربوا منا إذا أتينا عندكم وتنزلوا المركب فمن أجل ذلك خسفناه.

فلما سمع جانشاه هذا الكلام التفت إلى المماليك وقال لهم: ما بقى لنا حيلة فى الرواح

من عند هؤلاء القرود ولكن نصبر لما قدره الله - تعالى -. ثم ساروا وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى شاطئ نهر وفى جانب ذلك النهر جبل عال، فنظر جانشاه إلى ذلك الجبل فرأى فيه غيلانًا كثيرة فالتفت إلى القرود وقال لهم: ما شأن هؤلاء الغيلان؟ فقال له القرود: اعلم أيها الملك أن هؤلاء الغيلان أعداؤنا ونحن أتينا لنقاتلهم فتعجب جانشاه من هؤلاء الغيلان ومن عظم خلقتهم وهم راكبون على الخيل ورءوس بعضهم على صورة رءوس البقر وبعضهم على صورة الجمال. فلما رأى الغيلان عسكر القرود هجموا عليهم ووقفوا على شاطئ النهر وصاروا يرجمونهم بشيء من الحجارة بصورة العواميد، وحصل بينهم حرب عظيمة، فلما رأى جانشاه الغيلان غلبوا على القرود زعق على المماليك وقال لهم: أطلقوا القسى والنشاب وارموهم بالنبال حتى تقتلوهم وتردوهم عنا، ففعل المماليك ما أمرهم به جانشاه حتى حصل للغيلان كرب عظيم وقتل منهم خلق كثير وانهزموا وولوا هاربين، فلما رأى القرود من جانشاه هذا الأمر نزلوا فى النهر وعبروه وجانشاه معهم وطردوا الغيلان حتى غابوا عن أعينهم وانهزموا وقتل منهم كثير. ولم يزل جانشاه والقرود سائرين حتى وصلوا إلى جبل عال فنظر جانشاه إلى ذلك الجبل فوجد فيه لوحًا من المرمر مكتوبًا فيه: اعلم يا من دخل هذه الأرض أنك تصير سلطانًا على هؤلاء القرود وما يتأتى لك رواح من عندهم إلا أن رحت من الدرب الشرقى بناحية الجبل، وطوله ثلاثة أشهر وأنت سائر بين الوحوش والغيلان والمردة والعفاريت وبعد ذلك تنتهى إلى البحر المحيط بالدنيا، أو رحت من الدرب الغربى وطوله أربعة أشهر وفى رأسه وادى النمل، فإذا وصلت إلى وادى النمل ودخلت فيه فاحترز على نفسك من هذا النمل حتى تنتهى إلى جبل عال يتوقد مثل النار ومسيرته عشرة أيام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فلما رأى جانشاه ذلك اللوح قرأه ورأى فيه ما ذكرنا ورأى فى آخر الكلام: ثم تنتهى إلى نهر عظيم وهو يجرى وجريانه يخطف البصر من شدة عزمه وذلك النهر فى كل سبت ييبس وبجانبه مدينة أهلها كلهم يهود، ولدين محمد جحود، وما فيهم مسلم أبدًا. وما فى هذه الأرض إلا هذه المدينة، وما دمت مقيمًا عند القرود هم منصورون على الغيلان، واعلم أن هذا اللوح كتبه السيد سليمان بن داود - عليه السلام -.

فلما قرأه جانشاه بكى بكاءً شديدًا، ثم التفت إلى مماليكه وأعلمهم بما هو مكتوب على اللوح، وبعد ذلك ركب وركب حوله عساكر القرود وصاروا فرحانين بالنصر على أعدائهم ورجعوا إلى قلعتهم ومكث جانشاه سلطانًا فى القلعة على القرود سنة ونصفًا، ثم بعد ذلك أمر جانشاه عساكر القرود أن يركبوا للصيد والقنص، فركبوا وركب معهم جانشاه ومماليكه وساروا فى البرارى والقفار، ولم يزالوا سائرين من مكان إلى مكان حتى عرف وادى النمل ورأى الأمارة المكتوبة فى اللوح المرمر. فلما رأى ذلك أمرهم أن ينزلوا فى ذلك المكان، فنزلوا ونزلت عساكر القرود ومكثوا فى أكل وشرب مدة عشرة أيام، ثم اختلى جانشاه بمماليكه ليلة من الليالى وقال لهم: إنى أريد أن نهرب ونروح إلى وادى النمل ونسير إلى مدينة اليهود لعل

الله ينجينا من هؤلاء القرود ونروح إلى حال سبيلنا، فقالوا له: سمعًا وطاعة، ثم إنه صبر حتى مضى من الليل شيء قليل، وقام وقامت معه المماليك وتسلحوا بأسلحتهم وحزموا أوساطهم بالسيوف والخناجر وما أشبه ذلك من آلات الحرب وخرج جانشاه هو ومماليكه وساروا من أول الليل إلى وقت الصباح، فلما انتبه القرود من نومهم لم يروا جانشاه ولا مماليكه فعلموا أنهم هربوا منهم، فقامت جماعة من القرود وركبوا وساروا إلى ناحية الدرب الشرقى وجماعة ركبوا وساروا إلى وادى النمل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فبينما القرود سائرون إذ نظروا جانشاه والمماليك معه وهم مقبلون على وادى النمل فلما رأوهم أسرعوا وراءهم، فلما نظرهم جانشاه هرب وهربت معه المماليك ودخلوا وادى النمل، فما مضت ساعة من الزمان إلا والقرود قد هجمت عليهم وأرادوا أن يقتلوا جانشاه هو ومماليكه وإذا هم بنمل قد خرج من تحت الأرض مثل الجراد المنتشر كل نملة منه قدر الكلب. فلما رأى النمل القرود هجم عليهم وأكل منهم جماعة، وقتل من النمل جماعة كثيرة لكن حصل النصر للنمل وصارت النملة تأتى إلى القرد وتضربه فتقسمه نصفين وصار العشرة القرود يركبون النملة الواحدة ويمسكونها ويقسمونها نصفين ووقع بينهم حرب عظيم إلى وقت المساء، ولما أمسى الوقت هرب جانشاه هو والمماليك فى بطن الوادى. فلما أصبح الصباح أقبل القرود على جانشاه، فلما رآهم زعق على مماليكه وقال لهم: اضربوهم بالسيوف، فسحب المماليك سيوفهم وجعلوا يضربون القرود يمينًا وشمالاً فتقدم قرد عليهم له أنياب مثل أنياب الفيل وأتى إلى واحد من المماليك وضربه فقسمه نصفين وتكاثرت القرود على جانشاه فهرب إلى أسفل الوادى ورأى هناك نهرًا عظيمًا وبجانبه نمل عظيم، فلما رأى النمل جانشاه مقبلاً عليه أحاط به وإذا بمملوك ضرب النملة بالسيف فقسمها نصفين. فلما رأت عساكر النمل ذلك تكاثرت على المملوك وقتلته. فبينما هم فى هذا الأمر وإذا بالقرود قد أقبلوا من فوق الجبل وتكاثروا على جانشاه فلما رأى جانشاه اندفاعهم عليه نزع ثيابه ونزل النهر ونزل معه المملوك الذى بقى وعاما فى الماء إلى وسط النهر. ثم إن جانشاه رأى شجرة فى شاطئ النهر من الجهة الأخرى فمد يده إلى غصن من أغصانها وتناوله وتعلق به وطلع إلى البر، وأما المملوك فإنه غلب عليه التيار فأخذه وقطعه فى الجبل، وصار جانشاه واقفًا فى البر وحده يعصر ثيابه، وينشفها فى الشمس، ووقع بين القرود والنمل قتال عظيم، ثم رجع القرود إلى بلادهم.

هذا ما كان من أمر القرود والنمل، وأما ما كان من أمر جانشاه فإنه صار يبكى إلى وقت المساء، ثم دخل مغارة واستكن فيها وقد خاف خوفًا شديدًا واستوحش لفقد مماليكه، ثم نام فى تلك المغارة إلى الصباح، ثم سار ولم يزل سائرًا ليالى وأيامًا وهو يأكل من الأعشاب حتى وصل إلى الجبل الذى يتوقد مثل النار، فلما أتى إليه سار فيه حتى وصل إلى النهر الذى ينشف فى كل يوم سبت، فلما وصل إلى ذلك النهر رآه نهرًا عظيمًا وبجانبه مدينة عظيمة وهى مدينة اليهود التى رآها مكتوبة فى اللوح، فأقام هناك إلى أن أتى يوم السبت ونشف النهر، ثم

مشى فى النهر حتى وصل إلى مدينة اليهود فلم ير فيها أحدًا فمشى فيها حتى وصل إلى باب بيت ففتحه ودخله فرأى أهله ساكتين لا يتكلمون أبدًا، فقال لهم: إنى رجل غريب جائع، فقالوا له بالإشارة: كل واشرب ولا تتكلم. فقعد عندهم وأكل وشرب ونام تلك الليلة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أصبح الصباح سلم عليه صاحب البيت ورحب به وقال له: من أين أتيت وإلى أين رائح؟ فلما سمع جانشاه كلام اليهودى بكى بكاء شديدًا، وحكى له قصته وأخبره بمدينة أبيه، فتعجب اليهودى من ذلك وقال له: ما سمعنا بهذه المدينة قط غير أننا كنا نسمع من قوافل التجار أن هناك بلاد اليمن، فقال جانشاه لليهودى، هذه البلاد التى تخبر بها التجار لا تبعد عن هذا المكان، فقال له اليهودى: إن تجار تلك القوافل يزعمون أن مدة سفرهم من بلادهم إلى هنا سنتان وثلاثة أشهر، فقال جانشاه لليهودى: ومتى تأتى القافلة؟ فقال له: تأتى فى السنة القابلة.

فلما سمع جانشاه كلامه بكى بكاء شديدًا وحزن على نفسه وعلى مماليكه وعلى فراق أمه وأبيه وعلى ما جرى له فى سفره، فقال له اليهودى: لا تبك يا شاب واقعد عندنا حتى تأتى القافلة، ونحن نرسلك معها إلى بلادك. فلما سمع جانشاه ذلك الكلام قعد عند اليهودى مدة شهرين وصار كل يوم يخرج إلى أزقة المدينة ويتفرج فيها. فاتفق أنه خرج على عادته يومًا من الأيام ودار فى شوارع المدينة يمينًا وشمالاً فسمع رجلاً ينادى ويقول: من يأخذ ألف دينار وجارية حسناء بديعة الحسن والجمال ويعمل لى شغلا من وقت الصبح إلى وقت الظهر؟ فلم يجبه أحد.

فلما سمع جانشاه كلام المنادى قال فى نفسه: لولا أن هذا الشغل خطر ما كان صاحبه يعطى ألف دينار وجارية حسناء فى شغل من الصبح إلى الظهر. ثم إن جانشاه تمشى إلى المنادى وقال له: أنا أعمل هذا الشغل. فلما سمع المنادى من جانشاه هذا الكلام أخذه وأتى به إلى بيت عال فدخل هو وجانشاه ذلك البيت فوجد بيتًا عظيمًا ووجد هناك رجلاً يهوديا تاجرًا جالسًا على كرسى من الأبنوس، فوقف المنادى قدامه وقال له: أيها التاجر إن لى ثلاثة شهور وأنا أنادى فى المدينة، فلم يجبنى أحد إلا هذا الشاب. فلما سمع التاجر كلام المنادى رحب بجانشاه وأخذه ودخل به إلى مكان نفيس وأشار إلى عبيده أن يأتوا له بالطعام، فمدوا السماط وأتوا بأنواع الأطعمة فأكل التاجر وجانشاه وغسلا أيديهما وأتوا بالمشروب فشربا، ثم إن التاجر قام وأتى لجانشاه بكيس فيه ألف دينار وأتى له بجارية بديعة الجمال وقال له: خذ هذه الجارية وهذا المال فى الشغل الذى تعمله. فأخذ جانشاه الجارية والمال وأجلس الجارية بجانبه، وقال له التاجر: فى غد اعمل لنا الشغل، ثم ذهب التاجر من عنده ونام جانشاه فى تلك الليلة. ولما أصبح الصباح راح إلى الحمام فأمر التاجر عبيده أن يأتوا إليه ببدلة من الحرير فأتوا إليه ببدلة نفيسة من الحرير وصبروا حتى خرج من الحمام وألبسوه البدلة وأتوا به إلى البيت، فأمر التاجر عبيده أن يأتوا بالجنك والعود والمشروب فأتوا إليهما بذلك. فشربا ولعبا وضحكا، إلى أن مضى من الليل نصفه وبعد ذلك

ذهب التاجر ونام جانشاه إلى وقت الصباح، ثم راح إلى الحمام، فلما رجع من الحمام جاء إليه التاجر وقال له: إنى أريد أن تعمل لنا الشغل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال جانشاه: سمعًا وطاعة، فأمر التاجر عبيده أن يأتوا ببغلتين فأتوه ببغلتين فركب بغلة وأمر جانشاه أن يركب البغلة الثانية فركبها، ثم إن جانشاه والتاجر سارا من وقت الصباح إلى وقت الظهر حتى وصلا إلى جبل عال ما له حد فى العلو فنزل التاجر من فوق ظهر البغلة وأمر جانشاه أن ينزل فنزل جانشاه، ثم إن التاجر ناول جانشاه سكينا وحبلاً وقال له: أريد منك أن تذبح هذه البغلة.

فشمر جانشاه ثيابه وأتى إلى البغلة ووضع الحبل فى أربعتها ورماها على الأرض وأخذ السكين وذبحها وسلخها وقطع أربعتها ورأسها وصارت كوم لحم، فقال له التاجر: أمرتك أن تشق بطنها وتدخل فيه وأخيط عليك وتقعد هناك ساعة من الزمان ومهما تراه فى بطنها فأخبرنى به، فشق جانشاه بطن البغلة ودخله وخاطه عليه التاجر، ثم تركه وبعد عنه واستخفى فى ذيل الجبل.

وبعد ساعة نزل على البغلة طائر عظيم فاختطفها وطار، ثم حط بها على أعلى جبل وأراد أن يأكلها، فحس جانشاه بالطائر فشق بطن البغلة وخرج منها، فجفل الطائر لما رأى جانشاه وطار وراح إلى حال سبيله، فقام جانشاه على قدميه فصار ينظر يمينًا وشمالاً فلم ير أحدًا إلا رجالاً ميتين يابسين من الشمس، فلما رأى ذلك قال فى نفسه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم إنه نظر إلى أسفل الجبل فرأى التاجر واقفًا تحت الجبل ينظر إلى جانشاه، فلما رآه قال له: ارم لى من الحجارة التى حولك حتى أدلك على طريق تنزل منها. فرمى جانشاه من تلك الحجارة نحو مائتى حجر وكانت تلك الحجارة من الياقوت والزبرجد والجواهر الثمينة. ثم إن جانشاه قال للتاجر: دلنى على الطريق وأنا أرمى لك مرة أخرى، فجمع التاجر تلك الحجارة وحملها على البغلة التى كان راكبها وسار ولم يرد له جوابًا.

وبقى جانشاه فوق الجبل وحده فصار يستغيث ويبكى، ثم مكث فى الجبل ثلاثة أيام وبعد الثلاثة أيام قام وسار فى عرض الجبل مدة شهرين وهو يأكل من أعشاب الجبل، وما زال سائرًا حتى وصل فى سيره إلى طرف الجبل فلما وصل إلى ذيل الجبل رأى واديًا على بعد وفيه أشجار وأثمار، وأطيار تسبح الله الواحد القهار. فلما رأى جانشاه ذلك الوادى فرح فرحًا شديدًا فقصده، ولم يزل ماشيًا ساعة من الزمان حتى وصل إلى شرم فى الجبل ينزل منه السيل، فنزل منه وسار حتى وصل إلى الوادى الذى رآه وهو على الجبل فنزل الوادى وصار يتفرج فيه يمينًا وشمالا وما زال يمشى ويتفرج حتى وصل إلى قصر عال شاهق فى الهواء فتقرب جانشاه من ذلك القصر حتى وصل إلى بابه فرأى شيخًا مليح الهيئة يلمع النور من وجهه وبيده عكاز من الياقوت وهو واقف على باب القصر فتمشى جانشاه حتى قرب منه وسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وقال له: اجلس يا ولدى، فجلس جانشاه على باب ذلك القصر.

ثم إن الشيخ سأله وقال له: من أين أتيت إلى هذه الأرض وابن آدم ما داسها قط وإلى

أين أنت رائح؟ فلما سمع كلام الشيخ بكى بكاء شديدًا من كثرة ما قاساه وخنقه البكاء، فقال له الشيخ: يا ولدى اترك البكاء فقد أوجعت قلبى. ثم قام الشيخ وأتى إليه بشىء من الأكل وحطه قدامه وقال له: كُل من هذا. فأكل جانشاه وحمد الله - تعالى -. ثم إن الشيخ بعد ذلك سأل جانشاه وقال له: يا ولدى أريد منك أن تحكى لى حكايتك وتخبرنى بما جرى لك. فحكى له حكايته وأخبره بجميع ما جرى له من أول الأمر إلى أن وصل إليه، فلماسمع كلامه تعجب منه عجبًا شديدًا.

ثم إن جانشاه قال للشيخ: أريد منك أن تخبرنى بصاحب هذا الوادي ولمن هذا القصر العظيم؟ فقال الشيخ لجانشاه: اعلم يا ولدى أن هذا الوادى وما فيه وذلك القصر وما حواه للسيد سليمان بن داود - عليهما السلام - وأنا اسمى الشيخ نصر ملك الطيور، واعلم أن السيد سليمان وكلنى بهذا القصر وعلمنى منطق الطير وجعلنى حاكمًا على جميع الطير الذى فى الدنيا، وفى كل سنة يأتى الطير إلى هذا القصر وننظره ويروح وهذا سبب قعودى فى هذا المكان.

فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر بكى بكاء شديدًا وقال له: يا والدى كيف تكون حيلتى حتى أروح إلى بلادى؟ فقال له الشيخ: اعلم أنك بالقرب من جبل قاف وليس لك رواح من هذا المكان إلا إذا أتت الطيور وأوصى عليك واحدًا منها فيوصلك إلى بلادك فاقعد عندى فى هذا القصر وكل واشرب وتفرج فى هذه المقاصير حتى تأتى الطيور فقعد جانشاه عند الشيخ وصار يدور فى الوادى ويأكل من تلك الفواكه ويتفرج ويضحك ويلعب ولم يزل مقيمًا فى الذ عيش مدة من الزمان حتى قرب مجىء الطيور من أماكنها لزيارة الشيخ نصر، فلما علم الشيخ نصر بمجىء الطيور قام على قدميه وقال لجانشاه: يا جانشاه خذ هذه المفاتيح وافتح المقاصير التى فى هذا القصر وتفرج على ما فيها إلا المقصورة الفلانية فاحذر أن تفتحها ومتى خالفتنى وفتحتها ودخلتها لا يحصل لك خير أبدًا. ووصى جانشاه بهذه الوصية وأكد عليه فيها وسار من عنده لملاقاة الطيور، فلما نظرت الطيور الشيخ نصرًا أقبلت عليه، وقبلت يديه جنسًا بعد جنس.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر الشيخ نصر، وأما ما كان من أمر جانشاه فإنه قام على قدميه وصار دائرًا يتفرج على القصر يمينًا وشمالاً وفتح جميع المقاصير التى فى القصر حتى وصل إلى المقصورة التى حذره الشيخ نصر من فتحها فنظر إلى باب تلك المقصورة فأعجبه ورأى عليه قفلاً من الذهب، فقال فى نفسه: إن هذه المقصورة أحسن من جميع المقاصير التى فى القصر يا ترى ما يكون فى هذه المقصورة حتى منعنى الشيخ نصر من الدخول فيها؟ فلابد لى من أن أدخل هذه المقصورة وأنظر الذى فيها. وما كان مقدرًا على العبد لا بد أن يستوفيه، ثم مد يده وفتح المقصورة ودخلها فرأى فيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة قصر صغير وهو مبنى من الذهب والفضة والبلور وشبابيكه من الياقوت ورخامه من الزبرجد الأخضر والبلخش والزمرد والجواهر مرصعة فى الأرض على هيئة الرخام، وفى وسط ذلك القصر فسقية من الذهب ملآنة بالماء وحول تلك الفسقية وحوش وطيور مصنوعة

من الذهب والفضة يخرج من بطونها الماء.

وإذا هب النسيم يدخل فى آذانها فتصفر كل صورة بلغتها، وبجانب الفسقية إيوان عظيم عليه تخت عظيم من الياقوت مرصع بالدر والجواهر. وعلى ذلك التخت خيمة منصوبة من الحرير الأخضر مزركشة بالفصوص والمعادن الفاخرة ومقدار سعتها خمسون ذراعًا، وداخل تلك الخيمة مخدع فيه البساط الذى كان للسيد سليمان - عليه السلام -. ورأى جانشاه حول ذلك القصر بستانًا عظيمًا وفيه أشجار وأثمار وفى دائر القصر مزارع من الورد والريحان والنسرين ومن كل مشموم، وإذا هبت الرياح على الأشجار تمايلت تلك الأغصان ورأى جانشاه فى ذلك البستان من جميع الأشجار رطبًا ويابسًا وكل ذلك فى تلك المقصورة، فلما رأى جانشاه هذا الأمر تعجب منه غاية العجب وصار يتفرج فى ذلك البستان وذلك القصر وعلى ما فيهما من العجائب والغرائب، ونظر إلى البحيرة فرأى حصاها من الفصوص النفيسة والجواهر الثمينة والمعادن الفاخرة، ورأى فى تلك المقصورة شيئًا كثيرًا.

فلما رأى جانشاه هذا تعجب منه، ثم تمشى حتى دخل القصر الذى فى تلك المقصورة وطلع على التخت المنصوب على الإيوان بجانب الفسقية ودخل الخيمة المنصوبة فوقه ونام فى تلك الخيمة مدة من الزمان، ثم أفاق وقام يتمشى حتى خرج من باب القصر وجلس على كرسى قدام باب القصر وهو يتعجب من حسن ذلك المكان، فبينما هو جالس إذ أقبل عليه من الجو ثلاثة طيور فى صفة الحمام، ثم إن الطيور حطت بجانب البحيرة ولعبت ساعة وبعد ذلك نزعت ما عليها من الريش فصارت ثلاث بنات كأنهن الأقمار ليس لهن فى الدنيا شبه، ثم درن يتفرجن فى البستان، فلما رآهن جانشاه تعجب من حسنهن وقام على قدميه وتمشى حتى وصل إليهن.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما قرب منهن سلم عليهن، فرددن عليه السلام، ثم إنه سألهن وقال لهن: من أنتن أيتها السيدات الفاخرات ومن أين أقبلتن؟ فقالت له الصغيرة: نحن أتينا من ملكوت الله - تعالى - لنتفرج فى هذا المكان. فتعجب من حسنهن ثم قال للصغيرة: ارحمينى وتعطفى على وارثى لحالى وما جرى لى فى عمرى، فقالت له: دع عنك هذا الكلام واذهب إلى حال سبيلك، فلما سمع جانشاه منها هذا الكلام بكى بكاء شديدًا واشتدت به الزفرات، وأنشد هذه الأبيات:

شكوت إليها ما لقيت من الهوى — فقالت إلى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها إن كان قلبك صخـرة — فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما سمعت البنات هذا الشعر من جانشاه طربن، ثم إن جانشاه أتى إليهن بشىء من الفواكه فأكلن وشربن، ثم لبست البنات ثيابهن الريش وصرن فى هيئة الحمام وطرن ذاهبات إلى حال سبيلهن، فلما رآهن جانشاه طائرات وقد غبن عن عيونه كاد عقله أن يطير معهن وزعق زعقة عظيمة ووقع مغشيًا عليه، ومكث فى غشيته طول ذلك اليوم.

فبينما هو طريح على الأرض وإذا بالشيخ نصر قد أتى من ملاقاة الطيور وفتش على

جانشاه ليرسله مع الطيور ويروح إلى بلاده فلم يره فعلم الشيخ نصر أنه دخل المقصورة، وقد كان الشيخ نصر قال للطيور: إن عندى ولدًا صغيرًا جاءت به المقادير من بلاد بعيدة إلى هذه الأرض وأريد منكن أن تحملنه وتوصلنه إلى بلاده. فقالت له: سمعًا وطاعة. ولم يزل الشيخ نصر يفتش على جانشاه حتى أتى إلى باب المقصورة التى نهاه عن فتحها فوجده مفتوحًا فدخل فرأى جانشاه مرميًا تحت شجرة وهو مغشى عليه، فأتاه بشىء من المياه العطرية ورشه على وجهه فأفاق من غشيته وصار يتلفت يمينًا وشمالاً فلم ير عنده أحدًا سوى الشيخ نصر فزادت به الحسرات.

فقال له الشيخ: يا ولدى أما قلت لك لا تفتح هذه المقصورة ولا تدخلها؟ ولكن أخبرنى يا ولدى بما رأيت فيها واحك لى حكايتك وعرفنى ما جرى لك. فحكى له جانشاه حكايته وأخبره بما جرى له مع البنات الثلاث وهو جالس، فلما سمع الشيخ نصر كلامه قال له: اعلم يا ولدى أن هذه البنات من بنات الجان، وفى كل سنة يأتين إلى هذا المكان فيلعبن وينشرحن إلى وقت العصر ثم يذهبن إلى بلادهن. فقال له جانشاه: وأين بلادهن؟ فقال له الشيخ نصر: والله يا ولدى ما أعلم أين بلادهن. ثم إن الشيخ نصر قال له: قم معى وقو نفسك حتى أرسلك إلى بلادك مع الطيور وخل عنك هذا الحزن، فلما سمع جانشاه كلام الشيخ صرخ ووقع مغشيًا عليه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما أفاق قال له: يا والدى أنا لا أريد الرواح إلى بلادى واعلم يا والدى أنى ما بقيت أذكر أهلى ولو مت بين يديك. ثم بكى، وقال: أنا أريد أن أتخذ لى إحدى هذه البنات زوجة، ثم إن جانشاه وقع على رجلى الشيخ نصر وقبلهما وبكى بكاء شديدًا، وقال له: ارحمنى يرحمك الله وأعنى على بلوتى يعنك الله، فقال له الشيخ نصر: يا ولدى والله لا أعرف هذه البنات ولا أدرى أين بلادهن، ولكن يا ولدى اقعد عندى إلى مثل هذا العام لأنهن يأتين فى السنة القابلة مثل هذا اليوم، فإذا قربت الأيام التى يأتين فيها فكن مستخفيًا فى البستان تحت شجرة، ولما ينزعن ثياب الريش فخذ ريش التى تريدها منهن فإذا نظرنك يأتين ليلبسن ريشهن وتقول لك التى أخذت ريشها: أعطنى ريشى يا أخى حتى ألبسه، فلا تعطها إياه حتى أرجع من ملاقاة الطيور، وأوفق بينك وبينها وأرسلك إلى بلادك وهى معك وهذا الذى أقدر عليه.

فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر اطمأن قلبه وقعد عنده إلى ثانى عام وصار يعد الباقى من الأيام التى تأتى الطيور عقبها. فلما جاء ميعاد مجىء الطيور أتى الشيخ نصر إلى جانشاه وقال له: اعلم بالوصية التى أوصيتك بها من أمر ثياب البنات فإننى ذاهب لملاقاة الطيور، فقال جانشاه: سمعًا وطاعة، لأمرك يا والدى. ثم ذهب الشيخ نصر إلى ملاقاة الطيور وبعد ذهابه قام جانشاه وتمشى حتى دخل البستان واختفى تحت شجرة بحيث لا يراه أحد وقعد أول يوم وثانى يوم وثالث يوم فلم تأت إليه الطيور، فقلق وصار فى بكاء وأنين، ناشئ عن قلب حزين، ولم يزل يبكى حتى أغمى عليه، ثم بعد ساعة أفاق وجعل ينظر تارة إلى السماء وتارة ينظر إلى الأرض وتارة ينظر إلى البحيرة وتارة ينظر إلى البر وقلبه يرتجف. فبينما هو على هذه الحالة إذ أقبل عليه من الجو ثلاثة طيور فى صفة الحمام ولكن كل حمامة قدر

النسر، ثم إنهن نزلن بجانب البحيرة وتلفتن يمينًا وشمالاً فلم يرين أحدًا من الإنس ولا من الجن فنزعن ثياب الريش وأخذن يتفرجن فى البستان ويضحكن وينشرحن ثم إن الكبيرة فيهن قالت لهن: أخشى يا أخواتى أن يكون أحد متخفيًا لنا فى هذا القصر فقالت الوسطى منهن: يا أختى إن هذا القصر من عهد سليمان ما دخله إنس ولا جان. فقالت الصغيرة منهن وهى تضحك: والله يا إخوانى إن كان أحد متخفيًا فى هذا المكان فإنه لا يأخذ إلا أنا. ثم إنهن لعبن وضحكن وجانشاه متخف تحت الشجرة وهن لا ينظرنه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ولما بعدن قام جانشاه على قدميه وهو يجرى كالبرق الخاطف وأخذ ريش البنت الصغيرة وكان اسمها شمسة، فلما التفتت رأت جانشاه فارتجفت قلوبهن وأتين إلى قرب ريشهن ثم نظرن إلى جانشاه فقلن له: من أنت وكيف أتيت إلى هذا المكان وأخذت ريش السيدة شمسة؟ فقال لهن: ها أنا أحكى لكن ما جرى لى. فقالت السيدة شمسة: ما خبرك ولأى شىء أخذت ريشى وكيف عرفتنى من دون أخواتى؟ فقال لها جانشاه: لا أعطيك الريش إلا إذا أتى الشيخ نصر ملك الطيور. ثم تمشى من عندهن إلى القصر ودخله، ثم قامت السيدة شمسة وتمشت حتى وصلت إلى جانشاه فرأته جالسًا فوق التخت، فسلمت عليه وجلست قريبًا منه وقالت له: أخبرنا بما جرى لك حتى ننظر ما خبرك؟ فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة بكى حتى بل ثيابه من دموعه، فقالت له: دع عنك هذا البكاء واحك لى ما جرى. فحكى لها جانشاه ما جرى له وأخبرها بما رآه.

فلما سمعت السيدة شمسة منه ذلك الكلام تنهدت وقالت له: يا سيدى إذا رغبت أن تتزوج بى فأعطنى ثيابى الريش حتى ألبسها وأروح أنا وأخواتى إلى أهلى وأعلمهم بذلك ثم أرجع إليك وأحملك إلى بلادك. فلما سمع جنشاه منها ذلك الكلام بكى بكاء شديدًا وقال لها: أيحل لك من الله أن تقتلينى ظلمًا؟ فقالت له: يا سيدى بأى سبب أقتلك ظلمًا؟ فقال لها: لأنك متى لبست ثيابك الريش ورحت من عندى فإنى أموت من وقتى، فلما سمعت السيدة شمسة كلامه ضحكت وضحك أخواتها ثم قالت له: طب نفسًا وقر عينًا فلا بد أن أتزوج بك. ثم افترقا وجلسا فوق ذلك التخت، فقامت أختها الكبيرة وخرجت من القصر إلى البستان فأخذت شيئًا من الفواكه والمشموم وأتت به إليهم فأكلوا وشربوا وطربوا.

فبينما هم فى حظ وسرور وإذا بالشيخ نصر قد أتى من ملاقاة الطيور، فلما أقبل عليهم نهض الجميع إليه قائمين على أقدامهم وسلموا عليه وقبلوا يديه، فرحب بهم الشيخ نصر وقال لهم: اجلسوا فجلسوا. ثم إن الشيخ نصر قال للسيدة شمسة: إن هذا الشاب ذو مروءة وأدب فبالله عليك أن تتوصى به فإنه من أكابر الناس ومن أبناء الملوك وأبوه حاكم على بلاد كابل وقد حوى ملكًا عظيمًا.

فلما سمعت السيدة شمسة كلام الشيخ نصر قالت: سمعًا وطاعة لأمرك. ثم إنها قبلت يدى الشيخ نصر ووقفت قدامه. فقال لها الشيخ نصر: إن كنت صادقة فى قولك فاحلفى لى بالله أنك لا تخونيه ما دمت فى قيد الحياة. فحلفت يمينًا عظيمًا أنها لا تخونه أبدًا ولا بد أن

تتزوج به، وبعد أن حلفت قالت: اعلم يا شيخ نصر أنى لا أفارقه أبدًا، فلما حلفت السيدة شمسة للشيخ نصر صدق يمينها وقال لجانشاه: الحمد لله الذى وفق بينك وبينها، ففرح جانشاه بذلك فرحًا شديدًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قعد جانشاه هو والسيدة شمسة عند الشيخ نصر مدة ثلاثة أشهر فى أكل وشرب وحظ عظيم، وبعد الثلاثة الأشهر قالت السيدة شمسة لجانشاه: إنى أريد أن نروح إلى بلادك وتتزوج بى ونقيم فيها. فقال لها: سمعًا وطاعة، ثم إن جانشاه شاور الشيخ نصرًا وقال له: إننا نريد أن نروح إلى بلادى. وأخبره بما قالته السيدة شمسة فقال له الشيخ: اذهبا إلى بلادك وتوص بها. فقال جانشاه: سمعًا وطاعة.

ثم إنها طلبت ثوبها وقالت: يا شيخ نصر مُرهُ أن يعطينى ثوب الريش حتى ألبسه، فقال له: يا جانشاه أعطها ثيابها: فقال: سمعًا وطاعة، ثم قام بسرعة ودخل القصر وأتى بثوبها، وأعطاها إياه، فأخذته منه ولبسته وقالت له: يا جانشاه أعطنى يدك وغمض عينيك وسد أذنيك. حتى لا تسمع دوى الفلك الدوار وامسك فى ثوبى الريش واحترس على نفسك من الوقوع. ولما أرادت الطيران قال لها الشيخ نصر: قفى حتى أصف لك بلاد كابل خوفًا عليكما أن تغلطا فى الطريق. فوقفت حتى وصف لها البلاد وأوصاها بجانشاه ثم ودعهما. وودعت السيدة شمسة أختيها وقالت لهما: روحا إلى أهلكما وأعلماهم بما جرى لى مع جانشاه.

ثم إنها طارت من وقتها وساعتها وسارت فى الجو مثل هبوب الريح والبرق اللائح، وبعد ذلك طارت أختاها وذهبتا إلى أهلهما وأعلمتاهم بما جرى للسيدة شمسة مع جانشاه ومن حين طارت السيدة شمسة لم تزل طائرة من وقت الضحى إلى وقت العصر، وجانشاه ماسك فيها بيده وفى وقت العصر لاح لها على بعد واد ذو أشجار وأنهار فقالت لجانشاه قصدى أن ننزل فى هذا الوادى نتفرج على ما فيه من الأشجار والنباتات هذه الليلة؟ فقال لها: افعلى ما تريدين. فنزلت من الجو وحطت فى ذلك الوادى ونزل جانشاه ثم جلسا بجانب نهر ساعة من الزمان وبعد ذلك قاما على قدميهما وصارا دائرين فى الوادى يتفرجان على ما فيه ويأكلان من تلك الأثمار، ولم يزالا يتفرجان فى الوادى إلى وقت المساء، ثم أتيا إلى شجرة وناما عندها إلى الصباح.

ثم قامت السيدة شمسة وأخذت جانشاه بيده وطارت به من وقتها وساعتها. ولم تزل طائرة من الصبح إلى وقت الظهر، فبينما هما سائران إذ نظرا الأمارات التى أخبرهما بها الشيخ نصر، فلما رأت السيدة شمسة تلك الأمارات نزلت من أعلى الجو إلى مرج فسيح ذى زرع مليح، فيه غزلان رائعة وعيون نابعة، وأثمار يانعة، وأنهار واسعة، فلما نزلت فى ذلك المرج نزل جانشاه فقالت له: أتدرى المسافة التى سرناها؟ قال: لا، قالت: مسافة ثلاثين شهرًا. فقال لها جانشاه: الحمد لله على السلامة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم جلس وجلست بجانبه وقعدا فى أكل وشرب، فبينما هما فى هذا الأمر إذ أقبل عليهما مملوكان أحدهما الذى كان عند الخيل لما نزل جانشاه فى مركب الصياد والثانى من المماليك الذين كانوا معه فى الصيد والقنص، فلما رأيا جانشاه عرفاه وسلما عليه وقالا له: عن إذنك نتوجه إلى والدك ونبشره بقدومك. فقال لهما جانشاه: اذهبا إلى أبى وأعلماه بذلك وائتيانا بالخيام ونحن نقعد فى هذا المكان سبعة أيام لأجل الراحة حتى يجىء الموكب لملاقاتنا وندخل فى موكب عظيم.

فركب المملوكان الخيل وذهبا إلى أبيه وقالا له: البشارة يا ملك الزمان. فلما سمع الملك طيغموس كلام المملوكين قال لهما: بأى شىء تبشرانى هل قدم ابنى جانشاه؟ فقالا: نعم، إن ابنك جانشاه أتى من غيبته وهو بالقرب منك فى مرج الكرانى. فلما سمع الملك كلام المملوكين فرح فرحًا شديدًا ووقع مغشيًا عليه على الأرض من شدة الفرح فلما أفاق أمر وزيره أن يخلع على المملوكين كل واحد خلعة نفيسة ويعطى كل واحد منهما قدرًا من المال فقال له الوزير: سمعًا وطاعة، ثم قام من وقته وأعطى المملوكين ما أمره به الملك، وقال لهما: خذا هذا المال فى نظير البشارة التى أتيتما بها سواء كذبتما أو صدقتما، فقال المملوكان: نحن ما نكذب وكنا فى هذا الوقت قاعدين عنده وسلمنا عليه وقبلنا يديه وأمرنا أن نأتى له بالخيام وهو يقعد فى مرج الكرانى سبعة أيام حتى تذهب الوزراء والأمراء وأكابر الدولة لملاقاته.

ثم إن الملك قال لهما: كيف حال ولدى؟ فقالا له: إن ولدك معه حورية كأنه خرج بها من الجنة. فلما سمع الملك ذلك الكلام أمر بدق الكاسات والبوقات، فدقت البشائر وأرسل الملك طيغموس المبشرين فى جهات المدينة ليبشروا أم جانشاه ونساء الأمراء والوزراء وأكابر الدولة، فانتشر المبشرون فى المدينة وأعلموا أهلها بقدوم جانشاه، ثم تجهز الملك طيغموس بالعساكر والجيوش وتوجه إلى مرج الكرانى فبينما جانشاه جالس والسيدة شمسة بجانبه وإذا بالعساكر قد أقبلت عليهما، فقام جانشاه على قدميه وتمشى حتى قرب منهم، فلما رأته العساكر عرفوه ونزلوا عن خيلهم وترجلوا إليه وسلموا عليه وقبلوا يديه، وما زال جانشاه سائرًا والعسكر قدامه حتى وصل إلى أبيه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما نظر الملك طيغموس ولده رمى نفسه عن ظهر الفرس وحضنه وبكى بكاء شديدًا ثم ركب وركب ابنه والعساكر عن يمينه وشماله وما زالوا سائرين حتى أتوا إلى جانب النهر فنزلت العساكر والجيوش ونصبوا الخيام والصواوين والبيارق ودقت الطبول وزمرت الزمور وضربت الكاسات وزعقت البوقات. ثم إن الملك طيغموس أمر الفراشين أن يأتوا بخيمة من الحرير الأحمر وينصبوها للسيدة شمسة، ففعلوا ما أمرهم به وقامت السيدة شمسة وقلعت ثوبها الريش وتمشت حتى وصلت إلى تلك الخيمة، وجلست فيها، فبينما هى جالسة وإذا بالملك طيغموس وابنه جانشاه بجانبه أقبلا عليها. فلما رأت السيدة شمسة الملك طيغموس قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يديه. ثم جلس الملك وأخذ ولده جانشاه عن يمينه والسيدة شمسة عن شماله ورحب بالسيدة شمسة وسأل ابنه جانشاه وقال له: أخبرنى

بالذى وقع لك فى هذه الغيبة؟ فحكى له ما جرى له من الأول إلى الآخر. فلما سمع الملك من ابنه هذا الكلام تعجب عجبًا شديدًا والتفت إلى السيدة شمسة، وقال: الحمد لله الذى وفقك حتى جمعت بينى وبين ابنى إن هذا لهو الفضل العظيم ولكن أريد منك أن تتمنى على ما تشتهينه حتى أفعله إكرامًا لك، فقالت له السيدة شمسة: تمنيت عليك عمارة قصر فى وسط بستان والماء يجرى من تحته. فقال سمعًا وطاعة. فبينما هما فى الكلام وإذا بأم جانشاه أقبلت ومعها جميع نساء الأمراء والوزراء ونساء أكابر المدينة جميعًا، فلما رآها ولدها جانشاه خرج من الخيمة وقابلها وتعانقا ساعة من الزمان، ثم إن أمه من فرط الفرح أجرت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

هجم السرور علىَّ حتى أنــه ... من فرط ما قد سرنى أبكانى
يا عين صار الدمع منك سجية ... تبكين من فرح ومن أحزان

ثم شكيا لبعضهما ما قاسياه من البعد وألم الشوق، ثم انتقل والده إلى خيمته وانتقل جانشاه هو وأمه إلى خيمته وجلسا يتحدثان مع بعضهما. فبينما هما جالسان إذ أقبل المبشرون بقدوم السيدة شمسة وقالوا لأم جانشاه: إن شمسة أتت إليك وهى ماشية تريد أن تسلم عليك، فلما سمعت أم جانشاه ذلك الكلام قامت على قدميها وقابلتها وسلمت عليها وقعدتا ساعة من الزمان، ثم قامت أم جانشاه مع السيدة شمسة وسارت هى وإياها ونساء الأمراء وأرباب الدولة وما زلن سائرات حتى وصلن إلى خيمة السيدة شمسة فدخلنها وجلسن فيها. ثم إن الملك طيغموس أجزل العطايا وأكرم الرعايا وفرح بابنه فرحًا شديدًا ومكثوا فى ذلك المكان عدة عشرة أيام وهم فى أكل وشرب وأهنأ عيش.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: وبعد ذلك أمر الملك عساكره أن يرحلوا ويتوجهوا إلى المدينة ثم ركب الملك وركبت حوله العساكر والجيوش وصارت الوزراء والحجاب عن يمينه وعن شماله، وما زالوا سائرين حتى دخلوا المدينة وذهبت أم جانشاه هى والسيدة شمسة إلى منزلهم وتزينت المدينة بأحسن زينة ودقت البشائر والكاسات وزوقوا المدينة بالحلى والحلل وفرشوا نفيس الديباج تحت سنابك الخيل وفرحت أرباب الدولة وأظهروا التحف وانبهر المتفرجون وأطعموا الفقراء والمساكين وعملوا فرحًا عظيمًا مدة عشرة أيام وفرحت السيدة شمسة فرحًا شديدًا لما رأت ذلك، ثم إن الملك طيغموس أرسل إلى البنائين والمهندسين وأرباب المعرفة وأمرهم أن يعملوا له قصرًا فى ذلك البستان، فأجابوه بالسمع والطاعة وشرعوا فى تجهيز ذلك القصر.

ثم إنهم أتموه على أحسن حال، وحين علم جانشاه بصدور الأمر ببناء القصر أمر الصناع أن يأتوا بعمود من الرخام الأبيض، وأن ينقروه، ويجوفوه ويجعلوه على صورة صندوق ففعلوا ما أمرهم به. ثم إن جانشاه أخذ ثوب السيدة شمسة الذى تطير به ووضعه فى ذلك العمود ودفنه فى أساس القصر وأمر البنائين أن يبنوا فوقه القناطر التى عليها القصر ولما تم القصر فرشوه وصار قصرًا عظيمًا فى وسط ذلك البستان والأنهار تجرى من تحته، ثم إن الملك طيغموس بعد ذلك عمل عرس جانشاه فى تلك المدة وصار فرحا عظيما لم يسبق له

نظير، وزفوا السيدة شمسة إلى ذلك القصر وذهب كل واحد منهم إلى حال سبيله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ولما دخلت السيدة شمسة فى ذلك القصر شمت رائحة ثوبها الريش الذى تطير به وعرفت مكانه وأرادت أخذه فصبرت إلى نصف الليل، حتى استغرق جانشاه فى النوم، ثم قامت وتوجهت إلى العمود الذى عليه القناطر وحفرت بجانبه حتى وصلت إلى العامود الذى فيه الثياب وأزالت الرصاص الذى كان مسبوكًا عليه وأخرجت الثوب منه ولبسته وطارت من وقتها وجلست على أعلى القصر وقالت لهم: أريد منكم أن تحضروا لى جانشاه حتى أودعه، فأخبروا جانشاه بذلك: فذهب إليها فرآها فوق سطح القصر وهى لابسة ثوبها الريش فقال لها: كيف فعلت هذه الفعال؟ فقالت له: إنى قد فرحت فرحًا شديدًا حيث أوصلتك إلى أرضك وبلادك ورأيت أمك وأباك، فإن كنت تحبنى حقيقة فتعال عندى إلى قلعة جوهر تكنى. ثم طارت من وقتها وساعتها، ومضت إلى أهلها.

فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة وهى فوق سطح القصر كاد يموت من الجزع ووقع مغشيًا عليه، فمضوا به إلى أبيه وأعلموه بذلك، فركب أبوه وتوجه إلى القصر ودخل على ولده فرآه مطروحًا على الأرض فبكى الملك طيغموس ورش على وجهه ماء ورده، فأفاق فرأى أباه عند رأسه فبكى من فراق زوجته، فقال له أبوه: ما الذى جرى لك يا ولدى؟ فقال: اعلم يا أبى أن السيدة شمسة من بنات الجان، وكان عندى ثوب لها وهى ما تقدر أن تطير بدونه وقد كنت أخذت ذلك الثوب وأخفيته فى عمود على هيئة الصندوق وسكبت عليه الرصاص ووضعته فى أساس القصر، فحفرت ذلك الأساس وأخذته ولبسته وطارت. ثم نزلت على سطح القصر وقالت: إنى قد أوصلتك إلى أرضك وبلادك واجتمعت بأبيك وأمك فإن كنت أنت تحبنى فتعال عندى فى قلعة جوهر تكنى. ثم طارت من سطح القصر، وراحت إلى حال سبيلها، فقال الملك طيغموس: يا ولدى لا تحمل همًا فإننا نجمع أرباب التجارة والسياحين فى البلاد ونستخبرهم عن تلك القلعة، فإذا عرفناها نذهب إلى أهل السيدة شمسة ونرجو من الله - تعالى - أن تتزوج بها.

ثم خرج الملك من وقته وساعته وأحضر وزراءه الأربعة وقال لهم اجمعوا لى كل من فى المدينة من التجار والمسافرين واسألوهم عن قلعة جوهر تكنى كل من عرفها ودل عليها فإنى أعطيه خمسين ألف دينار، فلما سمع الوزراء ذلك الكلام قالوا له: سمعًا وطاعة، ثم ذهبوا من وقتهم وساعتهم وفعلوا ما أمر به الملك وصاروا يسألون التجار والسياحين فى البلاد عن قلعة جوهر تكنى فما أخبرهم بها أحد، فأتوا الملك وأخبروه بذلك فلما سمع الملك كلامهم أرسل روادًا وجواسيس إلى جميع البلاد والجزائر، والأقاليم ليسألوا عن قلعة جوهر تكنى، فسألوا عنها مدة شهرين فما أخبرهم بها أحد. فرجعوا إلى الملك وأعلموه بذلك فبكى بكاء شديدًا وذهب إلى ابنه فوجده جالسًا لا يتسلى عن السيدة شمسة، فقال له: يا ولدى ما وجدت من يعرف هذه القلعة وقد أتيتك بأجمل منها. فلما سمع جانشاه من أبيه هذا الكلام بكى بكاء كثيرًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم إن الملك طيغموس كان بينه وبين ملك الهند عداوة عظيمة، فإن الملك طيغموس كان عدا عليه وقتل رجاله وسلب أمواله وكان ملك الهند يقال له الملك كفيد وله جيوش وعساكر وأبطال وكان له ألف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على ألف قبيلة وكل قبيلة من تلك القبائل تشتمل على أربعة آلاف فارس، وكان عنده أربعة وزراء وتحته ملوك وأكابر وأمراء وجيوش كثيرة، وكان يحكم على ألف مدينة لكل مدينة ألف قلعة، وكان ملكًا عظيمًا شديد البأس وعساكره قد ملأت جميع الأرض.

فلما علم الملك كفيد ملك الهند أن الملك طيغموس اشتغل بحب ابنه وترك الحكم والملك وقلّت من عنده العساكر وصار فى هم ونكد بسبب اشتغاله بحب ابنه جمع الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وقال لهم: أما تعلمون أن الملك طيغموس قد هجم على بلادنا، وقتل أبى وإخوتى ونهب أموالنا، وما منكم أحد إلا وقد قتل له قريبًا وأخذ له مالاً ونهب رزقه وأسر أهله، وإنى سمعت اليوم أنه مشغول بحب ابنه جانشاه وقد قلّت عنده العساكر وهذا وقت أخذ ثأرنا منه فتأهبوا للسفر إليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا فى هذا الأمر بل نسير إليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده.

فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا له: سمعًا وطاعة. وأخذ كل منهم فى تجهيز عدته. واستمروا فى تجهيز العدد والسلاح وجمع العساكر ثلاثة أشهر، ولما تكاملت العساكر والجيوش والأبطال دقوا الكاسات ونفخوا فى البوقات، ونصبوا البيارق والرايات، ثم إن الملك كفيد خرج بالعساكر والجيوش وسار حتى وصل إلى أطراف بلاد كابل وهى بلاد الملك طيغموس، ولما وصلوا إلى تلك البلاد نهبوها وذبحوا الكبار وأسروا الصغار، فوصل الخبر إلى الملك طيغموس، فلما سمع ذلك الخبر اغتاظ غيظًا شديدًا وجمع أكابر دولته ووزراء وأمراء مملكته وقال لهم: اعلموا أن كفيد قد أتى ديارنا ونزل بلادنا ويريد قتالنا ومعه جيوش وأبطال وعساكر لا يعلمهم إلا الله - تعالى - فما الرأى عندكم؟ فقالوا له: يا ملك الزمان الرأى عندنا أننا نخرج إليه ونقاتله ونرده عن بلادنا. فقال لهم الملك طيغموس: تجهزوا للحرب والقتال.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم أخرج لهم من الزرد والدروع والخوذ والسيوف وجميع آلات الحرب ما يردى الأبطال، ويتلف صناديد الرجال، فاجتمعت العساكر والجيوش والأبطال، وتجهزوا للقتال، ونصبوا الرايات، ودقت الكاسات، ونفخ فى البوقات، وضربت الطبول وزمرت الزمور، وسار الملك طيغموس بعساكره، إلى ملاقاة الملك كفيد، وما زال الملك طيغموس سائرًا بالعساكر والجيوش حتى قربوا من الملك كفيد، ثم نزل الملك طيغموس على واد يقال له وادى زهران وهو فى أطراف بلاد كابل. ثم إن الملك طيغموس كتب كتابًا وأرسله مع رسول من عسكره إلى الملك كفيد مضمونه: أما بعد. فالذى نعلم به الملك كفيد أنك ما فعلت إلا فعل الأوباش ولو كنت ملكًا ابن ملك، ما فعلت هذه الفعال ولا كنت تجىء بلادى وتنهب أموال الناس، أما علمت أن هذا جور منك ولو علمت بأنك تتجارى على مملكتى لكنت أتيت قبل مجيئك بمدة ومنعتك عن بلادى، ولكن إن رجعت وتركت الشر بيننا وبينك فبها ونعمت، وإن لم ترجع فابرز إلى فى

حومة الميدان، وتجلد لدى فى موقف الحرب والطعان.

ثم إنه ختم الكتاب وسلمه لرجل عامل من عسكره وأرسل معه جواسيس يتجسسون له الأخبار، ثم إن الرجل أخذ الكتاب وسار به حتى وصل إلى الملك كفيد، فلما قرب من مكانه رأى خيامًا منصوبة على بعد وهى مصنوعة من الحرير الأطلس ورأى رايات من الحرير الأزرق ورأى بين الخيام خيمة عظيمة من الحرير الأحمر، وحول تلك الخيمة عسكر عظيم، وما زال سائرًا حتى وصل إلى تلك الخيمة، فسأل عنها فقيل لها أنها خيمة الملك كفيد. فنظر الرجل إلى وسط الخيمة فرأى الملك كفيد جالسًا على كرسى مرصع بالجواهر، وعنده الوزراء والأمراء وأرباب الدولة. فلما رأى ذلك أظهر الكتاب فى يده فذهب إليه جماعة من عسكر الملك كفيد وأخذوا الكتاب منه وأتوا به الملك فأخذه الملك.

فلما قرأه وعرف معناه كتب له جوابًا مضمونه: أما بعد. فالذى نعلم به الملك طيغموس أنه لا بد من أننا نأخذ الثأر، ونكشف العار ونخرب الديار، ونهتك الأستار، ونقتل الكبار ونأسر الصغار، وفى غد أبرز إلى القتال فى الميدان، حتى أريك الحرب والطعان. ثم ختم الكتاب وسلمه لرسول الملك طيغموس فأخذه وسار.

فلما وصل إليه قبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب وأخبره بما رآه وقال له: يا ملك الزمان إنى رأيت فرسانًا وأبطالاً ورجالاً لا يحصى لهم عدد، ولا ينقطع لهم مدد، فلما قرأ الكتاب وفهم معناه غضب غضبًا شديدًا وأمر وزيره عين زار أن يركب ومعه ألف فارس ويهجم على عسكر الملك كفيد، فى نصف الليل وأن يخوضوا فيهم ويقتلوهم، فقال له الوزير عين زار: سمعًا وطاعة، ثم ركب وركبت معه العساكر والجيوش وساروا نحو الملك كفيد، وكان للملك كفيد وزير يقال له غطرفان فأمره أن يركب ويأخذ معه خمسة آلاف فارس ويذهب بهم إلى عسكر الملك طيغموس ويهجموا عليهم ويقتلوهم، فركب الوزير غطرفان وفعل ما أمره به الملك كفيد وسار بالعسكر نحو الملك طيغموس وما زالوا سائرين إلى نصف الليل حتى قطعوا نصف الطريق فإذا الوزير غطرفان وقع فى الوزير عين زار فصاحت الرجال على الرجال، ووقع بينهم شديد القتال. وما زال يقاتل بعضهم بعضًا إلى وقت الصباح.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أصبح الصباح انهزمت عساكر الملك كفيد، وولوا هاربين إليه، فلما رأى ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال لهم: يا ويلكم ما الذى أصابكم حتى فقدتم أبطالكم؟ فقالوا له: يا ملك الزمان إنه لما ركب الوزير غطرفان وسرنا نحو الملك طيغموس لم نزل سائرين إلى أن نصف الليل، وقطعنا نصف الطريق فقابلنا عين زار وزير الملك طيغموس وأقبل علينا ومعه جيوش وأبطال وكانت المقابلة بجنب وادى زهران فلم نشعر إلا ونحن فى وسط العسكر ووقعت العين فى العين وقاتلنا قتالاً شديدًا من نصف الليل إلى الصباح وقد قتل خلق كثير، وصار الوزير عين زار يصيح فى وجه الفيل ويضربه فيجفل الفيل من شدة الضربة ويدوس الفرسان، ويولى هاربًا وما بقى أحد ينظر أحدًا من كثرة ما يطير من الغبار وصار الدم يجرى كالتيار، ولولا أننا أتينا هاربين لكنا قتلنا عن آخرنا.

فلما سمع الملك كفيد هذا الكلام قال: لا باركت فيكم الشمس، بل غضبت عليكم غضبًا شديدًا، ثم إن الوزير عين زار رجع إلى الملك طيغموس وأخبره بذلك فهناه الملك طيغموس بالسلامة وفرح فرحًا شديدًا وأمر بدق الكاسات والنفخ فى البوقات. ثم تفقد عسكره فإذا هم قد قتل منهم مائتا فارس من الشجعان الشداد، ثم إن الملك كفيد هيأ عسكره وجنوده وجيوشه وأتى الميدان، واصطفوا صفًا بعد صف فكملوا خمسة عشر صفًا فى كل صف عشرة آلاف فارس. وكان معه ثلاثمائة بهلوان يركبون على الأفيال، وقد انتخب الأبطال وصناديد الرجال، ونصب البيارق والرايات، ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات، وبرز الأبطال طالبين القتال، وأما الملك طيغموس فإنه صف عسكره صفًا بعد صف فإذا هم عشرة صفوف فى كل صف عشرة آلاف فارس، وكان معه مائة بهلوان يركبون عن يمينه وشماله، ولما اصطفت الصفوف تقدم كل فارس موصوف. وتصادمت الجيوش وضاقت رحب الأرض عن الخيل وضربت الطبول وزمرت الزمور ودقت الكاسات، ونفخ فى البوقات، وصاح النفير وصمت الآذان من صهيل الخيل فى الميدان وصاحت الرجال بأصواتهم وانعقد الغبار على رءوسهم واقتتلوا قتالاً شديدًا من أول النهار إلى أن أقبل الظلام.

ثم افترقوا وذهبت العساكر إلى منازلهم، فتفقد الملك كفيد عسكره فإذا هم قتل منهم خمسة آلاف فغضب غضبًا شديدًا.

وتفقد الملك طيغموس عسكره فإذا هم قتل منهم ثلاثة آلاف فارس من خواص شجعانه، فلما رأى ذلك غضب غضبًا شديدًا، ثم إن الملك كفيد برز إلى الميدان ثانيًا وفعل كما فعل أول مرة وكل واحد منهما يطلب النصر لنفسه وصاح الملك كفيد على عسكره، وقال لهم: هل فيكم من يبرز إلى الميدان، ويفتح لنا باب الحرب والطعان؟ فإذا بطل يقال له: بركيك قد أقبل راكبًا على فيل، وكان بهلوانًا عظيمًا ثم تقدم وقبل الأرض بين يدى الملك كفيد. واستأذنه فى البراز. ثم ركب الفيل وساقه إلى الميدان وصاح: هل من مبارز، هل من مناجز، هل من مقاتل؟.

فلما سمع الملك طيغموس التفت إلى عسكره وقال لهم: من يبرز إلى هذا البطل منكم؟ فإذا فارس قد برز من بين الصفوف راكبًا على جواد عظيم الخلقة وسار حتى أقبل على الملك طيغموس وقبل الأرض قدامه واستأذنه فى المبارزة.

ثم توجه إلى بركيك، فلما أقبل عليه قال له: من تكون أنت حتى تستهزئ بى وتبرز إلىّ وحدك وما اسمك؟ فقال له: اسمى غضنفر بن كمخيل، فقال له بركيك كنت أسمع بك وأنا فى بلادى فدونك والقتال بين صفوف الأبطال.

فلما سمع غضنفر كلامه سحب العود الحديد من تحت فخذه وقد أخذ بركيك السيف فى يده وتقاتلا قتالاً شديدًا ثم إن بركيك ضرب غضنفرًا بالسيف فأتت الضربة فى خوذته ولم يصبه منها ضرر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فلما رأى ذلك غضنفر ضربه بالعود فاستوى لحمه بلحم الفيل، فأتاه شخص وقال له: من أنت حتى تقتل أخى؟ ثم أخذ نبلة فى يده وضرب بها غضنفرًا فأصابت فخذه فسمرت الدرع فيه، فلما رأى ذلك غضنفر جرد السيف فى يده وضربه فقسمه نصفين

فنزل إلى الأرض يخور فى دمه، ثم إن غضنفرًا ولى هاربًا نحو الملك طيغموس، فلما رأى ذلك الملك كفيد صاح على عسكره وقال لهم: انزلوا الميدان وقاتلوا الفرسان.

ونزل الملك طيغموس بعسكره وجيوشه وقاتلوا قتالاً شديدًا وقد صهلت الخيل، وصاحت الرجال على الرجال، وتجردت السيوف وتقدم كل فارس موصوف، وحملت الفرسان على الفرسان وفر الجبان من موقف الطعان، ودقت الكاسات ونفخ فى البوقات فما تسمع الناس إلا ضجة صياح، وقعقعة سلاح وهلك فى ذلك الوقت من الأبطال من هلك.

وما زالوا على هذا الحال إلى أن صارت الشمس فى قبة الفلك، ثم إن الملك طيغموس انفرق بعسكره وجيوشه وعاد لخيامه وكذلك الملك كفيد، ثم إن الملك طيغموس تفقد رجاله فوجدهم قد قتل منهم خمسة آلاف فارس وانكسرت منهم أربعة بيارق، فلما علم الملك طيغموس بذلك غضب غضبًا شديدًا، وأما الملك كفيد فإنه تفقد عسكره فوجدهم قد قتل منهم ستمائة فارس من خواص شجعانه وانكسرت منهم تسعة بيارق، ثم ارتفع القتال من بينهم مدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك كتب الملك كفيد كتابًا أرسله مع رسول من عسكره إلى ملك يقال له فاقون الكلب فذهب الرسول إليه، وكان كفيد يدعى أنه قريبه من جهة أمه، فلما علم الملك فاقون بذلك جمع عسكره وجيوشه وتوجه إلى الملك كفيد.

فبينما الملك طيغموس جالس فى حظه إذ أتاه شخص وقال له: إنى رأيت غبرة ثائرة على بعد قد ارتفعت إلى الجو، فأمر الملك طيغموس جماعة من عسكره أن يكشفوا عن خبر تلك الغبرة.

فقالوا: سمعًا وطاعة، ثم ذهبوا ورجعوا وقالوا: أيها الملك قد رأينا الغبرة وبعد ساعة ضربها الهواء وقطعها وبان من تحتها سبعة بيارق تحت كل بيرق ثلاثة آلاف فارس وساروا إلى ناحية الملك كفيد، ولما وصل الملك فاقون الكلب إلى ناحية الملك كفيد سلم عليه وقال له: ما خبرك وما هذا القتال الذى أنت فيه؟ فقال الملك كفيد: أما تعلم أن الملك طيغموس عدوى وقاتل إخوتى وأبى وأنا قد جئته لأقاتله وآخذ بثارى؟ فقال الملك فاقون: باركت الشمس فيك. ثم إن الملك كفيد أخذ الملك فاقون الكلب وذهب إلى خيمته وفرح فرحًا شديدًا.

هذا ما كان من أمر الملك طيغموس والملك كفيد. وأما ما كان من أمر الملك جانشاه فإنه استمر شهرين وهو لم ينظر أباه ولم يأذن بالدخول عليه لأحد من الجوارى اللاتى كن فى خدمته فحصل له بذلك قلق عظيم، فقال لبعض أتباعه: ما خبر أبى حتى أنه لم يأتنى؟ فأخبروه بما جرى لأبيه مع الملك كفيد. فقال: ائتونى بجوادى حتى أذهب إلى أبى فقالوا: سمعًا وطاعة، وأتوا بالجواد، فلما حضر جواده قال فى نفسه: أنا مشغول بنفسى فالرأى أن آخذ فرسى وأسير إلى مدينة اليهود وإذا وصلت إليها يهون الله على بذلك الذى استأجرنى للعمل لعله يفعل بى مثل ما فعل أول مرة وما يدرى أحد أين تكون الخيرة.

ثم إنه ركب وأخذ معه ألف فارس وسار حتى صار الناس يقولون: إن جانشاه ذاهب إلى أبيه ليقاتل معه، وما زالوا سائرين إلى وقت المساء، ثم نزلوا فى مرج عظيم وباتوا بذلك المرج، فلما ناموا وعلم جانشاه أن عسكره ناموا كلهم قام فى خفية وشد وسطه وركب جواده وسار

إلى طريق بغداد لأنه كان سمع من اليهود أنه تأتيهم فى كل سنتين قافلة من بغداد، وقال فى نفسه: إذا وصلت إلى بغداد أسير مع القافلة حتى أصل إلى مدينة اليهود، وصممت نفسه على ذلك وسار إلى حال سبيله فلما استيقظ العساكر من نومهم ولم يروا جانشاه ولا جواده ركبوا وساروا يفتشون على جانشاه يمينًا وشمالاً فلم يجدوا له خبرًا، فرجعوا إلى أبيه وأعلموه بما فعل ابنه، فغضب غضبًا شديدًا وكاد الشرار يطلع من عينيه ورمى بتاجه من فوق رأسه وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله فقد فقدت ولدى والعدو قبالتى.

فقال له الملوك والوزراء: اصبر يا ملك الزمان فما بعد الصبر إلا الخير.

ثم إن جانشاه صار من أجل أبيه وفراق زوجته حزينًا مهمومًا جريح القلب قريح العين سهران الليل والنهار، وأما أبوه فإنه لما علم بفقد جميع عساكره وجيوشه رجع عن حرب عدوه وتوجه إلى مدينته ودخلها وغلق أبوابها وحصن أسوارها وصار هاربًا من الملك كفيد، وصار كفيد فى كل شهر يجىء المدينة طالبًا القتال والخصام ويقعد عليها سبع ليال وثمانية أيام وبعد ذلك يأخذ عسكره ويرجع بهم إلى الخيام ليداووا المجروحين من الرجال، فأما أهل مدينة الملك طيغموس فإنهم عند انصراف العدو عنهم يشتغلون بإصلاح السلاح وتحصين الأسوار وتهيئة المنجنيقات، ومكث الملك طيغموس والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين والحرب مستمرة بينهما.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمرهما، وأما ما كان من أم ر جانشاه فإنه لم يزل سائرًا يقطع البرارى والقفار، وكلما وصل إلى بلد من البلاد سأل عن قلعة جوهر تكنى، فلم يخبره أحد بها وإنما يقولون له: إننا لم نسمع بهذا الاسم أصلاً. ثم إنه سأل عن مدينة اليهود فأخبره رجل من التجار أنها فى أطراف بلاد المشرق وقال له: فى هذا الشهر سر معنا إلى مدينة مرزقان وهى فى الهند ومن تلك المدينة نذهب إلى خراسان ثم نسافر من هناك إلى مدينة شمعون ومنها إلى خوارزم وتبقى مدينة اليهود قريبة من خوارزم فإن بينها وبينها مسافة سنة وثلاثة أشهر، فصبر جانشاه حتى سافرت القافلة وسافر معها إلى أن وصل إلى مدينة مزرقان، ولما دخل تلك المدينة صار يسأل عن قلعة جوهر تكنى، فلم يخبره بها أحد، وسافرت القافلة وسافر معها إلى الهند ودخل المدينة وسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها أحد، وقالوا: ما سمعنا بهذا الاسم أصلاً، وقاسى فى الطريق شدة عظيمة وأهوالاً صعبة وجوعًا وعطشًا، ثم سافر من الهند ولم يزل مسافرًا حتى وصل إلى بلاد خراسان وانتهى إلى مدينة شمعون ودخلها وسأل عن مدينة اليهود، فأخبروه عنها ووصفوا له طريقها، فسافر أيامًا وليالى حتى وصل إلى المكان الذى هرب فيه من القردة. ثم مشى أيامًا وليالى حتى وصل إلى النهر الذى بجانب مدينة اليهود وجلس على شاطئه وصبر إلى يوم السبت حتى نشف بقدرة الله - تعالى - فعدى منه وذهب إلى بيت اليهودى الذى كان فيه أول مرة. فسلم عليه هو وأهل بيته وفرحوا به وأتوه بالأكل والشرب ثم قالوا له: أين كانت غيبتك؟ فقال: فى ملك الله - تعالى -، ثم بات تلك الليلة عندهم. ولما كان الغد دار فى المدينة يتفرج فرأى مناديًا يقول: يا معشر

الناس من يأخذ ألف دينار وجارية حسناء ويعمل عندنا شغل نصف يوم؟ فقال جانشاه: أنا أعمل هذا الشغل فقال له المنادى: اتبعنى، فتبعه حتى وصل إلى بيت اليهودى التاجر الذى وصل إليه أول مرة، ثم قال المنادى لصاحب البيت: إن هذا الولد يعمل الشغل الذى تريد، فرحب به التاجر وقال له: مرحبًا بك، وأتاه بالأكل والشرب فأكل جانشاه، ولما أصبح الصباح أخذالدنانير والجارية وسلمها لليهودى الذى بات فى بيته أول مرة، ثم رجع إلى التاجر صاحب الشغل فركب معه وسار حتى وصلا إلى جبل عال شاق فى العلو، ثم إن التاجر أخرج حبالاً وسكينًا وقال لجانشاه: ارم هذه الفرس على الأرض، فرماها وكتفها بالحبل وسلخها وقطع قوائمها ورأسها وشق بطنها كما أمره التاجر، ثم قال التاجر لجانشاه: ادخل بطن هذه الفرس حتى أخيطه عليك ومهما رأيته فيه فقل لى عليه فهذا الشغل الذى أخذت أجرته. فدخل جانشاه بطن الفرس وخاطه عليه التاجر ثم ذهب إلى محل بعيد عن الفرس واختفى فيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وبعد ساعة أقبل طير عظيم ونزل من الجو وخطف الفرس وارتفع بها إلى عنان السماء ثم نزل على رأس الجبل، فلما استقر على رأس الجبل أراد أن يأكل الفرس. فلما أحس به جانشاه شق بطن الفرس وخرج، فجفل منه الطير وطار إلى حال سبيله، فطلع جانشاه ونظر إلى التاجر فرآه واقفًا تحت الجبل مثل العصفور، فقال له: ما تريد أيها التاجر؟ فقال له: ارم لى بشىء من هذه الحجارة التى حواليك حتى أدلك على الطريق التى تنزل منها. فقال له جانشاه: أنت الذى فعلت بى كيت وكيت من مدة خمس سنين وقد قاسيت جوعًا وعطشًا وحصل لى تعب عظيم وشر كثير وها أنت عدت بى إلى هذا المكان وأردت هلاكى والله لا أرمى لك بشىء.

ثم إن جانشاه سار وقصد الطريق التى توصل إلى الشيخ نصر ملك الطيور، ولم يزل سائرًا أيامًا وليالى وهو باكى العين حزين القلب وإذا جاع يأكل من نبات الأرض وإذا عطش يشرب من أنهارها حتى وصل إلى قصر السيد سليمان فرأى الشيخ نصرًا جالسًا على باب القصر، فأقبل عليه وقبل يديه، فرحب به الشيخ نصر وسلم عليه ثم قال له: يا ولدى ما خبرك حتى جئت إلى هذا المكان، وكنت قد توجهت من هنا مع السيدة شمسة وأنت قرير العين منشرح الصدر؟ فبكى جانشاه وحكى له ما جرى من السيدة شمسة لما طارت وقالت له: إن كنت تحبنى تعال عندى فى قلعة جوهر تكنى.

فتعجب الشيخ نصر من ذلك وقال: والله يا ولدى ما أعرفها وحق السيد سليمان ولا سمعت بهذا الاسم طول عمرى، فقال جانشاه: كيف أعمل وقد مت من الحزن؟ فقال له الشيخ نصر: اصبر حتى تأتى الطيور ونسألها عن قلعة جوهر تكنى لعل أحدًا منها يعرفها. فاطمأن قلب جانشاه ودخل القصر وذهب إلى المقصورة المشتملة على البحيرة التى رأى فيها البنات الثلاث ومكث عند الشيخ نصر مدة من الزمان.

فبينما هو جالس على عادته إذ قال له الشيخ نصر: يا ولدى إنه قد قرب مجىء الطير ففرح جانشاه بذلك الخبر، ولم يمض إلا أيام قلائل حتى أقبلت الطيور، فجاء الشيخ نصر

جانشاه، وقال له: يا ولدى تعلم هذه الأسماء وأقبل على الطيور، فجاءت الطيور وسلمت على الشيخ نصر نوعًا بعد نوع، ثم سألها عن قلعة جوهر تكنى فقال كل منها: ما سمعت بهذه القلعة طول عمرى. فبكى جانشاه وتحسر ووقع مغشيًا عليه، فطلب الشيخ نصر طيرًا عظيمًا وقال له: أوصل هذا الشاب إلى بلاد كابل، ووصف له البلاد وطريقها، فقال له سمعًا وطاعة، ثم ركب جانشاه على ظهره وقال له: احترس على نفسك وإياك أن تميل فتتقطع فى الهواء وسُدّ أذنيك من الريح لئلا يضرك جرى الأفلاك ودوى البحار، فقبل جانشاه ما قاله الشيخ نصر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم أقلع به الطير وعلا إلى الجو وسار به يومًا وليلة ثم نزل به عند ملك الوحوش واسمه شاه بدرى، فقال الطير لجانشاه: قد تهنا عن البلاد التى وصفها الشيخ نصر، وأراد أن يأخذ جانشاه ويطير به، فقال له جانشاه: اذهب إلى حال سبيلك واتركنى فى هذه الأرض حتى أموت فيها أو أصل إلى قلعة جوهر تكنى ولا أروح إلى بلادى فتركه الطير عند ملك الوحوش شاه بدرى وذهب إلى حال سبيله.

ثم إن شاه بدرى سأله وقال له: يا ولدى من أنت ومن أين أقبلت مع هذا الطير العظيم؟ فحكى له جميع ما جرى من الأول إلى الآخر، فتعجب ملك الوحوش من حكايته وقال له: وحق السيد سليمان إنى ما أعرف هذه القلعة وكل من دلنا عليها نكرمه ونرسلك إليها. فبكى جانشاه بكاء شديدًا وصبر مدة قليلة وبعدها أتاه ملك الوحوش وهو شاه بدرى وقال له: قم يا ولدى وخذ هذه الألواح واحفظ الذى فيها وإذا أتت الوحوش نسألها عن تلك القلعة. فما مضى غير ساعة حتى أقبلت الوحوش نوعًا بعد نوع وصاروا يسلمون على الملك شاه بدرى ثم إنه سألها عن قلعة جوهر تكنى، فقالوا له جميعًا: ما نعرف هذه القلعة ولا سمعنا بها، فبكى جانشاه وتأسف على عدم ذهابه مع الطير الذى أتى به من عند الشيخ نصر، فقال له ملك الوحوش: يا ولدى لا تحمل همًا إن لى أخًا أكبر منى يقال له الملك شماخ وكان أسيرًا عند السيد سليمان لأنه كان عاصيًا عليه وليس أحد من الجن أكبر منه هو والشيخ نصر فلعله يعرف هذه القلعة وهو يحكم على الجان الذين فى هذه البلاد، ثم أركبه ملك الوحوش على ظهر وحش منها وأرسل معه كتابًا إلى أخيه بالوصية عليه، ثم إن ذلك الوحش سار من وقته وساعته ولم يزل سائرًا بجانشاه أيامًا وليالى حتى وصل إلى الملك شماخ فوقف ذلك الوحش فى مكان وحده بعيدًا عن الملك، ثم نزل جانشاه من فوق ظهره وسار يتمشى حتى وصل إلى حضرة الملك شماخ فقبل يديه وناوله الكتاب، فقرأه وعرف معناه ورحب به، وقال له: يا ولدى إن هذه القلعة عمرى ما سمعت بها ولا رأيتها فبكى جانشاه وتحسر فقال الملك شماخ: احك لى حكايتك وأخبرنى من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تذهب؟ فأخبره بجميع ما جرى له من الأول إلى الآخر فتعجب شماخ من ذلك وقال له: يا ولدى ما أظن أن السيد سليمان فى عمره سمع بهذه القلعة ولا رآها ولكن يا ولدى أنا أعرف راهبًا فى الجبل وهو كبير فى العمر وقد أطاعته جميع الطيور والوحوش والجان من كثرة أقسامه لأنه ما زال يتلو الأقسام على ملوك الجن حتى أطاعوه قهرًا عنهم من شدة تلك الأقسام والسحر الذى عنده وجميع الطيور

والوحوش تسير إلى خدمته وها أنا قد كنت عصيت السيد سليمان فهو الذى أسرنى عنده وما غلبنى سوى هذا الراهب من شدة مكره وأقسامه وسحره وقد بقيت فى خدمته واعلم أنه ساح فى جميع البلاد والأقاليم وعرف جميع الطرق والجهات والأماكن والقلاع والمدائن وما أظن أنه يخفى عليه مكان. فأنا أرسلك إليه لعله يدلك على هذه القلعة، وإن لم يدلك هو عليها فما يدلك عليها أحد لأنه قد أطاعته الطيور والوحوش والجبال وكلهم يأتونه. ومن شدة سحره قد اصطنع له عكازة ثلاث قطع فيغرزها فى الأرض ويتلو القسم على القطعة الأولى من العكازة فيخرج منها لحم ويخرج منها دم، ويتلو القسم على القطعة الثانية فيخرج منها لبن وحليب، ويتلو القسم على القطعة الثالثة فيخرج منها قمح وشعير، وبعد ذلك يخرج العكازة من الأرض ثم يذهب إلى ديره، وديره يسمى دير الماس، وهذا الراهب الكاهن يخرج من يده اختراع كل صنعة غريبة وهو ساحر كاهن ماكر مخادع خبيث واسمه يغموس وقد حوى جميع الأقسام والعزائم ولا بد من أن أرسلك إليه مع طير عظيم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهر زاد: ثم أركبه على ظهر طير عظيم له أربعة أجنحة طول كل جناح منها ثلاثون ذراعًا بالهاشمى وله أرجل مثل أرجل الفيل لكنه لا يطير فى السنة إلا مرتين، وكان عند الملك شماخ عون يقال له طمشون كل يوم يخطف لهذا الطير بختيتين من بلاد العراق ويفسخهما له ليأكلهما، فلما ركب جانشاه على ظهر ذلك الطير أمره الملك شماخ أن يوصله إلى الراهب يغموس، فأخذه على ظهره وسار به ليالى وأيامًا حتى وصل إلى جبل القلع ودير الماس، فنزل جانشاه عند ذلك الدير فرأى يغموس الراهب داخل الكنيسة وهو يتعبد فيها. فتقدم جانشاه إليه وقبل الأرض ووقف بين يديه.

فلما رآه الراهب قال له: مرحبًا بك يا ولدى يا غريب الديار وبعيد المزار أخبرنى ما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ فبكى جانشاه وحكى له حكايته من الأول إلى الآخر، فلما سمع الراهب الحكاية تعجب غاية العجب وقال له: والله يا ولدى عمرى ما سمعت بهذه القلعة ولا رأيت من سمع بها أو رآها مع أنى كنت موجودًا على عهد نوح نبى الله - عليه السلام -. وحكمت من عهد نوح إلى زمن السيد سليمان بن داود على الوحوش والطيور والجن وما أظن أن سيدنا سليمان سمع بهذه القلعة، ولكن اصبر يا ولدى حتى تأتى الطيور والوحوش وأعوان الجان وأسألهم لعل أحدًا منهم يخبرنا بها ويأتينا بخبر عنها ويهون الله - تعالى - عليك.

فقعد جانشاه مدة من الزمان عنده فبينما هو قاعد إذ أقبلت عليه الطيور والوحوش والجان أجمعون وصار جانشاه والراهب يسألونهم عن قلعة جوهر تكنى، فما أحد منهم قال أنا رأيتها أو سمعت بها بل كان كل منهم يقول: لا رأيت هذه القلعة ولا سمعت بها، فصار جانشاه يبكى وينوح ويتضرع إلى الله - تعالى -. وبينما هو كذلك إذا بطير قد أقبل آخر الطيور وهو أسود اللون عظيم الخلقة. ولما نزل من أعلى الجو جاء وقبل يدى الراهب، فسأله عن قلعة جوهر تكنى فقال له: أيها الراهب إننا كنا ساكنين خلف جبل قاف بجبل البلور فى بر عظيم وكنت أنا وأخواتى فراخًا صغارًا وأبى وأمى يجيئان برزقنا، فاتفق أنهما سرحا يومًا من الأيام

وغابا عنا سبعة أيام فاشتد علينا الجوع، ثم أتيا فى اليوم الثامن وهما يبكيان، فقلنا لهما: ما سبب غيابكما عنا؟ فقالا: إنه خرج علينا مارد فخطفنا وذهب بنا إلى قلعة جوهر تكنى، وأوصلنا إلى الملك شهلان فلما رآنا الملك شهلان أراد قتلنا، فقلنا له: إن وراءنا فراخًا صغارًا فأعتقنا من القتل ولو كان أبى وأمى فى قيد الحياة لكانا أخبراكم عن القلعة.

فلما سمع جانشاه هذا الكلام بكى بكاءً شديدًا وقال للراهب: أريد منك أن تأمر هذا الطير أن يوصلنى إلى نحو وكر أبيه وأمه فى جبل البلور خلف جبل قاف فقال الراهب للطير: أيها الطير أريد منك أن تطيع هذا الولد فى جميع ما يأمرك به، فقال الطير للراهب: سمعًا وطاعة لما تقول، ثم إن ذلك الطير أركب جانشاه على ظهره وطار، ولم يزل طائرًا به أيامًا وليالى، حتى أقبل على جبل البلور، ثم نزل هناك، ومكث برهة من الزمان ثم أركبه على ظهره وطار، ولم يزل طائرًا به مدة يومين حتى وصل إلى الأرض التى فيها الوكر ونزل به هناك، ثم قال له: يا جانشاه هذا الوكر الذي كنا فيه، فبكى جانشاه بكاءً شديدًا وقال للطير: أريد منك أن تحملنى وتوصلنى إلى الناحية التى كان أبوك وأمك يذهبان إليها ويجيئان منها بالرزق، فقال له الطير: سمعًا وطاعة يا جانشاه. ثم حمله وطار به. ولم يزل طائرًا سبع ليال وثمانية أيام حتى وصل به إلى جبل عال ثم أنزله من فوق ظهره وقال له: ما بقيت أعرف وراء هذا المكان أرضًا. فغلب على جانشاه النوم فنام فى رأس ذلك الجبل، فلما أفاق من النوم رأى بريقًا على بعد يملأ نوره الجو فصار متحيرًا فى نفسه من ذلك اللمعان والبريق لم يدر أنه لمعان القلعة التى هو يفتش عنها وكان بينه وبينها مسيرة شهرين وهى مبنية من الياقوت الأحمر وبيوتها من الذهب الأصفر ولها ألف برج مبنية من المعادن النفيسة التى تخرج من بحر الظلمات، ولهذا سميت بقلعة جوهر تكنى لأنها من نفيس الجواهر والمعادن، وكانت قلعة عظيمة واسم ملكها شهلان وهو أبو البنات الثلاث.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر جانشاه، وأما ما كان من أمر السيدة شمسة فإنها لما هربت من عند جانشاه وراحت عند أبيها وأمها وأهلها أخبرتهم بما جرى لها مع جانشاه وحكت لهم حكايته وأعلمتهم أنه ساح فى الأرض ورأى العجائب وعرفتهم بمحبته لها ومحبتها له وبما وقع بينهما، فلما سمع أبوها وأمها منها هذا الكلام قالا لها: ما يحل لك أن تفعلى معه هذا الأمر، ثم إن أباها حكى هذه المسألة لأعوانه من مردة الجان وقال لهم: كل من رأى إنسيًا فليأتنى به. وكانت السيدة شمسة أخبرت أمها أن جانشاه مغرم بها وقالت لها: لا بد أن يأتينا لأنى لما طرت من فوق قصر أبيه قلت له: إن كنت تحبنى فتعال عندى فى قلعة جوهر تكنى. ثم إن جانشاه لما رأى ذلك البريق واللمعان قصد نحوه ليعرف ما هو، وكانت السيدة شمسة قد أرسلت عونًا من الأعوان فى شغل بناحية جبل قرموس، فبينما ذلك العون سائرًا إذا هو ينظر من بعيد إلى شخص إنسى، فلما رآه أقبل نحوه وسلم عليه، فخاف جانشاه من ذلك العون ولكنه رد عليه السلام فقال له العون: ما اسمك؟ فقال له: اسمى جانشاه وكنت قبضت على جنية اسمها السيدة شمسة، لأنه كان بيننا وبينها مودة. ثم أنها هربت منى بعد دخولها فى

قصر والدى، وحكى له جميع ما جرى له معها وصار جانشاه يكلم المارد ويبكى، فلما نظر العون إلى جانشاه وهو يبكى أحرق قلبه وقال له: لا تبك فإنك قد وصلت إلى مرادك واعلم أنها تحبك محبة عظيمة وقد أعلمت أباها وأمها بمحبتك لها وكل من فى القلعة يحبك لأجلها فطب نفسًا وقر عينًا.

ثم إن المارد حمله على كاهليه وسار به حتى وصل إلى قلعة جوهر تكنى، وذهب المبشرون إلى الملك شهلان وإلى السيدة شمسة وإلى أمها يبشرونهم بمجىء جانشاه، ولما جاءتهم البشائر بذلك فرحوا فرحًا عظيمًا، ثم إن الملك شهلان أمر جميع الأعوان أن يلاقوا جانشاه وركب هو وجميع الأعوان والعفاريت والمردة إلى ملاقاة جانشاه.

فلما أقبل الملك شهلان أبو السيدة شمسة على جانشاه عانقه، ثم إن جانشاه قبل يدى الملك شهلان، وأمر له الملك بخلعة عظيمة من الحرير مختلفة الألوان مطرزة بالذهب مرصعة بالجوهر، ثم ألبسه التاج الذى ما رأى مثله أحد من ملوك الإنس ثم أمر بفرس عظيمة من خيل ملوك الجان فركبها وركب الأعوان عن يمينه وشماله وسار هو والملك فى موكب عظيم حتى أتوا باب القصر فنزل جانشاه فى ذلك القصر فرآه قصرًا عظيمًا حيطانه مبنية بالجواهر واليواقيت ونفيس المعادن، وأما البلور والزبرجد والزمرد فمرصع فى الأرض فصار يتعجب من ذلك ويبكى والملك وأم السيدة شمسة يمسحان دموعه ويقولان له: قلل من البكاء ولا تحمل همًا واعلم أنك قد وصلت إلى مرادك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم إنه لما وصل إلى وسط المكان لاقته الجوارى الحسان والعبيد والغلمان، وأجلسوه فى أحسن مكان ووقفوا فى خدمته وهو متحير فى حسن ذلك المكان وحيطانه التى بنيت من جميع المعادن ونفيس الجواهر، وانصرف الملك شهلان إلى محل جلوسه وأمر الجوارى والغلمان أن يأتوا بجانشاه ليجلس عنده، فأخذوه ودخلوا به عليه، فقام الملك إليه وأجلسه على تخته بجانبه، ثم إنهم أتوا بالسماط فأكلوا وشربوا ثم غسلوا أيديهم وبعد ذلك أقبلت عليه أم السيدة شمسة فسلمت عليه ورحبت به وقالت له: قد بلغت المقصود بعد التعب ونامت عينك بعد السهر والحمد لله على سلامتك، ثم ذهبت من وقتها إلى ابنتها السيدة شمسة فأتت بها جانشاه. فلما أقبلت عليه السيدة شمسة سلمت عليه وقبلت يديه وأطرقت برأسها خجلاً منه ومن أمها وأبيها، وأتت أخواتها اللاتى كن معها فى القصر وقبلن يديه وسلمن عليه، ثم إن أم السيدة شمسة قالت له: مرحبًا بك يا ولدى ولكن ابنتى شمسة قد أخطأت فى حقك ولا تؤاخذها بما فعلت معك لأجلنا. فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام صاح ووقع مغشيًا عليه، فتعجب الملك منه ثم أنهم رشوا وجهه بماء الورد الممزوج بالمسك والزباد فأفاق ونظر إلى السيدة شمسة وقال: الحمد لله الذى بلغنى مرادى، فقالت له السيدة شمسة: سلامتك ولكن يا جانشاه أريد أن تحكى لى ما جرى لك بعد فراقى وكيف أتيت إلى هذا المكان مع أن أكثر الجان لا يعرفون قلعة جوهر تكنى ونحن عاصون على جميع الملوك وما

أحد عرف طريق هذا المكان ولا سمع به.

فأخبرها بجميع ما جرى له وكيف أتى وأعلمهم بما جرى بأبيه مع الملك كفيد وأخبرهم بما قاساه فى الطريق وما رآه من الأهوال والعجائب وقال لها: كل هذا كان من أجلك يا سيدتى شمسة. فقالت له أمها: قد بلغت المراد والسيدة شمسة جارية نهديها إليك فلما سمع ذلك جانشاه فرح فرحًا شديدًا، فقالت له بعد ذلك: إن شاء الله - تعالى - فى الشهر القابل ننصب الفرح ونعمل العرس ونزوجك بها ثم تذهب بها إلى بلادك ونعطيك ألف مارد من الأعوان لو أذنت لأقل من فيهم فى أن يقتل الملك كفيد وقومه لفعل ذلك فى لحظة، وفى كل عام نرسل لك قومًا إذا أمرت واحدًا منهم بإهلاك أعدائك جميعًا أهلكهم عن آخرهم. ثم إن الملك شهلان جلس فوق التخت وأمر أرباب الدولة أن يعملوا فرحًا عظيمًا ويزينوا المدينة سبعة أيام ولياليها، فقالوا له: سمعًا وطاعة. ثم ذهبوا فى ذلك الوقت وأخذوا فى تجهيز الأهبة للفرح ومكثوا فى التجهيز مدة شهرين وبعد ذلك عملوا عرسًا للسيدة شمسة، حتى صار فرحا عظيما لم يكن مثله، واستمر جانشاه فى القلعة مدة سنتين فى ألذ عيش وأهناه وأكل وشرب، ثم بعد ذلك قال للسيدة شمسة، إن أباك قد وعدنا بالذهاب إلى بلادى وأن نقعد هناك سنة وهنا سنة. فقالت السيدة شمسة: سمعًا وطاعة. ولما أمسى المساء دخلت على أبيها وذكرت له ما قاله جانشاه لها، فقال لها: سمعًا وطاعة ولكن اصبرا إلى أول الشهر حتى نجهز لكما الأعوان، فأخبرت جانشاه بما قاله أبوها وصبرا المدة التى عينها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وبعد ذلك أذن الملك شهلان للأعوان، أن يخرجوا فى خدمة السيدة شمسة، وجانشاه حتى يوصلوهما إلى بلاد جانشاه وقد جهز لهما تختًا عظيمًا من الذهب الأحمر مرصعًا بالدر والجوهر فوقه خيمة من الحرير الأخضر، منقوشة بسائر الألوان، مرصعة بنفيس الجواهر تحار فى حسنها النواظر، فطلع جانشاه هو والسيدة شمسة فوق ذلك التخت ثم انتخب من الأعوان أربعة ليحملوا ذلك التخت فحملوه وصار كل واحد منهم فى جهة من جهاته وجانشاه والسيدة شمسة فوقه. ثم إن السيدة شمسة ودعت أمها وأباها وأخوتها وأهلها وقد ركب أبوها وسار مع جانشاه وسارت الأعوان بذلك التخت، ولم يزل الملك شهلان سائرًا معهم إلى وسط النهار، ثم حطت الأعوان ذلك التخت ونزلوا وودعوا بعضهم بعضًا وصار الملك شهلان يوصى جانشاه على السيدة شمسة ويوصى الأعوان عليهما. ثم أمر الأعوان بأن يحملوا التخت. فودعت السيدة شمسة أباها وكذلك ودعه جانشاه وسارا ورجع أبوها، وكان أبوها قد أعطاها ثلاثمائة جارية من السرارى الحسان وأعطى جانشاه ثلاثمائة مملوك من أولاد الجان، ثم إنهم ساروا من ذلك الوقت بعد أن طلعوا بأجمعهم على ذلك التخت والأعوان الأربعة قد حملته وطارت به بين السماء والأرض وصاروا يسيرون فى كل يوم مسيرة ثلاثين شهرًا، ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة مدة عشرة أيام، وكان فى الأعوان عون يعرف كل بلاد كابل، فلما رآها أمرهم أن ينزلوا على المدينة الكبيرة فى تلك البلاد،

وكانت تلك المدينة مدينة الملك طيغموس، وفنزلوا عليها، وكان الملك طيغموس قد انهزم من الأعداء وهرب فى مدينته حتى صار فى حصر عظيم وضيق عليه الملك كفيد وطلب الأمان من الملك كفيد فلم يؤمنه، فلما علم الملك طيغموس أنه لم يبق له حيلة فى الخلاص من الملك كفيد أراد أن يخنق روحه حتى يموت ويستريح من ذلك الهم والحزن وقام وودع الوزراء والأمراء ودخل بيته ليودع الحريم وصارت أهل مملكته فى بكاء ونواح وعزاء وصياح، فبينما هو فى ذلك الأمر إذا بالأعوان قد أقبلوا على القصر الذى فى داخل القلعة ،وأمرهم جانشاه أن ينزلوا بالتخت فى وسط الديوان، ففعلوا ما أمرهم به جانشاه ونزلت السيدة شمسة مع جانشاه والجوارى والمماليك فرأوا جميع أهل المدينة فى حصر وضيق وكرب عظيم، فقال جانشاه للسيدة شمسة: انظرى إلى أبى كيف هو فى أسوأ حال. فلما رأت السيدة شمسة أباه وأهل مملكته فى ذلك الحال أمرت الأعوان أن يضربوا العسكر الذين حاصروهم ضربًا شديدًا ويقتلوهم وقالت للأعوان: لا تبقوا منهم أحدًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم إن جانشاه أومأ إلى عون من الأعوان شديد البأس اسمه قراطش وأمره أن يجىء بالملك كفيد مقيدًا، ثم إن الأعوان ساروا إليه وأخذوا ذلك التخت معهم، وما زالوا سائرين حتى حطوا التخت فوق الأرض ونصبوا الخيمة على التخت وصبروا إلى نصف الليل، ثم هجموا على الملك كفيد وعساكره وصاروا يقتلونهم وصار الواحد يأخذ عشرة أو ثمانية وهم على ظهر الفيل ويطير بهم إلى الجو ثم يلقيهم فيتمزقون فى الهواء، وكان بعض الأعوان يضرب العساكر بالعمد الحديد، ثم إن العون الذى اسمه قراطش ذهب من وقته إلى خيمة الملك كفيد فهجم عليه وهو جالس فوق السرير، وأخذه وطار به إلى الجو فزعق من هيبة ذلك العون، ولم يزل طائرًا به حتى وضعه على التخت قدام جانشاه فأمر الأعوان أن يقلعوا بالتخت وينصبوه فى الهواء، فلم ينتبه الملك كفيد إلا وقد رأى نفسه ما بين السماء والأرض فصار يلطم وجهه ويتعجب من ذلك.

هذا ما كان من أمر الملك كفيد، أما ما كان من أمر الملك طيغموس، فإنه لما رأى ابنه كاد يموت من شدة الفرح وصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيًا عليه، فرشوا وجهه بماء الورد، فلما أفاق تعانق هو وابنه وبكيا بكاء شديدًا ولم يعلم الملك طيغموس بأن الأعوان فى قتال الملك كفيد، وبعد ذلك قامت السيدة شمسة وتمشت حتى وصلت إلى الملك طيغموس أبى جانشاه وقبلت يديه وقالت له: يا سيدى اصعد إلى أعلى القصر وتفرج على قتال أعوان أبى، فصعد الملك إلى أعلى القصر وجلس هو والسيدة شمسة يتفرجان على حرب الأعوان، وذلك أنهم صاروا يضربون فى العساكر طولاً وعرضًا وكان منهم من يأخذ العمود الحديد ويضرب به الفيل فينهرس الفيل والذى على ظهره حتى صارت الفيلة لا تتميز من الآدميين، ومنهم من يجىء جماعة وهم هاربون فيصيح فى وجوههم فيسقطون ميتين، ومنهم من يقبض على نحو العشرين فارسًا ويقلع بهم إلى الجو ويلقيهم إلى الأرض فيتقطعون قطعًا، هذا وجانشاه

ووالده والسيدة شمسة ينظرون إليهم ويتفرجون على قتال الأعوان مع عسكر الملك كفيد، وصار الملك ينظر إليهم وهو فوق التخت ويبكى وما زال القتل فى عسكره مدة يومين حتى قطعوا عن آخرهم.

ثم إن جانشاه أمر الأعوان أن يأتوا بالتخت وينزلوا به إلى الأرض، فى وسط قلعة الملك طيغموس، فأتوا به وفعلوا ما أمرهم به سيدهم الملك جانشاه، ثم إن الملك طيغموس أمر عونًا من الأعوان يقال له شموال أن يأخذ الملك كفيد ويجعله فى السلاسل والأغلال ويسجنه فى البر الأسود، ففعل شموال ما أمره به، ثم إن الملك طيغموس أمر بضرب الكاسات وأرسل المبشرين إلى أم جانشاه، فذهبوا وأعلموها بأن ابنها أتى وفعل هذه الأفعال ففرحت بذلك وركبت وأتت، فلما رآها جانشاه ضمها إلى صدره فوقعت مغشيًا عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بماء الورد. فلما أفاقت عانقته وبكت من فرط السرور ولما علمت السيدة شمسة بقدومها قامت تتمشى حتى وصلت إليها وسلمت عليها وعانق بعضهما بعضًا ساعة من الزمان، ثم جلستا تتحدثان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهر زاد: وفتح الملك طيغموس أبواب المدينة وأرسل المبشرين إلى جميع البلاد فنشروا البشائر فيها ووردت الهدايا والتحف العظيمة وصار الأمراء والعساكر والملوك الذين فى البلدان يأتون ليسلموا عليه ويهنئوه بتلك النصرة وبسلامة ابنه، وما زالوا على هذا الحال والناس يأتونهم بالهدايا والتحف العظيمة مدة من الزمان، ثم إن الملك عمل عرسًا عظيمًا للسيدة شمسة مرة ثانية وأمر بزينة المدينة وجلاها على جانشاه بالحلى والحلل الفاخرة وأعطاهما مائة جارية من السرارى الحسان لخدمتهما.

ثم بعد ذلك بأيام توجهت السيدة شمسة إلى الملك طيغموس وتشفعت عنده فى الملك كفيد وقالت له: أطلقه ليرجع إلى بلاده وإن حصل منه شر أمرت أحد الأعوان أن يخطفه ويأتيك به، فقال لها: سمعًا وطاعة. ثم أرسل إلى شموال أن يحضر إليه بالملك كفيد، فأتى به فى السلاسل والأغلال فحلوه منها، ثم أركبه على فرس عرجاء وقال له: إن الملكة شمسة قد تشفعت فيك فاذهب إلى بلادك وإن عدت لما كنت عليه فإنها ترسل إليك عونًا من الأعوان فيأتى بك. فسار الملك كفيد إلى بلاده وهو فى أسوأ حال، ثم إن جانشاه قعد هو وأبوه والسيدة شمسة فى ألذ عيش وأهناه، وأطيب سرور وأوفاه، وكل هذا يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا، ثم قال له: وها أنا جانشاه الذى رأيت هذا كله يا أخى يا بلوقيا. فتعجب بلوقيا من حكايته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهر زاد: ثم إن بلوقيا السائح فى حب محمد ﷺ قال لجانشاه: يا أخى ما شأن هذين القبرين وما سبب جلوسك بينهما وما سبب بكائك؟ فرد عليه جانشاه وقال له: اعلم يا

بلوقيا أننا كنا فى ألذ عيش وأهناه وأطيب سرور وأوفاه وكنا نقيم ببلادنا سنة وبقلعة جوهر تكنى سنة ولا نسير إلا ونحن جالسون فوق التخت والأعوان تحمله وتطير به بين السماء والأرض، فقال له بلوقيا: يا أخى يا جانشاه ما كان طول المسافة التى بين تلك القلعة وبين بلادكم؟ فرد عليه جانشاه وقال له: كنا نقطع فى كل يوم مسافة ثلاثين شهرًا وكنا نصل القلعة فى عشرة أيام، ولم نزل على هذه الحالة مدة من السنين فاتفق أننا سافرنا على عادتنا حتى وصلنا إلى هذا المكان فنزلنا فيه بالتخت لنتفرج على هذه الجزيرة فجلسنا على شاطئ النهر وأكلنا وشربنا فقالت السيدة شمسة: إنى أريد أن أغتسل فى هذا النهر، فتركتها مع الجوارى وتمشيت على شاطئ النهر فإذا بقرش عظيم من دواب البحر ضربها برجلها من دون الجوارى فصرخت ووقعت ميتة من وقتها وساعتها، فطلعت الجوارى من النهر هاربات إلى الخيمة من ذلك القرش. ثم إن بعض الجوارى حملتها وأتت بها الخيمة وهى ميتة، فلما رأيتها ميتة وقعت مغشيًا على فرشوا وجهى بالماء، فلما أفقت بكيت عليها وأمرت الأعوان أن يأخذوا التخت ويروحوا به إلى أهلها ويعلموهم بما جرى لها، فلم يغب أهلها إلا قليلاً حتى أتوا هذا المكان فغسلوها وكفنوها، وفى هذا المكان دفنوها وعملوا عزاءها وطلبوا أن يأخذونى معهم إلى بلادهم، فقلت لأبيها: أريد منك أن تحفر لى حفرة بجانب قبرها واجعل تلك الحفرة قبرًا لى لعلى إذا مت أدفن فيها بجانبها. فأمر الملك شهلان عونًا من الأعوان بذلك، ففعل لى ما أردته، ثم راحوا من عندى وخلونى هنا أبكى وأنوح عليها وهذه قصتى وسبب قعودى بين هذين القبرين ثم أنشد هذين البيتين:

ما الدار مذ غبتم يا سادتى دار ... كلا ولا ذلك الجار الرضى جار
ولا الأنيس الذى قد كنت أعهده ... فيها أنيس ولا الأنوار أنوار

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من جانشاه تعجب وقال: والله إنى كنت أظن أننى سحت ودرت طائفًا فى الأرض، والله إنى نسيت الذى رأيت بما سمعته من قصتك، ثم إنه قال لجانشاه: أريد من فضلك وإحسانك يا أخى إنك تدلنى على طريق السلامة، فدله على الطريق ثم ودعه وسار.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية بلوقيا بعد مفارقة جانشاه

قالت شهر زاد: كل هذا الكلام تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين، فقال لها حاسب كريم الدين كيف عرفت هذه الأخبار؟ فقالت له: اعلم يا حاسب أنى كنت أرسلت إلى بلاد مصر حية عظيمة منذ خمسة وعشرين عامًا وأرسلت معها كتابًا بالسلام على بلوقيا لتوصله إليه، فراحت تلك الحية وأوصلته إلى ابنتها شموخ، وكان لها بنت فى أرض مصر فأخذت ذلك الكتاب وسارت حتى وصلت إلى مصر وسألت الناس عن بلوقيا فدلوها عليه فلما أتت ورأته مالت عليه وأعطته ذلك الكتاب فقرأه وفهم معناه.

ثم قال للحية: هل أنت أتيت من عند ملكة الحيات؟ قالت: نعم، فقال لها: أريد أن أروح

معك إليها لأن لى عندها حاجة. فقالت له: سمعًا وطاعة.

ثم أخذته وسارت به إلى ابنتها وسلمت عليها ثم ودعتها وسارت من عندها وقالت له: اغمض عينيك، فأغمض عينيه وفتحهما فإذا هو فى الجبل الذى أنا فيه، فسارت به إلى الحية التى أعطتها الكتاب وسلمت عليها وقالت لها: هل أوصلت الكتاب إلى بلوقيا؟ قالت: نعم أوصلته إليه وقد جاء معى وها هو.

فتقدم بلوقيا وسلم على تلك الحية، وسألها عن ملكة الحيات فقالت له: إنها راحت إلى جبل قاف بجنودها وعساكرها، وإنها حين يأتى الصيف تعود إلى هذه الأرض وكلما ذهبت إلى جبل قاف وضعتنى فى موضعها حتى تأتى، فإن كانت لك حاجة أقضيها لك. فقال لها بلوقيا: أريد منك أن تجيئنى بالنبات الذى كل من دقه وشرب ماءه لا يضعف ولا يشيب ولا يموت. فقالت له تلك الحية: ما أجىء به حتى تخبرنى بما جرى لك بعد مفارقتها حيث رحت أنت وعفان إلى مدفن السيد سليمان.

فأخبرها بلوقيا بقصته من أولها إلى آخرها وأعلمها بما جرى لجانشاه وحكى لها حكايته ثم قال لها: اقض لى حاجتى حتى أروح إلى بلادى، فقالت له الحية: وحق السيد سليمان ما أعرف طريق ذلك العشب، ثم إنها أمرت الحية التى جاءت به وقالت لها: أوصليه إلى بلاده، فقالت لها: سمعًا وطاعة. ثم قالت له: اغمض عينيك، فأغمض عينيه وفتحهما فرأى نفسه فى جبل المقطم، فسار حتى أتى منزله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن ملكة الحيات لما عادت من جبل قاف توجهت إليها الحية التى أقامتها مقامها، وسلمت عليها وقالت لها: إن بلوقيا يسلم عليك. وحكت لها جميع ما أخبرها به بلوقيا مما رآه فى سياحته ومن اجتماعه بجانشاه.

ثم قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين: وهذا الذى أخبرنى بهذا الخبر يا حاسب فقال حاسب: يا ملكة الحيات أخبرينى بما جرى لبلوقيا حين عاد إلى مصر؟ فقالت له: اعلم يا حاسب أن بلوقيا لما فارق جانشاه سار ليالى وأيامًا حتى وصل إلى بحر عظيم، ثم إنه دهن قدميه من الماء الذى معه ومشى على وجه الماء حتى وصل إلى جزيرة ذات أشجار وأثمار كأنها الجنة، ودار فى تلك الجزيرة فرأى شجرة عظيمة ورقها مثل قلوع المركب فقرب من تلك الشجرة فرأى تحتها سماطًا ممدودًا وفيه جميع الألوان الفاخرة من الطعام، ورأى على تلك الشجرة طيرًا عظيمًا من اللؤلؤ والزمرد الأخضر ورجلاه من الفضة ومنقاره من الياقوت الأحمر وريشه من نفيس المعادن وهو يسبح لله - تعالى - ويصلى على محمد ﷺ.

فلما رأى بلوقيا ذلك الطائر العظيم قال له: من أنت وما شأنك؟ فقال له: أنا من طيور الجنة، واعلم يا أخى أن الله - تعالى - أخرج آدم من الجنة وأخرج معه أربع ورقات تستر بها فسقطن فى الأرض فواحدة منهن أكلها الدود فصار منها الحرير والثانية أكلها الغزلان فصار منها المسك، والثالثة أكلها النحل فصار منها العسل، والرابعة وقعت فى الهند فصار منها

البهار، وأما أنا فإنى سحت فى جميع الأرض إلى أن من الله - تعالى - على بهذا المكان فمكثت فيه وأنه فى كل ليلة جمعة ويومها تأتى الأولياء والأقطاب الذين فى الدنيا هذا المكان فيزورونه ويأكلون من هذا الطعام، هو ضيافة الله - تعالى - لهم يضيفهم بها فى كل ليلة جمعة ويومها، ثم بعد ذلك يرتفع السماط إلى الجنة لا ينقص ولا يتغير.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فأكل بلوقيا ولما فرغ من الأكل وحمد الله - تعالى - فإذا الخضر - عليه السلام -، قد أقبل فقام بلوقيا وسلم عليه وأراد أن يذهب، فقال له الطير: اجلس يا بلوقيا فى حضرة الخضر - عليه السلام -، فجلس بلوقيا، فقال له الخضر: أخبرنى بشأنك واحك لى حكايتك، فأخبره بلوقيا بجميع ما جرى له من الأول إلى الآخر إلى أن أتاه ووصل إلى المكان الذى هو جالس فيه بين يدى الخضر. ثم قال له: ياسيدى ما مقدار الطريق من هنا إلى مصر؟ فقال له: مسيرة خمسة وتسعين عامًا، فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى ثم وقع على يد الخضر وقبلها وقال له: أنقذنى من هذه الغربة وأجرك على الله لأنى قد أشرفت على الهلاك وما بقيت لى حيلة. فقال له الخضر: ادع الله - تعالى - أن يأذن لى فى أن أوصلك إلى مصر قبل أن تهلك، فبكى بلوقيا وتضرع إلى الله - تعالى -، فتقبل الله دعاءه وألهم الخضر - عليه السلام - أن يوصله إلى أهله، فقال الخضر - عليه السلام - لبلوقيا: ارفع رأسك فقد تقبل الله دعاءك وألهمنى أن أوصلك إلى مصر، فتعلق بى واقبض علىَّ بيديك واغمض عينيك، فتعلق بلوقيا بالخضر - عليه السلام - فلم يجد له أثرًا فدخل بيته.

فلما رآته أمه صاحت صيحة عظيمة ووقعت مغشيًا عليها من شدة الفرح، فرشوا وجهها بالماء حتى أفاقت، فلما أفاقت عانقته عناقًا شديدًا وصار بلوقيا تارة يبكى وتارة يضحك وأتاه أهله وجماعته وجميع أصحابه وصاروا يهنئونه بالسلامة وشاعت الأخبار فى البلاد وجاءته الهدايا من جميع الأقطار ودقت الطبول وزمرت الزمور وفرحوا فرحًا شديدًا، ثم بعد ذلك حكى لهم بلوقيا حكايته وأخبرهم بجميع ما جرى له وكيف أتى به الخضر وأوصله إلى باب منزله فتعجبوا من ذلك وبكوا حتى ملوا من البكاء. وكل هذا تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فتعجب حاسب من ذلك وبكى بكاء شديدًا، ثم قال: إنى أريد الذهاب إلى بلادى، فقالت له ملكة الحيات: إنى أخاف يا حاسب إذا وصلت إلى بلادك أن تنقض العهد وتحنث فى اليمين الذى حلفته وتدخل الحمام، فحلف أيمانًا أخرى وثيقة أنه لن يدخل الحمام طول عمره، فأمرت حية وقالت لها: أخرجى حاسب كريم الدين إلى وجه الأرض، فأخذته الحية وسارت به من مكان إلى مكان حتى أخرجته على وجه الأرض من سطح جب مهجور.

◆ ◆ ◆

بقية حكاية حاسب كريم الدين

قالت شهر زاد: ثم مشى حتى وصل إلى المدينة وتوجه إلى منزله وكان ذلك فى آخر

النهار وقت اصفرار الشمس، ثم طرق الباب فخرجت أمه وفتحت الباب فرأت ابنها واقفًا فلما رأته صاحت من شدة فرحتها وألقت نفسها عليه وبكت، فلما سمعت زوجته بكاءها خرجت إليها فرأت زوجها فسلمت عليه وقبلت يديه، وفرح بعضهم ببعض فرحًا عظيمًا ودخلوا البيت، فلما استقر بهم الجلوس وقعد بين أهله سأل عن الحطابين الذين كانوا يحتطبون معه وراحوا وخلوه فى الجب، فقالت له أمه: إنهم أتونى وقالوا لى: إن ابنك أكله الذئب فى الوادى وقد صاروا تجارًا وأصحاب أملاك ودكاكين واتسعت عليهم الدنيا وهم فى كل يوم يجيئوننا بالأكل والشرب وهذا دأبهم إلى الآن. فقال لأمه: فى غد روحى إليهم وقولى لهم: قد جاء حاسب كريم الدين من سفره فتعالوا وقابلوه وسلموا عليه. فلما أصبح الصباح راحت أمه إلى بيوت الحطابين وقالت لهم ما أوصاها به ابنها. فلما سمع الحطابون ذلك الكلام تغيرت ألوانهم وقالوا لها: سمعًا وطاعة. وقد أعطاها كل واحد منهم بدلة من الحرير مطرزة بالذهب وقالوا لها: أعط ولدك هذه ليلبسها وقولى له: إنهم فى غد يأتون عندك. فقالت لهم: سمعًا وطاعة. ثم رجعت من عندهم إلى ابنها وأعلمته بذاك وأعطته الذى أعطوها إياه.

هذا ما كان من أمر حاسب كريم الدين وأمه. وأما ما كان من أمر الحطابين فإنهم جمعوا جماعة من التجار وأعلموهم بما حصل منهم فى حق حاسب كريم الدين وقالوا لهم: كيف نصنع معه الآن؟ فقال لهم التجار: ينبغى لكل منكم أن يعطيه نصف ماله ومماليكه فاتفق الجميع على هذا الرأى وكل واحد أخذ نصف ماله معه وذهبوا إليه جميعًا وسلموا عليه وقبلوا يديه وأعطوه ذلك وقالوا له: هذا من إحسانك وقد صرنا بين يديك. فقبله منهم وقال لهم: قد راح الذى راح وهذا مقدور من الله والمقدور يغلب المحذور، فقالوا له: قم بنا نتفرج فى المدينة وندخل الحمام، فقال لهم: أنا صدر منى يمين بأنى لا أدخل الحمام طول عمرى، فقالوا له: قم بنا لبيوتنا حتى نضيفك. فقال لهم: سمعًا وطاعة، ثم قام وراح معهم إلى بيوتهم وصار كل واحد منهم يضيفه ليلة.

ولم يزالوا على هذه الحالة مدة سبع ليال، وقد صار حاسب كريم الدين بعد ذلك صاحب أموال ودكاكين واجتمعت به تجار المدينة وأخبرهم بجميع ما جرى له. وصار من أعيان التجار ومكث على هذه الحال مدة من الزمان. فاتفق أنه خرج يومًا من الأيام يتمشى فى المدينة وإذا بصاحب له وكان حماميًا فرآه وهو جائز على باب الحمام ووقعت العين على العين فسلم عليه وعانقه وقال له: تفضل على بدخول الحمام وتكيس حتى أعمل لك ضيافة فقال له: إنه صدر منى يمين أننى لا أدخل الحمام مدة عمرى، فحلف الحمامى وقال له: نسائى الثلاث طالقات ثلاثًا إن لم تدخل معى الحمام وتغتسل فيه. فتحير حاسب كريم الدين فى نفسه وقال له: أتريد يا أخى أن تيتم أولادى وتخرب بيتى وتجعل الخطيئة فى رقبتى؟ فارتمى الحمامى على قدميه وقبلهما وقال: أنا فى جيرتك أن تدخل معى الحمام وتكون الخطيئة فى رقبتى أنا واجتمع عَملة الحمام وكل من فيه على حاسب كريم الدين وأدخلوه الحمام. فبمجرد ما دخل الحمام وقعد بجانب الحائط وسكب على رأسه من الماء أقبل عليه عشرون رجلاً وقالوا له: قم أيها الرجل من عندنا فإنك غريم السلطان. وأرسلوا

واحدًا منهم إلى وزير السلطان فراح الرجل وأعلم الوزير فركب الوزير وركب معه ستون مملوكًا وساروا حتى أتوا الحمام واجتمعوا بحاسب كريم الدين وسلم عليه الوزير ورحب به وأعطى الحمامى مائة دينار وأمر أن يقدموا لحاسب كريم حصانًا ليركبه، ثم ركب الوزير وحاسب وجماعة الوزير وأخذوه معهم وساروا به حتى وصلوا إلى قصر السلطان فنزل الوزير ومن معه ونزل حاسب كريم وجلسوا فى القصر وأتوا بالسماط فأكلوا وشربوا، ثم غسلوا أيديهم وخلع عليه الوزير خلعتين كل واحدة تساوى خمسة آلاف دينار وقال له: اعلم أن الله قد من علينا بك ورحمنا بمجيئك فإن السلطان كان أشرف على الموت من الجذام الذى به وقد دلت عندنا الكتب على أن حياته على يديك.

فتعجب حاسب من أمرهم، ثم تمشى الوزير وحاسب وخواص الدولة من أبواب القصر السبعة إلى أن دخلوا على الملك وكان يقال له الملك كرزدان ملك العجم وقد ملك الأقاليم السبعة وكان فى خدمته مائة سلطان يجلسون على كراسى من الذهب وعشرة آلاف بهلوان كل بهلوان تحت يده مائة نائب ومائة جلاد وبأيديهم السيوف والسلاح، فوجدوا ذلك الملك نائمًا ووجهه ملفوف بمنديل وهو يئن من شدة الأمراض فلما رأى حاسب هذا دهش عقله من هيئة الملك كرزدان وقبل الأرض بين يديه ودعا له، ثم أقبل عليه وزيره الأعظم وكان يقال له الوزير شمهور ورحب به وأجلسه على كرسى عظيم عن يمين الملك كرزدان وأحضروا السماط فأكلوا وشربوا وغسلوا أيديهم.

ثم بعد ذلك قام شمهور وقام لأجله كل من فى المجلس هيبة له وتمشى إلى نحو حاسب كريم الدين وقال له: نحن فى خدمتك وكلما طلبت نعطيك ولو طلبت نصف الملك أعطيناك إياه لأن شفاء الملك على يديك، ثم أخذه من يده وذهب به إلى الملك فكشف حاسب عن وجه الملك ونظر إليه ورآه فى غاية المرض فتعجب من ذلك.

ثم إن الوزير نزل على يد حاسب وقبلها وقال له: نريد منك أن تداوى هذا الملك والذى تطلبه نعطيك إياه وهذه حاجتنا عندك، فقال حاسب: نعم إنى ابن دانيال نبى الله لكننى ما أعرف شيئًا من العلم فإنهم وضعونى فى صنعة الطب ثلاثين يومًا ولم أتعلم شيئًا من تلك الصنعة وكنت أود لو عرفت شيئًا من العلم وأداوى هذا الملك. فقال الوزير: لا تطل علينا الكلام فلو جمعنا حكماء المشرق والمغرب ما يداوى الملك كرزدان إلا أنت. فقال له حاسب كريم الدين، كيف أداويه وأنا ما أعرف، داءه ولا دواءه؟ فقال الوزير: إن دواء الملك عندك. قال له حاسب: لو كنت أعرف دواءه لداويته، فقال له الوزير: أنت تعرف دواءه معرفة جيدة فإن دواءه ملكة الحيات وأنت تعرف مكانها ورأيتها وكنت عندها.

فلما سمع حاسب هذا الكلام عرف أن سبب ذلك دخول الحمام وصار يتندم حيث لا ينفعه الندم وقال لهم: كيف ملكة الحيات وأنا لا أعرفها ولا سمعت طول عمرى بهذا الاسم؟ فقال الوزير: لا تنكر معرفتها فإن عندى دليلاً على أنك تعرفها وأقمت عندها سنتين. فقال حاسب: أنا لا أعرفها، ولا رأيتها ولا سمعت بهذا الخبر إلا فى هذا الوقت منكم، فأحضر الوزير كتابًا وفتحه وصار يتحسب. ثم قال: إن ملكة الحيات تجتمع برجل ويمكث عندها سنتين ويرجع من عندها ويطلع على وجه الأرض فإذا دخل الحمام يسود بطنه، ثم قال

لحاسب: انظر إلى بطنك. فنظر فرآه أسود. فقال له حاسب: إن بطنى أسود من يوم ولدتنى أمى. فقال له الوزير: أنا كنت وكلت على كل حمام ثلاثة مماليك لأجل أن يتعهدوا كل من يدخل الحمام وينظروا إلى بطنه ويعلمونى به فلما دخلت أنت الحمام نظروا إلى بطنك فوجدوه أسود فأرسلوا إلى خبرًا بذلك. وما صدقنا أننا نجتمع بك فى هذا اليوم وما لنا عندك حاجة إلا أن ترينا الموضع الذى طلعت منه وتروح إلى حال سبيلك ونحن نقدر على إمساك ملكة الحيات وعندنا من يأتينا بها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فلما سمع حاسب هذا الكلام ندم على دخول الحمام ندمًا عظيمًا حيث لا ينفعه الندم وصار الأمراء والوزراء يترامون على حاسب فى أن يخبرهم بملكة الحيات حتى عجزوا وهو يقول: لا رأيت هذا الأمر ولا سمعت به. فعند ذلك طلب الوزير الجلاد فأتوه به فأمره أن ينزع ثياب حاسب عنه ويضربه ضربًا شديدًا، ففعل ذلك حتى عاين الموت من شدة العذاب، وبعد ذلك قال له الوزير: إن عندنا دليلاً على أنك تعرف مكان ملكة الحيات فأى شىء تتكره؟ أرنا الموضع الذى خرجت منه وابعد عنا وعندنا الذى يمسكها ولا ضرر عليك. ثم لاطفه وأقامه وأمر له بخلعة مزركشة بالذهب الأحمر والمعادن فامتثل حاسب أمر الوزير وقال له: أنا أريكم الموضع الذى خرجت منه. فلما سمع الوزير كلامه فرح فرحًا شديدًا وركب هو والأمراء جميعًا وركب حاسب وسار قدام العساكر وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى الجبل، ثم إنه دخل بهم إلى المغارة وبكى وتحسر ونزلت الأمراء والوزراء وتمشوا وراء حاسب حتى وصلوا إلى البئر التى طلع منها، ثم تقدم الوزير وجلس وأطلق البخور وأقسم وتلا العزائم ونفث وهمهم فإنه كان ساحرًا ماكرًا كاهنًا يعرف علم الروحانى وغيره. ولما فرغ من عزيمته الأولى قرأ عزيمة ثانية، وعزيمة ثالثة وكلما فرغ البخور وضع غيره على النار.

ثم قال الساحر: اخرجى يا ملكة الحيات. فإذا البئر قد غاض ماؤها، وانفتح باب عظيم وخرج منه صراخ عظيم مثل الرعد حتى ظنوا أن تلك البئر قد انهدمت ووقع جميع الحاضرين فى الأرض مغشيًا عليهم ومات بعضهم، وخرج من تلك البئر حية عظيمة مثل الفيل يطير من عينيها ومن فيها الشرر مثل الجمر وعلى ظهرها طبق من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفى وسط ذلك الطبق حية تضىء المكان ووجهها كوجه إنسان وتتكلم بأفصح لسان وهى ملكة الحيات والتفتت يمينًا وشمالاً فوقع بصرها على حاسب فقالت له: أين العهد الذى عاهدتنى به واليمين التى حلفتها لى من أنك لا تدخل الحمام، ولكن لا تنفع حيلة من قدر والذى على الجبين مكتوب، ما منه مهروب، وقد جعل الله آخر عمرى على يديك وبهذا حكم الله وأراد أن أقتل والملك كرزدان يشفى من مرضه.

ثم إن ملكة الحيات بكت بكاء شديدًا وبكى حاسب لبكائها ولما رأى الوزير شمهور الملعون ملكة الحياة مد يده إليها ليمسكها، فقالت له: امنع يدك يا ملعون وإلا نفخت عليك وصيرتك كوم رماد أسود، ثم صاحت على حاسب وقالت له: تعال عندى وخذنى بيدك وحطنى

فى هذه الصينية التى معكم واحملها على رأسك فإن موتى على يدك مقدور من الأزل ولا حيلة لى فى دفعه. فأخذها وحملها على رأسه وعادت البئر كما كانت، ثم ساروا وحاسب حامل الصينية على رأسه.

فبينما هم فى أثناء الطريق إذ ملكة الحيات قالت لحاسب سرًا: يا حاسب اسمع ما أقوله لك من النصيحة ولو كنت نقضت العهد وحنثت فى اليمين وفعلت هذه الأفعال لأن ذلك مقدر من الأزل. فقال لها: سمعًا وطاعة. ما تأمرينى به يا ملكة الحيات. فقالت له: إذا وصلت إلى بيت الوزير فإنه يقول لك: اذبح ملكة الحيات وقطعها ثلاث قطع، فامتنع من ذلك ولا تفعل وقل له أنا ما أعرف الذبح لأجل أن يذبحنى هو بيده ويعمل فى ما يريد فإذا ذبحنى وقطعنى يأتيه رسول من عند الملك كرزدان ويطلبه إلى الحضور عنده فيضع لحمى فى قدر من النحاس ويضع القدر فوق الكانون قبل الذهاب إلى الملك ويقول لك: أوقد النار على هذه القدر حتى تطلع رغوة اللحم، فإذا طلعت الرغوة فخذها وضعها فى قنينة واصبر عليها حتى تبرد واشربها أنت فإذا شربتها لا يبقى فى بدنك وجع، فإذا طلعت الرغوة الثانية فضعها عندك فى قنينة ثانية حتى أشربها من أجل مرض فى صلبى ثم إنه يعطيك القنينتين ويروح إلى الملك، فإذا راح إليه أوقد النار على القدر حتى تطلع الرغوة الأولى فخذها وضعها فى قنينة واحفظها عندك وإياك أن تشربها فإن شربتها لم يحصل لك خير، وإذا طلعت الرغوة الثانية فضعها فى القنينة الثانية واصبر حتى تبرد واحفظها عندك حتى تشربها. فإذا جاء من عند الملك وطلب منك الثانية فأعطه الأولى، وانظر ما يجرى له. ثم بعد ذلك اشرب أنت الثانية فإذا شربتها يصير قلبك بيت الحكمة، ثم بعد ذلك أطلع اللحم وضعه فى صينية من نحاس وأعط الملك إياه ليأكله فإذا أكله واستقر فى بطنه استر وجهه بمنديل واصبر عليه إلى وقت الظهر، حتى يبرد بطنه وبعد ذلك اسقه شيئًا من الشراب فإنه يعود صحيحًا كما كان ويبرأ من مرضه بقوة الله - تعالى -. واسمع هذه الوصية التى وصيتك بها وحافظ عليها كل المحافظة.

وما زالوا سائرين حتى أقبلوا على بيت الوزير، فقال الوزير لحاسب: ادخل البيت معى، فلما دخل الوزير وحاسب وتفرق العساكر وراح كل منهم إلى حال سبيله وضع حاسب الصينية التى فيها ملكة الحيات من فوق رأسه، ثم قال له الوزير: اذبح ملكة الحيات، فقال له حاسب: أنا لا أعرف الذبح فإن كان لك غرض فى ذبحها فاذبحها أنت بيديك. فقام الوزير شمهور وأخذ ملكة الحيات من الصينية التى هى فيها وذبحها. فلما رأى حاسب ذلك بكى بكاء شديدًا، فضحك شمهور منه وقال له: يا ذاهب العقل كيف تبكى من أجل ذبح حية؟ وبعد أن ذبحها الوزير قطعها ثلاث قطع ووضعها فى قدر من نحاس ووضع القدر على النار وجلس ينتظر نضج لحمها.

فبينما هو جالس إذا بمملوك أقبل عليه من عند الملك وقال له: إن الملك يطلبك فى هذه الساعة. فقال له سمعًا وطاعة. ثم قام وأحضر قنينتين لحاسب وقال له: أوقد النار على هذه القدر حتى تخرج رغوة اللحم الأولى، فإذا خرجت فاكشطها من فوق اللحم، وضعها فى إحدى هاتين القنينتين واصبر عليها حتى تبرد واشربها أنت فإذا شربتها صح جسمك ولا يبقى فى جسمك وجع ولا مرض، وإذا طلعت الرغوة الثانية فضعها فى القنينة الأخرى

واحفظها عندك حتى أرجع من عند الملك وأشربها لأن فى صلبى وجعًا عساه يبرأ إذا شربتها، ثم توجه إلى الملك بعد أن أكد على حاسب تلك الوصية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فصار حاسب يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الأولى فكشطها ووضعها فى قنينة من الاثنين ووضعها عنده ولم يزل يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الثانية فكشطها ووضعها فى القنينة الأخرى وحفظها عنده، ولما استوى اللحم أنزل القدر من فوق النار وقعد ينتظر الوزير، فلما أقبل الوزير من عند الملك قال لحاسب: أى شىء فعلت؟ فقال له حاسب: قد انقضى الشغل، فقال له الوزير: ما فعلت فى القنينة الأولى؟ قال له: شربت ما فيها فى هذا الوقت. فقال له الوزير: أرى جسدك لم يتغير منه شىء. فقال له حاسب: إن جسدى من فوقى إلى قدمى أحس بأنه يشتعل مثل النار، فكتم الماكر الوزير شمهور الأمر عن حاسب خداعًا. ثم إن الوزير شمهور قال لحاسب كريم الدين هات القنينة الباقية لأشرب ما فيها لعلى أشفى وأبرأ من هذا المرض الذى فى صلبى. ثم إنه شرب ما فى القنينة الأولى وهو يظن أنها الثانية. فلم يتم شربها حتى سقطت من يده وتورم من ساعته وقد صح فيه قول صاحب المثل: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

فلما رأى حاسب ذلك الأمر تعجب منه وصار خائفًا من شرب القنينة الثانية ثم تفكر وصية الحية وقال فى نفسه: لو كان ما فى القنينة الثانية مضرًا ما كان الوزير اختارها لنفسه ثم إنه قال: توكلت على الله، وشرب ما فيها. ولما شربه فجر الله - تعالى - فى قلبه ينابيع الحكمة وفتح له عين العلم وحصل له الفرح والسرور، وأخذ اللحم الذي كان فى القدر ووضعه فى صينية من نحاس وخرج به من بيت الوزير ورفع رأسه إلى السماء فرأى السموات وما فيهن ورأى كيفية دوران الفلك وكشف الله له عن جميع ذلك ورأى النجوم السيارة والثوابت وعلم كيفية مسير الكواكب وشاهد هيئة البر والبحر واستنبط من ذلك علم الهندسة وعلم التنجيم وعلم الهيئة وعلم الفلك وعلم الحساب وما يتعلق بذلك كله وعرف ما يترتب على الكسوف والخسوف وغير ذلك.

ثم نظر إلى الأرض فعرف ما فيها من المعادن والنباتات والأشجار وعلم جميع ما لها من الخواص والمنافع واستنبط من ذلك علم الطب وعلم السيمياء وعلم الكيمياء، وعرف صنعة الذهب والفضة، ولم يزل سائرًا بذلك اللحم حتى وصل إلى قصر الملك كرزدان ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه، وقال له: يسلم رأسك فى وزيرك شمهور فاغتاظ الملك غيظًا شديدًا بسبب موت وزيره وبكى بكاء شديدًا وبكت عليه الوزراء وأكابر الدولة.

ثم بعد ذلك قال الملك كرزدان: إن الوزير شمهور كان عندى فى هذا الوقت وهو فى غاية الصحة ثم ذهب ليأتينى باللحم إن كان طاب طبخه فما سبب موته فى هذه الساعة وأى شىء عرض له من العوارض؟ فحكى حاسب للملك جميع ما جرى لوزيره من أنه شرب القنينة وتورم وانتفخ بطنه ومات، فحزن عليه الملك حزنًا شديدًا، ثم قال لحاسب: كيف حالى بعد شمهور؟ فقال حاسب: لا تحمل همًا يا ملك الزمان فأنا أداويك فى ثلاثة أيام ولا أترك فى

جسمك شيئًا من الأمراض.

فانشرح صدر الملك كرزدان وقال لحاسب: أنا مرادى أن أعافى من هذا البلاء ولو بعد مدة من السنين، فقام حاسب وأتى بالقدر ووضعها قدام الملك فأخذ قطعة من لحم ملكة الحيات وأطعمها للملك كرزدان، وغطاه ونشر على وجهه منديلاً وقعد عنده وأمره بالنوم فنام من وقت الظهر إلى وقت المغرب حتى دارت قطعة اللحم فى بطنه، ثم بعد ذلك أيقظه وسقاه شيئًا من الشراب وأمره بالنوم فنام إلى وقت الصبح، ولما طلع النهار فعل معه مثل ما فعل بالأمس حتى أطعمه القطع الثلاث على ثلاثة أيام، فقب جلد الملك وانقشر جميعه، فعند ذلك عرق الملك حتى جرى العرق من رأسه إلى قدميه وتعافى وما بقى فى جسده شىء من الأمراض، وبعد ذلك قال له حاسب: لا بد من دخول الحمام. ثم أدخله الحمام وغسل جسده وأخرجه فصار جسمه مثل قضيب الفضة وعاد لما كان عليه من الصحة وردت له العافية أحسن ما كانت أولاً.

ثم إنه لبس أحسن ملبوس وجلس على التخت وأذن لحاسب كريم فى أن يجلس معه فجلس بجانبه ثم أمر الملك بمد السماط فمد فأكلا وغسلا أيديهما وبعد ذلك أمر أن يأتوا بالمشروب فأتوا بما طلب فشربا ثم بعد ذلك أتى الأمراء والوزراء وأكابر الدولة والعظماء وهناوه بالعافية والسلامة ودقوا الطبول وزينوا المدينة من أجل سلامة الملك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ولما اجتمعوا عنده للتهنئة قال لهم الملك: يا معشر الوزراء والأمراء وأرباب الدولة هذا حاسب كريم الدين الذى داوانى من مرضى واعلموا أننى قد جعلته وزيرًا أعظم مكان شمهور فقال له الجميع: سمعًا وطاعة، ثم قاموا كلهم وقبلوا يد حاسب كريم الدين وسلموا عليه وهناوه بالوزارة، ثم خلع عليه الملك خلعة سنية منسوجة بالذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر أقل جوهرة فيها تساوى خمسة آلاف دينار، وأعطاه ثلثمائة مملوك وثلثمائة سرية تضىء مثل الأقمار وثلثمائة جارية من الحبش، وخمسمائة بغلة محملة من المال، وأعطاه من المواشى والغنم والجاموس والبقر ما يكل عنه الوصف، وبعد هذا كله أمر وزراءه وأمراءه وأرباب دولته وأكابر مملكته ومماليكه وعموم رعيته أن يهادوه.

ثم ركب حاسب كريم الدين وركبت خلفه الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وجميع العساكر وساروا إلى بيته الذى أخلاه له الملك، ثم جلس على كرسى وتقدمت إليه الأمراء والوزراء وقبلوا يده وهناوه بالوزارة، وجاء أهله وهناوه بالسلامة والوزارة وفرحوا به فرحًا شديدًا، ثم بعد ذلك أقبل عليه أصحابه الحطابون وهناوه بالوزارة، وبعد ذلك ركب وسار حتى وصل إلى قصر الوزير شمهور فختم على بيته ووضع يده على ما فيه وضبطه ثم نقله إلى بيته وبعد أن كان لا يعرف شيئًا من العلوم ولا قراءة الخط صار عالما بجميع العلوم بقدرة الله - تعالى -، وانتشر علمه وشاعت حكمته فى جميع البلاد، واشتهر بالتبحر فى علم الطب والهيئة والهندسة والتنجيم والكيمياء والسيمياء والروحانى وغير ذلك من العلوم.

ثم إنه قال لأمه يومًا من الأيام: يا والدتى إن أبى دانيال كان عالمًا فاضلاً فأخبرينى بما خلفه من الكتب وغيرها؟ فلما سمعت أمه كلامه أتته بالصندوق الذى كان أبوه قد وضع فيه الورقات الخمس الباقية من الكتب التى غرقت فى البحر وقالت له: ما خلف أبوك شيئًا من الكتب إلا الورقات الخمس التى فى هذا الصندوق. ففتحه وأخذ منه الورقات الخمس وقرأها وقال لها: يا أمى إن هذه الأوراق من جملة كتاب وأين بقيته؟

فقالت له: إن أباك قد سافر بجميع كتبه فى البحر فانكسر به المركب وغرقت كتبه وأنجاه الله - تعالى - من الغرق ولم يبق من كتبه إلا هذه الورقات الخمس، ولما جاء أبوك من السفر كنت حاملاً بك فقال لى: ربما تلدين ذكرًا فخذى هذه الأوراق واحفظيها عندك فإذا كبر الغلام وسأل عن تركتى فأعطيه إياها وقولى له: إن أباك لم يخلف غيرها وهذه هى، ثم إن حاسبًا كريم الدين تعلم جميع العلوم. ثم بعد ذلك قعد فى أكل وشرب وأطيب معيشة وأرغد عيش إلى أن أتاه هادم اللذات ومفرق الجماعات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية السندباد

قالت شهر زاد: بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى زمن الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد رجل يقال له السندباد الحمال وكان رجلاً فقير الحال يحمل بأجرته على رأسه، فاتفق له أنه حمل يومًا من الأيام حملة ثقيلة وكان ذلك اليوم شديد الحر فتعب من تلك الحملة وعرق واشتد عليه الحر، فمر على باب رجل تاجر قدامه كنس ورش وهناك هواء معتدل وكان بجانب الباب مصطبة عريضة، فوضع الحمال حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء فخرج عليه من ذلك الباب نسيم رائق ورائحة زكية فاستلذ الحمال لذلك وجلس على جانب المصطبة، فسمع فى ذلك المكان نغم أوتار وعود وأصواتًا مطربة وأنواع إنشاد مفربة، وسمع أيضًا أصوات طيور تناغى وتسبح الله - تعالى - باختلاف الأصوات وسائر اللغات من قمارى وهزار وشحارير وبلبل وكيروان.

فعند ذلك تعجب فى نفسه وطرب طربًا شديدًا فتقدم إلى ذلك الباب فوجد داخل البيت بستانًا عظيمًا ونظر فيه غلمانًا وعبيدًا وخدمًا وحشمًا وشيئًا لا يوجد إلا عند الملوك والسلاطين وبعد ذلك هبت عليه رائحة أطعمة طيبة زكية، من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيب، فرفع طرفه إلى السماء وقال: سبحانك يا رب يا خالق يا رازق ترزق من تشاء بغير حساب، اللهم إنى أستغفرك من جميع الذنوب، وأتوب إليك من العيوب يا رب لا اعتراض عليك فى حكمك وقدرتك فإنك لا تُسأل عما تفعل وأنت على كل شىء قدير، سبحانك تغنى من تشاء وتفقر من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء لا إله إلا أنت ما أعظم شأنك وما أقوى سلطانك وما أحسن تدبيرك قد أنعمت على من تشاء من عبادك فهذا المكان صاحبه فى غاية النعمة وهو متلذذ بالروائح اللطيفة، والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة فى سائر الصفات وقد حكمت بخلقك ما تريد وما قدرته عليهم فمنهم تعبان ومنهم مستريح ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلى فى غاية التعب والذل. وأنشد:

فكم من شقى بلا راحة ... ومن ينعم فى خير فيه وظل
وأصبحت فى تعب زائد ... وأمرى عجيب وقد زاد حملى
وغيرى سعيد بلا شقوة ... وما حمل الدهر يومًا كحملى
ينعم فى عيشه دائمًا ... ببسط وعز وشرب وأكل
وكل الخلائق من نطفة ... أنا مثل هذا وهذا كمثلى
ولكن شتان ما بيننا ... وشتان ما بين خمر وخل
ولست أقول عليك افتراء ... فأنت حكيم حكمت بعدل

فلما فرغ السندباد الحمال من شعره ونظمه أراد أن يحمل حملته ويسير إذ قد طلع عليه من ذلك الباب غلام صغير السن حسن الوجه مليح القد فاخر الملابس فقبض على يد الحمال وقال له: ادخل كلم سيدى فإنه يدعوك، فأراد الحمال الامتناع من الدخول مع الغلام فلم يقدر على ذلك، فحط حملته عند البواب فى دهليز بالمكان ودخل مع الغلام داخل الدار، فوجد دارًا مليحة وعليها أنس ووقار ونظر إلى مجلس عظيم فنظر فيه من السادات الكرام والموالى العظام وفيه من جميع أصناف الزهر وجميع أصناف المشموم ومن أنواع النقل والفواكه وشيئًا كثيرًا من أصناف الأطعمة النفيسة وفيه مشروب من خواص دوالى الكروم وفيه آلات السماع والطرب من أصناف الجوارى الحسان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وفى صدر ذلك المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب فى عوارضه وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعز وافتخار، فعند ذلك بهت السندباد الحمال وقال فى نفسه: والله إن هذا المكان من بُقع الجنان، أو أنه يكون قصر ملك أو سلطان ثم إنه تأدب وسلم عليهم وقبل الأرض بين أيديهم ووقف متخشعًا.

فأذن له صاحب المكان بالجلوس فجلس، وقد قربه إليه وصار يؤانسه بالكلام ويرحب به ثم إنه قدم له شيئًا من أنواع الطعام المفتخر الطيب النفيس، فتقدم السندباد الحمال وسمى وأكل حتى اكتفى وشبع وقال: الحمد لله على كل حال، ثم إنه غسل يديه وشكرهم على ذلك، فقال صاحب المكان، مرحبًا بك ونهارك مبارك فما يكون اسمك وما تعانى من الصنائع؟ فقال له: «يا سيدى اسمى السندباد الحمال وأنا أحمل على رأسى أسباب الناس بالأجرة». فتبسم صاحب المكان وقال له: اعلم يا حمال إن اسمك مثل اسمى فأنا السندباد البحرى، ولكن يا حمال قصدى أن تسمعنى الأبيات التى كنت تنشدها وأنت على الباب. فاستحى الحمال وقال له: بالله عليك لا تؤاخذنى فإن التعب والمشقة وقلة ما فى اليد تعلم الإنسان قلة الأدب والسفه، فقال له: لا تستح فأنت صرت أخى فأنشد الأبيات فإنها أعجبتنى لما سمعتها منك وأنت تنشدها على الباب فعند ذلك أنشده الحمال تلك الأبيات. فأعجبته وطرب لسماعها وقال له: يا حمال اعلم أن لى قصة عجيبة وسوف أخبرك بجميع ما صار لى وما جرى بى من قبل أن أصير إلى هذه السعادة وأجلس فى هذا المكان الذى ترانى فيه، فإنى ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة وأهوال كثيرة، ولكم

قاسيت فى الزمان الأول من التعب والنصب وقد سافرت سبع سفرات وكل سفرة لها حكاية عجيبة تحير الفكر وكل ذلك بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفر ولا مهرب. ثم قال:

حكاية السفرة الأولى

اعلموا يا سادة يا كرام أنه كان لى أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجار وكان عنده مال كثير ونوال جزيل وقد مات وأنا ولد صغير وخلف لى مالاً وعقارًا وضياعًا فلما كبرت وضعت يدى على الجميع وقد أكلت أكلاً مليحًا وشربت شربًا مليحًا وعاشرت الشباب، وتجملت بلبس الثياب، ومشيت مع الخلان والأصحاب، واعتقدت أن ذلك يدوم لى وينفعنى، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان، ثم إنى أفقت من غفلتى ورجعت إلى عقلى فوجدت مالى قد مال، وحالى قد حال، وقد ذهب جميع ما كان معى ولم أستفق لنفسى إلا وأنا مرهوب مدهوش، وقد تفكرت حكاية كنت أسمعها سابقًا من أبى وهى حكاية سيدنا سليمان بن داود - عليهما السلام - فى قوله:

ثلاثة خير من ثلاثة، يوم الممات خير من يوم الولادة، وكلب حى خير من سبع ميت، والقبر خير من الفقر، ثم إنى قمت وجمعت ما كان معى من آثار وملبوس وبعته ثم بعت عقارى وجميع ما تملك يدى فجمعت ثلاثة آلاف درهم، وقد خطر ببالى السفر إلى بلاد الناس وتذكرت كلام بعض الشعراء حيث قال:

بقدر الكد تكتسب المعالى	ومن طلب العلا سهر الليالى
يغوص البحر من طلب اللآلى	ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير كد	أضاع العمر فى طلب المحال

فعند ذلك هممت فقمت واشتريت لى بضاعة ومتاعًا وأسبابًا وشيئًا من أغراض السفر وقد سمحت لى نفسى بالسفر فى البحر، فنزلت المركب وانحدرت إلى مدينة البصرة مع جماعة من التجار وسرنا فى البحر مدة أيام وليال، وقد مررنا بجزيرة بعد جزيرة ومن بحر إلى بحر ومن بر إلى بر وفى كل مكان مررنا به نبيع ونشترى ونقايض بالبضائع فيه وقد انطلقنا فى سير البحر إلى أن وصلنا إلى جزيرة كأنها روضة من رياض الجنة، فأرسى بنا صاحب المركب على تلك الجزيرة ورمى مراسيه ومد السقالة فنزل جميع من كان فى المركب فى تلك الجزيرة وقد عملوا لهم كوانين وأوقدوا فيها النار واختلفت أشغالهم، فمنهم من صار يطبخ ومنهم من صار يغسل ومنهم من صار يتفرج وكنت أنا من جملة المتفرجين فى جوانب الجزيرة، وقد اجتمعت الركاب على أكل وشرب ولهو ولعب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فبينما نحن على تلك الحالة وإذا بصاحب المركب واقف على جانبه وصاح بأعلى صوته: يا ركاب السلامة أسرعوا واطلعوا إلى المركب، وبادروا إلى الطلوع واتركوا أسبابكم واهربوا بأرواحكم وفوزوا بسلامة أنفسكم من الهلاك فإن هذه الجزيرة التى أنتم عليها ما هى جزيرة وإنما هى سمكة كبيرة رسبت فى وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت

مثل الجزيرة وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان، فلما أوقدتم عليها النار أحست بالسخونة فتحركت، وفى هذا الوقت تنزل بكم فى البحر فتغرقون جميعًا فاطلبوا النجاة لأنفسكم. فلما سمع الركاب كلام ذلك الرئيس أسرعوا وبادروا بالطلوع إلى المركب وتركوا الأسباب وحوائجهم ودستوتهم وكوانينهم، فمنهم من لحق المركب، ومنهم من لم يلحقه وقد تحركت تلك الجزيرة ونزلت إلى قرار البحر بجميع ما كان عليه وانطبق عليها البحر العجاج، المتلاطم بالأمواج، وكنت أنا من جملة من تخلف فى الجزيرة فغرقت فى البحر مع جملة من غرق، ولكن الله - تعالى - أنقذنى ونجانى من الغرق، ورزقنى بقصعة خشب كبيرة من التى كانوا يغسلون فيها فمسكتها بيدى وركبتها من حلاوة الروح، ورفست فى الماء برجلى مثل المجاديف والأمواج تلعب بى يمينًا وشمالاً وقد نشر الرئيس قلاع المركب وسافر بالذين طلع بهم فى المركب ولم يلتفت لمن غرق منهم ولا لمن يستغيث.

وما زلت أنظر إلى ذلك المركب حتى خفى عن عينى وأيقنت بالهلاك ودخل علىّ الليل وأنا على هذه الحالة. فمكثت على ما أنا فيه يومًا وليلة. وقد ساعدنى الريح والأمواج إلى أن رست بي تحت جزيرة عالية وفيها أشجار مطلة على البحر فمسكت فرعًا من شجرة عالية وتعلقت به بعد ما أشرفت على الهلاك وتمسكت به إلى أن طلعت إلى الجزيرة فوجدت فى رجلى خدلاً وأثر أكل السمك فى بطونهما، ولم أدر بذلك من شدة ما كنت فيه من الكرب والتعب، وقد ارتميت فى الجزيرة وأنا مثل الميت وغبت عن وجودى وغرقت فى دهشتى، ولم أزل على هذه الحالة إلى ثانى يوم، وطلعت الشمس على وانتبهت فى الجزيرة فوجدت رجلى قد ورمتا، فسرت على ما أنا فيه فتارة أزحف وتارة أحبو على ركبى، وكان فى الجزيرة عيون من الماء العذب، وفواكه كثيرة فصرت آكل منها.

ولم أزل على هذه الحالة مدة أيام وليال ولقد انتعشت نفسى وردت لى روحى وقويت حركتى وصرت أتفكر وأمشى فى جانب الجزيرة وأتفرج بين الأشجار على ما خلق الله - تعالى -، وقد عملت لى عكازًا من تلك الأشجار أتوكأ عليه، ولم أزل على هذه الحالة إلى أن تمشيت يومًا من الأيام فى جانب الجزيرة فلاح لى شبح من بعد فظننت أنه وحش أو أنه دابة من دواب البحر، فتمشيت إلى نحوه ولم أزل أتفرج عليه وإذا هو فرس عظيم المنظر مربوط فى جانب الجزيرة على شاطئ البحر، فدنوت منه فصرخ على صرخة عظيمة فارتعبت منه وأردت أن أرجع وإذا برجل خرج من تحت الأرض وصاح علىّ وتبعنى وقال لى: من أنت ومن أين جئت وما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له: يا سيدى اعلم أنى رجل غريب وكنت فى مركب فغرقت أنا وبعض من كان فيه فرزقنى الله بقصعة خشب فركبتها وعامت بى إلى أن رمتنى الأمواج فى هذه الجزيرة. فلما سمع كلامى أمسكنى من يدى وقال لى: امش معى، فسرت معه فنزل بى فى سرداب ودخل بى إلى قاعة كبيرة تحت الأرض وأجلسنى فى صدر تلك القاعة وجاء لى بشىء من الطعام وأنا كنت جائعًا فأكلت حتى شبعت واكتفيت وارتاحت نفسى، ثم إنه سألنى عن حالى وما جرى لى فأخبرته بجميع ما كان من أمرى من المبتدأ إلى المنتهى، فتعجب من قصتى، فلما فرغت من حكايتى قلت: بالله عليك يا سيدى لا تؤاخذنى فأنا قد أخبرتك بحقيقة حالى وما جرى لى وأنا أشتهى منك أن تخبرنى من أنت وما سبب جلوسك فى هذه

القاعة التى تحت الأرض وما سبب ربطك هذه الفرس على جانب البحر؟

فقال لى: اعلم أننا جماعة متفرقون فى هذه الجزيرة على جوانبها ونحن سياس الملك المهرجان وتحت أيدينا جميع خيله وفى كل شهر عند القمر نأتى بالخيل الجياد ونربطها فى هذه الجزيرة من كل بكر ونختفى فى هذه القاعة تحت الأرض حتى لا يرانا أحد، فيجىء حصان من خيول البحر على رائحة تلك الخيل ويطلع على البر ويريد أخذها معه فلا تقدر أن تسير معه من الرباط فيصيح عليها ويضربها برأسه ورجليه ويصيح فنسمع صوته فنعلم به فنطلع صارخين عليه فيخاف منا وينزل البحر، والفرس تحمل منه وتلد مهرًا أو مهرة تساوى خزنة مال ولا يوجد لها نظير على وجه الأرض، وهذا وقت طلوع الحصان وإن شاء الله - تعالى - آخذك معى إلى الملك المهرجان وأفرجك على بلادنا، واعلم أنه لولا اجتماعك علينا ما كنت ترى أحدًا فى هذا المكان غيرنا وكنت تموت كمدًا ولا يدرى بك أحد ولكن أنا أكون سبب حياتك ورجوعك إلى بلادك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فبينما هم فى هذا الكلام وإذا بالحصان قد طلع من البحر وصرخ صرخة عظيمة ثم وثب على الفرس وأراد أخذها معه فلم يقدر ورفست وصاحت عليه، فأخذ الرجل السائس سيفًا بيده ودرقة وطلع من باب تلك القاعة، وهو يصيح على رفقته، ويقول: اطلعوا إلى الحصان، ويضرب بالسيف على الدرقة. فجاء جماعة بالرماح صارخين، فجفل منهم الحصان وراح إلى حال سبيله، ونزل فى البحر مثل الجاموس وغاب تحت الماء فعند ذلك جلس الرجل قليلاً وإذا هو بأصحابه قد جاؤوه ومع كل واحد فرس يقودها، فنظرونى عنده فسألونى عن أمرى فأخبرتهم بما حكيته له. وقربوا منى ومدوا السماط وأكلوا وعزموا على فأكلت معهم، ثم إنهم قاموا وركبوا الخيول وأخذونى معهم، أركبونى على ظهر فرس وسافرنا، ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى مدينة الملك المهرجان وقد دخلوا عليه وأعلموه بقصتى فطلبنى فأدخلونى عليه وأوقفونى بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى وحيانى بإكرام وسألنى عن حالى فأخبرته بجميع ما حصل لى وما رأيته.

فعند ذلك تعجب مما وقع لى وما جرى لى وقال لى: يا ولدى والله لقد حصل لك مزيد السلامة ولولا طول عمرك ما نجوت من هذه الشدائد ولكن الحمد لله على السلامة. ثم إنه أحسن إلىّ وأكرمنى وقربنى إليه وصار يؤانسنى بالكلام والملاطفة وجعلنى عنده عاملاً على ميناء البحر وكاتبًا على كل مركب عبر إلى البر، وصرت واقفًا عنده لأقضى له مصالحه وهو يحسن إلىّ وينفعنى من كل جانب وقد كسانى كسوة مليحة فاخرة وصرت مقدمًا عنده فى الشفاعات وقضاء مصالح الناس، ولم أزل عنده مدة طويلة وأنا كلما أشق على جانب البحر أسأل التجار المسافرين والبحريين عن ناحية بغداد لعل أحدًا يخبرنى عنها فأروح معه إليها وأعود إلى بلادى، فلا يعرفها أحد ولا يعرف من يروح إليها، وقد تحيرت من ذلك وسئمت من طول الغربة، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت يومًا من الأيام ودخلت على الملك المهرجان فوجدت عنده جماعة من الهنود، فسلمت عليهم فردوا علىّ السلام، ورحبوا بى

وقد سألونى عن بلادى. ولما سألتهم عن بلادهم ذكروا لى أنهم أجناس مختلفة، فمنهم الشاكرية وهم أشرف أجناسهم لا يظلمون أحدًا ولا يقهرونه، ومنهم جماعة تسمى البراهمة وهم قوم لا يشربون الخمر أبدًا وإنما هم أصحاب حظ وصفاء وطرب وجمال وخيول ومواش، وأعلمونى أن صنف الهنود يفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتعجبت من ذلك غاية العجب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



ورأيت فى مملكة المهرجان جزيرة من جملة الجزائر يقال لها كابل يسمع فيها ضرب الدفوف والطبول طول الليل، وقد أخبرنا أصحاب الجزائر والمسافرون بأنهم أصحاب الجد والرأى، ورأيت فى ذلك البحر سمكة طولها مائتا ذراع، ورأيت أيضًا سمكًا وجهه مثل وجه البوم، ورأيت فى تلك السفرة كثيرًا من العجائب والغرائب مما لو حكيته لكم لطال شرحه، ولم أزل أتفرج على تلك الجزائر وما فيها إلى أن وقفت يومًا من الأيام على جانب البحر وفى يدى عكاز على جرى عادتى وإذا بسفينة قد أقبلت وفيها تجار كثيرون.

فلما وصلت إلى ميناء المدينة وفرضتها طوى الرئيس قلوعها وأرساها على البر ومد السقالة وأطلع البحرية جميع ماكان فى تلك السفينة إلى البر وأبطأوا فى تطليعه وأنا واقف أكتب عليهم، فقلت لصاحب المركب: هل بقى فى مركبك شىء؟ فقال: نعم يا سيدى معى بضائع فى بطن المركب، ولكن صاحبها غرق منا فى البحر فى بعض الجزائر ونحن قادمون فى البحر وصارت بضائعه معنا وديعة، فحرصنا أننا نبيعها ونأخذ علمًا بثمنها لأجل أن نوصله إلى أهله فى مدينة بغداد دار السلام، فقلت للرئيس: ما يكون اسم ذلك الرجل صاحب البضائع؟ فقال: اسمه السندباد البحرى، وقد غرق منا فى البحر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهر زاد: فلما سمعت كلامه حققت النظر فيه فعرفته وصرخت عليه صرخة عظيمة وقلت: يا ريس اعلم أنى أنا صاحب البضائع التى ذكرتها وأنا السندباد البحرى الذى نزلت من المركب فى الجزيرة مع جملة من نزل من التجار، ولما تحركت السمكة التى كنا عليها وصحت أنت علينا طلع من طلع وغرق الباقى وكنت أنا من جملة من غرق، ولكن الله - تعالى - سلمنى ونجانى من الغرق بقصعة كبيرة من التى كان الركاب يغسلون فيها فركبتها وصرت أرفس برجلى وساعدنى الريح والموج إلى أن وصلت إلى هذه الجزيرة فطلعت فيها وأعاننى الله - تعالى - واجتمعت بسياس الملك المهرجان فحملونى معهم إلى أن أتوا بى إلى هذه المدينة وأدخلونى عند الملك فأخبرته بقصتى فأنعم علىّ وجعلنى كاتبًا على ميناء هذه المدينة فصرت أنتفع بخدمته وصار لى عنده قبول، وهذه البضائع التى معك بضائعى ورزقى. فقال الرئيس: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما بقى لأحد أمانة ولا ذمة فقلت له: يا رئيس ما سبب ذلك؛ وأنت سمعتنى أخبرك بقصتى؟ فقال الرئيس: لأنك سمعتنى أقول: إن معى بضائع صاحبها غرق فتريد أن تأخذها بلا حق وهذا حرام عليك فإننا رأيناه لما غرق وكان معه جماعة من الركاب كثيرون وما نجا منهم أحد فكيف تدعى أنت أنك صاحب البضائع؟

فقلت له: يا رئيس اسمع قصتي وافهم كلامي يظهر لك صدقي فإن الكذب سمة المنافقين. ثم إني حكيت للرئيس جميع ما كان مني حين خرجت معه من مدينة بغداد إلى أن وصلنا تلك الجزيرة التي غرقنا فيها وأخبرته ببعض أحوال جرت بيني وبينه، فعند ذلك تحقق الرئيس والتجار صدقي فعرفوني وهنأوني بالسلامة.

وقالوا جميعًا: والله ما كنا نصدق بأنك نجوت من الغرق ولكن رزقك الله عمرًا جديدًا، ثم إنهم أعطوني البضائع فوجدت اسمي مكتوبًا عليها ولم ينقص منها شيء ففتحتها وأخرجت منها شيئًا نفيسًا غالي الثمن وحملته معي بحرية المركب وطلعت به إلى الملك على سبيل الهدية وأعلمت الملك بأن هذا المركب الذي كنت فيه، وأخبرته أن بضائعي وصلت إلى بالتمام والكمال وأن هذه الهدية منها فتعجب الملك من ذلك الأمر غاية العجب وظهر له صدقي في جميع ما قلته وقد أحبني محبة شديدة وأكرمني إكرامًا زائدًا وقد وهب لي شيئًا كثيرًا في نظير هديتي.

ثم بعت حمولي وما كان معي من البضائع وكسبت فيها شيئًا كثيرًا واشتريت بضاعة وأسبابًا ومتاعًا من تلك المدينة ولما أراد تجار المركب السفر شحنت جميع ما كان معي في المركب ودخلت عند الملك وشكرته على فضله وإحسانه، ثم إني استأذنته في السفر إلى بلادي وأهلي فودعني وقد أعطاني شيئًا كثيرًا عند سفري من متاع تلك المدينة وقد ودعته ونزلت المركب وسافرنا بإذن الله - تعالى -، وخدمنا السعد وساعدتنا المقادير، ولم نزل مسافرين ليلاً ونهارًا إلى أن وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة، وطلعنا فيها فأقمنا فيها زمنًا قليلاً وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي، وبعد ذلك توجهت إلى مدينة بغداد دار السلام، ومعي من الحمول والمتاع والأسباب شيء كثير له قيمة عظيمة، ثم جئت إلى حارتي، ودخلت بيتي وقد جاء جميع أهلي وأصحابي، ثم إني اشتريت لي خدمًا وحشمًا ومماليك وسراريّ وعبيدًا حتى صار عندي شيء كثير وقد اشتريت لي دورًا وأماكن وعقارًا أكثر من الأول، ثم إني عاشرت الأصحاب ورافقت الخلان وصرت أكثر مما كنت عليه في الزمن الأول، وقد نسيت جميع ما كنت قاسيت من التعب والغربة والمشقة وأهوال السفر واشتغلت باللذات والمسرات والمآكل الطيبة والمشارب النفيسة ولم أزل على هذه الحالة هذا ما كان من أولى سفراتي، وفي غد إن شاء الله - تعالى - أحكي لكم الحكاية الثانية من السبع سفرات، ثم إن السندباد البحري عشى السندباد البري عنده وأمر له بمائة مثقال ذهبًا وقال له: آنستنا في هذا النهار، فشكره الحمال وأخذ منه ما وهبه له وانصرف إلى حال سبيله، وهو متفكر فيما يقع وما يجري للناس ويتعجب غاية العجب.

ونام الحمال تلك الليلة في منزله، ولما أصبح الصباح جاء إلى بيت السندباد البحري ودخل عنده فرحب به وأكرمه وأجلسه عنده، ولما حضر بقية أصحابه قدم لهم الطعام والشراب وقد صفا لهم الوقت وحصل لهم الطرب فبدأ السندباد البحري بالكلام وقال:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية السفرة الثانية

قالت شهر زاد: ثم قال: اعلموا يا إخوانى أنى كنت فى ألذ عيش وأصفى سرور على ما تقدم لكم ذكره بالأمس إلى أن خطر ببالى يومًا من الأيام السفر إلى بلاد الناس واشتاقت نفسى إلى التجارة والتفرج فى البلدان والجزائر واكتساب المعاش، فهممت فى ذلك الأمر، وقد أخرجت من مالى شيئًا كثيرًا واشتريت به بضائع وأسبابًا تصلح للسفر وحزمتها وجئت إلى الساحل، فوجدت سفينة مليحة جديدة ولها قلع قماش مليح وهى كثيرة الرجال زائدة العدة ونزلت حمولى فيها أنا وجماعة من التجار وقد سافرنا فى ذلك النهار وطاب لنا السفر.

ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة وكل محل أرسينا عليه نقابل التجار وأرباب الدولة والبائعين والمشترين ونبيع ونشترى ونقايض بالبضائع فيه، ولم نزل على هذه الحالة إلى أن ألقتنا المقادير على جزيرة مليحة كثيرة الأشجار، يانعة الأثمار فائحة الأزهار، مترنمة الأطيار، صافية الأنهار، ولكن ليس بها ديار، ولا نافخ نار فأرسى بنا الرئيس على تلك الجزيرة وقد طلع التجار والركاب إلى تلك الجزيرة يتفرجون على ما بها من الأشجار والأطيار ويسبحون الله الواحد القهار، ويتعجبون من قدرة الملك الجبار، فعند ذلك طلعت إلى الجزيرة مع جملة من طلع وجلست على عين ماء صاف بين الأشجار وكان معى شىء من المأكل فجلست فى هذا المكان آكل ما قسم الله - تعالى - لى، وقد طاب لنا النسيم بذلك المكان وصفا لى الوقت، فأخذتنى سنة من النوم فارتحت فى ذلك المكان وقد استغرقت فى النوم واستلذذت بذلك النسيم الطيب والروائح الزكية، ثم إنى قمت فلم أجد فى ذلك المكان إنسيًا ولا جنيًا وقد سار المركب بالركاب ولم يتذكرنى منهم أحد لا من التجار ولا من البحرية فتركونى فى الجزيرة وقد التفت فيها يمينًا وشمالاً فلم أجد بها أحدًا غيرى فحصل عندى قهر شديد ما عليه من مزيد وقد كادت مرارتى تنفطر من شدة ما أنا فيه من الغم والحزن والتعب ولم يكن معى شىء من الدنيا ولا من المأكل ولا من المشرب وصرت وحيدًا، وقد تعبت فى نفسى وأيست من الحياة وقلت: ما كل مرة تسلم الجرة وإن كنت سلمت فى المرة الأولى ولقيت من أخذنى معه من الجزيرة إلى العمار ففى هذه المرة هيهات هيهات إن كنت أجد من يوصلنى إلى بلاد العمار، ثم إنى صرت أبكى وأنوح على نفسى حتى تملكنى القهر ولمت نفسى على ما فعلته وعلى ما شرعت فيه من أمر السفر، والتعب من بعد ما كنت جالسًا مرتاحًا فى ديارى وبلادى وأنا مبسوط ومهنأ بمأكول طيب ومشروب طيب وملبوس طيب وما كنت محتاجًا شيئًا من المال ولا من البضائع وصرت أتندم على خروجى من مدينة بغداد وسفرى فى البحر من بعد ما قاسيت التعب فى السفرة الأولى، وأشرفت على الهلاك وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد صرت فى حيز المجانين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وبعد ذلك قمت على حيلى وتمشيت فى الجزيرة يمينًا وشمالاً وصرت لا أستطيع الجلوس فى محل واحد، ثم إنى صعدت على شجرة عالية وصرت أنظر من فوقها يمينًا وشمالاً فلم أر غير سماء وماء وأشجار وأطيار وجزائر ورمال، وقد حققت النظر فلاح

لى فى الجزيرة شبح أبيض عظيم الخلقة فنزلت من فوق الشجرة وقصدته وصرت أمشى إلى ناحيته، ولم أزل سائرًا إلى أن وصلت إليه وإذا به قبة كبيرة بيضاء شاهقة فى العلو كبيرة الدائرة، فدنوت منها ودرت حولها فلم أجد لها بابًا ولم أجد لى قوة ولا حركة إلى الصعود عليها من شدة النعومة والملاسة، فعلمت مكان وقوفى ودرت حول القبة أقيس دائرها فإذا هو خمسون خطوة وافية، فصرت متفكرًا فى الحيلة الموصلة إلى دخولها وقد قرب زوال النهار وغروب الشمس، وأصبحت قواى منهوكة.

وإذا بالشمس قد خفيت والجو قد أظلم واحتجبت الشمس عنى فظننت أنه جاء على الشمس غمامة وكان ذلك فى زمن الصيف، فتعجبت ورفعت رأسى وتأملت فى ذلك فرأيت طيرًا عظيم الخلقة كبير الجثة، عريض الأجنحة طائرًا فى الجو وهو الذى غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة، فازددت من ذلك عجبًا.

ثم إنى تذكرت حكاية أخبرنى بها قديمًا أهل السياحة والمسافرون وهى أن فى بعض الجزائر طيرًا عظيم الخلقة يقال له: الرخ، يطعم أولاده بالأفيال، فتحققت أن القبة التى رأيتها إنها هى بيضة من بيض الرخ، ثم إنى تعجبت من خلق الله - تعالى -، فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذلك الطائر نزل على تلك القبة وحضنها بجناحه ومد رجليه من خلفه على الأرض ونام عليها فسبحان من لا ينام، فعند ذلك قمت وفككت عمامتى من فوق رأسى وثنيتها وفتلتها حتى صارت مثل الحبل وتحزمت بها وشددت وسطى وربطت نفسى فى رجلى ذلك الطائر وشددته شدًا وثيقًا وقلت فى نفسى: لعل هذا الطائر العظيم يوصلنى إلى بلاد المدن والعمار ويكون ذلك أحسن من جلوسى فى هذه الجزيرة الموحشة، وقد بت تلك الليلة ساهرًا خوفًا من أن أنام فيطير بى على حين غفلة.

فلما طلع الفجر وبان الصباح قام الطائر من على بيضته وصاح صيحة عظيمة وأقلع بى إلى الجو وهو يعلو ويرتفع حتى ظننت أنه وصل إلى عنان السماء، وبعد ذلك تنازل بى حتى نزل بى على الأرض وحط على مكان مرتفع عال، فلما وصلت إلى الأرض أسرعت وفككت الرباط من رجليه وأنا خائف منه ولم يدر بى ولم يحس بى، وبعدها فككت عمامتى منه، وخلصتها من رجليه وأنا أنتفض ومشيت فى ذلك المكان، ثم إنه أخذ شيئًا من على وجه الأرض فى مخالبه وطار إلى عنان السماء فتأملته، فإذا هو حية عظيمة الخلقة كبيرة الجسم قدأخذها واقتلع بها إلى الجو، فتعجبت من ذلك.

ثم إنى تمشيت فى ذلك المكان فوجدت نفسى فى مكان عال وتحته واد كبير واسع عميق وبجانبه جبل عظيم شاهق فى العلو لا يقدر أحد أن يرى أعلاه من فرط علوه وليس لأحد قدرة على الطلوع فوقه، فلمت نفسى على ما فعلته وقلت: يا ليتنى مكثت فى الجزيرة فإنها أحسن من هذا المكان القفر لأن الجزيرة كان يوجد فيها شىء آكله من أصناف الفواكه وأشرب من أنهارها، وهذا المكان ليس فيه أشجار ولا أثمار ولا أنهار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أنا كل ما أخلص من مصيبة أقع فى ما هو أعظم منها وأشد، ثم إنى قمت وقويت نفسى ومشيت فى ذلك الوادى فرأيت أرضه من حجر الماس الذى يثقبون به المعادن والجواهر، ويثقبون به الصينى والجزع، وهو حجر صلب يابس لا يعمل فيه الحديد ولا

الصخر، ولا أحد يقدر أن يقطع منه شيئًا ولا أن يكسره إلا بحجر الرصاص وكل ذلك الوادى حيات وأفاعى كل واحدة مثل النخلة ومن عظم خلقتها لو جاءها فيل لابتلعته، وتلك الحيات تظهر فى الليل وتختفى فى النهار خوفًا من طير الرخ والنسر أن يختطفها وبعد ذلك يقطعها ولا أدرى ما سبب ذلك.

فأقمت بذلك الوادى وأنا متندم على ما فعلته وقلت فى نفسى: والله إنى قد عجلت بالهلاك على نفسى، وقد ولى النهار على فصرت أمشى فى ذلك الوادى وأتلفت على محل أبيت فيه وأنا خائف من تلك الحيات، ونسيت أكلى وشربى واشتغلت بنفسى فلاح لى مغارة بالقرب منى فمشيت فوجدت بابها ضيقًا فدخلتها ونظرت إلى حجر كبير عند بابها فدفعته وسددت به باب المغارة وأنا داخلها وقلت فى نفسى: إنى أمنت لما دخلت فى هذا المكان، وإن طلع علىّ النهار أطلع وأنظر ما تفعل القدرة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم التفت فى داخل المغارة فنظرت حية عظيمة نائمة فى صدر المغارة على بيضها فاقشعر بدنى وأقمت رأسى وسلمت أمرى للقضاء والقدر وبت ساهرًا طول الليل إلى أن طلع الفجر ولاح فأزحت الحجر الذى سددت به باب المغارة وخرجت منها وأنا مثل السكران دائخ من شدة السهر والجوع والخوف وتمشيت فى الوادى.

فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة عظيمة قد سقطت قدامى ولم أجد أحدًا فتعجبت من ذلك غاية العجب وتفكرت بحكاية كنت أسمعها من قديم الزمان من بعض التجار والمسافرين وأهل السياحة أن فى جبال حجر الماس الأهوال العظيمة ولا يقدر أحد أن يسلك إليه ولكن التجار الذين يجلبونه يعملون حيلة فى الوصول إليه ويأخذون الشاة من الغنم ويذبحونها ويسلخونها ويشرحون لحمها ويرمونه من على ذلك الجبل إلى أرض الوادى فتنزل وهى طرية فيلتصق بها شىء من الحجارة ثم تتركها التجار إلى نصف النهار فتنزل الطيور من النسور والرخم إلى ذلك اللحم وتأخذه فى مخالبها وتصعد إلى أعلى الجبل فتأتيها التجار وتصيح عليها فتطير من عند ذلك اللحم للطيور والوحوش، ويحملون الحجارة إلى بلادهم ولا أحد يقدر أن يتوصل إلى أخذ حجر الماس إلا بهذه الحيلة.

فلما نظرت إلى تلك الذبيحة وتذكرت هذه الحكاية قمت وجئت عند الذبيحة فنقيت من هذه الحجارة شيئًا كثيرًا وأدخلته فى جيبى وبين ثيابى وصرت أنقى وأدخل فى جيوبى وحزامى وعمامتى وبين حوائجى، فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة كبيرة فربطت نفسى عليها بعمامتى ونمت على ظهرى وجعلتها على صدرى وأنا قابض عليها فصارت عالية على الأرض، وإذا بنسر نزل على تلك الذبيحة وقبض عليها بمخالبه واقتلع بها إلى الجو وأنا معلق بها، ولم يزل طائرًا إلى أن صعد إلى أعلى الجبل وحط بها وأراد أن ينهش منها وإذا بصيحة عظيمة عالية من خلف ذلك النسر وشىء يخبط بالخشب على ذلك الجبل فجفل النسر وخاف وطار إلى الجو تاركًا الذبيحة على الأرض.

ففككت نفسى من الذبيحة وقد تلوثت ثيابى من دمها ووقفت بجانبها، وإذا بذلك

التاجر الذى صاح على النسر تقدم إلى الذبيحة فرآنى واقفًا فلم يكلمنى وقد فزع منى وارتعب، وأتى الذبيحة وقلبها فلم يجد فيها شيئًا فصاح صيحة عظيمة وقال: واخيبتاه لا حول ولا قوة إلا بالله نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو يتدم ويخبط كفا على كف، ويقول: واحسرتاه أى شىء هذا الحال. فتقدمت إليه، فقال لى:

من أنت وما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ فقلت له: لا تخف ولا تخش فإنى إنسى من خيار الإنس وكنت تاجرًا ولى حكاية عظيمة وقصة غريبة وسبب وصولى إلى هذا الجبل وهذا الوادى له حكاية عجيبة، فلا تخف فلك ما يسرك منى، وأنا معى شىء كثير من حجر الماس فأعطيك منه شيئًا يكفيك، وكل قطعة معى أحسن من كل شىء يأتيك فلا تجزع ولا تخف. فعند ذلك شكرنى الرجل ودعا لى وتحدث معى وإذا بالتجار سمعوا كلامى مع رفيقهم فجاؤوا إلىّ، وكان كل تاجر رمى ذبيحة، فلما قدموا علينا سلموا علىّ وهنأونى بالسلامة وأخذونى معهم، وأعلمتهم بجميع قصتى وما قاسيته فى سفرتى وأخبرتهم بسبب وصولى إلى هذا الوادى، ثم إنى أعطيت لصاحب الذبيحة التى تعلقت فيها شيئًا كثيرًا مما كان معى، ففرح بى ودعا لى وشكرنى على ذلك. وقال التجار: والله إنه قد كتب لك عمر جديد فما أحد وصل إلى هذا المكان قبلك ونجا منه ولكن الحمد لله على سلامتك وباتوا فى مكان مليح بأمان، وبت عندهم وأنا فرحان غاية الفرح بسلامتى ونجاتى من وادى الحيات ووصولى إلى بلاد العمار، ولما طلع النهار قمنا وسرنا على ذلك الجبل العظيم وصرنا ننظر فى ذلك الوادى حيات كثيرة، ولم نزل سائرين إلى أن أتينا بستانًا فى جزيرة عظيمة مليحة وفيها شجر الكافور كل شجرة منه يستظل تحتها مائة إنسان، وإذا أراد أحد أن يأخذ منه شيئًا يثقب من أعلى الشجرة ثقبًا بشىء طويل ويتلقى ما ينزل منه فيسيل منه ماء الكافور ويعقد مثل الصمغ وهو عسل ذلك الشجر وبعد ذلك تيبس الشجرة وتصير حطبًا.

وفى تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له: الكركدن يرعى فيها رعيًا مثل ما يرعى البقر والجاموس فى بلادنا ولكن جسم ذلك الوحش أكبر من جسم الجمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ فى وسط رأسها طوله قدر عشرة أذرع وفيه صورة إنسان، وفى تلك الجزيرة شىء من صنف البقر، وقد قال لنا البحريون المسافرون وأهل السياحة فى الجبل والأراضى أن هذا الوحش المسمى بالكركدن يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به فى الجزيرة والسواحل ولا يشعر به، ويموت الفيل على قرنه ويسيح دهنه من حر الشمس على رأسه ويدخل فى عينيه فيعمى فيرقد فى جانب السواحل، فيجىء له طير الرخ ويحمله فى مخالبه ويروح به عند أولاده ويزقهم به وبما على قرنه.

وقد رأيت فى تلك الجزيرة شيئًا كثيرًا من صنف الجاموس ليس له عندنا نظير. وفى ذلك الوادى شىء كثير من حجر الماس الذى حملته معى وخبأته فى جيبى وقايضونى عليه ببضائع ومتاع من عندهم وحملوها لى معهم وأعطونى دراهم ودنانير، ولم أزل سائرًا معهم وأنا أتفرج على بلاد الناس وعلى ما خلق الله، من واد إلى واد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشترى إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وقد أقمنا بها أيامًا قلائل.

ثم جئت إلى مدينة بغداد دار السلام وجئت إلى حارتى ودخلت دارى ومعى من صنف

حجر الماس شيء كثير ومعى مال ومتاع وبضائع لها صورة وقد اجتمعت بأهلى وأقاربى، ثم تصدقت ووهبت وأعطيت وهاديت جميع أهلى وأصحابى وصرت آكل طيبًا وأشرب طيبًا وألبس مليحًا وأعاشر وأرافق ونسيت جميع ماكنت قاسيته.

ولم أزل فى أهنأ عيش وصفاء خاطر وانشراح صدر وأنا فى لعب وطرب وصار كل من سمع بقدومى يجىء إلى ويسألنى عن حال السفر وأحوال البلاد فأخبره وأحكى له ما لقيته وما قاسيته فيتعجب من شدة ما قاسيته ويهنئنى بالسلامة، وهذا آخر ما جرى لى وما اتفق لى فى السفرة الثانية. ثم قال لهم: وفى غد إن شاء الله - تعالى - أحكى لكم حال السفرة الثالثة، فلما فرغ السندباد البحرى من حكايته للسندباد البرى تعجبوا من ذلك وتعشوا عنده وأمر للسندباد بمائة مثقال ذهبًا فأخذها، وتوجه إلى حال سبيله وهو يتعجب مما قاساه السندباد البحرى فى سفراته، وشكره ودعا له فى بيته.

ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، قام السندباد الحمال وصلى الصبح وجاء إلى بيت السندباد البحرى كما أمره ودخل إليه فصبح عليه فرحب به وجلس معه حتى أتاه باقى أصحابه وجماعته وقد أكلوا وشربوا واستلذوا، فابتدأ السندباد البحرى بالكلام وقال:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية السفرة الثالثة

قالت شهر زاد: فقال السندباد: اعلموا يا إخوانى واسمعوا منى حكاية السفرة الثالثة فإنها أعجب من الحكايات المتقدمة قبل تاريخه والله أعلم بغيبه وأحكم، إنى فيما مضى وتقدم لما جئت من السفرة الثانية وأنا فى غاية البسط والانشراح فرحان بالسلامة وقد كسبت مالاً كثيرًا كما حكيت لكم أمس تاريخه وقد عوض الله على جميع ما راح منى أقمت بمدينة بغداد مدة من الزمان وأنا فى غاية الحظ والصفاء والبسط والانشراح فاشتاقت نفسى إلى السفر والفرجة وتشوقت إلى المتجر والكسب والفوائد، والنفس أمارة بالسوء، فهممت واشتريت شيئًا كثيرًا من البضائع المناسبة لسفر البحر وقد حزمتها للسفر وسافرت بها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، وجئت إلى ساحل البحر فرأيت مركبًا عظيمًا وفيه تجار وركاب كثيرون، أهل خير وناس ملاح طيبون أهل دين ومعروف وصلاح.

فنزلت معهم فى ذلك المركب وسافرنا على بركة الله - تعالى - بعونه وتوفيقه وقد استبشرنا بالخير والسلامة، ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة ومن مدينة إلى مدينة وفى كل مكان مررنا عليه نتفرج ونبيع ونشترى ونحن فى غاية الفرح والسرور إلى أن كنا يومًا من الأيام سائرين فى وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وإذا بالرئيس وهو على جانب المركب ينظر إلى نواحى البحر. ثم إنه لطم على وجهه وطوى قلوع المركب ورمى مراسيه ونتف لحيته ومزق ثيابه وصاح صياحًا عظيمًا فقلنا له:

يا رئيس ما الخبر؟ فقال: اعلموا يا ركاب السلامة أن الريح غلبت علينا وقد عصفت بنا فى وسط البحر ورمتنا المقادير لسوء بختنا إلى جبل الزغب وهم قوم مثل القرود وما وصل

إلى هذا المكان أحد وسلم منه قط، وقد أحس قلبى بهلاكنا أجمعين.

فما استتم قول الرئيس حتى جاءنا القرود وقد أحاطوا بالمركب من كل جانب وهم شىء كثير مثل الجراد المنتشر فى المركب وعلى البر، فخفنا إن قتلنا منهم أحدًا أو ضربناه أو طردناه أن يقتلونا لفرط كثرتهم والكثرة تغلب الشجاعة، وبقينا خائفين منهم أن ينهبوا أرزاقنا ومتاعنا وهم أقبح الوحوش وعليهم شعور مثل اللبد الأسود ورؤيتهم تفزع ولا يفهم أحد لهم كلامًا ولا خبرًا وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم أربعة أشبار، وقد طلعوا على حبال المرساة وقطعوها بأسنانهم وقطعوا جميع حبال المركب من كل جانب فمال المركب من الريح ورسا على جبلهم وصار المركب فى برهم وقد قبضوا على جميع التجار والركاب وطلعوا إلى الجزيرة وأخذوا المركب بجميع ما كان فيه وراحوا به وتركونا فى الجزيرة وخفى عنا المركب ولا نعلم أين راحوا به.

فبينما نحن فى تلك الجزيرة نأكل من ثمارها وبقولها وفواكهها ونشرب من الأنهار التى فيها إذ لاح لنا بيت عامر فى وسط تلك الجزيرة فقصدناه ومشينا إليه فإذا هو قصر مشيد الأركان عالى الأسوار له باب بضرفتين مفتوح وهو من خشب الأبنوس، فدخلنا باب ذلك القصر فوجدنا له حضيرًا واسعًا مثل الحوش الواسع الكبير وفى دائره أبواب كثيرة عالية وفى صدره مصطبة عالية كبيرة وفيها أوانى طبيخ معلقة على الكوانين وحواليها عظام كثيرة ولم نر فيها أحدًا، فتعجبنا من ذلك غاية العجب، وقد جلسنا فى حضير ذلك القصر قليلاً، ثم بعد ذلك نمنا ولم نزل نائمين من ضحوة النهار إلى غروب الشمس.

وإذا بالأرض قد ارتجت من تحتنا وسمعنا دويًا من الجو وقد نزل علينا من أعلى القصر شخص عظيم الخلقة فى صفة إنسان وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة وله عينان كأنهما شعلتان من نار وله أنياب مثل أنياب الخنازير وله فم عظيم الخلقة مثل فم البئر وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره وله أذنان مثل الستارتين مرخيتان على أكتافه وأظافير يديه مثل مخالب السبع. فلما نظرناه على هذه الحالة غبنا عن وجودنا وقوى خوفنا واشتد فزعنا وصرنا مثل الموتى من شدة الخوف والفزع.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما نزل على الأرض جلس قليلاً على المصطبة ثم إنه قام وجاء عندنا ثم إنه قبض على يدى من بين أصحابى التجار ورفعنى بيده عن الأرض وجسنى وقلبنى فصرت فى يده مثل اللقمة الصغيرة وصار يجسنى مثل ما يجس الجزار ذبيحة الغنم فوجدنى ضعيفًا من كثرة القهر هزيلاً من كثرة التعب والسفر وليس فى شىء من اللحم، فأطلقنى من يده وأخذ واحدًا غيرى من رفقتى وقلبه كما قلبنى وجسه كما جسنى وأطلقه.

ولم يزل يجسنا ويقلبنا واحدًا بعد واحد إلى أن وصل إلى رئيس المركب الذى كنا فيه وكان رجلاً سمينًا غليظًا عريض الأكتاف صاحب قوة وشدة فأعجبه وقبض عليه مثل ما يقبض الجزار على ذبيحته ورماه على الأرض ووضع رجله على رقبته فقصف رقبته وجاء بسيخ طويل فأدخله فيه وأوقد نارًا شديدة وركب عليها ذلك السيخ الذى مشكوك فيه الرئيس

ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه وأطلعه من النار، ووضعه قدامه وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة وصار يقطع لحمه بأظافيره ويأكل منه.

ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ولم يبق منه شيئًا ورمى باقى العظام فى جنب القصر، ثم إنه جلس قليلاً وانطرح ونام على تلك المصطبة وصار يشخر مثل شخير الخروف أو البهيمة المذبوحة ولم يزل نائمًا إلى الصباح، ثم قام وخرج إلى حال سبيله، فلما تحققنا بعده تحدثنا مع بعضنا وبكينا على أرواحنا وقلنا: يا ليتنا غرقنا فى البحر أو أكلتنا القرود خير من شى الإنسان على الجمر، والله إن هذا الموت موت ردىء ولكن ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد متنا كمدًا ولم يدر بنا أحد وما بقى لنا نجاة من هذا المكان، ثم إننا قمنا وخرجنا إلى الجزيرة لننظر لنا مكانًا نختفى فيه أو نهرب وقد هان علينا أن نموت ولا يشوى لحمنا بالنار، فلم نجد لنا مكانًا نختفى فيه، وقد أدركنا المساء فعدنا إلى القصر من شدة خوفنا وجلسنا قليلاً وإذا بالأرض قد ارتجت من تحتنا وأقبل علينا ذلك الشخص الأسود وجاء عندنا وصار يقلبنا واحدًا بعد واحد مثل المرة الأولى ويجسنا حتى أعجبه واحد فقبض عليه وفعل به مثل ما فعل بالرئيس فى أول يوم فشواه وأكله ونام على تلك المصطبة، ولم يزل نائمًا فى تلك الليلة وهو يشخر مثل الذبيحة، فلما طلع النهار قام وراح إلى حال سبيله وتركنا على جرى عادته.

فلما ذهب اجتمعنا ببعضنا وتحدثنا وقلنا لبعضنا، والله أن نلقى أنفسنا فى البحر ونموت غرقًا خير من أن نموت حرقًا لأن هذه قتلة شنيعة، فقال واحد منا: اسمعوا كلامى إننا نحتال عليه ونقتله ونرتاح من همه ونريح المسلمين من عدوانه وظلمه، فقلت لهم: اسمعوا يا إخوانى إن كان ولا بد من قتله فإننا نحول هذا الخشب وننقل شيئًا من هذا الحطب ونعمل لنا فلكًا مثل المركب وبعد ذلك نحتال فى قتله وننزل فى الفلك ونروح فى البحر إلى أى محل يريده الله أو إننا نقعد فى هذا المكان حتى يمر علينا مركب فننزل فيه وإن لم نقدر على قتله ننزل ونروح فى البحر ولو كنا نغرق فنرتاح من شينا على النار وإن سلمنا سلمنا وإن غرقنا متنا شهداء، فقالوا جميعًا: والله هذا رأى سديد.

واتفقنا على هذا الأمر وشرعنا فى فعله فنقلنا الأخشاب إلى خارج القصر، وصنعنا فلكًا وربطناه على جانب البحر ونزلنا فيه شيئًا من الزاد وعدنا إلى القصر، فلما كان وقت المساء وإذا بالأرض قد ارتجت بنا ودخل علينا الأسود وهو كأنه الكلب العقور، ثم قلبنا وجسنا واحدًا بعد واحد فأخذ واحدًا منا وفعل به مثل ما فعل بسابقه وأكله ونام على المصطبة وصار شخيره مثل الرعد، فنهضنا وقمنا وأخذنا سيخين من حديد من الأسياخ المنصوبة ووضعناهما فى النار القوية حتى احمرا وصارا مثل الجمر وقبضنا عليهما قبضًا شديدًا وجئنا بهما إلى ذلك الأسود وهو نائم يشخر ووضعناهما فى عينيه واتكأنا عليهما جميعًا بقوتنا وعزمنا فأدخلناهما فى عينيه وهو نائم فانطمستا، وصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبنا منه. ثم قام من فوق تلك المصطبة بعزمه وصار يفتش علينا ونحن نهرب منه يمينًا وشمالاً ولم ينظرنا وقد عمى بصره، فخفنا منه مخافة شديدة وأيقنا فى تلك الساعة بالهلاك وأيسنا من النجاة، فعند ذلك قصد الباب وهو يحسس وخرج منه وهو يصيح ونحن فى غاية الرعب منه، وإذا بالأرض

ترتج من تحتنا من شدة صوته.

فلما خرج من القصر تبعناه وراح إلى حال سبيله وهو يدور علينا، ثم إنه رجع ومعه أنثى أكبر منه وأوحش خلقة، فلما رأيناه والتى معه أفظع حالة منه خفنا غاية الخوف، فلما رآيانا وأسرعا إلينا نهضنا جميعًا وفككنا الفلك الذى صنعناه ونزلنافيه ودفعناه فى البحر، فتبعانا ومع كل واحد منهما صخرة عظيمة وصار يرجماننا بها إلى أن مات أكثرنا من الرجم ويقى منا ثلاثة أشخاص أنا واثنان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فطلع بنا الفلك إلى جزيرة فمشينا إلى آخر النهار، فدخل علينا الليل ونحن على هذه الحالة فنمنا قليلاً واستيقظنا من منامنا وإذا بثعبان عظيم الخلقة كبير الجثة واسع الجوف قد أحاط بنا وقد قصد واحدًا منا فبلعه إلى أكتافه ثم بلع باقيه، فسمعنا أضلاعه تتكسر فى بطنه وراح إلى حال سبيله، فتعجبنا من ذلك غاية العجب وحزنا على رفيقنا وصرنا فى غاية الخوف على نفسنا وقلنا: والله هذا أمر عجيب كل موت أشنع من سابقه وكنا فرحنا بسلامتنا من الأسود فما تمت الفرحة لا حول ولا قوة إلا بالله، والله قد نجونا من الأسود ومن الغرق فكيف تكون نجاتنا من هذه الآفة المشؤومة؟

ثم إننا قمنا فمشينا فى الجزيرة وأكلنا من ثمرها وشربنا من أنهارها ولم نزل فيها إلى وقت المساء فوجدنا شجرة عظيمة عالية فطلعناها ونمنا فوقها وطلعت أنا إلى فروعها، فلما دخل الليل وأظلم الوقت جاء الثعبان وتلفت يمينًا وشمالاً ثم إنه قصد تلك الشجرة التى نحن عليها ومشى حتى وصل إلى رفيقى وبلعه إلى أكتافه والتف به على الشجرة فسمعت عظمه يتكسر فى بطنه ثم بلعه بتمامه وأنا أنظر بعينى، ثم إن الثعبان نزل من فوق تلك الشجرة، وراح إلى حال سبيله، ولم أزل على تلك الشجرة باقى تلك الليلة.

فلما طلع النهار وبان النور نزلت من فوق الشجرة وأنا مثل الميت من كثرة الخوف والفزع وأردت أن ألقى بنفسى فى البحر وأستريح من الدنيا فلم تهن علىّ روحى لأن الروح عزيزة فربطت خشبة عريضة على أقدامى بالعرض وربطت واحدة مثلها على جنبى الشمال ومثلها على جنبى اليمين ومثلها على بطنى وربطت واحدة طويلة عريضة من فوق رأسى بالعرض مثل التى تحت أقدامى وصرت أنا فى وسط هذا الخشب، وهو محتاط بى من كل جانب وقد شددت ذلك شدًا وثيقًا وألقيت نفسى بالجميع على الأرض فصرت نائمًا بين تلك الأخشاب وهى محيطة بى كالمقصورة. فلما أمسى الليل أقبل ذلك الثعبان على جرى عادته ونظر إلى وقصدنى فلم يقدر أن يبلعنى وأنا على تلك الحالة والأخشاب حولى من كل جانب، فدار الثعبان حولى ولم يستطع الوصول إلىّ وأنا أنظر بعينى وقد صرت كالميت من شدة الخوف والفزع وصار الثعبان يبعد عنى ويعود إلىّ ولم يزل على هذه الحالة وكلما أراد الوصول إلىّ ليبتلعنى تمنعه تلك الأخشاب المشدودة علىّ من كل جانب ولم يزل كذلك من غروب الشمس إلى أن طلع الفجر وبان النور وأشرقت الشمس فمضى الثعبان إلى حال سبيله وهو فى غاية ما يكون من القهر والغيظ.

فعند ذلك مددت يدى وفككت نفسى من تلك الأخشاب وأنا فى حكم الأموات من شدة ما قاسيت من ذلك الثعبان، ثم إنى قمت ومشيت فى الجزيرة حتى انتهيت إلى آخرها فلاحت منى التفاتة إلى ناحية البحر فرأيت مركبًا على بُعد فى وسط اللجة فأخذت فرعًا كبيرًا من شجرة ولوحت به إلى ناحيتهم وأنا أصيح عليهم، فلما رأونى قالوا: لا بد أننا ننظر ما يكون هذا لعله إنسان، ثم إنهم قربوا منى وسمعوا صياحى عليهم فجاؤوا إلى وأخذونى معهم فى المركب وسألونى عن حالى فأخبرتهم بجميع ما جرى لى من أوله إلى آخره، وما قاسيته من الشدائد، فتعجبوا من ذلك غاية العجب، ثم إنهم ألبسونى من عندهم ثيابًا، وبعد ذلك قدموا لى شيئًا من الزاد فأكلت حتى اكتفيت وسقونى ماء باردًا عذبًا فانتعش قلبى وارتاحت نفسى وحصل لى راحة عظيمة وأحيانى الله بعد موتى، فحمدت الله ـ تعالى ـ على نعمه الوافرة وشكرته. وقد قويت همتى، بعد ما كنت أيقنت بالهلاك حتى تخيل لى أن جميع ما أنا فيه منام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قال: ولم نزل سائرين وقد طابت لنا الريح بإذن الله ـ تعالى ـ إلى أن أشرفنا على جزيرة يقال لها جزيرة السلاهطة. فأوقف الرئيس المركب عليها فنزل جميع التجار والركاب وأطلعوا بضائعهم ليبيعوا ويشتروا، فالتفت إلىّ صاحب المركب وقال لى: اسمع كلامى أنت رجل غريب فقير وقد أخبرتنا أنك قاسيت أهوالاً كثيرة ومرادى أنفعك بشىء يعينك على الوصول إلى بلادك وتبقى تدعو لى. فقلت له: نعم، ولك منى الدعاء. فقال: اعلم أنه كان معنا رجل مسافر، فقدناه ولم نعلم هل هو بالحياة أم مات ولم نسمع عنه خبرًا، ومرادى أدفع لك حموله لتبيعها فى هذه الجزيرة وتحفظها ونعطيك شيئًا فى نظير تعبك وخدمتك وما بقى منها نأخذه إلى أن نعود إلى مدينة بغداد فنسأل عن أهله وندفع إليهم بقيتها وثمن ما بيع منها، فهل لك أن تتسلمها وتنزل بها هذه الجزيرة فتبيعها مثل التجار؟ قلت: سمعًا وطاعة لك يا سيدى، ولك الفضل والجميل، ودعوت له وشكرته على ذلك. فعند ذلك أمر الحمالين والبحرية بإخراج تلك البضائع إلى الجزيرة وأن يسلموها إلىّ فقال كاتب المركب: يا رئيس ما هذه الحمول التى أطلعها البحرية والحمالون وأكتبها باسم مَنْ مِن التجار؟ فقال: اكتب عليها اسم السندباد البحرى الذى كان معنا وغرق فى الجزيرة ولم يأتنا عنه خبر فنريد أن هذا الغريب يبيعها ويحمل ثمنها ونعطيه شيئًا منه نظير تعبه والباقى نحمله معنا حتى نرجع إلى مدينة بغداد فإن وجدناه أعطيناه إياه وإن لم نجده ندفعه إلى أهله فى مدينة بغداد، فقال الكاتب: كلامك مليح، ورأيك رجيح.

فلما سمعت كلام الرئيس وهو يذكر أن الحمول باسمى قلت فى نفسى: والله أنا السندباد البحرى وأنا غرقت فى الجزيرة مع جملة من غرق. ثم إنى تجلدت وصبرت إلى أن طلع التجار من المركب واجتمعوا يتحدثون ويتذاكرون فى أمور البيع والشراء فتقدمت إلى صاحب المركب وقلت له: يا سيدى هل تعرف كيف كان صاحب الحمول التى سلمتها إلىّ لأبيعها له؟ فقال لى: لا أعلم له حالاً ولكنه كان رجلاً من مدينة بغداد يقال له: السندباد البحرى، وقد أرسينا على جزيرة من الجزائر فغرق منا فيها خلق كثير وفقد هو بجملتهم ولم نعلم له خبرًا

نعلم له خبرًا إلى هذا الوقت. فعند ذلك صرخت صرخة عظيمة، وقلت له: يا رئيس السلامة اعلم أنى أنا السندباد البحرى لم أغرق ولكن لما أرسيت على الجزيرة وطلع التجار والركاب طلعت أنا مع جملة الناس ومعى شىء آكله بجانب الجزيرة، ثم إنى تلذذت فى الجلوس فى ذلك المكان فأخذتنى سنة من النوم فنمت وغرقت فى النوم، ثم إنى قمت فلم أجد المركب ولم أجد أحدًا عندى، وهذا المال مالى وهذه البضائع بضائعى وجميع التجار الذين يجلبون حجر الماس راونى وأنا فى جبل الماس ويشهدون لى بأنى أنا السندباد البحرى كما أخبرتهم بقصتى وجميع ما جرى معكم فى المركب وأخبرتهم بأنكم نسيتمونى فى الجزيرة نائمًا وقمت فلم أجد أحدًا وجرى لى ما جرى. فلما سمع التجار الركاب كلامى اجتمعوا علىّ فمنهم من صدقنى ومنهم من كذبنى بينما نحن كذلك وإذا بتاجر من التجار حين سمعنى أذكر وادى الماس نهض وتقدم عندى وقال لهم: اسمعوا يا جماعة كلامى، إنى لما كنت ذكرت لكم أعجب ما رأيت فى أسفارى لما ألقينا الذبائح فى وادى الماس، وألقيت ذبيحتى معهم على جرى عادتى طلع فى ذبيحتى رجل معلق بها ولم تصدقونى بل كذبتمونى. فقالوا: نعم حكيت لنا على هذا الأمر ولم نصدقك، فقال لهم التاجر: هذا الرجل الذى تعلق فى ذبيحتى وقد أعطانى شيئًا من حجر الماس الغالى الثمن الذى لا يوجد نظيره وعوضنى أكثر مما كان يطلع لى فى ذبيحتى وقد استصحبته معى إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وبعد ذلك توجه إلى بلده وودعنا ورجعنا إلى بلادنا، وهو هذا، وأعلمنا أن اسمه السندباد البحرى وقد أخبرنا بذهاب المركب وجلوسه فى هذه الجزيرة. واعلموا أن هذا الرجل ما جاءنا هنا إلا لتصدقوا كلامى مما قلته لكم، وهذه البضائع كلها رزقه فإنه أخبرنا بها فى وقت اجتماعه علينا، وقد ظهر صدقه فى قوله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الرئيس كلام ذلك التاجر قام على حيله وجاء عندى وحقق فىّ النظر ساعة وقال: ما علامة بضائعك؟ فقلت له: اعلم أن علامة بضائعى ما هو كذا وكذا. وقد أخبرته بأمر كان بينى وبينه لما نزلت معه المركب من البصرة، فتحقق أنى أنا السندباد البحرى، فعانقنى وسلم علىّ وهنانى بالسلامة وقال لى: والله يا سيدى إن قصتك عجيبة وأمرك غريب ولكن الحمد لله الذى جمع بيننا وبينك ورد بضائعك ومالك عليك. فعند ذلك تصرفت فى بضائعى بمعرفتى وربحت بضاعتى فى تلك السفرة شيئًا كثيرًا وفرحت بذلك فرحًا عظيمًا وهنات نفسى بالسلامة وعود مالى إلىّ، ولم نزل نبيع ونشترى فى الجزيرة، إلى أن وصلنا إلى بلاد السند وقد بعنا فيها واشترينا، ورأيت فى ذلك البحر شيئًا كثيرًا من العجائب لا يعد ولا يحصى ومن جملة ما رأيت فى ذلك البحر سمكة على صفة البقر وشيئًا على صفة الحمير ورأيت طيرًا يخرج من صدف البحر، ويبيض ويفرخ على وجه الماء، ولا يطلع من البحر على وجه الأرض أبدًا، وبعد ذلك لم نزل مسافرين بإذن الله - تعالى - وقد طابت لنا الريح والسفر إلى أن وصلنا إلى البصرة، وقد أقمت بها أيامًا قلائل. وبعد ذلك جئت إلى مدينة بغداد فتوجهت إلى حارتى ودخلت بيتى وسلمت على أهلى وأصحابى وأصدقائى، وقد فرحت بسلامتى وعودى إلى بلادى وأهلى ومدينتى ودیارى وتصدقت ووهبت وكسوت الأرامل

والأيتام وجمعت أصحابى وأحبابى، ولم أزل على هذه الحالة فى أكل وشرب ولهو وطرب وأنا آكل طيبًا وأشرب طيبًا وأعاشر وأخالط وقد نسيت جميع ما كان جرى لى وما قاسيت من الشدائد والأهوال وكسبت شيئًا فى هذه السفرة لا يعد ولا يحصى وهذا أعجب ما رأيته فى هذه السفرة، وفى غد إن شاء الله تجيء إلىّ وأحكى لك حكاية السفرة الرابعة فإنها أعجب من هذه السفرات.

ثم إن السندباد البحرى أمر بأن يدفعوا إليه مائة مثقال من الذهب على جرى عادته، وأمر بمد السماط فمدوه وتعشى الجماعة وهم يتعجبون من تلك الحكاية وما جرى فيها، ثم إنهم بعد العشاء انصرفوا إلى حال سبيلهم، وقد أخذ السندباد الحمال ما أمر له به من الذهب وانصرف إلى حال سبيله وهو متعجب مما سمعه من السندباد البحرى وبات فى بيته ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام السندباد الحمال وصلى الصبح وتمشى إلى السندباد البحرى، وقد دخل إليه وسلم عليه وتلقاه بالفرح والانشراح وأجلسه عنده إلى أن حضر بقية أصحابه، وقد قدموا الطعام فأكلوا وشربوا فبدأهم بالكلام:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية السفرة الرابعة

قالت شهر زاد: قال السندباد البحرى: اعلموا يا إخوانى أنى لما عدت إلى مدينة بغداد واجتمعت على أصحابى وأهلى وأحبابى وصرت فى أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة وقد نسيت ما كنت فيه لكثرة الفوائد وغرقت فى اللهو والطرب ومجالسة الأحباب والأصحاب وأنا فى ألذ ما يكون من العيش فحدثتنى نفسى الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس، وقد اشتقت إلى مصاحبة الأجناس والبيع والمكاسب، فهممت فى ذلك الأمر واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت حمولاً كثيرة زيادة عن العادة وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ونزلت حمولى فى مركب واصطحبت بجماعة من أكابرالبصرة وسار بنا المركب على بركة الله - تعالى - فى البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وطاب لنا السفر. ولم نزل على هذه الحالة مدة ليال وأيام من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر إلى أن خرجت علينا ريح مختلفة يومًا من الأيام، فرمى الرئيس مراسى المركب وأوقفها فى وسط البحر خوفًا عليها من الغرق فى وسط الأمواج، فبينما نحن على هذه الحالة ندعوا ونتضرع إلى الله - تعالى - إذ خرج علينا ريح عاصف شديد مزق القلع وقطعه قطعًا قطعًا وغرق الناس وجميع حمولهم وما معهم من المتاع والأموال، وغرقت أنا بجملة من غرق وعمت فى البحر نصف نهار وقد تخليت عن نفسى فيسر الله لى قطعة من لوح خشب من ألواح المركب فركبتها أنا وجماعة من التجار، واجتمعنا على بعضنا ولم نزل راكبين على ذلك اللوح ونرفس بأرجلنا فى البحر، فمكثنا على هذه الحالة يومًا وليلة.

فلما كان ثانى يوم ضحوة نهار ثارت علينا ريح وهاج البحر وقوى الموج والريح، فرمانا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى من شدة السهر، والتعب والبرد والجوع والخوف والعطش، وقد مشينا فى جوانب تلك الجزيرة فوجدنا فيها نباتًا كثيرًا فأكلنا منه شيئًا يسد رمقنا

وبقيتنا، وبتنا تلك الليلة على جانب الجزيرة. فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قمنا ومشينا فى الجزيرة يمينًا وشمالاً فلاح لنا عمارة على بعد فسرنا إلى تلك العمارة التى رأيناها من بعد ولم نزل سائرين إلى أن وقفنا على بابها. فبينما نحن واقفون هناك إذ خرج علينا من ذلك الباب جماعة عراة ولم يكلمونا وقد قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم فأمرنا بالجلوس فجلسنا، وقد أحضروا لنا طعامًا لم نعرفه ولا فى عمرنا رأينا مثله، فلم تقبله نفسى ولم آكل منه شيئًا دون رفقتى وكان قلة أكلى منه لطفًا من الله - تعالى - حتى عشت إلى الآن، فلما أكل أصحابى من ذلك الطعام ذهلت عقولهم وصاروا يأكلون مثل المجانين وتغيرت أحوالهم، وبعد ذلك أحضروا لهم دهن النارجيل فسقوهم منه ودهنوهم منه، فلما شرب أصحابى من ذلك الدهن زاغت أعينهم فى وجوههم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد، فعند ذلك احترت فى أمرهم وصرت أتأسف عليهم وقد صار عندى هم عظيم من شدة الخوف على نفسى من هؤلاء العراة. وقد تأملتهم فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول وكل من وصل إلى بلادهم أو رأوه أو صادفوه فى الوادى والطرقات يجيئون به إلى ملكهم ويطعمونه من ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتسع جوفه لأجل أن يأكل كثيرًا ويذهل عقله وتنطمس فكرته ويصير مثل الأبله فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن فيذبحونه ويطعمونه لملكهم، وأما أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شى ولا طبخ.

فلما نظرت منهم ذلك الأمر صرت فى غاية الكرب على نفسى وعلى أصحابى، قد صار أصحابى من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم وقد سلموهم إلى شخص فصار يأخذهم كل يوم ويخرج يرعاهم فى تلك الجزيرة مثل البهائم، وأما أنا فقد صرت من شدة الخوف والجوع ضعيفًا سقيم الجسم وصار لحمى يابسًا على عظمى، فلما رأونى على هذه الحالة تركونى ونسونى ولم يتذكرنى منهم أحد ولا خطرت لهم على بال إلى أن تحيلت يومًا من الأيام وخرجت من ذلك المكان ومشيت فى الجزيرة وبعدت عن ذلك المكان فرأيت رجلاً راعيًا جالسًا على شىء مرتفع فى وسط البحر، فتحققته، فإذا هو الرجل الذى سلموا إليه أصحابى ليرعاهم ومعه شىء كثير مثلهم.

فلما نظرنى ذلك الرجل علم أنى مالك عقلى ولم يصبنى شىء مما أصاب أصحابى فأشار إلى من بعيد وقال لى: ارجع إلى خلفك وامش فى الطريق الذى على يمينك تسلك إلى الطريق السلطانية. فرجعت إلى خلفى كما أشار لى هذا الرجل فنظرت إلى الطريق على يمينى فسرت فيها ولم أزل سائرًا وأنا ساعة أجرى من الخوف وساعة أمشى على مهلى حتى أخذت راحتى ولم أزل على هذه الحالة حتى خفيت عن عيون الرجل الذى دلنى على الطريق وصرت لا أنظره ولا ينظرنى، وغابت الشمس عنى وأقبل الظلام فجلست لأستريح وأردت النوم فلم يأتنى فى تلك الليلة نوم من شدة الخوف والجوع والتعب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما انتصف الليل قمت ومشيت فى الجزيرة، ولم أزل سائرًا حتى طلع النهار وأصبح الصباح، وأضاء بنوره ولاح، وطلعت الشمس على رءوس الروابى والبطاح، وقد

تعبت وجعت وعطشت فصرت آكل من الحشيش والنبات الذى فى الجزيرة، ولم أزل آكل من ذلك النبات حتى شبعت وانسد رمقى، وبعد ذلك قمت ومشيت فى الجزيرة ولم أزل على هذه الحالة طول النهار والليل وكل ما أجوع آكل من النبات، ولم أزل على هذه الحالة مدة سبعة أيام بلياليها، فلما كانت صبيحة اليوم الثامن لاحت منى نظرة فرأيت شبحًا من بعيد فسرت إليه ولم أزل سائرًا إلى أن حصلته بعد غروب الشمس، فتحققت النظر فيه وأنا بعيد عنه وقلبى خائف من الذى قاسيته أولاً وثانيًا وإذا هم جماعة يجمعون حب الفلفل. فلما قربت منهم ونظرونى تسارعوا إلىّ وجاؤوا عندى وقد أحاطوا بى من كل جانب وقالوا لى: من أنت ومن أين أقبلت؟ فقلت لهم: اعلموا يا جماعة أنى رجل مسكين وأخبرتهم بجميع ما كان من أمرى وما جرى لى من الأهوال والشدائد وما قاسيته فقالوا: والله هذا أمر عجيب ولكن كيف خلاصك من السودان وكيف مرورك عليهم فى هذه الجزيرة وهم خلق كثيرون ويأكلون الناس ولا يسلم منهم أحد ولا يقدر أن يجوز عليهم أحد فأخبرتهم بما جرى لى معهم وكيف أخذوا أصحابى وأطعموهم الطعام ولم آكل منه، فهنأونى بالسلامة وصاروا يتعجبون مما جرى لى.

ثم أجلسونى عندهم حتى فرغوا من شغلهم وأتونى بشىء من الطعام المليح فأكلت منه وكنت جائعًا وارتحت عندهم ساعة من الزمان، وبعد ذلك أخذونى ونزلوا بى فى مركب وجاؤوا إلى جزيرتهم ومساكنهم وقد عرضونى على ملكهم فسلمت عليه ورحب بى وأكرمنى وسألنى عن حالى فأخبرته بما كان من أمرى وما جرى لى وما اتفق لى من يوم خروجى من مدينة بغداد إلى حين وصلت إليه، فتعجب ملكهم من قصتى وما اتفق لى غاية العجب هو ومن كان حاضرًا فى مجلسه، ثم إنه أمرنى بالجلوس عنده فجلست وأمر بإحضار الطعام فأحضروه فأكلت منه على قدر كفايتى وغسلت يدى وشكرت فضل الله - تعالى - وحمدته وأثنيت عليه، ثم إنى قمت من عند ملكهم وتفرجت فى مدينته فإذا هى عامرة كثيرة الأهل والمال كثيرة الطعام والأسواق والبضائع والبائعين والمشترين، ففرحت بوصولى، إلى تلك المدينة وارتاح خاطرى واستأنست بأهلها وصرت عندهم وعند ملكهم معززًا مكرمًا زيادة على أهل مملكته من عظماء مدينته ورأيت جميع أكابرها وأصاغرها يركبون الخيول الجياد الملاح من غير سروج فتعجبت من ذلك.

ثم إنى قلت للملك: لأى شىء يا مولاى لم تركب على سرج لأن فيه راحة للراكب وزيادة قوة؟ فقال لى: كيف يكون السرج هذا شىء عمرنا ما رأيناه ولا ركبنا عليه؟ فقلت له: هل لك أن تأذن لى أن أصنع لك سرجًا تركب عليه وتنظر حظه؟ فقال لى:افعل، فقلت له: أحضر لى شيئًا من الخشب، فأمر لى بإحضار جميع ما طلبته، فعند ذلك طلبت نجارًا حاذقًا وجلست عنده وعلمته صنعة السرج وكيف يعمله، ثم إنى أخذت صوفًا ونفشته وصنعت به لبدًا وأحضرت جلدًا وألبسته للسرج وصقلته، ثم إنى ركبت سيوره وشددت شريحته، وبعد ذلك أحضرت الحداد ووصفت له كيفية الركاب فدق ركابًا عظيمًا وبردته وبيضته بالقزدير، ثم إنى شددت له أهدابًا من الحرير وبعد ذلك قمت وجئت بحصان من خيار خيول الملك وشددت عليه ذلك السرج وعلقت فيه الركاب وألجمته بلجام وقدمته إلى الملك، فأعجبه ولاق بخاطره وشكرنى وركب فيه، وقد حصل له فرح شديد بذلك السرج وأعطانى شيئًا كثيرًا فى نظير عملى له.

فلما نظرنى وزيره عملت ذلك السرج طلب منى واحدًا مثله فعملت له سرجًا مثله وقد

صار أكابر الدولة وأصحاب المناصب يطلبون منى السروج فأفعل لهم وعلمت النجار صنعة السرج والحداد صنعة الركاب وصرنا نعمل السروج والركابات ونبيعها للأكابر والمخاديم، وقد جمعت من ذلك مالاً كثيرًا وصار لى عندهم مقام كبير وأحبونى محبة زائدة وبقيت صاحب منزلة عالية عند الملك وجماعته وعند أكابر البلد وأرباب الدولة إلى أن جلست يومًا من الأيام عند الملك وأنا فى غاية السرور والعز.

فبينما أنا جالس إذ قال لى الملك: اعلم يا هذا أنك صرت معززًا مكرمًا عندنا وواحدًا منا ولا نقدر على مفارقتك ولا نستطيع خروجك من مدينتنا ومقصودى منك شىء تطيعنى فيه ولا ترد قولى. فقلت له: وما الذى تريد منى أيها الملك فإنى لا أرد قولك لأنه صار لك فضل وجميل وإحسان علىّ والحمد لله أنا صرت من بعض خدامك؟ فقال: أريد أن أزوجك عندنا بزوجة حسنة مليحة ظريفة صاحبة مال وجمال وتصير مستوطنًا عندنا وأسكنك عندى وفى قصرى، فلا تخالفنى ولا ترد كلمتى. فلما سمعت كلام الملك استحييت منه وسكت ولم أرد عليه جوابًا من كثرة الحياء منه، فقال لى: لم لا ترد على يا ولدى؟ فقلت له: يا سيدى الأمر أمرك يا ملك الزمان، فأرسل من وقته وساعته وأحضر القاضى والشهود وزوجنى فى ذلك الوقت بامرأة شريفة القدر عالية النسب كثيرة المال والنوال عظيمة الأصل بديعة الحسن والجمال صاحبة أماكن وأملاك وعقارات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال السندباد ثم إنه أعطانى بيتًا عظيمًا مليحًا بمفرده وأعطانى خدمًا وحشمًا ورتب لى جرايات وجوامك وصرت فى غاية الراحة والبسط والانشراح ونسيت جميع ما حصل لى من التعب والمشقة والشدة، وقلت فى نفسى: إذا سافرت إلى بلادى آخذها معى وكل مقدر على الإنسان لا بد منه ولم يعلم أحد بما يجرى له، وقد أحببتها وأحبتنى محبة عظيمة ووقع الوفاق بينى وبينها، وقد أقمنا فى ألذ عيش وأرغد مورد، ولم نزل على هذه الحالة مدة من الزمان فأفقد الله - تعالى - زوجة جارى وكان صاحبًا لى، فدخلت إليه لأعزيه فى زوجته فرأيته فى أسوأ حال وهو مهموم تعبان السر والخاطر، فعند ذلك عزيته وسليته وقلت له: لا تحزن على زوجتك الله - تعالى - يعوضك خيرًا بأحسن منها ويكون عمرك طويلاً إن شاء الله - تعالى -. فبكى بكاء شديدًا وقال لى: يا صاحبى كيف أتزوج بغيرها أو كيف يعوضنى الله خيرًا منها وأنا بقى من عمرى يوم واحد؟ فقلت له: يا أخى ارجع لعقلك ولا تبشر على روحك بالموت فإنك طيب بخير وعافية، فقال: يا صاحبى وحياتك فى غد تعدمنى وما بقيت عمرك تنظرنى، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال لى: فى هذا النهار يدفنون زوجتى ويدفنوننى معها فى القبر فإنها عادتنا فى بلادنا إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة حتى لا يتلذذ أحد منهما بالحياة بعد رفيقه فقلت له: بالله إن هذه العادة رديئة جدًا وما يقدر عليها أحد.

فبينما نحن فى ذلك الحديث وإذا بغالب أهل المدينة قد حضروا وصاروا يعزون صاحبى فى زوجته وفى نفسه وقد شرعوا فى تجهيزها على جرى عادتهم فأحضروا تابوتًا

وحملوا فيه المرأة وذلك الرجل معهم وخرجوا بهما إلى خارج المدينة وأتوا إلى مكان فى جانب الجبل على البحر وتقدموا إلى المكان ورفعوا عنه حجرًا كبيرًا فبان من تحت ذلك الحجر خرزة من حجر مثل خرزة البئر، فرموا تلك المرأة فيها وإذا هو جب كبير تحت الجبل ثم إنهم جاؤوا بذلك الرجل، وربطوه تحت صدره فى سلبة وأنزلوه فى ذلك الجب وأنزلوا عنده كوز ماء عذب كبير وسبعة أرغفة من الزاد، ولما نزلوه فك نفسه من السلبة، فسحبوا السلبة وغطوا فم البئر بذلك الحجر الكبير مثل ما كان وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتركوا صاحبى عند زوجته فى الجب، فقلت فى نفسى: والله إن هذا الموت أصعب من الموت الأول. ثم إنى جئت عند ملكهم وقلت له: يا سيدى كيف تدفنون الحى مع الميت فى بلادكم؟ فقال لى: اعلم أن هذه عادتنا فى بلادنا إذا مات الرجل ندفن معه زوجته وإذا ماتت المرأة ندفن معها زوجها بالحياة حتى لا نفرق بينهما فى الحياة ولا فى الممات وهذه العادة عن أجدادنا، فقلت: يا ملك الزمان وكذلك الرجل الغريب مثلى إذا ماتت زوجته عندكم تفعلون به ما فعلتم بهذا؟ فقال لى: نعم، ندفنه معها ونفعل به كما رأيت. فلما سمعت ذلك الكلام منه انشقت مرارتى من شدة الغم والحزن على نفسى وذهل عقلى وصرت خائفًا أن تموت زوجتى فيدفنوننى معها وأنا بالحياة، ثم إنى سليت نفسى وقلت: لعلى أموت قبلها ولم يعلم أحد السابق من اللاحق وصرت أتلاهى فى بعض الأمور.

فما مضت مدة يسيرة بعد ذلك حتى مرضت زوجتى وقد مكثت أيامًا قلائل وماتت فاجتمع غالب الناس يعزوننى ويعزون أهلها فيها، وقد جاءنى الملك يعزينى فيها على جرى عادتهم، ثم إنهم جاؤوا لها بغاسلة فغسلوها وألبسوها أفخر ما عندها من الثياب والمصاغ والقلائد والجواهر من المعادن، فلما ألبسوا زوجتى ووضعوها فى التابوت وحملوها وراحوا بها إلى ذلك الجبل ورفعوا الحجر عن فم الجب وألقوها فيه تقدم جميع أصحابى وأهل زوجتى يودعوننى فى روحى وأنا أصيح بينهم: أنا رجل غريب وليس لى صبر على عادتكم وهم لا يسمعون قولى ولا يلتفتون إلى كلامى.

ثم إنهم أمسكونى وربطونى بالغصب وربطوا معى سبعة أقراص من الخبز وكوز ماء عذب على جرى عادتهم وأنزلونى فى تلك البئر فإذا هى مغارة كبيرة تحت ذلك الجبل وقالوا لى: فك نفسك من الحبال فلم أرض أفك نفسى فرموا على الحبال ثم غطوا فم تلك البئر بذلك الحجر الكبير الذى كان عليها وراحوا إلى حال سبيلهم.

وأما أنا فإنى رأيت فى تلك المغارة أمواتًا كثيرة ورائحتها منتنة كريهة، فلمت نفسى على ما فعلته وقلت: والله إنى أستحق جميع ما يجرى لى وما يقع لى. ثم إنى صرت لا أعرف الليل من النهار، وصرت أتقوت باليسير ولا آكل حتى يكاد أن يقطعنى الجوع ولا أشرب حتى يشتد بى العطش وأنا خائف أن يفرغ ما عندى من الزاد والماء، وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم أى شيء بلانى بالزواج فى هذه المدينة وكلما أقول خرجت من مصيبة أقع فى مصيبة أقوى منها والله إن موتى هذا موت مشؤوم يا ليتنى غرقت فى البحر أو مت فى الجبال كان أحسن لى من هذا الموت الردىء.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: قال السندباد: ولم أزل على هذه الحالة ألوم نفسي ونمت على عظام الأموات، واستعنت بالله - تعالى - وصرت أتمنى الموت فلم أجده من شدة ما أنا فيه، ولم أزل على هذه الحالة حتى أحرق قلبي الجوع وألهبني العطش فقعدت وحسست على الخبز وأكلت منه شيئًا قليلاً وتجرعت عليه شيئًا قليلاً من الماء، ثم إني قمت على حيلي وصرت أمشي في جوانب تلك المغارة فرأيتها متسعة الجوانب خالية البطون ولكن في أرضها أموات كثيرة وعظام رميمة من قديم الزمان، فعند ذلك عملت لي مكانًا في جانب المغارة بعيدًا عن الموتى الطريين وصرت أنام فيه، وقد قل زادي ولم يبق معي إلا شيء يسير وقد كنت آكل في كل يوم أو أكثر أكلة وأشرب شربة خوفًا من فراغ الماء والزاد من عندي قبل موتي.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يومًا من الأيام فبينما أنا جالس متفكر في نفسي كيف أفعل إذا فرغ زادي والماء من عندي وإذا بالصخرة قد تزحزحت عن مكانها ونزل منها النور عندي، فقلت: يا ترى ما الخبر؟ وإذا بالقوم واقفون على رأس البئر وقد نزلوا رجلاً ميتًا وامرأة معه، بالحياة وهي تبكي وتصيح على نفسها، وقد نزلوا عندها شيئًا كثيرًا من الزاد والماء، فصرت أنظر المرأة وهي لم تنظرني وقد غطوا فم البئر بالحجر وانصرفوا إلى حال سبيلهم، فقمت أنا وأخذت في يدي قصبة رجل ميت وجئت إلى المرأة وضربتها في وسط رأسها فوقعت على الأرض مغشيًا عليها، فضربتها ثانيًا وثالثًا فماتت وأخذت خبزها وما معها ورأيت عليها شيئًا كثيرًا من الحلي والحلل والقلائد والجواهر والمعادن، ثم إني أخذت الماء والزاد الذي مع المرأة وقعدت في الموضع الذي كنت عملته في جانب المغارة لأنام فيه، وصرت آكل من ذلك الزاد شيئًا قليلاً على قدر ما يقوتني حتى لا يفرغ بسرعة فأموت من الجوع والعطش.

وأقمت في تلك المغارة مدة من الزمان وأنا كل من دفنوه أقتل من دفن معه بالحياة وآخذ أكله وشربه وأتقوت به، إلى أن كنت نائمًا يومًا من الأيام فاستيقظت من منامي وسمعت شيئًا يتحرك في جانب المغارة فقلت: ما يكون هذا؟ ثم إني قمت ومشيت نحوه ومعي قصبة رجل ميت، فلما أحس بي فر وهرب مني، فإذا هو وحش فتبعته إلى صدر المغارة فبان لي نور من مكان صغير مثل النجمة تارة يبان لي وتارة يخفى عني، فلما نظرته قصدت نحوه وبقيت كلما أتقرب منه يظهر لي نور منه ويتسع، فعند ذلك تحققت أنه خرق في تلك المغارة ينفذ للخلاء، فقلت في نفسي: لا بد أن يكون لهذا المكان حركة إما أن فمًا ثانيًا مثل الذي أنزلوني منه وإما أن يكون تخريق من هذا المكان.

ثم إني تفكرت في نفسي ساعة من الزمان ومشيت إلى ناحية النور وإذا به نقب في ظهر ذلك الجبل نقبته الوحوش وصارت تدخل منه إلى هذا المكان وتأكل الموتى حتى تشبع وتطلع من ذلك النقب فلما رأيته هدأت روحي واطمأنت نفسي وارتاح قلبي وأيقنت بالحياة بعد الممات وصرت كأني في المنام، ثم إني عالجت حتى طلعت من ذلك النقب فرأيت نفسي على جانب البحر المالح فوق جبل عظيم وهو قاطع بين البحرين وبين الجزيرة والمدينة ولا

يستطيع أحد الوصول إليه، فحمدت الله - تعالى - وشكرته وفرحت فرحًا عظيمًا وقوى قلبى ثم إنى بعد ذلك رجعت من النقب إلى تلك المغارة ونقلت جميع ما فيها من الزاد والماء الذى كنت وفرته. وبعد ذلك أخذت من ثياب الأموات ولبست شيئًا منها غير الذى كان على وأخذت مما عليهم شيئًا كثيرًا من أنواع العقود والجواهر وقلائد اللؤلؤ والمصاغ من الفضة والذهب المرصع بأنواع المعادن والتحف وربطت فى ثيابى ثياب الموتى وطلعتها من النقب إلى ظهر الجبل ووقفت على جانب البحر، وبقيت فى كل يوم أنزل المغارة وأطلع عليها وكل من دفنوه آخذ زاده وماءه وأقتله سواء كان ذكرًا أو أنثى وأطلع من ذلك النقب فأجلس على جانب البحر لأنتظر الفرج من الله - تعالى - بمركب يجوز علىّ، وصرت أنقل من تلك المغارة كل شيء رأيته من المصاغ وأربطه فى ثياب الموتى، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان.

فبينما أنا جالس يومًا من الأيام على جانب البحر وأنا متفكر فى أمرى وإذا بمركب جائز فى وسط البحر العجاج، المتلاطم بالأمواج. فأخذت فى يدى ثوبًا أبيض من ثياب الموتى وربطته فى عكاز وجريت به على شاطئ البحر وصرت أشير إليهم بذلك الثوب حتى لاحت منهم التفاتة فرأونى وأنا فى رأس الجبل فجاؤوا إلىّ وسمعوا صوتى وأرسلوا إلىّ زورقًا من عندهم وفيه جماعة من المركب، فلما قربوا منى قالوا لى: من أنت وما سبب جلوسك فى هذا المكان وكيف وصلت إلى هذا الجبل وما فى عمرنا رأينا أحدًا جاء إليه؟ فقلت لهم: إنى رجل تاجر غرق المركب الذى كنت فيه فطلعت على لوح ومعى حوائجى وقد سهل الله - تعالى - على بالطلوع إلى هذا المكان وحوائجى معى باجتهادى وفطنتى بعد تعب شديد. فأخذونى معهم في الزورق وحملوا جميع ما كنت أخذته من المغارة وساروا بى إلى أن أطلعونى فى المركب عند الرئيس ومعى جميع حوائجى.

فقال لى الرئيس: يا رجل كيف وصلت إلى هذا المكان وهو جبل عظيم ووراءه مدينة عظيمة، وأنا عمرى أسافر فى هذا البحر وأجوز على هذا الجبل فلم أر أحدًا فيه، غير الوحوش والطيور؟ فقلت له: إنى رجل تاجر كنت فى مركب كبير وقد انكسر وغرق جميع أسبابى من هذا القماش والثياب، كما تراها فوضعتها على لوح كبير من ألواح المركب فساعدتنى القدرة والنصيب حتى طلعت على هذا الجبل، وقد صرت أنتظر أحدًا يجوز فيأخذنى معه، ولم أخبرهم بما جرى لى فى المدينة ولا فى المغارة خوفًا من أن يكون معهم أحد فى المركب من تلك المدينة، ثم إنى أخرجت لصاحب المركب كثيرًا من مالى وقلت له: يا سيدى أنت سبب نجاتى من هذا الجبل فخذ هذا منى نظير جميلك الذى فعلته معى، فلم يقبله منى وقال لى: نحن لا نأخذ من أحد شيئًا وإذا رأينا غريقًا على جانب البحر أو فى الجزيرة نحمله معنا ونطعمه، ونسقيه، وإن كان عريانًا نكسوه ولما نصل إلى بر السلامة نعطيه شيئًا من عندنا هدية ونعمل معه المعروف والجميل لوجه الله - تعالى - فعند ذلك دعوت له بطول العمر.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: وقال السندباد ولم نزل مسافرين حتى من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وأنا أرجو النجاة، وصرت فرحان بسلامتى وكلما أتفكر فى قعودى فى المغارة مع زوجتى يغيب عقلى، وقد وصلنا بقدرة الله - تعالى - مع السلامة إلى مدينة البصرة فطلعت إليها وأقمت فيها أيامًا قلائل وبعدها جئت إلى مدينة بغداد فجئت إلى حارتى ودخلت دارى وقابلت أهلى، وأصحابى وسألت عنهم ففرحوا بسلامتى وهنأونى، وقد خزنت جميع ما كان معى من الأمتعة فى حواصلى وتصدقت ووهبت وكسوت الأيتام والأرامل وصرت فى غاية البسط والسرور. وقد عدت لما كنت عليه من المعاشرة والمرافقة ومصاحبة الإخوان واللهو الطرب وهذا أعجب ما صار لى فى السفرة الرابعة، ولكن يا أخى تعش عندى وخذ عادتك وفى غد تجىء عندى فأخبرك بما كان لى وما جرى لى فى السفرة الخامسة فإنها أعجب وأغرب مما سبق، ثم أمر له بمائة مثقال ذهبًا ومد السماط وتعشى الجماعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم وهم متعجبون غاية العجب وكل حكاية أعظم من التى قبلها وقد راح السندباد الحمال إلى منزله وبات فى غاية البسط والانشراح وهو متعجب.

ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، قام السندباد البرى وصلى الصبح وتمشى إلى أن دخل دار السندباد البحرى وصبح عليه، فرحب به وأمره بالجلوس عنده حتى جاء بقية أصحابه فأكلوا وشربوا ودارت بينهم المحادثة فابتدأ السندباد البحرى وقال:

حكاية السفرة الخامسة

اعلموا يا إخوانى أنى لما رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت فى اللهو والطرب والانشراح ونسيت جميع ما كنت لقيته وما جرى لى وما قاسيته من شدة فرحى بالمكسب والربح والفوائد فحدثتنى نفسى فى السفر والتفرج فى بلاد الناس وفى الجزائر، فقمت وهممت فى ذلك واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت الحمول وسرت من مدينة بغداد وتوجهت إلى مدينة البصرة ومشيت على جانب الساحل فرأيت سفينة كبيرة عالية فأعجبتنى فاشتريتها وكانت عدتها جديدة واكتريت لها رئيسًا وبحرية ونظرت عليها عبيدى وغلمانى وأنزلت فيها حمولى، وجاءنى جماعة من التجار فنزلوا حمولهم فيها ودفعوا إلىّ الأجرة وسرنا ونحن فى غاية الفرح والسرور وقد استبشرنا بالسلامة والمكسب.

ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة، ومن بحر إلى بحر ونحن نتفرج فى الجزائر والبلدان ونطلع إليها ونبيع فيها ونشترى، ولم نزل على هذه الحالة إلى أن وصلنا يومًا من الأيام إلى جزيرة كبيرة خالية من السكان وليس فيها أحد وهى خراب قفراء وفيها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم، فطلعنا نتفرج عليها وإذا هى بيضة رخ كبيرة. فلما طلع التجار إليها وتفرجوا عليها ولم يعلموا أنها بيضة رخ ضربوها بالحجارة فكسرت ونزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ فسحبوه منها وأطلعوه من تلك البيضة وذبحوه وأخذوا منه لحمًا كثيرًا وأنا فى المركب ولم يطلعونى على ما فعلوه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فعند ذلك قال لى واحد من الركاب: يا سيدى قم تفرج على هذه البيضة التى نحسبها قبة فقمت لأتفرج عليها فوجدت التجار يضربون البيضة، فصحت عليهم: لا تفعلوا هذا الفعل فيطلع طير الرخ ويكسر مركبنا ويهلكنا، فلم يسمعوا كلامى. فبينما هم على هذه الحالة وإذا بالشمس قد غابت عنا والنهار أظلم وصار فوقنا غمامة أظلم الجو منها، فرفعنا رءوسنا ننظر ما الذى حال بيننا وبين الشمس فرأينا أجنحة الرخ هى التى حجبت عنا ضوء الشمس حتى أظلم الجو، وذلك لما جاء الرخ ورأى بيضته انكسرت صاح علينا فجاءت رفيقته وصارا حائمين على المركب يصرخان علينا بصوت أشد من الرعد، فصحت أنا على الرئيس والبحرية وقلت لهم: ادفعوا المركب واطلبوا السلامة قبل ما نهلك. فأسرع الرئيس وطلع التجار وحل المركب وسرنا من تلك الجزيرة.

فلما رآنا الرخ سرنا فى البحر غاب عنا ساعة من الزمان وقد سرنا وأسرعنا فى السير بالمركب نريد الخلاص منهما والخروج من أرضهما، وإذا بهما قد تبعانا وأقبلا علينا وفى رجلى كل واحد منهما صخرة عظيمة من الجبل فألقى الصخرة التى كانت معه علينا فجذب الرئيس المركب وقد أخطأه نزول الصخرة بشىء قليل فنزلت فى البحر تحت المركب، فقام بنا المركب وقعد من عظم وقوعها فى البحر وقد رأينا قرار البحر من شدة عزمها، ثم إن رفيقة الرخ ألقت علينا الصخرة التى معها وهى أصغر من الأولى، فنزلت بالأمر المقدر على مؤخر المركب فكسرته وطيرت الدفة عشرين قطعة وقد غرق جميع ما كان فى المركب فى البحر، فصرت أحاول النجاة لحلاوة الروح. فقدر الله - تعالى - لى لوحًا من ألواح المركب فتشبثت به وركبته ورحت أقذف عليه برجلى والريح والموج يساعدانى على السير وكان المركب غرق بالقرب من جزيرة فى وسط البحر فرمتنى المقادير بإذن الله - تعالى - إلى تلك الجزيرة فطلعت عليها وأنا على آخر نفس وفى حالة الموتى من شدة ما قاسيته من التعب والمشقة والجوع والعطش، ثم إنى انطرحت على شاطئ البحر ساعة من الزمان حتى ارتاحت نفسى واطمأن قلبى، ثم مشيت فى تلك الجزيرة فرأيتها كأنها روضة من رياض الجنة أشجارها يانعة وأنهارها دافقة، وطيورها مغردة تسبح من له العزة والبقاء، وفى تلك الجزيرة شىء كثير من الأشجار، والفواكه وأنواع الأزهار فعند ذلك أكلت من الفواكه حتى شبعت وشربت من تلك الأنهار حتى رويت وحمدت الله - تعالى - على ذلك وأثنيت عليه.

ولم أزل على هذه الحالة قاعدًا فى الجزيرة إلى أن أمسى المساء وأقبل الليل، فقمت أنا مثل القتيل مما حصل لى من التعب والخوف ولم أسمع فى تلك الجزيرة صوتًا ولم أر فيها أحدًا، ولم أزل راقدًا فيها إلى الصباح، ثم قمت على حيلى ومشيت بين تلك الأشجار فرأيت ساقية على عين ماء جارية وعند تلك الساقية شيخ جالس مليح وذلك الشيخ مؤتزر بإزار من ورق الأشجار، فقلت فى نفسى: لعل هذا الشيخ طلع إلى هذه الجزيرة وهو من الغرقى الذين كسرت بهم السفينة. ثم دنوت منه وسلمت عليه فرد علىّ السلام بالإشارة ولم يتكلم فقلت له: يا شيخ ما سبب جلوسك فى هذا المكان؟ فحرك رأسه وتأسف وأشار لى بيده يعنى: احملنى على رقبتك وانقلنى من هذا المكان إلى جانب الساقية الثانى. فقلت فى نفسى: أعمل مع هذا معروفًا وأنقله إلى هذا المكان الذى يريده لعل ثوابه يحصل لى.

فتقدمت إليه وحملته على أكتافى وجئت إلى المكان الذى أشار لى إليه وقلت له: انزل على مهلك، فلم ينزل عن أكتافى وقد لف رجليه على رقبتى. فنظرت إلى رجليه فرأيتهما مثل جلد الجاموس فى السواد والخشونة. ففزعت منه وأردت أن أرميه من فوق أكتافى فقرط على رقبتى برجليه وخنقنى بهما حتى اسودت الدنيا فى وجهى وغبت عن وجودى ووقعت على الأرض مغشيًا علىّ مثل الميت، فرفع ساقيه وضربنى على ظهرى وعلى أكتافى فحصل لى ألم شديد فنهضت قائمًا به وهو راكب على أكتافى وقد تعبت منه فأشار لى بيده أن ادخل بين الأشجار إلى أطيب الفواكه، وإذا خالفته يضربنى برجليه ضربًا أشد من ضرب الأسواط ولم يزل يشير لى بيده إلى كل مكان أراده وأنا أمشى به وإن توانيت أو تمهلت يضربنى وأنا معه شبه الأسير، وقد دخلنا فى وسط الجزيرة بين الأشجار وصار يبول على أكتافى ولا ينزل ليلاً ولا نهارًا، وإذا أردت النوم يلف رجليه على رقبتى وينام قليلاً، ثم يقوم ويضربنى فأقوم مسرعًا به ولا أستطيع مخالفته من شدة ما أقاسى منه، وقد لمت نفسى على ما كان منى من حمله والشفقة عليه.

ولم أزل معه على هذه الحالة وأنا فى أشد ما يكون من التعب، وقلت فى نفسى أنا فعلت مع هذا خيرًا فانقلب على شرًا، فوالله ما بقيت افعل مع أحد خيرًا طول عمرى، وقد صرت أتمنى الموت من الله ـ تعالى ـ فى كل وقت وكل ساعة من كثرة ما أنا فيه من التعب والمشقة، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت به يومًا من الأيام إلى مكان فى الجزيرة فوجدت فيه يقطينًا كثيرًا ومنه شىء كثير يابس، فأخذت منه واحدة كبيرة يابسة وفتحت رأسها وفرغتها ومشيت بها إلى شجرة العنب فملأتها منها وسددت رأسها ووضعتها فى الشمس وتركتها مدة أيام حتى صارت خمرًا صرفًا وصرت فى كل يوم أشرب منه لأستعين به على تعبى من ذلك الشيطان المريد ولتقوى همتى.

فنظرنى يومًا من الأيام وأنا أشرب فأشار لى بيده ما هذا؟ فقلت له: شىء مليح يقوى القلب ويشرح الخاطر، ثم إنى جريت به ورقصت بين الأشجار وحصل لى نشوة من السكر فصفقت وغنيت وانشرحت، فلما رآنى على هذه الحالة أشار لى إلى أن أناوله اليقطينة ليشرب منها، فخفت منه وأعطيتها له فشرب ما كان باقيًا فيها ورماها على الأرض، وقد حصل له طرب فصار ينهز على أكتافى، ثم إنه سكر وغرق فى السكر وقد ارتخت جميع أعضائه وفرائصه وصار يتمايل من فوق أكتافى، فلما علمت بسكره وأنه غاب عن الوجود مددت يدى إلى رجليه وفككتهما من رقبتى، ثم ملت به إلى الأرض وألقيته عليها فما صدقت أنى خلصت نفسى من ذلك الأمر الذى كنت فيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إنى خفت منه أن يقوم من سكره ويؤذينى فأخذت صخرة عظيمة من بين الأشجار وجئت إليه وضربته على رأسه وهو نائم فاختلط لحمه بدمه وقد قتل فلا رحمة الله عليه، وبعد ذلك مشيت فى الجزيرة وقد ارتاح خاطرى وجئت إلى المكان الذى كنت فيه على ساحل البحر، ولم أزل فى تلك الجزيرة آكل من أثمارها، وأشرب من أنهارها، مدة من

الزمان، وأنا أترقب مركبًا يمر عليّ، إلى أن كنت جالسًا يومًا من الأيام متفكرًا فيما جرى لى وما كان من أمرى وأقول فى نفسى يا ترى يبقينى الله سالمًا ثم أعود إلى بلادى وأجتمع بأهلى وأصحابى؟ وإذا بسفينة قد أقبلت من وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة وطلع منها الركاب إلى الجزيرة فمشيت إليهم. فلما نظرونى أقبلوا على كلهم مسرعين واجتمعوا حولى وقد سألونى عن حالى وما سبب وصولى إلى تلك الجزيرة فأخبرتهم بأمرى وما جرى لى، فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا لى: إن هذا الرجل الذى ركب على أكتافك يسمى شيخ البحر، وما أحد دخل تحت أعضائه وخلص منه إلا أنت والحمد لله على سلامتك. ثم إنهم جاؤوا لى بشىء من الطعام فأكلت حتى اكتفيت وأعطونى شيئًا من الملبوس فلبسته، ثم أخذونى معهم فى المركب وقد سرنا أيامًا وليالى، فرمتنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مطلة على البحر وتلك المدينة يقال لها مدينة القرود، فلما يدخل الليل تأتى الناس الذين هم ساكنون فى تلك المدينة فيخرجون من هذه الأبواب التى على البحر ثم ينزلون فى زوارق ومراكب ويبيتون فى البحر خوفًا من القرود أن تنزل عليهم فى الليل من الجبال.

فطلعت أتفرج فى تلك المدينة فسافر المركب ولم أعلم فندمت على طلوعى إلى تلك المدينة وتذكرت رفقتى وما جرى لى مع القرود أولاً وثانيًا فقعدت أبكى وأنا حزين فتقدم إلىّ رجل من أصحاب هذا البلد وقال لى: يا سيدى كأنك غريب فى هذه الديار، فقلت له: نعم أنا غريب ومسكين وكنت فى سفينة قد رست على هذه المدينة فطلعت منها لأتفرج فى المدينة وعدت إليها فلم أرها. فقال: قم وسر معنا وانزل الزورق فإنك إن قعدت فى المدينة ليلاً أهلكتك القرود. فقلت له: سمعًا وطاعة. وقمت من وقتى وساعتى ونزلت معهم فى الزورق ودفعوه من البر حتى أبعدوه عن ساحل البحر مقدار ميل وباتوا تلك الليلة وأنا معهم. فلما أصبح الصباح رجعوا بالزورق إلى المدينة وطلعوا وراح كل واحد منهم إلى شغله ولم تزل هذه عادتهم فى كل ليلة وكان من تخلف منهم فى المدينة بالليل جاء إليه القرود وأهلكوه وفى النهار تطلع القرود إلى خارج المدينة، وهذه المدينة فى أقصى بلاد السودان.

ومن أعجب ما وقع لى فى هذه المدينة أن شخصًا من الجماعة الذين بت معهم فى الزورق قال لى: يا سيدى أنت غريب فى هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها؟ فقلت له: لا والله يا أخى ليس لى صنعة ولست أعرف عمل شىء وإنما أنا رجل تاجر صاحب مال ونوال وكان لى سفينة ملكى مشحونة بأموال كثيرة فكسرت فى البحر وغرق جميع ما كان فيها وما نجوت من الغرق إلا بإذن الله - تعالى - فرزقنى الله بقطعة لوح ركبتها فكانت السبب فى نجاتى من الغرق، فعند ذلك قام الرجل وأحضر لى مخلاة من قطن وقال لى: خذ هذه المخلاة واملأها حجارة زلط من المدينة واخرج مع جماعة من أهل المدينة وأنا أرفقك بهم وأوصيهم عليك وافعل كما يفعلون فلعلك أن تعمل بشىء تستعين به على سفرك وعودك إلى بلادك.

ثم إن ذلك الرجل أخذنى وأخرجنى إلى خارج المدينة فنقيت حجارة صغارًا من الزلط وملأت تلك المخلاة، وإذا بجماعة خارجين من المدينة فأرفقنى بهم وأوصاهم علىّ وقال لهم: هذا رجل غريب فخذوه معكم وعلموه اللقط فلعله يعمل بشىء يتقوت به ويبقى لكم الأجر

والثواب، فقالوا: سمعًا وطاعة، ورحبوا بى وأخذونى معهم وساروا وكل واحد منهم معه مخلاة مثل المخلاة التى معى مملوءة زلطًا. ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى واد واسع فيه أشجار كثيرة عالية لا يقدر أحد أن يطلع عليها وفى ذلك الوادى قرود كثيرة، فلما رأتنا هذه القرود نفرت منا وطلعت إلى تلك الأشجار، فصاروا يرجمون القرود بالحجارة التى معهم فى المخالى والقرود تقطع من ثمار تلك الأشجار وترمى بها هؤلاء الرجال، فنظرت تلك الثمار التى ترميها القرود وإذا هى جوز هندى.

فلما رأيت ذلك العمل من القوم اخترت شجرة عظيمة عليها قرود كثيرة وجئت إليها وصرت أرجم هذه القرود فتقطع ذلك الجوز وترمينى به فأجمعه كما يفعل القوم فما فرغت الحجارة من مخلاتى حتى جمعت شيئًا كثيرًا، فلما فرغ القوم من هذا العمل لموا جميع ما كان معهم وحمل كل واحد منهم ما أطاقه ثم عدنا إلى المدينة فى باقى يومنا، فجئت إلى الرجل صاحبى الذى أرفقنى بالجماعة وأعطيته جميع ما جمعت وشكرت فضله فقال لى: خذ هذا بعه وانتفع بثمنه، ثم أعطانى مفتاح مكان فى داره وقال لى: ضع فى هذا المكان هذا الذى بقى معك من الجوز واطلع فى كل يوم مع الجماعة مثل ما طلعت اليوم والذى تجىء به ميز منه الردىء وبعه وانتفع بثمنه واحفظه عندك فى هذا المكان، فلعلك تجمع منه شيئًا يعينك على سفرك. فقلت له: آجرك علىّ الله ـ تعالى ـ. وفعلت مثل ما قال لى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ولم أزل فى كل يوم أملأ المخلاة من الحجارة وأطلع مع القوم وأعمل مثل ما يعملون وقد صاروا يتواصون بى ويدلوننى على الشجرة التى فيها الثمر الكثير، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان، وقد اجتمع عندى شىء كثير من الجوز الهندى الطيب، وبعت شيئًا كثيرًا وكثر عندى ثمنه وصرت أشترى كل شىء رأيته ولاق بخاطرى وقد صفا وقتى وزاد فى كل المدينة حظى، ولم أزل على هذه الحالة.

فبينما أنا واقف على جانب البحر وإذا بسفينة قد وردت إلى تلك المدينة ورست على الساحل وفيها تجار معهم بضائع فصاروا يبيعون ويشترون على شىء من الجوز الهندى وغيره فجئت عند صاحبى وأعلمته بالسفينة التى جاءت وأخبرته بأنى أريد السفر إلى بلادى، فقال: الرأى لك. فودعته وشكرته على إحسانه إلىّ، ثم إنى جئت عند المركب وقابلت الرئيس واكتريت معه ونزلت ما كان معى من الجوز وغيره فى ذلك المركب، وقد ساروا بالمركب فى ذلك اليوم. ولم نزل سائرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر، وكل جزيرة أرسينا عليها أبيع فيها من ذلك الجوز وأقايض وقد عوض الله علىّ بأزيد مما كان معى وضاع منى، وقد مررنا على جزيرة فيها شىء من القرفة والفلفل. وقد ذكر لنا جماعة أنهم نظروا على كل عنقود من عناقيد الفلفل ورقة كبيرة تظله وتقى عنه المطر إذا أمطرت وإذا ارتفع عنه المطر انقلبت الورقة عن العنقود ونزلت بجانبه، فأخذت معى من تلك الجزيرة شيئًا كثيرًا من الفلفل والقرفة مقايضة بالجوز، وقد مررنا على جزيرة العسرات، وهى التى فيها العود القمارى، ومن بعدها على جزيرة أخرى مسيرتها خمسة أيام وفيها العود الصينى وهو أغلى من القمارى

وأهل تلك الجزيرة أقبح حالاً ودينًا من أهل جزيرة العود القمارى فإنهم يحبون الفساد وشرب الخمور ولا يعلمون الأذان ولا أمر الصلاة.

وجئنا بعد ذلك إلى مغاص اللؤلؤ فأعطيت الغواصين شيئًا من جوز الهند، وقلت لهم: غوصوا على بختى ونصيبى فغاصوا فى تلك البركة وقد أطلعوا شيئًا كثيرًا من اللؤلؤ الكبير الغالى وقالوا لى: يا سيدى والله إن بختك سعيد، فأخذت جميع ما أطلعوه لى فى المركب، وقد سرنا على بركة الله - تعالى -، ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا البصرة فطلعت وأقمت بها مدة يسيرة، ثم توجهت منها إلى مدينة بغداد ودخلت حارتى وجئت إلى بيتى وسلمت على أهلى وأصحابى وهنأونى بالسلامة وخزنت جميع ماكان معى من البضائع والأمتعة وكسوت الأيتام والأرامل وتصدقت ووهبت وأهديت لأهلى وأصحابى وأحبابى وقد عوض الله علىّ بأكثر مما راح منى أربع مرات. وقد نسيت جميع ما جرى لى وما قاسيته من التعب بكثرة الربح والفوائد. وعدت لما كنت فى الأول من المعاشرة والصحبة.

وهذا أعجب ما كان من أمرى فى السفرة الخامسة، ولكن تعشوا فلما فرغوا من العشاء أمر السندباد للحمال بمائة مثقال من الذهب فأخذها وانصرف وهو متعجب من ذلك الأمر. وبات السندباد الحمال فى بيته، ولما أصبح الصباح قام على حيله وصلى الصبح ومشى إلى أن وصل إلى دار السندباد البحرى فدخل عليه وصبح عليه فأمره بالجلوس فجلس عنده ولم يزل يتحدث معه حتى جاء بقية أصحابه، فتحدثوا ومدوا السماط وأكلوا وشربوا، وتلذذوا وطربوا، وابتدأ السندباد البحرى يحدثهم بحكايته، فقال لهم:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية السفرة السادسة

قالت شهر زاد: قال السندباد: اعلموا يا إخوانى وأحبابى وأصحابى أنى لما جئت من تلك السفرة الخامسة نسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهو والطرب والبسط والانشراح وأنا فى غاية الفرح والسرور، ولم أزل على هذه الحالة. إلى أن جلست يومًا من الأيام فى حظ وسرور وانشراح زائد. فبينما أنا جالس وإذا بجماعة من التجار وردوا علىّ وعليهم آثار السفر، فعند ذلك تذكرت قدومى من السفر وفرحى بلقاء أهلى وأصحابى وأحبابى وفرحى بدخول بلادى، فاشتاقت نفسى إلى السفر والتجارة، فاشتريت لى بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولى وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، فرأيت مركبًا عظيمًا فيه تجار وأكابر ومعهم بضائع نفيسة، فنزلت حمولى معهم فى هذا المركب، وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة. ولم نزل مسافرين من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشترى ونتفرج على بلاد الناس وقد طاب لنا السعد والسفر واغتنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يومًا من الأيام وإذا برئيس المركب صرخ وصاح ورمى عمامته ولطم على وجهه ونتف لحيته ووقع فى بطن المركب من شدة الغم والقهر، فاجتمع عليه التجار والركاب وقالوا له: يا رئيس ما الخبر؟ فقال لهم رئيس المركب: اعلموا يا جماعة أننا قد تهنا بمركبنا وخرجنا من البحر الذى كنا فيه ودخلنا بحرًا لم نعرف طرقه، وإذا لم يقيض الله لنا شيئًا يخلصنا من هذا البحر هلكنا

هلكنا بأجمعنا، فادعوا الله - تعالى - أن ينجينا من هذا الأمر. ثم إن الرئيس قام على حيله وصعد على الصارى وأراد أن يحل القلوع فقويت الريح على المركب فردته على مؤخره فانكسرت دفته قرب جبل عال، فنزل الرئيس من الصارى وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا يقدر أحد أن يمنع المقدور، والله إننا قد وقعنا فى مهلكة عظيمة ولم يبق لنا منها مخلص ولا نجاة.

فبكى جميع الركاب على أنفسهم وودع بعضهم بعضًا لفراغ أعمارهم وانقطع رجاؤهم ومال المركب على ذلك الجبل فانكسر وتفرقت ألواحه ففرق جميع ما كان فيه ووقع التجار فى البحر فمنهم من غرق ومنهم من تمسك بذلك الجبل وطلع عليه، وكنت من جملة من طلع إلى ذلك الجبل، وإذا فيه جزيرة كبيرة عندها كثير من المراكب المكسرة وفيها أرزاق كثيرة على شاطئ البحر من الذى يطرحه البحر من المراكب التى كسرت وغرق ركابها وفيها شىء كثير يحير العقل والفكر من المتاع والأموال التى يلقيها البحر على جوانبها فعند ذلك طلعت على تلك الجزيرة ومشيت فيها فرأيت فى وسطها عين ماء عذب خارج من تحت أول ذلك الجبل وداخل فى آخره من الجانب الثانى.

فعند ذلك طلع جميع الركاب على ذلك الجبل إلى الجزيرة وانتشروا فيها وقد ذهلت عقولهم من ذلك وصاروا مثل المجانين من كثرة ما رأوا فى الجزيرة من الأمتعة والأموال على ساحل البحر، وقد رأيت فى وسط تلك العين شيئًا كثيرًا من أصناف الجواهر والمعادن واليواقيت واللآلئ الملوكية وهى مثل الحصى فى مجارى الماء فى تلك الغيطان، وجميع أرض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها، ورأينا شيئًا كثيرًا فى تلك الجزيرة من أغلى العود الصينى والعود القمارى. وفى تلك الجزيرة عين نابعة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدة حر الشمس، ويمتد على طول ساحل البحر فتطلع الهوايش من البحر فتبتلعه وتنزل به فى البحر فيحمى فى بطونها فتقذفه من أفواهها فى البحر فيجمد على وجه الماء فعند ذلك يتغير لونه وأحواله، فتقذفه بعد ذلك الأمواج إلى جانب البحر فيأخذه السياحون والتجار الذين يعرفونه فيبيعونه.

وأما عنبر الخام الخالص من البلع فإنه يسيل على جانب تلك العين ويجمد بأرضه وإذا طلعت عليه الشمس يسيح وتبقى منه رائحة ذلك الوادى كله مثل المسك، وإذا زالت عنه الشمس يجمد، وذلك المكان الذى فيه هذا العنبر لا يقدر أحد على دخوله ولا يستطيع سلوكه فإن الجبل يحيط بتلك الجزيرة ولا يقدر أحد على صعود ذلك الجبل، ولم نزل دائرين فى تلك الجزيرة نتفرج على ما خلق الله - تعالى - فيها من الأرزاق ونحن متحيرون فى أمرنا وفى ما نراه وعندنا خوف شديد، وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئًا قليلاً من الزاد فصرنا نوفره ونأكل منه فى كل يوم أو يومين أكلة واحدة ونحن خائفون أن يفرغ الزاد منا فنموت كمدًا من شدة الجوع والخوف، وكل من مات منا نغسله ونكفنه فى ثياب وقماش من الذى يطرحه البحر على جانب الجزيرة حتى مات منا خلق كثير ولم يبق منا إلا جماعة قليلة. فضعفنا بوجع البطن من البحر وأقمنا مدة قليلة فمات جميع أصحابى ورفقائى واحدًا بعد واحد وكل من مات منهم ندفنه، وبقيت فى تلك الجزيرة وحدى وبقى معى زاد قليل بعد أن كان كثيرًا، فبكيت

على نفسى وقلت: يا ليتنى مت قبل رفقائى وكانوا غسلونى ودفنونى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم إنى قمت مدة يسيرة وقمت حفرت لنفسى حفرة عميقة فى جانب تلك الجزيرة وقلت فى نفسى: إذا ضعفت وعلمت أن الموت قد أتانى أرقد فى هذا القبر فأموت فيه وتبقى الريح تسفى الرمل علىّ فيغطينى وأصير مدفونًا فيه.

وصرت ألوم نفسى على قلة عقلى وخروجى من بلادى ومدينتى وسفرى إلى البلاد بعد الذى قاسيته أولاً وثانيًا وثالثًا ورابعًا وخامسًا. ولا سفرة من الأسفار إلا وأقاسى أهوالاً وشدائد أشق وأصعب من الأهوال التى قبلها وما أصدق بالنجاة والسلامة وأتوب عن السفر فى البحر وعن عودى إليه ولست محتاجًا لمال وعندى شىء كثير والذى عندى لا أقدر أن أفنيه ولا أضيع نصفه فى باقى عمرى وعندى ما يكفينى وزيادة.

ثم إنى تفكرت فى نفسى وقلت: والله لا بد أن هذا النهر له أول وآخر ولا بد له من مكان يخرج منه إلى العمار، والرأى السديد عندى أنى أعمل لى فلكًا صغيرًا على قدر ما أجلس فيه وأنزل وألقيه فى هذا النهر وأسير به، فإن وجدت لى خلاصًا أخلص وأنجو بإذن الله - تعالى -، وإن لم أجد لى مخلصًا أموت داخل هذا النهر أحسن من هذا المكان.

وصرت أتحسر على نفسى، ثم إنى قمت وسعيت فجمعت أخشابًا من تلك الجزيرة من خشب العود الصينى والقمارى وشددتها على جانب البحر بحبال، من حبال المراكب، التى كسرت وجئت بألواح متساوية من ألواح المراكب ووضعتها فى ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر أو أقل من عرضه وشددته شدًا طيبًا مكينًا.

وقد أخذت معى من تلك المعادن والجواهر والأموال واللؤلؤ الكبير الذى مثل الحصى وغير ذلك من الذى فى تلك الجزيرة وشيئًا من العنبر الخام الخالص الطيب ووضعته فى ذلك الفلك، ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة وأخذت معى جميع ما كان باقيًا من الزاد، ثم إنى ألقيت ذلك الفلك فى هذا النهر، وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاذيف، وعملت بقول بعض الشعراء:

ترحل عن مكان فيه ضيم	وخل الدار تنعى من بناها
فإنك واجد أرضًا بأرض	ونفسك لم تجد نفسًا سواها
ولا تجزع لحادثة الليالى	فكل مصيبة يأتى انتهاها
ومن كانت منيته بأرض	فليس يموت فى أرض سواها
ولا تبعث رسولك فى مهم	فما للنفس ناصحة سواها

وسرت بذلك الفلك فى النهر وأنا متفكر فيما يصير إليه أمرى، ولم أزل سائرًا إلى المكان الذى يدخل فيه النهر، تحت ذلك الجبل، وأدخلت الفلك فى ذلك المكان وقد صرت فى ظلمة شديدة تحت الجبل، ولم يزل الفلك داخلاً بى مع الماء إلى مكان ضيق تحت الجبل وصارت جوانب الفلك تحك فى جوانب النهر، ورأسى يحك فى سقف النهر ولم أقدر على أن أعود منه، وقد لمت نفسى على ما فعلته بروحى وقلت: إن ضاق هذا المكان على الفلك قل أن

يخرج منه ولا يمكن عوده فأهلك فى هذا المكان وأموت كمدًا بلا محالة. وقد انطرحت على وجهى فى الفلك من ضيق النهر.

ولم أزل سائرًا ولا أعلم ليلاً من نهار بسبب الظلمة التى أنا فيها تحت ذلك الجبل مع الفزع والخوف على نفسى من الهلاك، ولم أزل على هذه الحالة سائرًا فى ذلك النهر وهو يتسع تارة ويضيق أخرى. ولكن الظلمة قد أتعبتنى تعبًا شديدًا فأخذتنى سنة من النوم من شدة قهرى فنمت على وجهى فى الفلك ولم يزل سائرًا بى وأنا نائم لا أدرى بكثير ولا قليل.

ثم إنى استيقظت فوجدت نفسى فى النور ففتحت عينى فرأيت مكانًا واسعًا وذلك الفلك مربوط على جزيرة وقد وقف حولى جماعة من الهنود والحبشة، فلما رأونى تقدموا إلىّ وكلمونى بلسانهم، فلم أعرف ما يقولون وبقيت أظن أنه حلم وأن هذا فى المنام من شدة ما كنت فيه من الضيق والقهر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما كلمونى ولم أعرف حديثهم ولم أرد عليهم جوابًا تقدم إلىّ رجل منهم وقال لى بلسان عربى: السلام عليكم يا أخانا ما تكون أنت ومن أين جئت وما سبب مجيئك إلى هذا المكان ومن أين دخلت فى هذا الماء وأى بلاد خلف هذا الجبل لأننا لا نعلم أن أحدًا سلك من هناك إلينا؟ فقلت له: ما تكونون أنتم وأى أرض هذه؟ فقال لى: يا أخى نحن أصحاب الزرع والغيطان وجئنا لنسقى غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائمًا فى الفلك فأمسكناه وربطناه عندنا حتى تقوم على مهلك، فأخبرنا ما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له: بالله عليك يا سيدى ائتنى بشىء من الطعام فإنى جائع وبعد ذلك اسألنى عما تريد، فأسرع وأتانى بالطعام فأكلت حتى شبعت وارتحت وسكن روعى وردت لى روحى، فحمدت الله وفرحت بخروجى من ذلك النهر ووصولى إليهم وأخبرتهم بجميع ما جرى لى من أوله إلى آخره، وما لقيته فى ذلك النهر وضيقه.

ثم إنهم تكلموا مع بعضهم وقالوا: لا بد لنا أن نأخذه معنا ونعرضه على ملكنا ليخبره بما جرى له. فأخذونى معهم وحملوا معى الفلك بجميع ما فيه من المال والنوال والجواهر والمعادن والمصاغ، وقد أدخلونى على ملكهم وأخبروه بما جرى فسلم علىّ ورحب بى وسألنى عن حالى وما اتفق لى من الأمور، فأخبرته بجميع ما كان من أمرى وما لاقيته من أوله إلى آخره، فتعجب الملك من هذه الحكاية غاية العجب وهنأنى بالسلامة فعند ذلك قمت وأطلعت من ذلك الفلك شيئًا كثيرًا من المعادن والجواهر والعود والعنبر الخام وأهديته إلى الملك، فقبله منى وأكرمنى إكرامًا زائدًا وأنزلنى فى مكان عنده وقد صاحبت أخيارهم وأعزونى معزة عظيمة وصرت لا أفارق دار الملك.

وصار الواردون إلى تلك الجزيرة يسألوننى عن أمور بلادى فأخبرهم بها، وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم فيخبروننى بها إلى أن سألنى ملكهم يومًا من الأيام عن أحوال بلادى وعن أحوال حكم الخليفة فى بلاد مدينة بغداد، فأخبرته بعدله فى أحكامه، فتعجب من أموره وقال لى: والله إن الخليفة له أمور عقلية وأحوال مرضية وأنت قد حببتنى فيه ومرادى أن

أجهز له هدية وأرسلها معك إليه. فقلت: سمعًا وطاعة يا مولانا وأصلها إليه وأخبره إنك محب صادق، ولم أزل مقيمًا عند ذلك الملك وأنا فى غاية العز والإكرام وحسن معيشة مدة من الزمان إل أن كنت جالسًا يومًا من الأيام فى دار الملك فسمعت بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركبًا يريدون السفر فيه إلى نواحى مدينة البصرة. فقلت فى نفسى: ليس لى أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة.

فاسرعت من وقتى وساعتى وقبلت يد ذلك الملك وأعلمته بأن مرادى السفر مع الجماعة فى المركب الذي جهزوه لأنى اشتقت إلى أهلى وبلادى، فقال لى الملك: الرأى لك وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس والعين وقد حصل لنا أنسك. فقلت: والله يا سيدى قد غمرتنى بجميلك وإحسانك ولكنى قد اشتقت إلى أهلى وبلادى وعيالى. فلما سمع كلامى أحضر التجار الذين جهزوا المركب وأوصاهم علىّ، وقد وهب لى شيئًا كثيرًا من عنده ودفع عنى أجرة المركب وأرسل معى هدية عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد ثم إنى ودعت الملك وودعت جميع أصحابى الذين كنت أتردد عليهم ثم نزلت ذلك المركب مع التجار وسرنا وقد طابت لنا الريح والسفر ونحن متوكلون على الله.

ولم نزل مسافرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة إلى أن وصلنا بإذن الله - تعالى - إلى مدينة البصرة فطلعت من المركب. ولم أزل مقيمًا بأرض البصرة أيامًا وليالى حتى جهزت نفسى وحملت حمولى وتوجهت إلى مدينة بغداد دار السلام، فدخلت على الخليفة هارون الرشد وقدمت إليه تلك الهدية وأخبرته بجميع ما جرى لى.

ثم خزنت جميع أموالى وأمتعتى ودخلت حارتى وجاءنى أهلى وأصحابى وفرقت الهدايا على جميع أهلى، وتصدقت ووهبت، وبعد مدة من الزمان أرسل إلىّ الخليفة فسألنى عن سبب تلك الهدية ومن أين هى؟ فقلت: يا أمير المؤمنين والله لا أعرف للمدينة التى هى منها اسمًا ولا طريقًا، ولكن لما غرق المركب الذى كنت فيه طلعت على جزيرة وقد صنعت لى فلكًا ونزلت فيه فى نهر كان فى وسط الجزيرة. وأخبرته بما جرى لى فى السفرة وكيف كان خلاصي من ذلك النهر وبما جرى لى وبسبب إرسالى بالهدية.

فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأمر المؤرخين أن يكتبوا حكايتى ويجعلوها فى خزانته ليعتبر بها كل من رآها، ثم إنه أكرمنى إكرامًا زائدًا، وقد أقمت بمدينة بغداد على ما كنت عليه فى الزمن الأول ونسيت جميع ما جرى لى وما قاسيته من أوله إلى آخره، ولم أزل فى لذة عيش ولهو وطرب، وهذا ما كان من أمرى فى السفرة السادسة يا إخوانى، وإن شاء الله - تعالى - فى غد أحكى لكم حكاية السفرة السابعة فإنها أعجب وأغرب من هذه السفرات، ثم إنه أمر بمد السماط وتعشوا عنده، وأمر للسندباد البرى بمائة مثقال من الذهب فأخذها وانصرف إلى حال سبيله وانصرف الجماعة وهم متعجبون من ذلك غاية العجب، وبات السندباد البرى فى منزله، ثم صلى الصبح وجاء إلى منزل السندباد البحرى وأقبل الجماعة فلما تكاملوا ابتدأ السندباد البحرى بالكلام وقال:

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية السفرة السابعة

قالت شهر زاد: يقول السندباد: اعلموا يا جماعة أنى لما رجعت من السفرة السادسة وعدت لما كنت عليه فى الزمن الأول من البسط والانشراح واللهو والطرب، أقمت على تلك الحالة مدة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهارًا وقد حصل لى مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة، فاشتاقت نفسى إلى الفرجة فى البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجار وسماع الأخبار، فهممت فى ذلك الأمر وقد حزمت أحمالاً بحرية من الأمتعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، فرأيت مركبًا محضرًا للسفر وفيه جماعة من التجار العظام فنزلت معهم واستأنست بهم وقد سرنا بسلامة وعافية قاصدين السفر وقد طابت لنا الريح حتى وصلنا إلى مدينة الصين ونحن فى غاية الفرح والسرور، ونتحدث مع بعضنا فى أمر السفر والمتجر.

فبينما نحن على هذه الحالة وإذا بريح عاصف هبت من مقدم المركب ونزل علينا مطر شديد حتى ابتللنا وابتلت حمولنا، فغطينا الحمول باللباد والخيش خوفًا على البضاعة من التلف بالمطر، وصرنا ندعو الله - تعالى - ونتضرع إليه فى كشف ما نزل بنا مما نحن فيه.

فعند ذلك قام رئيس المركب وشد حزامه وتشمر وطلع الصارى، ثم إنه التفت يمينًا وشمالاً وبعد ذلك نظر إلى أهل المركب ولطم على وجهه ونتف لحيته، فقلنا: يا رئيس ما الخبر؟ فقال لنا: اطلبوا من الله - تعالى - النجاة مما وقعنا فيه وابكوا على أنفسكم وودعوا بعضكم، واعلموا أن الريح قد غلبت علينا ورمتنا فى آخر بحار الدنيا.

ثم إن الرئيس نزل من فوق الصارى وفتح صندوقه وأخرج منه كيسًا قطنًا، وفكه وأخرج منه ترابًا مثل الرماد وبله بالماء وصبر عليه قليلاً ثم شمه، ثم أخرج من ذلك الصندوق كتابًا صغيرًا وقرأ فيه وقال لنا: اعلموا يا ركاب أن فى هذا الكتاب أمرًا عجيبًا يدل على أن كل من يصل إلى هذه الأرض لم ينج منها بل يهلك، فإن هذه الأرض تسمى إقليم الملوك وفيها قبر سيدنا سليمان بن داود - عليهما السلام -، وفيه حيات عظام الخلقة هائلة المنظر، فكل مركب وصل إلى هذا الإقليم يطلع له حوت من البحر فيبلعه بجميع ما فيه.

فلما سمعنا هذا الكلام من الرئيس تعجبنا غاية العجب من حكايته، فلم يتم الرئيس كلامه لنا حتى صار المركب يرتفع بناعن الماء ثم ينزل وسمعنا صرخة عظيمة مثل الرعد القاصف فارتعدنا منها وصرنا كالأموات وأيقنا بالهلاك فى ذلك الوقت، وإذا بحوت قد أقبل على المركب كالجبل العالى ففزعنا منه وبكينا على أنفسنا بكاء شديدًا وتجهزنا للموت وصرنا ننظر إلى ذلك الحوت ونتعجب من خلقته الهائلة وإذا بحوت ثان قد أقبل علينا فما رأينا أعظم خلقة منه ولا أكبر، فعند ذلك ودعنا بعضنا بعضًا ونحن نبكى على أرواحنا وإذا بحوت ثالث قد أقبل وهو أكبر من الاثنين اللذَين جاءانا قبله. فصرنا لا نعى ولا نعقل وقد اندهشت عقولنا من شدة الخوف ثم إن هذه الحيتان الثلاثة صارت تدور حول المركب، وقد أهوى الحوت الثالث ليبلع المركب بكل ما فيه، فإذا بريح عظيمة ثارت فقام المركب ونزل على شعب عظيم فانكسر وتفرقت جميع الألواح وغرقت جميع الحمول والتجار والركاب فى البحر.

فخلعت أنا جميع ما كان علىّ من الثياب، ولم يبق على غير ثوب واحد ثم عمت قليلاً

فلحقت لوحًا من ألواح المركب وتعلقت به، ثم إنى طلعت عليه وركبته وقد صارت الأمواج والرياح تلعب بى على وجه الماء وأنا قابض على ذلك اللوح والموج يرفعنى ويحطنى وأنا فى أشد ما يكون من المشقة والخوف والجوع والعطش وصرت ألوم نفسى على ما فعلته وقد تعبت نفسى بعد الراحة وقلت لروحى: يا سندباد يا بحرى أنت لم تتب وكل مرة تقاسى فيها الشدائد والتعب ولم تتب عن سفر البحر، إن تبت تكذب فى التوبة فقاس كل ما تلقاه فإنك تستحق جميع ما يحصل لك، وكل هذا مقدور علىّ من الله - تعالى - حتى أرجع عما أنا فيه من الطمع وهذا الذى أقاسيه من طمعى فإن عندى مالاً كثيرًا.

ثم إنى رجعت لعقلى وقلت: إنى فى هذه السفرة قد تبت إلى الله - تعالى - توبة نصوحًا عن السفر، وما بقيت عمرى أذكره على لسانى ولا على بالى. ولم أزل أتضرع إلى الله - تعالى - وأبكى، ثم إنى تذكرت فى نفسى ما كنت فيه من الراحة والسرور واللهو والطرب والانشراح، ولم أزل على هذاالحال أول يوم وثانى يوم، إلى أن طلعت على جزيرة عظيمة وفيها شىء كثير من الأشجار والأنهار فصرت آكل من ثمر تلك الأشجار، وأشرب من ماء تلك الأنهار، حتى انتعشت وردت لى روحى وقويت همتى وانشرح صدرى ثم مشيت فى الجزيرة فرأيت فى جانبها الثانى نهرًا عظيمًا من الماء العذب ولكن ذلك النهر يجرى جريًا قويًا، فتذكرت أمر الفلك الذى كنت فيه سابقًا وقلت فى نفسى: لا بد أنى أعمل لى فلكًا مثله فلعلى أنجو من هذا الأمر فإن نجوت به حصل المراد وتبت إلى الله - تعالى عز وجل - من السفر، وإن هلكت ارتاح قلبى من التعب والمشقة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إنى قمت فجمعت أخشابًا من تلك الأشجار من خشب الصندل العال الذى لا يوجد مثله وأنا لا أدرى أى شىء هو، ولما جمعت تلك الأخشاب تحيلت بأغصان ونبات من هذه الجزيرة وفتلتها مثل الحبال وشددت بها الفلك وقلت: إن سلمت فمن الله، ثم إنى نزلت فى ذلك الفلك وصرت به فى ذلك النهر حتى خرجت من آخر الجزيرة ثم بعدت عنها، ولم أزل سائرًا أول يوم وثانى يوم وثالث يوم بعد مفارقة الجزيرة وأنا نائم ولم آكل فى هذه المدة شيئًا ولكن إذا عطشت شربت من ذلك النهر وصرت مثل الفرخ الدائخ من شدة التعب والجوع والخوف حتى انتهى بى الفلك إلى جبل عال والنهر داخل من تحته فلما رأيت ذلك خفت على نفسى من الضيق الذى كنت فيه أول مرة فى النهر السابق وأردت أن أوقف الفلك وأطلع منه إلى جانب الجبل فغلبنى الماء فجذب الفلك، وأنا فيه ونزل به تحت الجبل، فلما رأيت ذلك أيقنت بالهلاك وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ولم يزل الفلك سائرًا مسافة يسيرة ثم طلع إلى مكان واسع وإذا هو واد كبير والماء يهدر فيه وله دوى مثل دوى الرعد وجريان مثل جريان الريح فصرت قابضًا على ذلك الفلك بيدى وأنا خائف أن أقع من فوقه والأمواج تلعب بى يمينًا وشمالاً فى وسط ذلك المكان، ولم يزل الفلك منحدرًا مع الماء الجارى فى ذلك الوادى وأنا لا أقدر على منعه ولا أستطيع الدخول به فى جهة البر، إلى أن رسا بى على جانب مدينة عظيمة المنظر مليحة البناء فيها خلق كثير. فلما رأونى وأنا فى ذلك الفلك

منحدرا فى وسط النهر مع التيار رموا على الشبكة والحبال فى ذلك الفلك. ثم أطلعوا الفلك من ذلك النهر إلى البر، وقد سقطت بينهم وأنا مثل الميت من شدة الجوع والسهر والخوف.

فتلقانى من بين هؤلاء الجماعة رجل كبير السن وهو شيخ عظيم وقد رحب بى ورمى علىّ ثيابًا كثيرة جميلة فتسترت بها، ثم إنه أخذنى وسار بى وأدخلنى الحمام وجاء لى بالأشربة المنعشة والروائح الزكية، ثم بعد خروجنا من الحمام أخذنى إلى بيته وأدخلنى فيه ففرح بى أهل بيته، ثم أجلسنى فى مكان ظريف وهيأ لى شيئًا من الطعام الفاخر فأكلت حتى شبعت وحمدت الله - تعالى - على نجاتى، وبعد ذلك قدم لى غلمانه ماء ساخنًا فغسلت يدى وجاءتنى جواريه بمناشف من الحرير فنشفت يدى ومسحت فمى.

ثم إن ذلك الشيخ قام من وقته وأخلى لى مكانًا منفردًا وحده فى جانب داره وألزم غلمانه وجواريه بخدمتى وقضاء حاجتى وجميع مصالحى فصاروا يتعهدوننى، ولم أزل على هذه الحالة عنده فى دار الضيافة ثلاثة أيام وأنا على أكل طيب وشرب طيب ورائحة طيبة حتى ردت لى روحى وسكن روعى وهدأ قلبى وارتاحت نفسى، فلما كان اليوم الرابع تقدم إلىّ الشيخ وقال لى: آنستنا يا ولدى الحمد لله على سلامتك فهل لك أن تقوم معى إلى ساحل البحر وتنزل السوق فتبيع البضاعة وتقبض ثمنها لعلك تشترى لك بها شيئًا تتجر به؟ فسكت قليلاً وقلت فى نفسى: من أين معى بضاعة وما سبب هذا الكلام؟.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قال الشيخ: يا ولدى لا تهتم ولا تتفكر فقم بنا إلى السوق فإن رأينا من يعطيك فى بضاعتك ثمنًا يرضيك أقبضه لك وإن لم يجئ فيها شئ يرضيك أحفظها لك عندى فى حواصلى حتى تجىء أيام البيع والشراء. فتفكرت فى أمرى وقلت لعقلى: طاوعه حتى تنظر أى شىء تكون هذه البضاعة. ثم إنى قلت له: سمعًا وطاعة يا عم الشيخ والذى تفعله فيه البركة، ولا يمكن مخالفتك فى شىء.

ثم إنى جئت معه إلى السوق فوجدته قد فك الفلك الذى جئت فيه وهو من خشب الصندل وأطلق المنادى عليه وجاء التجار وفتحوا باب سعره وتزايدوا فيه إلى أن بلغ ثمنه ألف دينار وبعد ذلك توقف التجار عن الزيادة فالتفت إلىّ الشيخ وقال: اسمع يا ولدى هذا سعر بضاعتك فى مثل هذه الأيام فهل تبيعها بهذا السعر أو تصبر وأنا أحفظها لك عندى فى حواصلى حتى يجىء أوان زيادتها فى الثمن فنبيعها لك؟ فقلت له: يا سيدى الأمر أمرك فافعل ما ترى. فقال: يا ولدى أتبيعنى هذا الحطب بزيادة مائة دينار ذهبًا فوق ما أعطى فيه التجار؟ فقلت له: نعم بعتك وقبضت الثمن.

فعند ذلك أمر غلمانه بنقل ذلك الخشب إلى حواصله، ثم إنى رجعت معه إلى بيته فجلسنا وعد لى جميع ثمن ذلك الحطب وأحضر لى أكياسًا ووضع المال فيها وقفل عليها بقفل حديد وأعطانى مفتاحه، وبعد مدة أيام وليال قال الشيخ: يا ولدى إنى أعرض عليك شيئًا وأشتهى أن تطاوعنى فيه. فقلت له: وما ذلك الأمر؟ فقال لى: اعلم أنى بقيت رجلاً كبير السن ليس لى ولد ذكر وعندى بنت صغيرة السن ظريفة الشكل عندها مال كثير وجمال فأريد أن

أزوجها لك وتقعد معها فى بلادنا ثم إنى أملكك جميع ما هو عندى وما تملك يدى فإنى بقيت رجلاً كبيرًا وأنت تقوم مقامى.

فسكت ولم أتكلم. فقال لى: أطعنى يا ولدى فى الذى أقوله لك فإن مرادى لك الخير فإن أطعتنى زوجتك ابنتى وتبقى مثل ولدى وجميع ما فى يدى وما هو ملكى يصير لك. وإن أردت التجارة والسفر إلى بلادك لا يمنعك أحد، وهذا مالك تحت يدك فافعل ما تريده وتختاره، فقلت له: والله يا عم الشيخ أنت صرت مثل والدى وأنا قاسيت أهوالاً كثيرة ولم يبق لى رأى ولا معرفة فالأمر أمرك فى جميع ما تريده.

فعند ذلك أمر الشيخ غلمانه بإحضار القاضى والشهود فأحضروهم وزوجنى ابنته وعمل لنا وليمة عظيمة وفرحًا كبيرًا وأدخلنى عليها فرأيتها فى غاية الحسن والجمال بقد واعتدال وعليها شىء كثير من أنواع الحلى والحلل والمعادن والمصاغ والعقود والجواهر الثمينة وما قيمتها إلا ألوف الألوف من الذهب ولا يقدر أحد على ثمنها، فلما رأيتها أعجبتنى ووقعت المحبة بيننا وأقمت معها مدة من الزمان وأنا فى غاية الأنس والانشراح، وقد توفى والدها إلى رحمة الله - تعالى - فجهزناه ودفناه، ووضعت يدى على ما كان معه وصار جميع غلمانه غلمانى وتحت يدى فى خدمتى، وولانى التجار مرتبته فإنه كان كبيرهم ولم يأخذ أحد منهم شيئًا إلا بمعرفته وإذنه لأنه شيخهم وصرت أنا فى مكانه، فلما خالطت أهل تلك المدينة وجدتهم تنقلب حالتهم فى كل شهر فتظهر لهم أجنحة يطيرون بها إلى عنان السماء، ولا يبقى متخلفًا فى تلك المدينة غير الأطفال والنساء فقلت فى نفسى: إذا جاء رأس الشهر أسأل أحدًا منهم فلعلهم يحملونى معهم إلى أين يروحون. فلما جاء رأس ذلك الشهر تغيرت ألوانهم وانقلبت صورهم، فدخلت على واحد منهم وقلت له: بالله عليك إنك تحملنى معك حتى أتفرج وأعود معكم، فقال لى: هذا شىء لا يمكن، فلم أزل أتداخل عليه حتى أنعم علىّ بذلك وقد رافقتهم وتعلقت به فطار بى فى الهواء ولم أُعلم أحدًا من أهل بيتى ولا من غلمانى ولا من أصحابى ولم يزل طائرًا بى ذلك الرجل وأنا على أكتافه حتى علا بى فى الجو فسمعت تسبيح الأملاك، فى قبة الأفلاك، فتعجبت من ذلك وقلت: سبحان الله والحمد لله. فلم أستتم التسبيح حتى خرجت نار من السماء فكادت تحرقهم فنزلوا جميعًا وقد ألقونى على جبل عال وقد صاروا فى غاية الغيظ منى وراحوا وخلونى فصرت وحدى فى ذلك الجبل، فلمت نفسى على ما فعلت وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أنا كلما أخلص من مصيبة أقع فى مصيبة أقوى منها.

ولم أزل فى ذلك الجبل ولا أعلم أين أذهب وإذا بغلامين سائرين كأنهما قمران فى يد كل واحد منهما قضيب من ذهب يتكز عليه، فتقدمت منهما وسلمت عليهما فردا علىّ السلام فقلت لهما: بالله عليكما من أنتما وما شأنكما؟ فقالا لى: نحن من عباد الله - تعالى -، ثم إنهما أعطيانى قضيبًا من الذهب الأحمر الذى كان معهما وانصرفا إلى حال سبيلهما وخليانى، فصرت على رأس ذلك الجبل وأنا أتكز بالعكاز وأتفكر فى أمر هذين الغلامين وإذا بحية قد خرجت من تحت ذلك الجبل وفى فمها رجل بلعته إلى تحت سرته وهو يصيح ويقول: من يخلصنى يخلصه الله من كل شدة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: قال: فتقدمت إلى تلك الحية وضربتها بالقضيب الذهب على رأسها فرمت الرجل من فمها فتقدم إليّ الرجل وقال: حيث كان خلاصى على يديك من هذه الحية فما بقيت أفارقك وأنت صرت رفيقى فى هذا الجبل. فقلت له: مرحبًا. وسرنا فى ذلك الجبل وإذا بقوم قد أقبلوا علينا فنظرت إليهم وإذا فيهم الرجل الذى كان حملنى على أكتافه وطار بى فتقدمت إليه واعتذرت له وتلطفت به وقلت له: يا صاحبى ما هكذا تفعل الأصحاب بأصحابهم، فقال لى الرجل: أنت الذى أهلكتنا بتسبيحك على ظهرى، فقلت له: لا تؤاخذنى فإنى لم يكن لى علم بهذا الأمر ولكنى لا أتكلم بعد ذلك أبدًا، فسمح بأخذى معه ولكنه شرط علىّ أن لا أذكر الله ولا أسبحه على ظهره. كذا.

ثم إنه حملنى وطار بى مثل الأول حتى أوصلنى إلى منزلى فتلقتنى زوجتى وسلمت على وهنأتنى بالسلامة وقالت لى: احترس من خروجك بعد ذلك مع هؤلاء الأقوام ولا تعاشرهم فإنهم إخوان الشياطين ولا يعلمون ذكر الله - تعالى -. فقلت لها: كيف كان حال أبيك معهم؟ فقالت لى: إن أبى لم يكن منهم ولم يعمل مثلهم، والرأى عندى حيث مات أبى أنك تبيع جميع ما عندنا وتأخذ بثمنه بضائع ثم تسافر إلى بلادك وأهلك وأنا أسير معك وليس لى حاجة بالقعود هنا فى هذه المدينة بعد أمى وأبى. فعند ذلك صرت أبيع من متاع ذلك الشيخ شيئًا بعد شيء، وأنا أترقب أحدًا يسافر من تلك المدينة لأسير معه، فبينما أنا كذلك وإذا بجماعة فى المدينة قد أرادوا السفر ولم يجدوا لهم مركبًا فاشتروا لهم خشبًا وقد صنعوا لهم مركبًا كبيرًا، فاكتريت معهم ودفعت إليهم الأجرة بتمامها، ثم أنزلت زوجتى وجميع ما كان معنا فى المركب، وتركنا الأملاك والعقارات وسرنا.

ولم نزل سائرين فى البحر من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وقد طابت لنا ريح السفر حتى وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة، فلم أقم بها بل اكتريت لى مركبًا آخر ونقلت إليه جميع ما كان معى وتوجهت إلى مدينة بغداد، ثم دخلت حارتى وجئت إلى دارى وقابلت أهلى وأصحابى وأحبابى، وخزنت جميع ما كان معى من البضائع فى حواصلى وقد حسب أهلى مدة غيابى عنهم فى السفرة السابعة فوجدوها سبعًا وعشرين سنة حتى قطعوا الرجاء منى، فلما جئتهم وأخبرتهم بجميع ما كان من أمرى وما جرى لى صاروا كلهم يتعجبون من ذلك الأمر عجبًا كبيرًا وقد هنأونى بالسلامة. ثم إنى تبت إلى الله - تعالى - عن السفر فى البر والبحر بعد هذه السفرة السابعة التى هى غاية السفرات، وقاطعة الشهوات، وشكرت الله - سبحانه وتعالى - وحمدته وأثنيت عليه حيث أعادنى إلى أهلى وبلادى وأوطانى، فانظر يا سندباد يا برى ما جرى لى وما وقع لى وما كان من أمرى، فقال السندباد البرى للسندباد البحرى: بالله عليك لا تؤاخذنى بما كان منى فى حقك. ولم يزالوا فى عشرة ومودة مع بسط زائد وفرح إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، ومخرب القصور، ومعمر القبور، فسبحان الحى الذى لا يموت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية القماقم السليمانية

قالت شهر زاد: حُكى أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان، وكان جالسًا يومًا من الأيام وعنده أكابر دولته من الملوك والسلاطين فوقعت بينهم مباحثة فى حديث الأمم السالفة وتذكروا أخبار سيدنا سليمان بن داود - عليهما السلام -، وما أعطاه الله - تعالى - من الملك والحكم فى الإنس والجن والطير والوحش وغير ذلك وقالوا: قد سمعنا ممن كان قبلنا أن الله - سبحانه وتعالى - لم يعط أحدًا مثل ما أعطى سيدنا سليمان وأنه وصل إلى شىء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين فى قماقم من النحاس يسبك عليهم الرصاص ويختم عليهم بخاتمه. وأخبر طالب بن سهل أن رجلاً نزل فى مركب مع جماعة وانحدروا إلى بلاد الهند، ولم يزالوا سائرين حتى طلعت عليهم ريح فوجهتهم تلك الريح إلى أرض من أراضى الله - تعالى - وكان ذلك فى سواد الليل فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارة تلك الأرض أقوام سود الألوان عراة الأجساد كأنهم وحوش لا يفقهون خطابًا، لهم ملك من جنسهم وليس منهم أحد يعرف العربية غير ملكهم، فلما رأوا المركب ومن فيه خرج إليهم فى جماعة من أصحابه فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم فأخبروه بحالهم.

فقال لهم الملك: لا بأس عليكم. وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم على دين من الأديان قبل ظهور الإسلام وقبل بعثة محمد ﷺ فقال أهل المركب: نحن لا نعرف ما تقول ولا نعرف شيئًا من هذا الدين، فقال لهم الملك: إنه لم يصل إلينا أحد من بنى آدم قبلكم ثم إنه ضيفهم بلحم الطيور والوحوش والسمك وليس لهم طعام غير ذلك ثم إن أهل المركب نزلوا يتفرجون فى تلك المدينة فوجدوا بعض الصيادين أرخى شبكة فى البحر ليصطاد سمكًا ثم رفعها فإذا فيها قمقم من نحاس مرصص مختوم عليه بخاتم سليمان بن داود - عليهما السلام -، فخرج به الصياد وكسره فخرج منه دخان أزرق التحق بعنان السماء فسمعنا صوتًا منكرًا يقول: التوبة التوبة يا نبى الله، ثم صار من ذلك الدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة يلحق رأسه الجبل ثم غاب عن أعينهم فأما أهل المركب فكادت تنخلع قلوبهم، وأما السودان فلم يفكروا فى ذلك. فرجع رجل إلى الملك وسأله عن ذلك، فقال له: اعلم أن هذا من الجن الذين كان سليمان بن داود إذا غضب عليهم سجنهم فى هذه القماقم ورصص عليهم ورماهم فى البحر فإذا رمى الصياد الشبكة تطلع بهذه القماقم فى غالب الأوقات، فإذا كسرت يخرج منها جنى ويخطر بباله أن سليمان حى فيتوب ويقول: التوبة يا نبى الله.

فتعجب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من هذا الكلام وقال: سبحان الله لقد أوتى سليمان ملكًا عظيمًا، وكان ممن حضر فى ذلك المجلس النابغة الذبيانى فقال: صدق طالب فيما أخبر به والدليل على صدقه قول الحكيم الأول:

وفى سليمان إذ قال الإله له ... قم بالخلافة واحكم حكم مجتهد

فمن أطاعك فاكرمه بطاعته ... ومن أبى عنك فاحبسه إلى الأبد

وكان يجعلهم فى قماقم من النحاس ويرميهم فى البحر، فاستحسن أمير المؤمنين هذا الكلام وقال: والله إنى لأشتهى أن أرى شيئًا من هذه القماقم، فقال له طالب بن سهل: «يا

أمير المؤمنين إنك قادر على ذلك وأنت مقيم فى بلادك فأرسل إلى أخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بها من بلاد الغرب بأن يكتب إلى موسى أن يركب من بلاد الغرب إلى هذا الجبل الذى ذكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل. فاستصوب أمير المؤمنين رأيه وقال:

يا طالب لقد صدقت فيما قلته وأريد أن تكون أنت رسولى إلى موسى بن نصر فى هذا الأمر ولك الراية البيضاء وكل ما تريده من مال وجاه وغير ذلك وأنا خليفتك فى أهلك قال: حبًا وكرامة يا أمير المؤمنين. فقال له: سر على بركة الله ـ تعالى ـ وعونه، ثم أمر أن يكتبوا له كتابًا لأخيه عبد العزيز نائبه فى مصر وكتابًا آخر إلى موسى نائبه فى بلاد الغرب يأمره بالسير فى طلب القماقم السليمانية بنفسه، ويستخلف ولده على البلاد ويأخذ معه الأدلة وينفق المال وليستكثر من الرجال ولا يلحقه فى ذلك فترة ولا يحتج بحجة، ثم ختم الكتابين وسلمهما إلى طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات على رأسه، ثم إن الخليفة أعطاه الأموال والركاب والرجال ليكونوا أعوانًا له فى طريقه وأمر بإجراء النفقة على بيته من كل ما يحتاج إليه، وتوجه طالب يطلب مصر. فسار هو وأصحابه يقطعون البلاد من الشام إلى أن دخلوا مصر، فتلقاه أمير مصر وأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام فى مدة إقامته عنده، ثم بعث معه دليلاً إلى الصعيد الأعلى حتى وصلوا إلى الأمير موسى بن نصر، فلما علم به خرج إليه وتلقاه وفرح به، فناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم معناه ووضعه على رأسه وقال: سمعًا وطاعة لأمير المؤمنين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إنه اتفق رأيه على أن يحضر أرباب دولته، فحضروا فسألهم عما بدا له فى الكتاب فقالوا: أيها الأمير إن أردت من يدلك على طريق ذلك المكان فعليك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودى فإنه رجل عارف وقد سافر كثيرًا وهو خبير بالبرارى والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والأرضين وأقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلى ما تريده. فأمر الأمير موسى بإحضاره فحضر بين يديه وإذا هو شيخ كبير قد أهرمه تداول السنين والأعوام، فسلم عليه الأمير موسى وقال له: يا شيخ عبد الصمد إن مولانا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أمرنا بكذا وكذا وأنا قليل المعرفة بتلك الأرض وقد قيل لى إنك عارف بتلك البلاد والطرقات فهل لك رغبة فى قضاء حاجة أمير المؤمنين؟ فقال الشيخ: اعلم أيها الأمير أن هذه الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك.

فقال له الأمير: كم مسير مسافتها؟، فقال: مسير سنتين وأشهر ذهابًا ومثلها مجيئًا وفيها شدائد وأهوال وغرائب وعجائب وأنت رجل مجاهد وبلادنا بالقرب من العدو فربما تخرج النصارى فى غيبتك والواجب أن تستخلف فى مملكتك من يدبرها، قال: نعم فاستخلف ولده هارون عوضًا عنه فى مملكته وأخذ عليه عهدًا وأمر الجنود أن لا يخالفوه بل يطاوعوه فى جميع مايأمرهم به فسمعوا كلامه وأطاعوه.

وكان ولده هارون عظيم البأس همامًا جليلاً وبطلاً كميًا وأظهر له الشيخ عبد الصمد

أن الموضع الذى فيه حاجة أمير المؤمنين مسيرة أربعة أشهر وهو على ساحل البحر وكله منازل تتصل ببعضها وفيها عشب وعيون وقال: قد يهون الله علينا ذلك ببركتك يا نائب أمير المؤمنين، فقال الأمير موسى: هل تعلم أن أحدًا من الملوك وطئ هذه الأرض قبلنا؟ قال له: نعم يا نائب أمير المؤمنين هذه الأرض لملك إسكندرية داران الرومى، ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قصر، فقال: تقدم بنا إلى هذا القصر الذى هو عبرة لمن اعتبر، فتقدم الأمير موسى إلى القصر ومعه الشيخ عبد الصمد وخواص أصحابه حتى وصلوا إلى بابه فوجدوه مفتوحًا وله أركان طويلة ودرجات وفى تلك الدرجات درجتان ممتدتان وهما من الرخام الملون الذى لم ير مثله والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن وعلى الباب لوح مكتوب فيه باليونانى فقال الشيخ عبد الصمد: هل أقرأه يا أمير؟ فقال: اقرأ بارك الله فيك فما حصل لنا فى هذا السفر إلا بركتك فقرأ:

قوم تراهم بعد ما صنعوا ... يبكى على الملك الذى نزعوا
فالقصر فيه منتهى خبر ... عن سادة فى الترب قد جُمعوا
أبادهم موت وفرقهم ... وضيعوا فى الترب ما جمعوا

فبكى الأمير موسى حتى غشى عليه وقال: لا إله إلا الله الحى الباقى بلا زوال. ثم إنه دخل القصر فتحير من حسنه وبنائه ونظر إلى ما فيه من الصور والتماثيل وإذا على الباب الثانى أبيات مكتوبة، فقال الأمير: تقدم أيها الشيخ واقرأ، فتقدم وقرأ:

كم معشر فى قبابها نزلوا ... على قديم الزمان وارتحلوا
فانظر إلى ما بغيرهم صنعت ... حوادث الدهر إذ بهم نزلوا
تقاسموا كل ما لهم جمعوا ... وخلفوا حظ ذاك وارتحلوا
كم لبسوا نعمة وكم أكلوا ... وأصبحوا فى التراب قد أُكلوا
كأنما أنزلوا رحالهم ... ليستريحوا وسرعة رحلوا

فبكى الأمير موسى بكاء شديدًا واصفرت الدنيا فى وجهه، ثم قال: لقد خلقنا لأمر عظيم، ثم تأملوا القصر فإذا هو قد خلا من السكان، وعدم الأهل والقطان، دوره موحشات، وجهاته مقفرات، وفى وسطه قبة عالية شاهقة فى الهواء وحواليها أربعمائة قبر فأتى الأمير إلى تلك القبور وإذا بقبر بينها، مبنى بالرخام منقوش عليه هذه الأبيات:

فكم قد وقفت وكم قد فتكت ... وقد شهدت من الكائنات
وكم قد أكلت وكم قد شربت ... وكم قد سمعت من القانيات
وكم قد أمرت وكم قد نهيت ... وكم من حصون ترى مانعات
فحاصرتها ثم فتشتها ... وبينت لك منها الغانيات
ولكن بجهلى تعديت فى ... حصول أمان غدت فانيات
فحاسب لنفسك يا ذا الفتى ... قبيل شرابك كأس الممات
فما قليل يهال الثرى ... عليك وأنت عديم الحياة

فبكى الأمير موسى ومن معه بكاء شديدًا، ثم دنا من القبة فإذا لها ثمانية أبواب من

خشب الصندل بمسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصعة بالمعادن من أنواع الجواهر مكتوب على الباب الأول هذه الأبيات:

ما قد تركت فما خلفته كرمًا	بل القضاء وحكم فى الورى جارى
فطالما كنت مسرورًا ومغتبطًا	أحمى حماى كمثل الضيغم الضارى
لا أستقر ولا أسخى بخردلة	شحا عليه ولو ألقيت فى النار
حتى رميت بأقدار مقدرة	من الإله العظيم الخالق البارى
إن كان موتى محتومًا على عجل	فلم أطق دفعه عنى بإكسار
ولا جنودى التى جمعتها نفعت	لم يغثنى صديق لى ولا جارى
وطول عمرى متعوب على سفر	تحت المنية فى يسر وإعسار
عادت لغيرك قبل الصبح كامنة	وقد أتوك بحمال وحفار
ويوم عرضك تلقى الله منفردًا	بحمل إثم وإجرام وأوزار
فلا تغرنك الدنيا بزينتها	وانظر إلى فعلها بالأهل والجار

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما سمع الأمير موسى هذه الأبيات بكى بكاء شديدًا حتى غشى عليه، فلما أفاق دخل القبة فرأى فيها قبرًا طويلاً هائل المنظر وعليه لوح من الحديد الصينى فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقرأه فإذا فيه مكتوب: بسم الله الدائم الأبدى الأبد، بسم الله الذى لم يكن له كفوًا أحد. بسم الله ذى العزة والجبروت بسم الله الحى الذى لا يموت.

ورأى بعده مكتوبًا فى اللوح: أما بعد أيها الواصل إلى هذا المكان اعتبر بما ترى من حوادث الزمان، وطوارق الحدثان، ولا تغتر بالدنيا وزينتها، وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فإنها ملاقة مكارة غدارة أمورها مستعارة، تأخذ المعار من المستعير فهى كأضغاث النائم وحلم الحالم كأنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، يزخرفها الشيطان للإنسان إلى الممات. فهذه صفات الدنيا لا تثق بها ولا تمل إليها، فإنها تخون من استند إليها وعول فى أموره عليها لا تقع فى حبالها ولا تتعلق بأذيالها فإنى ملكت أربعة آلاف حصان أحمر ودارًا وتزوجت ألف بنت من بنات الملوك نواهد أبكارًا، كأنهن الأقمار ورزقت ألف ولد وكأنهم الليوث العوابس وعشت من العمر ألف سنة منعم البال والأسرار وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الأقطار وكان ظنى أن النعيم يدوم لى بلا زوال. فلم أشعر حتى نزل بنا هادم اللذات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات ومفنى الكبار والصغار والأطفال والولدان والأمهات، وقد كنا فى هذا القصر مطمئنين حتى نزلت بنا حكم رب العالمين رب السموات ورب الأرضين فأخذتنا صيحة الحق المبين فصار يموت منا كل يوم اثنان حتى فنى منا جماعة كثيرة.

فلما رأيت الفناء قد دخل ديارنا وقد حل بنا وفى بحر المنايا أغرقنا أحضرت كاتبًا وأمرته أن يكتب هذه الأشعار والمواعظ والاعتبارات وقد جعلتها بالبيكار مسطرة على هذه الأبواب والألواح والقبور، وقد كان لى جيش ألف ألف عنان أهل جلاد، برماح وأزراد وسيوف

الأبواب والألواح والقبور، وقد كان لى جيش ألف ألف عنان أهل جلاد، برماح وأزراد وسيوف حداد، وسواعد شداد، فأمرتهم أن يلبسوا الدروع السابغات، ويتقلدوا السيوف الباترات، ويعتقلوا الرماح الهائلات، ويركبوا الخيول الصافنات فلما نزل بنا حكم رب العالمين رب الأرض والسموات قلت: يا معاشر الجنود والعساكر هل تقدرون أن تمنعوا ما نزل بى من الملك القاهر؟ فعجزت العساكر والجنود عن ذلك وقالوا: كيف نحارب من لم يحجب عنه حاجب صاحب الباب الذى ليس له بواب؟ فقلت لهم: أحضروا لى الأموال وهى ألف جب فى كل جب ألف قنطار من الذهب الأحمر وفيها أصناف الدر والجواهر ومثلها من الفضة والذخائر التى يعجز عنها ملوك الأرض ففعلوا.

فلما أحضروا المال بين يدى قلت لهم: هل تقدرون أن تفدونى بهذه الأموال كلها وتشتروا لى بها يومًا واحدًا أعيشه؟ فلم يقدروا على ذلك وصاروا مسلمين للقضاء والقدر وصبرت لله على القضاء والبلاء حتى أخذ روحى وأسكننى ضريحى وإن سألت عن اسمى فإنى: كوش بن شداد بن عاد الأكبر. وفى ذلك اللوح مكتوب أيضًا هذه الأبيات:

إن تذكرونى بعد طول زمانى ... وتقلب الأيام والحدثان
فأنا ابن شداد الذى ملك الورى ... والأرض أجمعها بكل مكان
دانت لى الزمر الصعاب بأسرها ... والشام من مصر إلى عدنان
قد كنت فى عز أذل ملوكها ... وتخاف أهل الأرض من سلطانى
وأرى القبائل والجحافل فى يدى ... وأرى البلاد وأهلها تخشانى
وإذا ركبت رأيت عدة عسكرى ... فوق الصواهل ألف ألف عنان
وملكت مالاً ليس يحصر عده ... وذخرته لنوائب الحدثان
وعزمت أن أفدى بمالى كله ... روحى إلى حين من الأحيان
فأبى الإله سوى نفاذ مراده ... فأنا الوحيد إذن من الإخوان
وأتانى الموت المفرق للورى ... فنقلت من عز لدار هوان
ولقد لقيت جميع ما قدمته ... فأنا الرهين به وكنت الجانى
فاربأ بنفسك أن تكون على شفى ... واحذر هديت طوارق الحدثان

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فبكى الأمير موسى حتى غشى عليه لما رأى من مصارع القوم، فبينما هم يطوفون بنواحى القصر، ويتأملون فى مجالسه ومتنزهاته وإذا هم بمائدة على أربع قوائم من المرمر مكتوب عليها: قد أكل على هذه المائدة ألف ملك أعور وألف ملك سليم العينين كلهم فارقوا الدنيا وسكنوا الأرماس والقبور. فكتب الأمير موسى ذلك كله.

ثم خرج ولم يأخذ معه من القصر غير المائدة، وسار العسكر والشيخ عبد الصمد أمامهم يدلهم على الطريق حتى مضى ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه، وإذا هم برابية عالية فنظروا إليها فإذا عليها فارس من نحاس وفى رأس رمحه سنان عريض براق يكاد أن يخطف

البصر مكتوب عليه أيها الواصل إليّ إن كنت لا تعرف الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس فافرك كف الفارس فإنه يدور ثم يقف فأى جهة وقف إليها فاسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فإنها توصلك إلى مدينة النحاس، ثم إن الأمير موسى لما فرك كف الفارس دار كأنه البرق الخاطف وتوجه إلى غير الجهة التى كانوا فيها فتوجه القوم فيها وساروا فإذا هى طريق حقيقية فسلكوها ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم حتى قطعوا بلادًا بعيدة فبينما هم سائرون يومًا من الأيام وإذا هم بعمود من الحجر الأسود وفيه شخص غائص فى الأرض إلى إبطه وله جناحان عظيمان وأربع أياد يدان منها كأيدى الآدميين ويدان كأيدى السباع فيهما مخالب وله شعر فى رأسه كأنه أذناب الخيل وله عينان كأنهما جمرتان وله عين ثالثة فى جبهته كعين الفهد يلوح منها شرر النار وهو أسود طويل وينادى: سبحان ربى حكم علىّ بهذا البلاء العظيم والعذاب الأليم إلى يوم القيامة.

فلما عاينه القوم طارت عقولهم واندهشوا لما رأوا من صفته وولوا هاربين، فقال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد: ما هذا؟ فقال: لا أدرى ما هو. فقال: ادن منه وابحث عن أمره ولعله يكشف عن أمره فلعلك تطلع على خبره. فقال الشيخ عبد الصمد: أصلح اللّه الأمير إنا نخاف منه، قال: لا تخافوا فإنه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه. فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقال له: أيها الشخص ما اسمك وما شأنك وما الذى جعلك فى هذا المكان على هذه الصورة؟ فقال له: أما أنا فإنى عفريت من الجن واسمى داهش بن الأعمش وأنا مكفوف هاهنا بالعظمة محبوس بالقدرة معذب إلى ما شاء الله - عز وجل -. قال الأمير موسى: يا شيخ عبد الصمد اسأله ما سبب سجنه فى هذا العمود؟ فسأله عن ذلك، فقال له العفريت:

إن حديثى عجيب وذلك أنه كان لبعض أولاد إبليس صنم من العقيق الأحمر وكنت موكلاً به وكان يعبده ملك من ملوك البحر جليل القدر عظيم الخطر يقود من عساكر الجان ألف ألف يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته فى الشدائد وكان الجان الذين يطيعونه تحت أمرى وطاعتى يتبعون قولى إذا أمرتهم وكانوا كلهم عصاة على سليمان بن داود - عليهما السلام -، وكنت أدخل فى جوف الصنم فآمرهم وأنهاهم وكانت ابنة ذلك الملك تحب ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته، وكانت أحسن أهل زمانها ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، وصفتها لسليمان - عليه السلام - فأرسل إلى أبيها يقول له: زوجنى ابنتك واكسر صنمك العقيق واشهد أن لا إله إلا الله، وأن سليمان نبى الله، فإن أنت فعلت ذلك كان لك ما لنا وعليك ما علينا، وإن أنت أبيت أتيتك بجنود لا طاقة لك بها، فاستعد للسؤال جوابًا والبس للموت جلبابًا فسوف أسير إليك بجنود عظيمة قوية تملأ الفضاء وتذرك كالأمس الذى مضى.

فلما جاءه رسول سليمان - عليه السلام - طغى وتجبر، وتعاظم فى نفسه وتكبر، ثم قال لوزرائه: ماذا تقولون فى أمر سليمان بن داود فإنه أرسل يطلب ابنتى وأن أكسر صنمى العقيق وأدخل فى دينه؟ فقالوا: أيها الملك العظيم هل يقدر سليمان أن يفعل بك ذلك وأنت فى وسط هذا البحر العظيم، فإن هو سار إليك لا يقدر عليك فإن مردة الجن يقاتلون معك وتستعين عليه بصنمك الذى تعبده فإنه يعينك عليه وينصرك والصواب أن تشاور ربك فى ذلك. ويعنون به الصنم العقيق الأحمر، وتسمع ما يكون جوابه فإن أشار عليك أن تقاتله فقاتله وإلا فلا،

فعند ذلك سار الملك من وقته وساعته ودخل على صنمه بعد أن قرب القربان وذبح الذبائح وخر له ساجدًا وجعل يبكى ويقول:

يا رب إنى عارف بقدركا ... وها سليمان يروم كسركا
يا رب إنى طالب لنصرك ... فأمر فإنى طائع لأمركا

ثم قال ذلك العفريت الذى نصفه فى العمود للشيخ عبد الصمد ومن حوله يسمع:
فدخلت أنا فى جوف الصنم من جهلى وقلة عقلى وعدم اهتمامى بأمر سليمان وقلت:

أما أنا فلست منه خائف ... لأننى بكل أمر عارف
وأن يرد حربى فإنى زاحف ... وإننى للروح منه خاطف

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الملك جوابى له قوى قلبه وعزم على حرب سليمان نبى الله - عليه السلام - وعلى مقاتلته، فلما حضر رسول سليمان ضربه ضربًا وجيعًا ورد عليه ردًا شنيعًا وأرسل يهدده ويقول له مع الرسول: لقد حدثتك نفسك بالأمانى أتوعدنى بزور الأقوال. إما إن تسير إلىّ وإما أن أسير إليك. ثم رجع الرسول إلى سليمان وأعلمه بجميع ما كان من أمره وما حصل له، فلما سمع نبى الله سليمان ذلك قامت قيامته وثارت عزيمته وجهز عساكره من الجن والإنس والوحوش والطير والهوام وأمر وزيره الدمرياط ملك الجن أن يجمع مردة الجان من كل مكان، فجمع له من الشياطين ستمائة ألف ألف وأمر آصف بن برخيا أن يجمع عساكره من الإنس فكانت عدتهم ألف ألف أو يزيدون وأعد العدة والسلاح وركب هو وجنوده من الجن والإنس على البساط والطير فوق رأسه طائرة والوحوش من تحت البساط ثائرة، حتى نزل بساحته وأحاط بجزيرته وقد ملأ الأرض بالجنود. ثم أرسل إلى ملكنا يقول له: ها أنا قد أتيت فاردد عن نفسك ما نزل وإلا فادخل تحت طاعتى وقر برسالتى واكسر صنمك واعبد الواحد المعبود وزوجنى ابنتك بالحلال وقل أنت ومن معك: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سليمان نبى الله، فإن قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة وإن أبيت فلا يمنعك تحصنك منى فى هذه الجزيرة فإن الله - تبارك وتعالى - أمر الريح بطاعتى فآمرها أن تحملنى إليك بالبساط وأجعلك عبرة لغيرك.

فجاءه الرسول وبلغه رسالة نبى الله سليمان - عليه السلام -، فقال له الملك: ليس لهذا الأمر الذى طلبه منى سبيل فأعلمه أنى خارج إليه، فعاد الرسول إلى سليمان ورد عليه الجواب، ثم إن الملك أرسل إلى أهل أرضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده ألف ألف وضم إليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين فى جزائر البحار ورءوس الجبال ثم جهز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرقها عليهم، وأما نبى الله سليمان - عليه السلام - فإنه رتب جنوده وأمر الوحوش أن تنقسم شطرين على يمين القوم وعلى شمالهم، وأمرالطيور أن تكون فى الجزائر وأمرها عند الحملة أن تخطف أعينهم بمناقيرها وأن تضرب وجوههم بأجنحتها، وأمر الوحوش أن تفترس خيولهم، فقالوا: السمع والطاعة لله ولك يا نبى الله. ثم إن سليمان نصب له سريرًا من المرمر مرصعًا بالجواهر مصفحًا بصفائح الذهب الأحمر، وجعل وزيره

آصف بن برخيا على الجانب الأيمن ووزيره الدمرياط على الجانب الأيسر وملوك الإنس على يمينه وملوك الجن على يساره والوحوش والأفاعى والحيات أمامه ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتحاربنا معه فى أرض واسعة مدة يومين ووقع بنا البلاء فى اليوم الثالث فنفذ فينا قضاء الله - تعالى -، وكان أول من حمل على سليمان أنا وجنودى وقلت لأصحابى: الزموا مواطنكم حتى أبرز إليهم وأطلب قتال الدمرياط.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: وإذا بالدمرياط قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع فاقبل ورميته بشهاب من نار فقلب سهمه على نارى وصرخ على صرخة عظيمة تخيلت منها أن السماء انطبقت علىّ وانهزت لصوته الجبال، ثم أمر أصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب أن تنفطر وقامت الحرب على ساق وصارت الطيور تقاتل فى الهواء والوحوش تقاتل فى الثرى وأنا أقاتل الدمرياط حتى أعيانى وأعييته، ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت أصحابى وجنودى وانهزمت عشائرى وصاح نبى الله سليمان: خذوا هذا الجبار العظيم النحس الذميم. فحملت الإنس على الإنس والجن على الجن، ووقعت بملكنا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة وحملت العساكر على جيوشنا والوحوش حولهم يمينًا وشمالاً والطيور فوق رءوسنا تخطف أبصار القوم تارة بمخالبها وتارة بمناقيرها وتارة تضرب بأجنحتها فى وجوه القوم والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال حتى صار أكثر القوم على وجه الأرض كجذوع النخل، وأما أنا فطرت من بين أيادى الدمرياط فلحقنى وقد وقعت كما ترونى.

فقال له موسى وأصحابه: أين الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس؟ فأشار لهم إلى طريق المدينة وإذا بينهم وبينها خمسة وعشرون بابًا لا يظهر منها باب واحد ولا يعرف له أثر وسورها كأنه قطعة من جبل أو حديد صب فى قالب، فنزل القوم ونزل الأمير موسى والشيخ عبد الصمد، واجتهدوا أن يعرفوا لها بابًا ويجدوا لها سبيلاً فلم يصلوا إلى ذلك.

فقال الأمير موسى: يا طالب كيف الحيلة فى دخول هذه المدينة فلا بد أن نعرف لها بابًا ندخل منه؟ فقال طالب: أصلح الله الأمير، لنسترح يومين أو ثلاثة وندبر الحيلة إن شاء الله - تعالى - فى الوصول إليها والدخول فيها. فعند ذلك أمر الأمير موسى بعض غلمانه أن يركب جملاً ويطوف حول المدينة لعله يطلع على أثر باب أو موضع قصر فى المكان الذى هم فيه نازلون، فركب بعض غلمانه وسار حولها يومين بليلتيهما يجد السير ولا يستريح، فلما كان اليوم الثالث أشرف على أصحابه وهو مدهوش لما رأى من طولها وارتفاعها ثم قال: أيها الأمير إن أهون موضع فيها هذا الموضع الذى أنتم نازلون فيه، ثم إن الأمير موسى أخذ طالب بن سهل والشيخ عبد الصمد وصعدوا على جبل مقابلها، وهو مشرف عليها، فلما طلعوا ذلك الجبل رأوا مدينة لم تر العيون أعظم منها قصورها عالية وقبابها زاهية، ودورها عامرات، وأنهارها جاريات وأشجارها مثمرات، ورياضها يانعات، وهى مدينة بأبواب منيعة خالية خامدة لا حس فيها ولا أنيس، يصفر البوم فى جهاتها، ويحوم الطير فى عرصاتها، وينعق الغراب فى

نواحيها، ويبكى على من كان فيها فوقف الأمير موسى يتندم على خلوها من السكان وخرابها من الأهل والقطان، وقال: سبحان من لا تغيره الدهور والأزمان خالق الخلق بقدرته، فبينما هو يسبح الله - عز وجل - إذ حانت منه التفاتة إلى جهة وإذا فيها سبعة ألواح من الرخام الأبيض وهى تلوح من البعد، فدنا منها فإذا هى منقوشة مكتوبة، فأمر أن تقرأ كتابتها فتقدم الشيخ عبد الصمد وتأملها وقرأها فإذا فيها وعظ واعتبار وزجر لذوى الأبصار، مكتوب على اللوح الأول بالقلم اليونانى: يا ابن آدم ما أغفلك عن أمر هو أمامك قد ألهتك عنه أيامك وأعوامك أما علمت أن كاس المنية لك يترع، وعن قريب له تتجرع، فانظر لنفسك، قبل دخول رمسك أين من ملك البلاد وأذل العباد وقاد الجيوش، نزل بهم والله هادم اللذات فنقلهم من سعة القصور إلى ضيق القبور. وفى أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات:

أين الملوك ومن بالأرض قد عمروا ... قد فارقوا ما بنوا فيها وما عمروا
وأصبحوا رهن قبر بالذى عملوا ... عادوا رميمًا به من بعد ما دثروا
أين العساكر ما ردت وما نفعت ... وأين ما جمعوا فيها وما ادخروا
أتاهم أمر رب العرش فى عجل ... لم ينجهم منه أموال ولا نصروا

فصعق الأمير موسى وجرت دموعه على خده وقال: والله إن الزهد فى الدنيا هو غاية التوفيق ونهاية التحقيق، ثم إنه أحضر دواة وقرطاسًا وكتب ما على اللوح الأول، ثم دنا من اللوح الثانى وإذا عليه مكتوب: يا ابن آدم ما غرك بقديم الأزل، وما ألهاك عن حلول الأجل، ألم تعلم أن الدنيا دار بوار ما لأحد فيها قرار، وأنت ناظر إليها ومكب عليها، أين الملوك الذين عمروا العراق، وملكوا الآفاق، أين من عمروا أصفهان وبلاد خراسان، دعاهم داعى المنايا فأجابوه، وناداهم داعى الفناء فلبوه، وما نفعهم ما بنوا وشيدوا، ولا رد عنهم ما جمعوا وعددوا. وفى أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات:

أين الذين بنوا لذاك وشيدوا ... غرفًا به لم يحكها بنيان
جمعوا العساكر والجيوش مخافة ... من ذلك تقدير الإله فهانوا
أين الأكاسرة المناع حصونهم ... تركوا البلاد كأنهم ما كانوا

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فبكى الأمير موسى وقال: والله لقد خلقنا لأمر عظيم، ثم كتب ما عليه، ودنا من اللوح الثالث فوجد فيه مكتوبًا: يا ابن آدم أنت بحب الدنيا لاه وعن أمر ربك ساه، كل يوم من عمرك ماض، وأنت بذلك قانع وراض، فقدم الزاد ليوم المعاد، واستعد لرد الجواب بين يدى رب العباد، وفى أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات:

أين الذى عمر البلاد بأسرها ... سندًا وهندًا واعتدى وتجبرا
والزنج والحبش استقاد لأمره ... والنوب لما أن طغى وتكبرا
لا تنتظر خبرًا بما فى قبره ... هيهات أن تلقى لذلك مخبرا
فدهته من ريب المنون حوادث ... لم ينجه من قصره ما عمرا

فبكى الأمير موسى بكاء شديدًا، ثم دنا من اللوح الرابع فرأى مكتوبًا عليه: يا ابن آدم كم يمهلك مولاك وأنت غائب فى بحر لهوك، كل يوم خيره إليك نازل حتى لا تموت، يا ابن آدم لا تغرنك أيامك ولياليك وساعاتك الملهية وغفلاتها، واعلم أن الموت لك مراصد، وعلى كتفك صاعد، ما من يوم يمضى إلا صبحك صباحًا ومساك مساء فاحذر من هجمته واستعد له، فكأنى بك وقد سلبت طول حياتك وضيعت لذات أوقاتك، وثق بمولى الموالى ليس للدنيا ثبوت، إنما الدنيا كبيت العنكبوت. وفى أسفله هذه الأبيات:

أين من أسس الذرى وبناها	وتولى مشيدها ثم علـى
أين أهل الحصون من سكنوها	رحلوا كلهم كمن قد تلى
أصبحوا فى القبور رهنًا ليوم	فيه يبكى ونحن من بعد نبلى
ليس يبقى سوى الإله تعالى	وهو ما زال للكرامة أهلا

فبكى الأمير موسى وكتب ذلك كله ونزل من فوق الجبل وقد صور الدنيا بين عينيه. فلما وصل إلى العسكر أقاموا يومهم يدبرون الحيلة فى دخول المدينة، فقال الأمير موسى لوزيره طالب بن سهل ولمن حوله من خواصه: كيف تكون الحيلة فى دخول المدينة لننظر عجائبها ولعلنا نجد فيها ما نتقرب به إلى أمير المؤمنين؟ فقال طالب بن سهل: أدام الله نعمة الأمير نعمل سلمًا ونصعد عليه لعلنا نصل إلى الباب من داخل، فقال الأمير موسى هذا ما خطر ببالى وهو نعم الرأى. ثم إنه دعا بالنجارين والحدادين وأمر أن يسووا الأخشاب ويعملوا سلمًا مصفحًا بصفائح الحديد، ففعلوا وأحكموه وقعدوا فى عمله شهرًا كاملاً واجتمعت عليه الرجال فأقاموه وألصقوه بالسور فجاء مساويًا له كأنه قد عمل له قبل ذلك اليوم، فتعجب الأمير موسى منه وقال: بارك الله فيكم كأنكم قستموه عليه من حسن صنعتكم، ثم إن الأمير موسى قال للناس: من يطلع منكم على هذا السلم ويصعد فوق السور ويمشى عليه ويتحايل فى نزوله إلى أسفل المدينة لينظر كيف الأمر ثم يخبرنا بكيفية فتح الباب؟ فقال أحدهم: أنا أصعد عليه أيها الأمير وأنزل أفتحه. فقال له الأمير موسى: اصعد بارك الله فيك.

فصعد الرجل على السلم حتى صار فى أعلاه ثم إنه قام على قدميه وشخص إلى المدينة وصفق بكفيه وصاح بأعلى صوته وقال: أنت مليح ورمى بنفسه من داخل المدينة فانهرس لحمه على عظمه، فقال الأمير موسى: هذا فعل العاقل فكيف يكون فعل المجنون إن كنا نفعل هكذا بجيمع أصحابنا لم يبق منهم أحد فنعجز عن قضاء حاجتنا وحاجة أمير المؤمنين ارحلوا فلا حاجة لنا فى هذه المدينة، فقال بعضهم: لعل غير هذا أثبت منه. فصعد ثان وثالث ورابع وخامس.

فما زالوا يصعدون على ذلك السلم إلى السور واحدًا بعد واحد إلى أن راح منهم اثنا عشر رجلاً وهم يفعلون كما فعل الأول، فقال الشيخ عبد الصمد، ما لهذا الأمر غيرى وليس المجرب كغير المجرب، فقال له الأمير موسى: لا تفعل ذلك ولا أمكنك من الطلوع إلى هذا السور لأنك إذا مت كنت سببًا لموتنا كلنا ولم يبق منا أحد لأنك أنت دليل القوم، فقال له الشيخ عبد الصمد: لعل ذلك يكون على يدى بمشيئة الله - تعالى -. فاتفق القوم كلهم على صعوده، ثم إن الشيخ عبد الصمد قام ونشط نفسه، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم إنه صعد على

صعد على السلم وهو يذكر الله - تعالى - ويقرأ آيات النجاة إلى أن بلغ أعلى السور ثم إنه صفق بيده وشخص ببصره، فصاح عليه القوم جميعًا وقالوا: أيها الشيخ عبد الصمد لا تفعل ولا تلق نفسك، وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون إن وقع الشيخ عبد الصمد هلكنا بأجمعنا، ثم إن الشيخ عبد الصمد ضحك ضحكًا زائدًا وجلس ساعة طويلة يذكر الله - تعالى - ويتلو آيات النجاة، ثم إنه قام على حيله ونادى بأعلى صوته: أيها الأمير لا بأس عليكم فقد صرف الله عنى - عز وجل - كيد الشيطان ومكره ببركة بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال له الأمير: ما رأيت أيها الشيخ؟ قال: لما حصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهن يشرن بأيديهن أن تعالى إلينا، وتخيل لى أن تحتى بحرًا من الماء فأردت أن ألقى نفسى كما فعل أصحابنا فرأيتهم موتى فتماسكت عنهم وتلوت شيئًا من كتاب الله - تعالى - فصرف الله عنى كيدهن، وانصرفن عنى فلم أرم نفسى ورد الله عنى كيدهن وسحرهن، ولا شك أن هذا سحر ومكيدة صنعها أهل تلك المدينة ليردوا عنها كل من أراد أن يشرف عليها ويروم الوصول إليها، وهؤلاء أصحابنا مطروحون موتى، ثم إنه مشى على السور إلى أن وصل إلى البرجين النحاس فرأى لهما بابين من الذهب ولا قفل عليهما وليس فيهما علامة للفتح.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم وقف الشيخ ما شاء الله وتأمل فرأى فى وسط الباب صورة فارس من نحاس له كف ممدود كأنه يشير به وفيه خط مكتوب. فقرأه الشيخ عبد الصمد فإذا فيه: افرك المسمار الذى فى سرة الفارس اثنتى عشرة فركة فإن الباب ينفتح.

فتأمل الفارس فإذا فى سرته مسمار محكم متقن مكين ففركه اثنتى عشرة فركة فانفتح الباب فى الحال وله صوت كالرعد فدخل منه الشيخ عبد الصمد وكان رجلاً فاضلاً عالمًا بجميع اللغات والأقلام فمشى إلى أن دخل دهليزًا طويلاً نزل منه على درجات فوجد مكانًا بدكك حسنة وعليها أقوام موتى وفوق رءوسهم التروس المكلفة والحسامات المرهفة والقسى الموترة والسهام الملفوفة، وخلف الباب عمود من حديد ومتاريس من خشب وأقفال رقيقة وآلات محكمة.

فقال الشيخ عبد الصمد فى نفسه: لعل المفاتيح عند هؤلاء القوم، ثم نظر بعينه وإذا هو بشيخ يظهر أنه أكبرهم سنًا وهو على دكة عالية بين القوم والموتى، فقال الشيخ عبدالصمد: وما يدريك أن تكون مفاتيح هذه المدينة مع هذا الشيخ ولعله بواب المدينة وهؤلاء من تحت يده؟ فدنا منه ورفع ثيابه وإذا بالمفاتيح معلقة فى وسطه.

فلما رآها الشيخ عبد الصمد فرح فرحًا شديدًا وقد كاد عقله يطير من الفرح. ثم إن الشيخ عبد الصمد أخذ المفاتيح ودنا من الباب وفتح الأقفال وجذب الباب والمتاريس والآلات فانفتحت وانفتح الباب بصوت كالرعد لكبره وهوله وعظم آلاته، فعند ذلك كبر الشيخ وكبر القوم واستبشروا وفرحوا وفرح الأمير موسى بسلامة الشيخ عبد الصمد وفتح باب المدينة، وقد شكره القوم على ما فعله، فبادر العسكر كلهم بالدخول من الباب فصاح عليهم الأمير موسى.

وقال لهم: يا قوم لا نأمن إذا دخلنا كلنا من أمر يحدث ولكن يدخل النصف ويتأخر النصف، ثم إن الأمير موسى دخل من الباب ومعه نصف القوم وهم حاملون آلات الحرب، فنظر القوم إلى أصحابهم وهم ميتون فدفنوهم، ورأوا البوابين والخدم والحجاب والنواب راقدين فوق فراش الحرير موتى كلهم.

ودخلوا إلى سوق المدينة فنظروا سوقًا عظيمة عالية الأبنية لا يخرج بعضها عن بعض والدكاكين مفتحة والموازين معلقة والنحاس مصفوفًا والخانات ملآنة من جميع البضائع.

ورأوا التجار موتى على دكاكينهم، وقد يبست منهم الجلود ونخرت منهم العظام وصاروا عبرة لمن اعتبر.

ونظروا إلى أربعة أسواق مستقلات ودكاكينها مملوءة بالمال فتركوها ومضوا إلى سوق الخز وإذا فيه من الحرير والديباج ما هو منسوج بالذهب الأحمر والفضة البيضاء على اختلاف الألوان وأصحابه موتى رقود على أنطاع الأديم يكادون أن ينطقوا.

فتركوهم ومضوا إلى سوق الجواهر واللؤلؤ والياقوت فتركوه ومضوا إلى سوق الصيارف فوجدوهم موتى وتحتهم أنواع الحرير والإبريسم ودكاكينهم مملوءة من الذهب والفضة.

فتركوهم ومضوا إلى سوق العطارين، فإذا دكاكينهم مملوءة بأنواع العطريات، ونوافج المسك والعنبر. والند والكافور وغير ذلك وأهلها كلهم موتى ولم يكن عندهم شيء من المأكول.

فلما طلعوا من سوق العطارين وجدوا قريبًا منه قصرًا مزخرفًا مبنيًا متقنًا فدخلوه فوجدوا أعلامًا منشورة وسيوفًا مجردة وقسيًا موترة وتروسًا معلقة بسلاسل من الذهب والفضة وخوذًا مطلية بالذهب الأحمر وفي دهاليز ذلك القصر دكك من العاج المصفح بالذهب الوهاج والإبريسم وعليها رجال قد يبست منهم الجلود على العظام يحسبهم الجاهل نيامًا ولكنهم من عدم القوت ماتوا وذاقوا الحمام.

فعند ذلك وقف الأمير موسى يسبح الله - تعالى -، ويقدسه وينظر إلى حسن ذلك القصر ومحكم بنائه وعجيب صنعه بأحسن صفة وأتقن هندسة وأكثر نقشه باللازورد الأخضر مكتوب على دائره بعض الأبيات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ولما وقف الأمير موسى قبالة ذلك القصر وهو متعجب من حسن بنيانه وروعة هندسته.

فرأى مكتوبًا على دائرة هذه الأبيات:

انظر إلى ما ترى يا أيها الرجل	وكن على حذر من قبل ترتحلُ
وقدم الزاد من خير تفوز به	فكلُّ ساكن دار سوف يرتحلُ
وانظر إلى معشر زانوا منازلهم	فأصبحوا في الثرى رهنًا بما عملوا
بنوا فما نفع البنيان وادخروا	لم ينجهم مالهم لما انقضى الأجلُ

كما أملوا غير مقدور لهم فمضوا إلى القبور ولم ينفعهم الأمل
واستنزلوا من أعالى عز رتبتهم لذل ضيق لحود ساءَ ما نزلوا
فجاءهم صارخٌ من بعد ما دُفنوا أين الأسرة والتيجان والحللُ
أين الوجوه التى كانت محجبة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم أما الخدود فعنها الورد منتقلُ
قد طال ما أكلوا يومًا وما شربوا فأصبحوا بعد طيب الأكل قد أُكلوا

فبكى الأمير موسى حتى غشى عليه وأمر بكتابة هذا الشعر.

ثم دخل القصر فرأى حجرة كبيرة وأربعة مجالس عالية كبار متقابلة واسعة منقوشة بالذهب والفضة مختلفة الألوان وفى وسطها فسقية كبيرة من المرمر وعليها خيمة من الديباج وفى تلك المجالس جهات وفى تلك الجهات فساقى مزخرفة وحيضان مرخمة ومجارٍ تجرى من تحت تلك المجالس وتلك الأنهار الأربعة تجرى وتجتمع فى بحيرة عظيمة مرخمة باختلاف الألوان.

ثم قال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد: ادخل بنا هذه المجالس.

فدخلوا المجلس الأول فوجدوه مملوءًا من الذهب والفضة البيضاء واللؤلؤ والجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة، ووجدوا فيها صناديق مملوءة من الديباج الأحمر والأصفر والأبيض.

ثم إنهم انتقلوا إلى المجلس الثانى ففتحوا خزانة فيه فإذا هى مملوءة بالسلاح وآلات الحرب من الخوذ المذهبة والدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح الخطية والدبابيس الخوارزمية وغيرها من أصناف آلات الحرب والكفاح.

ثم انتقلوا إلى المجلس الثالث فوجدوا فيه خزائن عليها أقفال مغلقة وفوقها ستارات منقوشة بأنواع الطراز، ففتحوا منها خزانة فوجدوها مملوءة بالسلاح المزخرف بأنواع الذهب والفضة والجواهر.

ثم إنهم انتقلوا إلى المجلس الرابع فوجدوا فيه خزائن ففتحوا منها خزانة فوجدوها مملوءة بآلات الطعام والشراب من أصناف الذهب والفضة وسكارج البللور والأقداح المرصعة باللؤلؤ الرطب وكاسات العقيق وغير ذلك.

فجعلوا يأخذون ما يصلح لهم من ذلك ويحمل كل واحد من العسكر ما يقدر عليه، فلما عزموا على الخروج من تلك المجالس رأوا هناك بابًا من السياج متداخلاً فيه العاج والأبنوس وهو مصفح بالذهب الوهاج فى وسط ذلك القصر وعليه ستر مسبول من حرير منقوش بأنواع الطراز وعليه أقفال من الفضة البيضاء تفتح بالحيلة بغير مفتاح، فتقدم الشيخ عبد الصمد إلى تلك الأقفال ففتحها بمعرفته وشجاعته وبراعته فدخل القوم من دهليز مرخم فى جوانب ذلك الدهليز براقع عليها صور من أصناف الوحوش والطيور، وكل ذلك من ذهب أحمر وفضة بيضاء وعيونها من الدر واليواقيت يتحير كل من رآها، ثم وصلوا إلى قاعة مصنوعة، فلما رآها الأمير موسى والشيخ عبد الصمد اندهشا من صنعتها، ثم إنهم عبروا فوجدوا قاعة

أخرى مصنوعة من رخام مصقول منقوش بالجواهر يتوهم الناظر أن فى طريقها ماء جاريًا لو مرَّ عليه أحد لزلق فأمر الأمير موسى الشيخ عبد الصمد أن يطرح عليها شيئًا حتى يتمكنوا من أن يمشوا عليها، ففعل ذلك وتحيل حتى عبروا فوجدوا فيها قبة عظيمة مبنية بحجارة مطلية بالذهب الأحمر لم يشاهد القوم فى جميع ما رأوا أحسن منها وفى وسط تلك القبة، قبة عظيمة كبيرة من المرمر بدائرها شبابيك منقوشة مرصعة بقضبان الزمرد لا يقدر عليها أحد من الملوك وفيها خيمة من الديباج منصوبة على أعمدة من الذهب الأحمر وفيها طيور أرجلها من الزمرد الأخضر وتحت كل طير شبكة من اللؤلؤ الرطب مجللة على فسقية وموضوع على الفسقية سرير مرصع بالدر والجوهر، والياقوت وعلى السرير جارية كأنها الشمس الضاحية لم يرَ الراؤون أحسن منها وعليها ثوب من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر وعصابة من الجوهر وفى عنقها عقد من الجوهر وفى وسطه جواهر مشرقة وعلى جبينها جوهرتان نورهما كنور الشمس وهى كأنها ناظرة إليهم تتأملهم يمينًا وشمالاً.

فلما رأى الأمير موسى هذه الجارية تعجب غاية العجب من جمالها وتحير من حسنها وحمرة خديها وسواد شعرها يظن الناظر أنها بالحياة ولم تكن ميتة، فقالوا لها: السلام عليك أيتها الجارية. فقال له طالب بن سهل: أصلح الله شأنك اعلم أن هذه الجارية ميتة لا روح فيها فمن أين لها أن ترد السلام. ثم إن طالب بن سهل قال له: أيها الأمير إنها صورة مدبرة بالحكمة وقد قلعت عيناها بعد موتها وجعل تحتها زيبق وأعيدتا مكانهما فهما يلمعان كأنما يحركهما الهدب يتخيل الناظر أنها ترمش بعينيها وهى ميتة. فقال الأمير: سبحان الله الذى قهر العباد بالموت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: وأما السرير الذى عليه الجارية فله درج وعلى الدرج عبدان أحدهما أبيض والآخر أسود وبيد أحدهما آلة من الفولاذ وبيد الآخر سيف مجوهر يخطف الأبصار وبين يدى العبدين لوح من ذهب وفيه كتابة تقرأ وهى «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله خالق الإنسان وهو رب الأرباب، ومسبب الأسباب، بسم الله الباقى السرمدى، بسم الله مقدر القضاء والقدر، يا ابن آدم ما أجهلك بطول الأمل، وما أسهاك عن حلول الأجل، أما علمت أن الموت لك قد دعا، وإلى قبض روحك قد سعى، فكن على أهبة الرحيل، وتزود من الدنيا فتفارقها عن قليل.

أين آدم أبو البشر، أين نوح ومن نسل، أين الملوك الأكاسرة والقياصرة، أين ملوك الهند والعراق، أين ملوك الآفاق، أين العمالقة، أين الجبابرة، خلت منهم الديار وقد فارقوا الأهل والأوطان، أين ملوك العجم والعرب، ماتوا بأجمعهم وصاروا رممًا، أين السادة ذوو الرتب قد ماتوا جميعًا، أين قارون وهامان، أين شداد بن عاد، أين كنعان وذو الأوتاد، قرضهم قارض الأعمار، وأخلى منهم الديار، فهل قدموا الزاد ليوم المعاد، واستعدوا لجواب رب العباد، يا هذا إن كنت لا تعرفنى فأنا أعرفك باسمى ونسبى.

أنا ترمز بنت عمالقة الملوك، من الذين عدلوا فى البلاد، ملكتُ ما لم يملكه أحد من الملوك وعدلت فى القضية، وانصفت بين الرعية، وأعطيت ووهبت وقد عشت زمانًا طويلاً فى سرور وعيش رغيد، وأعتقت الجوارى والعبيد، حتى نزل بى طارق المنايا، وحلَّت بين يدى الرزايا، وذلك أنه قد تواترت علينا سبع سنين لم ينزل علينا ماء من السماء ولا نبت لنا عشب على وجه الأرض فأكلنا ما كان عندنا من القوت ثم عطفنا على المواشى من الدواب فأكلناها ولم يبق شيء، فحينئذ أحضرت المال وكلته بمكيال وبعثته مع الثقات من الرجال فطافوا به جميع الأقطار ولم يتركوا مصرًا من الأمصار فى طلب شيء من القوت فلم يجدوه، ثم عادوا إلينا بالمال بعد طول الغيبة، فحينئذ أظهرنا أموالنا وذخائرنا وأغلقنا أبواب الحصون التى بمدينتنا وسلمنا لحكم ربنا، وفوضنا أمرنا لمالكنا، فمتنا جميعًا كما ترانا وتركنا ما عمرنا وما ادّخرنا، فهذا هو الخبر، وما بعد العين إلا الأثر، والله إن التقوى هى رأس الأمور والتحقيق، والركن الوثيق، وإن الموت هو الحق المبين، والوعد اليقين، وفيه يا هذا المرجع والمآب، واعتبر بمن سلف قبلك فى التراب، وبادر إلى سبيل المعاد، أما ترى الشيب إلى القبر دعاك، وبياض شعرك على نفسك قد نعاك، فكن على يقظة الرحيل والحساب، يا ابن آدم ما أقسى قلبك، فما غرك بربك، أين الأمم السالفة العبرة لمن اعتبر، أين ملوك الصين، أهل التمكين والبأس، أين عاد بن شداد وما بنى وعَمّر، أين النمرود الذى طغى وتجبر، أين فرعون الذى جحد وكفر، كلهم قهرهم الموت على الأثر، فما أبقى صغيرًا ولا كبيرًا ولا أنثى ولا ذكرًا، قرضهم قارض الأعمار ومكور الليل على النهار.

اعلم أيها الواصل إلى هذا المكان ممن رآنا أنه لا يغتر بشيء من الدنيا وحطامها فإنها غدارة مكارة، دار بوار وغرور فطوبى لعبد ذكر ذنبه وخشى ربه وأحسن المعاملة وقدم الزاد ليوم المعاد، فمن وصل إلى مدينتنا ودخلها وسهل الله عليه دخولها فليأخذ من المال ما يقدر عليه ولا يمس من فوق جسدى شيئًا فإنه ستر لى وجهازى من الدنيا، فليتق الله ولا يسلب منه شيئًا فيهلك نفسه، وقد جعلت ذلك نصيحة منى إليه، وأمانة منى لديه، والسلام، فأسأل الله أن يكفيكم شر البلايا والسقام».

ثم نظر الأمير موسى وصحبه إلى أسفل الدرج فرأوا مكتوبًا فيه هذه الأبيات:

بنى آدم لا يهزأ بك الأملُ	عن كل ما ادخرت كفاك تنتقلُ
أراك ترغب فى الدنيا وزينتها	وقد سعى قبلك الماضون والأولُ
قد حصلوا المال من حل ومن حرم	فلم يرد القضا لما انتهى الأجلُ
قادوا العساكر أفواجًا وقد جمعوا	فخلفوا المال والبنيان وارتحلوا
إلى قبور وضيق فى الثرى رقدوا	وقد أقاموا به رهنًا بما عملوا
كأنما الركب قد حطوا رحالهم	فى جنح ليل بدارٍ ما بها نزلُ
فقال صاحبها يا قوم ليس لكم	فيها مقام فشدوا بعدما نزلوا
فكلهم خائف أضحى بها وجلاً	ولا يطيب له حل ومرتحلُ
فقدم الزاد من خيرٍ يسر غدًا	وليس إلا بتقوى ربك العملُ

فلما سمع الأمير موسى هذا الكلام بكى بكاءً شديدًا حتى غشى عليه، فلما أفاق كتب جميع ما رآه واعتبر بما شاهده، ثم قال لأصحابه: ائتوا بالأعدال واملأوها من هذه الأموال وهذه الأوانى والتحف والجواهر، فقال طالب بن سهل للأمير موسى: أيها الأمير أنترك هذه الجارية بما عليها وهو شيء لا نظير له ولا يوجد فى وقت مثله وهو أوفى ما أخذت من الأموال وأحسن هدية تتقرب بها إلى أمير المؤمنين؟.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال الأمير موسى: يا هذا ألم تسمع ما أوصت به الجارية فى هذا اللوح لا سيما وقد جعلته أمانة وما نحن من أهل الخيانة؟ فقال الوزير طالب: وهل لأجل هذه الكلمات نترك هذه الأموال وهذه الجواهر وهى ميتة فما تصنع بهذا وهو زينة الدنيا وجمال الأحياء وثوب من القطن تستر به هذه الجارية ونحن أحق به منها. ثم دنا من السلم وصعد على الدرج حتى صار بين العمودين وحصل بين الشخصين وإذا بأحد الشخصين ضربه فى ظهره وضربه الآخر بالسيف الذى فى يده فرمى رأسه ووقع ميتًا.

فقال الأمير موسى: لا رحم الله لك مضجعًا لقد كان فى هذه الأموال ما فيه كفاية والطمع لا شك يزرى بصاحبه، ثم أمر بدخول العسكر فدخلوا وحملوا الجمال من تلك الأموال والمعادن، ثم إن الأمير موسى أمرهم أن يغلقوا الباب كما كان، ثم ساروا على الساحل حتى أشرفوا على جبل عالٍ مشرف على البحر، وفيه مغارات كثيرة وإذا فيها قوم من السودان وعليهم نطوع وعلى رءوسهم برانس من نطوع لا يعرف كلامهم.

فلما رأوا العسكر أجفلوا منهم وولوا هاربين إلى تلك المغارات ونساؤهم وأولادهم على أبواب المغارات، فقال الأمير موسى: يا شيخ عبد الصمد، ما هؤلاء القوم؟ فقال: هؤلاء طلبة أمير المؤمنين، فنزلوا وضربت الخيام وحطت الأموال، فما استقر بهم المكان حتى نزل ملك السودان من الجبل ودنا من العسكر وكان يعرف العربية، فلما وصل إلى الأمير موسى سلم عليه، فرد عليه السلام وأكرمه، فقال ملك السودان للأمير موسى: أنتم من الإنس أم من الجن؟ قال الأمير موسى: أما نحن فمن الإنس وأما أنتم فلا شك أنكم من الجن لانفرادكم فى هذا الجبل المنفرد عن الخلق ولعظم خلقتكم.

فقال ملك السودان: بل نحن قوم آدميون من أولاد حام بن نوح - عليه السلام - وأما هذا البحر فإنه يعرف بالكركر. فقال له الأمير موسى: ومن أين لكم علم ولم يبلغكم نبى أوحى إليه فى مثل هذه الأرض؟ فقال: اعلم أيها الأمير أنه يظهر لنا من هذا البحر شخص له نور تضىء له الآفاق فينادى بصوت يسمعه البعيد والقريب: يا أولاد حام استحوا ممن يَرى ولا يُرى، وقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأنا أبو العباس الخضر، وكنا قبل ذلك نعبد بعضنا فدعانا إلى عبادة رب العباد.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم قال الأمير موسى: وقد علمنا كلمات نقولها، فقال الأمير موسى: وما تلك الكلمات؟ قال: هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير، وما نتقرب إلى الله - تعالى عز وجل - إلا بهذه الكلمات، ولا نعرف غيرها، وكل ليلة جمعة نرى نورًا على وجه الأرض، ونسمع صوتًا يقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كل نعمة من الله وفضل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فقال له الأمير موسى: نحن أصحاب ملك الإسلام عبد الملك بن مروان وقد جئنا بسبب القماقم النحاس التى عندكم فى بحركم وفيها الشياطين محبوسة من عهد سليمان بن داود - عليهما السلام -، وقد أمر أن نأتيه بشىء منها يبصره ويتفرج عليه. فقال له ملك السودان: حبًا وكرامة.

ثم إن ملك السودان أضاف الأمير بلحوم السمك وأمر الغواصين أن يخرجوا من البحر شيئًا من القماقم السليمانية فأخرجوا لهم اثنى عشر قمقمًا، ففرح الأمير موسى بها والشيخ عبد الصمد والعساكر لأجل قضاء حاجة أمير المؤمنين، ثم إن الأمير موسى وهب لملك السودان مواهب كثيرة وأعطاه عطايا جزيلة، وكذلك ملك السودان أهدى إلى الأمير موسى هدية من عجائب البحر على صفة الآدميين، وقال له: إن ضيافتكم فى هذه الثلاثة الأيام من لحوم هذا السمك. فقال الأمير موسى: لا بد أن نحمل معنا شيئًا حتى ينظر إليه أمير المؤمنين فيطمئن خاطره بذلك أكثر من القماقم السليمانية.

ثم ودعوه وساروا حتى وصلوا إلى بلاد الشام فدخلوا على أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان فحدثه الأمير موسى بجميع ما رآه وما وقع له من الأشعار والأخبار والمواعظ وأخبره بخبر طالب بن سهل، فقال له أمير المؤمنين: ليتنى كنت معكم حتى أعاين ما عاينتم، ثم أخذ القماقم وجعل يفتح قمقمًا بعد قمقم والشياطين يخرجون منها ويقولون: التوبة يا نبى الله وما نعود لمثل ذلك أبدًا. فتعجب عبد الملك بن مروان من ذلك وأما بنات البحر التى أضافهم بنوعها ملك السودان فإنهم صنعوا لها حياضًا من خشب، وملأوها ماء ووضعوها فيها فماتت من شدة الحر، ثم إن أمير المؤمنين أحضر الأموال وقسمها بين المسلمين وقال: لم يُعط الله أحدًا مثل ما أعطى سليمان بن داود، ثم إن الأمير موسى سأل أمير المؤمنين أن يستخلف ولده مكانه على بلاده وهو يتوجه إلى القدس الشريف يعبد الله فيه، فولّى أمير المؤمنين ولده وتوجه هو إلى القدس الشريف ومات فيه، وهذا آخر ما انتهى إلينا من حديث مدينة النحاس على التمام، والله أعلم.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية الملك وولده والوزراء والجارية

قالت شهرزاد: إنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، ملك من ملوك الزمان، كثير الجند والأعوان، وصاحب جاه وأموال، ولكنه بلغ من العمر مدة ولم يرزق ولدًا ذكرًا، فلما قلق لذلك توسل بالنبى ﷺ إلى الله - تعالى - وسأله بجاه الأنبياء والأولياء والشهداء من عباده المقربين أن يرزقه بولد ذكر حتى يرث الملك من بعده ويكون قرة عينه، فسمع الله

دعاءه وحملت زوجته فمكثت مدة حتى آن أوان وضعها فولدت ولدًا ذكرًا وجهه مثل دورة القمر ليلة أربعة عشر.

فتربى ذلك الغلام إلى أن بلغ من العمر خمس سنين وكان عند ذلك الملك رجل حكيم من الحكماء الماهرين يسمى السندباد، فسلم إليه ذلك الغلام، فلما بلغ من العمر عشر سنين علمه الحكمة والأدب إلى أن صار ذلك الولد ليس أحد في هذا الزمان يناظره في العلم والأدب والفهم، فلما بلغ والده ذلك أحضر له جماعة من فرسان العرب يعلمونه الفروسية فمهر فيها وصال وجال في حومة الميدان إلى أن فاق أهل زمانه وسائر أقرانه.

ففي بعض الأيام نظر ذلك الحكيم في النجوم فرأى طالع الغلام وأنه متى عاش سبعة أيام وتكلم بكلمة واحدة صار فيها هلاكه، فذهب الحكيم إلى الملك والده وأعلمه بالخبر، فقال له والده: فما يكون الرأى والتدبير يا حكيم؟ فقال له الحكيم: أيها الملك الرأى والتدبير عندى أن تجعله في مكان نزهة وسماع آلات مطربة يكون فيه إلى أن تمضى السبعة الأيام، فأرسل الملك إلى جارية من خواصه وكانت أحسن الجوارى فسلم إليها الولد وقال لها: خذى سيدك في القصر واجعليه عندك ولا ينزل من القصر إلا بعد سبعة أيام تمضى، فأخذته الجارية من يده وأجلسته في ذلك القصر وكان في القصر أربعون حجرة في كل حجرة عشر جوار وكل جارية معها آلة من آلات الطرب إذا ضربت واحدة منهن يرقص من نغمتها ذلك القصر، وحواليه نهر جار مزروع شاطئه بجميع الفواكه والمشموم، وكان ذلك الولد فيه من الحسن والجمال ما لا يوصف، فبات ليلة واحدة فرأته الجارية محظية والده فأحبه قلبها فلم تتمالك أن أظهرت له محبتها، فقال لها الولد: إن شاء الله - تعالى - حين أخرج عند والدى أخبره بذلك فيقتلك. فتوجهت الجارية إلى الملك ورمت نفسها عليه بالبكاء والنحيب، فقال لها: ما خبرك يا جارية كيف سيدك أما هو طيب؟ فقالت: يا مولاى إن سيدى راودنى عن نفسى وأراد قتلى على ذلك فمنعته وهربت منه وما بقيت أرجع إليه ولا إلى القصر أبدًا. فلما سمع والده ذلك الكلام حصل له غيظ عظيم فأحضر عنده الوزراء وأمرهم بقتله، فقالوا لبعضهم: إن الملك صمم على قتل ولده وإن قتله يندم عليه بعد قتله لا محالة فإنه لا محالة عزيز عنده وما جاء هذا الولد إلا بعد اليأس ثم بعد ذلك يرجع عليكم باللوم فيقول لكم: لِمَ لَمْ تدبروا لى تدبيرًا يمنعنى عن قتله؟ فاتفق رأيهم على أن يدبروا له تدبيرًا يمنعه عن قتل ولده، فتقدم الوزير الأول وقال: أنا أكفيكم شر الملك في هذا اليوم، فقام ومضى إلى أن دخل على الملك وتمثل بين يديه ثم استأذنه في الكلام فأذن له، فقال له: أيها الملك لو قدر أنه كان لك ألف ولد لم تطع نفسك في أن تقتل واحدًا منهم بقول جارية إما أن تكون صادقة أو كاذبة، ولعل هذه مكيدة منها لولدك. فقال: وهل بلغك شيء من كيدهن أيها الوزير. قال: نعم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الوزير الأول فى كيد النساء

قالت شهر زاد: بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان ملك من ملوك الزمان، مغرمًا بحب النساء، فبينما هو مختل فى قصره يومًا من الأيام، إذ وقعت عينه على جارية وهى فى سطح بيتها وكانت ذات حسن وجمال، فلما رآها لم يتمالك نفسه من المحبة فسأل عن ذلك البيت فقالوا له: هذا بيت وزيرك فلان، فقام من ساعته وأرسل إلى الوزير. فلما حضر بين يديه أمره بأن يسافر إلى بعض جهات المملكة ليطلع عليها ثم يعود، فسافر الوزير كما أمره الملك، فبعد أن سافر تحايل الملك حتى دخل بيت الوزير.

فلما رأته الجارية عرفته فوثبت قائمة على قدميها وقبلت يديه ورجليه ورحبت به ووقفت بعيدًا عنه مشتغلة بخدمته، ثم قالت له: يا مولانا ما سبب القدوم المبارك ومثلى لا يكون له ذلك؟ فقال: سببه أن الشوق إليك أقدمنى على ذلك. فقبلت الأرض بين يديه ثانيًا، وقالت له: يا مولانا أنا لا أصلح أن أكون جارية لبعض خدام الملك فمن أين يكون لى عندك هذا الحظ العظيم، حتى صرت عندك بهذه المنزلة؟ ولكن اصبر أيها الملك وأقم عندى هذا اليوم كله حتى أصنع لك شيئًا تأكله.

فجلس الملك على مرتبة وزيره، ثم نهضت قائمة وأتته بكتاب فيه المواعظ والآداب ليقرأ فيه حتى تجهز له الطعام، فأخذه الملك وجعل يقرأ فيه فوجد فيه من المواعظ والحكم ما زجره عن الزنا وكسر همته عن ارتكاب المعاصى، فلما جهزت له الطعام قدمته بين يديه وكانت عدة الصحون تسعين صحنًا، فجعل الملك يأكل من كل صحن ملعقة والطعام أنواع مختلفة وطعمها واحد، فتعجب الملك من ذلك غاية العجب ثم قال: أيتها الجارية أرى هذه الأنواع كثيرة وطعمها واحد، فقالت له الجارية: أسعد الله الملك هذا مثل ضربته لك لتعتبر به. فقال لها: وما سببه؟ فقالت: أصلح الله حال مولانا الملك إن فى قصرك تسعين محظية مختلفات الألوان والغاية واحدة.

فلما سمع الملك ذلك الكلام خجل منها وقام من وقته وخرج من المنزل ولم يتعرض لها بسوء ومن خجلته نسى خاتمه عندها تحت الوسادة ثم توجه إلى قصره، فلما جلس الملك فى قصره حضر الوزير ذلك الوقت وتقدم إلى الملك وقبل الأرض بين يديه وأعلمه بحال ماأرسله إليه، ثم سار الوزير إلى أن دخل بيته وقعد فى مرتبته ومد يده تحت الوسادة فلقى خاتم الملك تحتها فرفعه الوزير وحمله على قلبه وانعزل عن الجارية سنة كاملة ولم يكلمها وكانت المسكينة لا تعلم ما سبب غيظه. فلما طال بها المطال ولم تعلم ما سبب ذلك أرسلت إلى أبيها وأعلمته بما جرى لها معه من انعزاله عنها مدة سنة كاملة، فقال أبوها: إنى أشكوه حين يكون بحضرة الملك. فدخل يومًا من الأيام فوجده بحضرة الملك، وبين يديه قاضى العسكر، فادّعى عليه فقال: أصلح الله - تعالى - حال الملك إنه كان لى روضة حسنة غرستها بيدى وأنفقت عليها مالى حتى أثمرت وطاب جناها فأهديتها لوزيرك هذا فأكل منها ما طاب له ثم رفضها فيبس زهرها وذهب رونقها وتغيرت حالتها، فقال الوزير: أيها الملك صدق هذا فى مقالته إنى كنت أحفظها فذهبت يومًا إليها فرأيت أثر الأسد هناك فخفت على نفسى منه فعزلت نفسى عنها، ففهم الملك أن الأثر الذى وجده الوزير هو خاتم الملك الذى نسيه فى البيت. فقال الملك عند

البيت. فقال الملك عند ذلك لوزيره: ارجع أيها الوزير وأنت آمن مطمئن، فإن الأسد لم يقربها وقد بلغنى أنه وصل إليها ولكن لم يتعرض لها بسوء وحرمة آبائى وأجدادى. فقال الوزير عند ذلك: سمعًا وطاعة، ثم إن الوزير رجع إلى بيته وأرسل إلى زوجته وصالحها ووثق بصيانتها.

وبلغنى أيضًا أيها الملك أن تاجرًا كان كثير الأسفار، وكانت له زوجة جميلة يحبها، ويغار عليها من كثرة المحبة، فاشترى لها درة طائر فكانت الدرة تُعلم سيدها بما يجرى فى غيبته، فلما كان فى بعض أسفاره تعلقت امرأة التاجر بغلام كان يدخل عليها فتكرمه مدة غياب زوجها، فلما قدم زوجها من سفره أعلمته الدرة بما جرى وقالت له: يا سيدى غلام تركى يدخل على زوجتك فى غيابك فتكرمه غاية الإكرام، فهم الرجل بقتل زوجته، فلما سمعت زوجته بذلك قالت له: يا رجل اتق الله وارجع إلى عقلك هل يكون لطير عقل أو فهم، وإن أردت أن أبين لك ذلك لتعرف كذبها من صدقها فامض هذه الليلة ونم عند بعض أصدقائك فإذا أصبحت تعال لها واسألها حتى تعلم هل تصدق هى فيما تقول أو تكذب فقام الرجل وذهب إلى بعض أصدقائه فبات عنده.

فلما كان الليل عمدت زوجة الرجل إلى قطعة نطع غطت به قفص الدرة وجعلت ترش على ذلك النطع شيئًا من الماء وتروح عليها بمروحة وتقرب إليها السراج على صورة لمعان البرق وصارت تدير الرحى إلى أن أصبح الصباح، فلما جاء زوجها قالت له: يا مولاى اسأل الدرة. فجاء زوجها إلى الدرة يحدثها ويسألها عن ليلتها الماضية، فقالت له الدرة: يا سيدى ومن كان يسمع أو ينظر فى الليلة الماضية؟ فقال لها: لأى شىء؟ فقالت: يا سيدى من كثرة المطر والريح والرعد والبرق، فقال لها: كذبت إن الليلة التى مضت ما كان فيها شىء من ذلك، فقالت له الدرة: ما أخبرتك إلا بما عاينت وشاهدت وسمعت، فكذبها فى جميع ما قالته عن زوجته، وأراد أن يصالح زوجته فقالت: والله ما أصطلح حتى تذبح هذه الدرة التى كذبت على، فقام الرجل إلى الدرة وذبحها، ثم أقام بعد ذلك مع زوجته أيام قلائل. ثم رأى فى بعض الأيام ذلك الغلام التركى وهو خارج من بيته فعلم صدق قول الدرة وكذب زوجته فندم على ذبح الدرة ودخل من وقته وساعته على زوجته وذبحها وأقسم على نفسه أنه لا يتزوج بعدها امرأة مدة حياته، وما أعلمتك أيها الملك إلا لتعلم أن كيدهن عظيم والعجلة تورث الندامة. فرجع الملك عن قتل ولده.

فلما كان اليوم الثانى دخلت عليه الجارية وقبلت الأرض بين يديه وقالت له: أيها الملك كيف أهملت حقى وقد سمع الملوك عنك أنك أمرت بأمر ثم نقضه وزيرك؟ وطاعة الملك من نفاذ أمره، وكل أحد يعلم عدلك وإنصافك فانصفنى من ولدك، فقد بلغنى أن رجلاً قصارًا كان يخرج كل يوم إلى شاطئ دجلة يقصر القماش ويخرج معه ولده فينزل النهر ليعوم فيه مدة إقامته ولم ينهه والده عن ذلك. فبينما هو يعوم يومًا من الأيام إذا تعبت سواعده فغرق، فلما نظر إليه أبوه وثب عليه وترامى فلما أمسكه أبوه تعلق به ذلك الولد فغرق الأب والابن جميعًا، فكذلك أنت أيها الملك إذا لم تنه ولدك وتأخذ حقى منه أخاف عليك أن يغرق كل منكما. فأمر الملك بقتل ولده. فتقدم الوزير الثانى وقبل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك لا تعجل على قتل ولدك فإنك ما رُزقته إلا بعد يأس ونرجو أن يكون ذلك ذخيرة فى ملكك وحافظًا على

وحافظًا على ملكه فتصبر أيها الملك عليه لعل له حجة يتكلم بها، فإن عجلت على قتله ندمت كما ندم الرجل التاجر، قال له الملك: كيف كان ذلك وما حكايته يا وزير؟ قال:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الوزير الثانى فى كيد النساء

قالت شهر زاد: قال الوزير الثانى بلغنى أيها الملك أنه كان تاجر لطيف فى مأكله ومشربه، فسافر يومًا من الأيام إلى بعض البلاد فبينما هو يمشى فى أسواقها وإذا بعجوز معها رغيفان فقال لها: هل تبيعينهما؟ فقالت له: نعم، فساومها بأرخص ثمن واشتراهما منها وذهب بهما إلى منزله فأكلهما ذلك اليوم، فلما أصبح الصباح عاد إلى ذلك المكان فوجد العجوز ومعها الرغيفان فاشتراهما أيضًا منها ولم يزل كذلك مدة عشرين يومًا. ثم غابت العجوز عنه فسأل عنها فلم يجد لها خبرًا، فبينما هو ذات يوم من الأيام فى بعض شوارع المدينة إذ وجدها فوقف وسلم عليها وسألها عن سبب غيابها وانقطاع الرغيفين عنه. فلما سمعت العجوز كلامه تكاسلت عن رد الجواب، فأقسم عليها أن تخبره عن أمرها، فقالت له: يا سيدى اسمع منى الجواب وما ذلك إلا أنى كنت أخدم إنسانًا وكانت به أكلة فى صلبه وكان عنده طبيب يأخذ الدقيق ويلته بسمن ويجعله على الموضع الذى فيه الوجع طول ليلته إلى أن يصبح الصبح فآخذ ذلك الدقيق وأجعله رغيفين وأبيعهما لك أو لغيرك وقد مات ذلك الرجل فانقطع عنى الرغيفان. فلما سمع التاجر ذلك الكلام، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ولم يزل ذلك التاجر يتقيأ إلى أن مرض، وندم ولم يفده الندم، فاعلم أيها الملك أن هذا من جملة كيد النساء فإياك والركون إلى قولهن، فرجع الملك عن قتل ولده.

فلما كان اليوم الثالث دخلت الجارية على الملك وقبلت الأرض بين يديه وقالت له: أيها الملك خذ لى بحقى من ولدك ولا ترجع إلى قول وزرائك فإن وزراء السوء لا خير فيهم ولا تكن كالملك الذى ركن إلى قول وزير السوء من وزرائه. فقال لها الملك: وكيف كان ذلك؟ قالت: بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن ملكًا من الملوك كان له ولد يحبه ويكرمه غاية الإكرام ويفضله على سائر أولاده، فقال له يومًا من الأيام: يا أبت إنى أريد أن أذهب إلى الصيد والقنص. فأمر بتجهيزه وأمر وزيرًا من وزرائه أن يخرج معه فى خدمته ويقضى له جميع مهماته فى سفره، فأخذ ذلك الوزير جميع ما يحتاج إليه الولد فى السفر وخرج معهما الخدم والنواب والغلمان، وتوجهوا إلى الصيد حتى وصلوا إلى أرض مخضرة ذات عشب ومرعى ومياه والصيد فيها كثير.

فتقدم ابن الملك إلى وزيره وعرفه بما أعجبه من النزه فقاموا بتلك الأرض مدة أيام وابن الملك فى أطيب عيش وأرغده، ثم أمرهم ابن الملك بالانصراف، فاعترضته غزالة قد انفردت عن رفقتها فاشتاقت نفسه إلى اقتناصها وطمع فيها، فقال للوزير: إنى أريد أن أتبع هذه الغزالة، فقال له الوزير: افعل ما بدا لك، فتبعها الولد منفردًا وحده وطلبها طول النهار إلى أن أمسى الليل، فصعدت الغزالة إلى محل وعر، وأظلم الليل على الولد وأراد الرجوع فلم يعرف أين يذهب فبقى متحيرًا فى نفسه، وما زال راكبًا على ظهر فرسه إلى أن أصبح الصباح

ولم يلق فرجًا لنفسه، ثم سار ولم يزل سائرًا خائفًا جائعًا عطشان وهو لا يدرى أين يذهب حتى انتصف عليه النهار، وحميت عليه الرمضاء وإذا هو قد أشرف على مدينة عالية البنيان، وهى قفرة خراب، ليس فيها غير البوم والغراب.

فبينما هو واقف عند تلك المدينة يتعجب من رسومها إذ لاحت منه نظرة فرأى جارية ذات حسن وجمال تحت جدار من جدرانها وهى تبكى، فدنا منها وقال لها: من تكونين؟ فقالت له: أنا بنت التميمة ابنة الطباخ ملك الأرض الشهباء خرجت ذات يوم من الأيام أقضى حاجة لى فاختطفنى عفريت من الجن وطار بى بين السماء والأرض، فنزل عليه شهاب من نار فاحترق فسقطت هُنا، ولى ثلاثة أيام بالجوع والعطش، فلما نظرتك طمعت فى الحياة.

فادركت ابن الملك عليها الرأفة فاركبها وراءه على جواده وقال لها: طيبى نفسًا وقرى عينًا، إن ردنى الله - سبحانه وتعالى - إلى قومى وأهلى أرسلتك إلى أهلك، ثم سار ابن الملك يلتمس الفرج، فقالت له الجارية التى وراءه: يا ابن الملك أنزلنى حتى أقضى حاجتى تحت هذا الحائط، فوقف وأنزلها ثم انتظرها فتوارت فى الحائط ثم خرجت بأشنع منظر، فلما رآها ابن الملك اقشعر بدنه وطار عقله وخاف منها وتغيرت حالته، ثم وثبت تلك الجارية فركبت وراء ظهره على الجواد وهى فى صورة أقبح ما يكون من الصور ثم قالت له: يا ابن الملك ما لى أراك قد تغير وجهك؟ فقال لها: إنى قد تذكرت أمرًا أهمنى، فقالت له: استعن عليه بجيوش أبيك وأبطاله.

فقال لها: إن الذى أهمنى لا تزعجه الجيوش ولا يهتم بالأبطال. فقالت له: استعن عليه بمال أبيك وذخائره. فقال لها: إن الذى أهمنى لا يقنع بالمال، ولا بالذخائر، فقالت له: إنكم تزعمون أن لكم فى السماء إلهًا يَرى ولا يُرى وأنه قادر على كل شىء. فقال لها: نعم ما لنا إلا هو. قالت له: فادعه لعله أن يخلصك منى، فرفع ابن الملك طرفه إلى السماء وأخلص بقلبه الدعاء وقال: اللهم إنى استعنت بك على هذا الأمر الذى أهمنى. وأشار بيده إليها فسقطت على الأرض محروقة مثل الفحمة.

فحمد الله وشكره وما زال يجد فى المسير والله - سبحانه وتعالى - يهون عليه السير ويدله فى الطريق إلى أن أشرف على بلاده ووصل إلى ملك أبيه بعد أن كان قد يئس من الحياة وكان ذلك كله برأى الوزير الذى سافر معه لأجل أن يهلكه فى سفرته فنصره الله - تعالى -. وإنما أخبرتك أيها الملك لتعلم أن وزراء السوء لا يُصفون النية ولا يحسنون الطوية مع ملوكهم فكن من ذلك الأمر على حذر، فأقبل عليها الملك وسمع كلامها وأمر بقتل ولده، فدخل الوزير الثالث وقال: أنا أكفيكم شر الملك فى هذا النهار، ثم إن ذلك الوزير دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك إنى ناصحك وشفيق عليك وعلى دولتك ومشير عليك برأى سديد وهو أن لا تعجل على قتل ولدك وقرة عينك وثمرة فؤادك فربما كان ذنبه أمرًا هينًا قد عظمته عندك هذه الجارية، فقد بلغنى أن أهل قريتين أفنوا بعضهم على قطرة عسل، فقال له الملك: وكيف ذلك؟ قال:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الوزير الثالث فى كيد النساء

قالت شهر زاد: اعلم أيها الملك أن رجلاً صياداً كان يصيد الوحوش فى البريَّة، فدخل يومًا من ذات الأيام كهفًا من كهوف الجبل فوجد فيه حفرة ممتلئة عسل نحل، فجمع شيئًا من ذلك العسل فى قربة كانت معه ثم حملها على كتفه، وأتى بها المدينة ومعه كلب صيد وكان ذلك الكلب عزيزًا عليه، فوقف الرجل الصياد على دكان زيات وعرض عليه العسل فاشتراه صاحب الدكان، ثم فتح القربة وأخرج منها العسل لينظره فتطرت من القربة قطرة عسل فاجتمع عليها ذباب فسقط عليه الطير، وكان الزيات له قط فوثب على الطير فرآه كلب الصياد فوثب على القط فقتله، فوثب الزيات على كلب الصياد فقتله، فوثب الصياد على الزيات فقتله، وكان للصياد قرية وللزيات قرية فسمعوا بذلك فأخذوا أسلحتهم وعددهم وقاموا على بعضهم غضبى والتقى الصفان، فلم يزل السيف دائرًا بينهم إلى أن مات منهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله ـ تعالى ـ. فلما سمع الملك من كلام الوزير ما أقنعه وأرضاه وزجره عن هواه وتأمل ما تلاه عليه من آيات الله سطعت أنوار النصيحة فى سماء عقله وخلده ورجع عن تصميمه على قتل ولده، فلما كان فى اليوم الرابع، دخلت الجارية على الملك وقبلت الأرض بين يديه وقالت له: أيها الملك السعيد، ذو الرأى الرشيد، قد أظهرت لك حقى عيانًا فظلمتنى وأهملت مقاصصة غريمى لكونه ولدك ومهجة قلبك وسوف ينصرنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه كما نصر الله ابن الملك على وزير أبيه، فقال لها الملك: وكيف كان ذلك؟ فقالت الجارية:

بلغنى أيها الملك أنه كان ملك من الملوك الماضية له ولد ولم يكن له من الأولاد غيره، فلما بلغ ذلك الولد زوجه أبوه بابنة ملك آخر، وكانت جارية ذات حسن وجمال وكان لها ابن عم، قد خطبها من أبيها ولم تكن راضية بزواجها منه، فلما علم ابن عمها أنها تزوجت بغيره أخذته الغيرة فاتفق رأى ابن عم الجارية أن يرسل الهدايا إلى وزير الملك الذى تزوج بها ابنه فأرسل إليه هدايا عظيمة وأنفذ أموالاً كثيرة وسأله أن يحتال على قتل ابن الملك بمكيدة تكون سببًا لهلاكه، أو يتلطف به حتى يرجع عن زواج الجارية، وبعث يقول له: أيها الوزير لقد حصل عندى من الغيرة على ابنة عمى ما حملنى على هذا الأمر.

فلما وصلت الهدايا إلى الوزير قبلها وأرسل إليه يقول: طب نفسًا وقر عينًا فلك عندى كل ما تريده، ثم إن الملك أبا الجارية أرسل إلى ابن الملك بالحضور إلى مكانه لأجل الدخول على ابنته، فلما وصل الكتاب إلى ابن الملك أذن له أبوه فى المسير وبعث معه الوزير الذى جاءت له الهدايا وأرسل معهما ألف فارس وهدايا ومحامل وسرادقات وخيامًا، فسار الوزير مع ابن الملك وفى ضميره أن يكيده بمكيدة وأضمر له فى قلبه السوء، فلما صاروا فى الصحراء تذكر الوزير أن فى هذا الجبل عينًا جارية من الماء تعرف بالزهراء وكل من شرب منها إذا كان رجلاً يعود امرأة، فلما تذكر ذلك الوزير أنزل العسكر بالقرب منها وركب الوزير جواده ثم قال لابن الملك: هل لك أن تروح معى تتفرج على عين ماء فى هذا المكان؟ فركب ابن الملك وسار هو ووزير أبيه وليس معهما أحد، وابن الملك لا يدرى ما قد جرى له فى الغيب. ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى تلك العين فنزل ابن الملك من فوق جواده وغسل يديه وشرب منها وإذا به قد صار امرأة، فلما عرف ذلك صرخ وبكى حتى غشى عليه، فأقبل عليه الوزير يتوجع لما أصابه

لما أصابه ويقول له: ما الذى أصابك؟ فأخبره الولد فلما سمع الوزير كلامه توجع له وبكى لما أصاب ابن الملك، ثم قال له: يعيذك الله - تعالى - من هذا الأمر كيف حلّت بك هذه المصيبة وعظمت بك تلك الرزية ونحن سائرون بفرحة لك حيث تتزوج بينت الملك، والآن لا أدرى هل نتوجه إليها أم لا والرأى لك فما تأمرنى به؟ فقال له الولد: ارجع إلى أبى وأخبره بما أصابنى فإنى لست أبرح من هنا حتى يذهب عنى هذا الأمر أو أموت بحسرتى.

فكتب الولد كتابًا لأبيه يعلمه بما جرى له، ثم أخذ الوزير الكتاب وانصرف راجعًا إلى مدينة الملك وترك العساكر والولد وما معه من الجيش عنده وهو فرحان فى الباطن بما فعل بابن الملك، فلما دخل الوزير على الملك أعلمه بقضية ولده وأعطاه كتابه، فحزن الملك على ولده حزنًا شديدًا، ثم أرسل إلى الحكماء وأصحاب الأسرار أن يكشفوا له عن هذا الأمر الذى حصل لولده، فما أحد رد عليه جوابًا، ثم إن الوزير أرسل إلى ابن عم الجارية يبشره بما حصل لابن الملك، فلما وصل إليه الكتاب فرح فرحًا شديدًا وطمع فى زواج ابنة عمه وأرسل إلى الوزير هدايا عظيمة وأموالاً كثيرة وشكره شكرًا زائدًا.

وأما ابن الملك فإنه أقام على تلك العين مدة ثلاثة أيام بلياليها لا يأكل ولا يشرب واعتمد فيما أصابه على الله - سبحانه وتعالى - الذى ما خاب من توكل عليه. فلما كان فى الليلة الرابعة وإذا هو بفارس على رأسه تاج وهو فى صفة أولاد الملوك، فقال له الفارس: من أتى بك أيها الغلام إلى هاهنا؟ فأعلمه الولد بما أصابه وأنه كان مسافرًا إلى زوجته وأعلمه أن الوزير أتى به إلى عين الماء فشرب منها فحصل له ما حصل، وكلما تحدث الغلام يغلبه البكاء فيبكى، فلما سمع الفارس كلامه رثى لحاله، وقال له: إن وزير أبيك هو الذى رماك فى هذه المصيبة لأن هذه العين لم يعلم بها من البشر إلا رجل واحد، ثم إن الفارس أمره أن يركب معه فركب الولد، وقال له الفارس، امض معى إلى منزلى فأنت ضيفى فى هذه الليلة، فقال له الولد، أعلمنى من أنت حتى أسير معك؟ فقال له: أنا ابن ملك الجان وأنت ابن ملك الإنس فطب نفسًا وقر عينًا بما يزيل همك وغمك فهو علىّ هين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فسار معه الولد من النهار وأهمل جيوشه وعساكره وما زال سائرًا معه إلى نصف الليل، فقال له ابن ملك الجن: أتدرى كم قطعنا فى هذا الوقت؟ فقال له الغلام: لا أدرى، فقال له ابن ملك الجن: قطعنا مسيرة سنة للمجد المسافر. فتعجب ابن الملك من ذلك وقال له: كيف العمل والرجوع إلى أهلى؟ فقال له: ليس هذا من شأنك إنما هو من شأنى فحيث تبرأ من علتك تعود إلى أهلك أسرع من طرفة العين وذلك علىّ هين. فلما سمع الغلام من الجنى هذا الكلام طار من شدة الفرح وظن أنه أضغاث أحلام وقال: سبحان القدير على أن يرد الشقى سعيدًا، وفرح فرحًا شديدًا.

ولم يزالا سائرين إلى أن أصبح الصباح وإذا هم بأرض مخضرة نضرة ذات أشجار باسقة، وأطيار ناطقة، ورياض فائقة، وقصور رائقة، فنزل ابن ملك الجن عن جواده وأمر الولد بالنزول وأخذ بيده ودخلا فى بعض تلك القصور، فنظر ابن الملك إلى ملك عالٍ وسلطان

وسلطان له شأن فأقام عنده ذلك اليوم فى أكل وشرب إلى أن أقبل الليل فقام ابن ملك الجن وركب جواده وركب ابن ملك الإنس معه وخرجا تحت الليل مجدين السير إلى أن أصبح الصباح، وإذا هما بأرض سوداء غير عامرة ذات صخور، وأحجار سود كأنها قطعة من جهنم. فقال له ابن ملك الإنس: ما يقال لهذه الأرض؟ فقال له: يقال لها الأرض الدهماء لملك من ملوك الجن اسمه ذو الجناحين لم يقدر أحد من الملوك أن يسطو عليه ولا يدخلها أحد إلا بإذنه، فقف فى مكانك حتى نستأذنه. فوقف الشاب.

ثم غاب عنه ساعة، وعاد إليه وسارا ولم يزالا سائرين حتى انتهيا إلى عين ماء تسيل من جبال سود، فقال للشاب: انزل، فنزل الشاب من فوق جواده، ثم قال له: اشرب من هذه العين. فشرب منها الشاب فعاد لوقته وساعته ذكرًا كما كان أولاً بقدرة الله - تعالى -، ففرح الشاب فرحًا شديدًا ما عليه من مزيد. ثم قال له: يا أخى ما يقال لهذه العين؟ فقال له: يقال لها عين النساء لا تشرب منها امرأة إلا عادت رجلاً، فاحمد الله - تعالى - واشكره على العافية واركب جوادك، فسجد ابن الملك شكرًا لله - تعالى -، ثم ركبا وسارا يجدان فى السير بقية يومهما حتى رجعا إلى أرض ذلك الجنى فبات الشاب عنده فى أرغد عيش ولم يزالا فى أكل وشرب إلى أن جاء الليل، ثم قال له ابن ملك الجن: أتريد أن ترجع إلى أهلك فى هذه الليلة؟ فقال: نعم أريد ذلك لأنى محتاج إليه. فدعا ابن ملك الجان بعبد له من عبيد أبيه اسمه راجز وقال له: خذ هذا الفتى من عندى واحمله على عاتقك ولا تخل الصباح يصبح عليه إلا وهو عند عمه وزوجته، فقال له العبد: سمعًا وطاعة، ثم غاب عنه ساعة وأقبل وهو فى صورة عفريت.

فلما رآه الفتى طار عقله واندهش. فقال له ابن ملك الجن: لا بأس عليك اركب جوادك وأعل به فوق عاتقه، فقال الشاب: بل أركب أنا وأترك الجواد عندك، ثم نزل الشاب عن الجواد وركب على عاتقه، فقال له ابن ملك الجن: أغمض عينيك، فأغمض عينيه وطار به بين السماء والأرض، ولم يزل طائرًا به ولم يدر الشاب بنفسه، فما جاء الليل الأخير إلا وهو على قصر عمه، فلما نزل على قصره قال له العفريت: انزل، فنزل، وقال له: افتح عينيك فهذا قصر عمك وابنته، ثم تركه ومضى.

فلما أضاء النهار وسكن الشاب من روعه نزل من فوق القصر، فلما نظره عمه قام إليه وتلقاه وتعجب حيث رآه فوق القصر، ثم قال له: إنا رأينا الناس تأتى من الأبواب وأنت تنزل من السماء. فقال له: قد كان الذى أراده الله - سبحانه وتعالى - ثم تعجب الملك من ذلك وفرح بسلامته، فلما طلعت الشمس أمر عمه وزيره أن يعمل الولائم العظيمة فعمل الولائم واستقام العرس وأقام مدة شهرين مع زوجته ثم ارتحل بها إلى مدينة أبيه، وأما ابن عم الجارية فإنه هلك من الغيرة والحسد لما تزوج بها ابن الملك ونصره الله - سبحانه وتعالى - عليه وعلى وزير أبيه، ووصل إلى أبيه بزوجته على أتم حال وأكمل سرور فتلقاه أبوه بعسكره ووزرائه، وأنا أرجو الله - تعالى - أن ينصرك على وزرائك وأسألك أن تأخذ حقى من ولدك فلما سمع الملك ذلك منها أمر بقتل ولده.

وكان ذلك فى اليوم الرابع فدخل على الملك الوزير الرابع وقبل الأض بين يديه وقال: ثبت الله الملك وأيده، أيها الملك تأنَّ فى هذا الأمر الذي عزمت عليه لأن العاقل لا يعمل عملاً

حتى ينظر فى عاقبته وصاحب المثل يقول: من لم يتدبر العواقب، ما الدهر له بصاحب، ومن عمل عملاً بغير تثبت أصابه ما أصاب الرجل الذى غشته زوجته. فقال له الملك: وكيف كان ذلك؟ فقال له الوزير:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الوزير الرابع فى كيد النساء

قالت شهر زاد: بلغنى أيها الملك من كيد النساء أن رجلاً كان يقف بالسيف على رأس ملك من الملوك وكان ذلك الرجل يحب جارية فبعث إليها يومًا من الأيام غلامه برسالة فجلس الغلام عندها، فبينما هما كذلك وإذا بسيد الغلام قد طرق الباب فأخذت الغلام ورمته فى طابق عندها، ثم فتحت الباب، فدخل وسيفه بيده فجلس، وإذا بزوجها يدق عليها الباب، فقال لها: من هذا؟ قالت: زوجى، فقال لها: كيف أفعل وكيف الحيلة فى ذلك؟ فقالت له: قم سل سيفك وقف على الدهليز ثم سبنى واشتمنى فإذا دخل عليك زوجى فاذهب وامض إلى حال سبيلك. ففعل ذلك. فلما دخل زوجها رأى خازندار الملك واقفًا وسيفه مسلول بيده وهو يشتم زوجته ويهددها، فلما رآه الخازندار استحى وأغمد سيفه وخرج من البيت، فقال الرجل لزوجته: ما سبب ذلك؟ فقالت له: يا رجل ما أبرك هذه الساعة التى أتيت فيها قد أعتقت نفسًا مؤمنة من القتل وما ذاك إلا أننى كنت فوق السطح أغزل وإذا بغلام قد دخل علىّ مطرودًا ذاهب العقل وهو يلهث خوفًا من القتل وهذا الرجل مجرد سيفه وهو يسرع وراءه ويجد فى طلبه فوقع الغلام علىّ وقبل يدى ورجلى، وقال: يا سيدتى أعتقينى ممن يريد قتلى ظلمًا، فخبأته فى الطابق عندنا، فلما رأيت هذا الرجل قد دخل وسيفه مسلول أنكرته منه حين طلبه منى فصار يشتمنى ويهددنى كما رأيت، والحمد لله الذى ساقك إلىّ فإنى كنت حائرة وليس عندى أحد ينقذنى.

فقال لها زوجها: نعم ما فعلت يا امرأة أجرك على الله فيجازيك بفعلك خيرًا. ثم إن زوجها ذهب إلى الطابق ونادى الغلام، وقال له: اطلع لا بأس عليك، فطلع من الطابق وهو خائف والرجل يقول له: أرح نفسك لا بأس عليك، وصار يتوجع لما أصابه والغلام يدعو لذلك الرجل، ثم خرجا جميعًا ولم يعلما بما دبرت هذه المرأة، وهذا أيها الملك من جملة مكر النساء وكيدهن، فلما سمعه الملك انتصح ورجع عن قتل ولده.

فلما كان اليوم الخامس دخلت الجارية على الملك وبيدها قدح فيه سم واستغاثت ولطمت خديها ووجهها وقالت له: «أيها الملك إما أن تنصفنى وتأخذ حقى من ولدك وإلا أشرب هذا القدح السم وأموت ويبقى ذنبى متعلقًا بك إلى يوم القيامة فإن وزراءك هؤلاء ينسبوننى إلى الكيد والمكر وليس فى الدنيا أمكر منهم، أما سمعت أيها الملك حديث الصائغ مع الجارية؟» فقال لها الملك: «ما جرى منهما يا جارية؟» فقالت له:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: «بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان رجل صائغ مولعًا بالتصوير وشرب الخمر. فدخل يومًا من الأيام عند صديق له، فنظر إلى حائط من حيطان بيته فرأى فيه صورة جارية منقوشة لم ير الراؤون أحسن ولا أجمل ولا أظرف منها. فأكثر الصائغ فى النظر إليها وتعجب من حسن هذه الصورة وقال: «ما صوّرها المصور إلا على مثال امرأة جميلة». فقال له صديقه: «لعل الذى صورها اخترعها من رأسه». فقال له: «إن كان لهذه الصورة شبيهٌ فى الدنيا فأنا أرجو الله - تعالى - أن يمدنى بالحياة إلى أن أراه». فلما قام الحاضرون سألوا عمن صورها فوجدوه قد سافر إلى بلد من البلدان فكتبوا له كتابًا يشكون له فيه حال صاحبهم ويسألونه عن تلك الصورة ما سببها هل هو اخترعها من ذهنه أو رأى لها شبيهًا فى الدنيا. فأرسل إليهم: «إنى صورت هذه الصورة على شكل جارية مغنية لبعض الوزراء وهى بمدينة كشمير بإقليم الهند». فلما سمع الصائغ بالخبر وكان ببلاد الفرس تجهّز وسار متوجهًا إلى بلاد الهند فوصل إلى تلك المدينة من بعد جهد جهيد.

فلما دخل تلك المدينة واستقر فيها ذهب يومًا من الأيام عند رجل عطار من أهل تلك المدينة وكان ذلك العطار حاذقًا فطنًا لبيبًا فسأله الصائغ عن ملكهم وسيرته. فقال له العطار: «أما ملكنا فعادل حسن السيرة محسن لأهل دولته ومنصف لرعيته وما يكره فى الدنيا إلا السحرة فإذا وقع فى يده ساحر أو ساحرة ألقاهما فى جب خارج المدينة ويتركهما بالجوع إلى أن يموتا». ثم سأله عن وزرائه، فذكر له سيرة كل وزير وما هو عليه إلى أن انجر الكلام إلى الجارية المغنية. فقال له: «عند الوزير الفلانى». فصبر الصائغ بعد ذلك أيامًا حتى أخذ فى تدبير الحيلة. فلما كان فى ليلة ذات مطر ورعد ورياح عاصفة ذهب الصائغ وأخذ معه عدة من اللصوص وتوجه إلى دار الوزير سيد الجارية وعلق فيه السلم بكلاليب ثم طلع إلى أعلى القصر. فلما وصل إليه نزل إلى ساحته فرأى جميع الجوارى نائمات كل واحدة على سريرها ورأى سريرًا من المرمر عليه جارية كأنها البدر إذا أشرق فى ليلة أربعة عشر فقصدها وقعد عند رأسها فإذا عليها ستر من ذهب وعلى رأسها شمعة وعند رجليها شمعة كل شمعة منها فى شمعدان من الذهب الوهاج وهاتان الشمعتان من العنبر وتحت الوسادة حق من الفضة فيه جميع حليها وهو مغطى عند رأسها، فأخرج سكينًا وضرب بها كتف الجارية فجرحها جرحًا واضحًا، فانتبهت فزعة مرعوبة فلما رأته خافت من الصياح فسكتت وظنت أنه يريد أخذ المال. فقالت له: «خذ الحق والذى فيه وليس لك بقتلى نفع وأنا فى جيرتك وفى حسبك» فتناول الرجل الحق بما فيه وانصرف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أصبح الصباح لبس ثيابه وأخذ معه الحق الذى فيه الحلى ودخل به على ملك المدينة. ثم قبل الأرض بين يديه وقال له: «أيها الملك إننى رجل ناصح لك وأنا من أرض خراسان وقد أتيت مهاجرًا إلى حضرتك لما شاع من حسن سيرتك وعدلك فى رعيتك فأردت أن أكون تحت لوائك، وقد وصلت إلى هذه المدينة آخر النهار فوجدت الباب مغلقًا فنمت خارجه. فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا رأيت أربع نسوة إحداهن راكبة مكنسة

وإحداهن راكبة مروحة. فعلمت أيها الملك أنهن سحرة يدخلن مدينتك، فدنت إحداهن منى ورفستنى برجلها وضربتنى بذنب ثعلب كان فى يدها فأوجعتنى، فأخذتنى الحدة من الضرب فضربتها بسكين كانت معى فأصابت كتفها وهى مولية شاردة، فلما جرحتها انهزمت قدامى فوقع منها هذا الحق بما فيه فأخذته وفتحته فرأيت فيه هذا الحلى النفيس، فخذه فليس لى به حاجة لأنى رجل سائح فى الجبال وقد رفضت الدنيا عن قلبى وزهدتها بما فيها وإنى قاصد وجه الله - تعالى -». ثم ترك الحق بين يدى الملك وانصرف.

فلما خرج من عند الملك فتح الملك ذلك الحق وأخرج جميع الحلى منه وصار يقلبه بيده فوجداه فيه عقدًا كان أنعم به على الوزير سيد الجارية فدعا الملك بالوزير. فلما حضر بين يديه قال له: «هذا العقد الذى أهديته إليك؟» فلما رآه الوزير عرفه وقال للملك: «نعم وأنا أهديته إلى جارية مغنية عندى» فقال له الملك: «أحضر لى الجارية فى هذه الساعة». فأحضرها. فلما حضرت الجارية بين يدى الملك قال له: اكشف عن كتفها وانظر هل فيها جرح أم لا؟ فكشف الوزير عنها، فرأى فيها جرح سكين. فقال الوزير للملك: «نعم يا مولاى فيها جرح» . فقال الملك للوزير: «هذه ساحرة كما قال لى الرجل الزاهد بلا شك ولا ريب». ثم أمر الملك أن يجعلوها فى جب السحرة. فأرسلوها إلى الجب فى ذلك النهار. فلما جاء الليل وعرف الصائغ أن حيلته قد تمت جاء إلى حارس الجب وبيده كيس فيه ألف دينار وجلس مع الحارس يتحدث إلى ثلث الليل الأول، ثم دخل مع الحارس فى الكلام وقال له: «اعلم يا أخى أن هذه الجارية بريئة من البلية التى ذكروها عنها وأنا الذى أوقعتها»، وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها. ثم قال له: «يا أخى خذ هذا الكيس فإن فيه ألف دينار وأعطنى الجارية أسافر بها إلى بلادى فهذه الدنانير أنفع لك من حبس الجارية واغتنم أجرنا ونحن الاثنان ندعو لك بالخير والسلامة. فلما سمع حكايته تعجب غاية العجب من هذه الحيلة وكيف تمت ثم أخذ الحارس الكيس بما فيه وتركها له وشرط عليه أن لا يقيم بها فى هذه المدينة ساعة واحدة. فأخذها الصائغ من وقته وسار وجعل يجد فى السير إلى أن وصل إلى بلاده وقد بلغ مراده. فانظر أيها الملك إلى كيد الرجال وحيلهم ووزراؤك يردونك عن أخذ حقى وفى غد أقف أنا وأنت بين يدى حاكم عادل فيأخذ حقى منك أيها الملك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الملك كلامها أمر بقتل ولده. فدخل عليه الوزير الخامس وقبل الأرض بين يديه ثم قال له: «أيها الملك العظيم الشأن تمهل ولا تعجل على قتل ولدك، فربّ عجلة أعقبت ندامة وأخاف عليك أن تندم ندامة الرجل الذى لم يضحك بقية عمره». فقال له الملك: «وكيف ذلك أيها الوزير؟» قال:

حكاية الوزير الخامس فى كيد النساء

بلغنى أيها الملك أنه كان رجل من ذوى البيوت والنعم وكان ذا مال وخدم وعبيد وأملاك فمات إلى رحمة الله - تعالى - وترك ولدًا صغيرًا. فلما كبر الولد أخذ فى الأكل والشرب وسماع الطرب والأغانى وتكرم وأعطى وأنفق الأموال التى خلفها له أبوه حتى ذهب المال

المال جميعه. فرجع على بيع العبيد والجوارى والأملاك وأنفق جميع ما كان عنده من مال أبيه وغيره فافتقر حتى صار يشتغل مع الفعلة، فمكث على ذلك مدة سنة. فبينما هو جالس يومًا من الأيام تحت حائط ينتظر من يستأجره وإذا برجل حسن الوجه والثياب قد دنا من الشاب وسلم عليه. فقال له الولد: «ياعم هل أنت تعرفنى قبل الآن؟» فقال له: «لم أعرفك يا ولدى أصلاً بل أرى أثر النعمة عليك وأنت فى هذه الحالة» فقال له: «يا عم نفذ القضاء والقدر فهل لك يا عم يا صبيح الوجه من حاجة تستخدمنى فيها؟» فقال له: «يا ولدى أريد أن أستخدمك فى شىء يسير». قال له الشاب: «وما هو يا عم؟» فقال له: «عندى عشرة من الشيوخ فى دار واحدة وليس عندنا من يقضى حاجتنا ولك عندنا المأكل والملبس ما يكفيك فتقوم فى خدمتنا ولك عندنا ما يصل إليك من الخير والدراهم ولعل الله يردّ عليك نعمتك بسببنا» فقال له الشاب: «سمعًا وطاعة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قال له الشيخ: «لى عليك شرط». فقال له الشاب: «ما هو شرطك يا عم» قال له: «يا ولدى أن تكون كاتمًا لسرنا فيما ترانا عليه وإذا رأيتنا نبكى فلا تسألنا عن سبب بكائنا». فقال له الشاب: «نعم يا عم». فقال له الشيخ: «يا ولدى سر بنا على بركة الله - تعالى -». فقام الشاب خلف الشيخ إلى أن أوصله إلى الحمام فأدخله فيه وأزال عن بدنه ماعليه من القشف. ثم أرسل الشيخ رجلاً فأتى له بحلة حسنة من القماش فألبسه إياها ومضى به إلى منزله عند جماعة، فلما دخل الشاب وجدها دارًا عالية البنيان مشيدة الأركان واسعة بمجالس متقابلة وقاعات فى كل قاعة فسقية من الماء عليها طيور تغرد وشبابيك تطل من كل جهة على بستان حسن فى تلك الدار، فأدخله الشيخ فى أحد المجالس فوجده منقوشًا بالرخام الملون ووجد سقفه منقوشًا باللازورد والذهب الوهاج وهو مفروش ببسط الحرير ووجد فيه من الشيوخ قاعدين متقابلين وهم لابسون ثياب الحزن يبكون وينتحبون. فتعجب الشاب من أمرهم وهم أن يسأل الشيخ فتذكر الشرط فمنع لسانه. ثم إن الشيخ سلم إلى الشاب صندوقًا فيه ثلاثون ألف دينار وقال له: «يا ولدى أنفق علينا من هذا الصندوق وعلى نفسك بالمعروف وأنت أمين واحفظ ما استودعتك فيه» فقال الشاب: «سمعًا وطاعة». ولم يزل الشاب ينفق عليهم مدة أيام وليال. ثم مات واحد منهم فأخذه أصحابه وغسلوه وكفنوه ودفنوه فى روضة خلف الدار. ولم يزل الموت يأخذ منهم واحدًا بعد واحد إلى أن بقى الشيخ الذى استخدم الشاب فاستمر هو والشاب فى تلك الدار وليس معهما ثالث وأقاما على ذلك مدة من السنين. ثم مرض الشيخ فلما يئس الشاب من حياته أقبل عليه وتوجع له. ثم قال له: «يا عمّ أنا خدمتكم وما كنت أقصر فى خدمتكم ساعة واحدة مدة اثنتى عشرة سنة وإنما أنصح لكم وأخدمكم بجهدى وطاقتى». فقال له الشيخ: «نعم يا ولدى خدمتنا إلى أن توفيت هذه المشايخ إلى الله - عز وجل - ولا بد لنا من الموت». فقال الشاب: «يا سيدى أنت على خطر وأريد منك أن تعلمنى ما سبب بكائكم ودوام انتحابكم وحزنكم وتحسركم؟» فقال له: يا ولدى ما لك بذلك من حاجة ولا تكلفنى ما لا أطيق فإنى سألت الله - تعالى - أن لا يبلى أحدًا ببليتى فإن أردت أن

تسلم مما وقعنا فيه فلا تفتح ذلك الباب». وأشار إليه بيده وحذره منه. ثم قال له: «وإن أردت أن يصيبك ما أصابنا فافتحه فإنك تعلم سبب ما رأيت منا ولكنك تندم حيث لا ينفعك الندم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم تزايدت العلة على الشيخ فمات، فغسله الشاب بيده وكفنه ودفنه عند أصحابه، وقعد الشاب فى ذلك الموضع وهو مختوم على ما فيه وهو مع ذلك قلق متفكر فيما كان فيه الشيوخ. فبينما هو يتفكر يومًا من الأيام فى كلام الشيخ ووصيته له بعدم فتح الباب إذ خطر بباله أن ينظر إليه. فقام إلى تلك الجهة وفتش حتى رأى بابًا لطيفًا قد عشش عليه المنكبوت وعليه أربعة أقفال من الفولاذ. فلما نظره تذكر ما حذره منه الشيخ فانصرف عنه وصارت نفسه تراوده على فتح الباب وهو يمنعها مدة سبعة أيام، وفى اليوم الثامن غلبت عليه نفسه وقال: «لا بد أن أفتح ذلك الباب وأنظر أى شىء يجرى علىَّ منه فإن قضاء الله - تعالى - وقدره لا يرده شىء ولا يكون أمر من الأمور إلا بإرادته».

فنهض وفتح الباب بعد أن كسر الأقفال. فلما فتح الباب رأى دهليزًا ضيقًا فجعل يمشى فيه مقدار ثلاث ساعات، وإذا به قد خرج على شاطئ نهر عظيم، فتعجب الشاب من ذلك فصار يمشى على ذلك الشاطئ وينظر يمينًا وشمالاً. وإذا بعقاب كبير قد نزل من الجو فحمل ذلك الشاب فى مخالبه وطار به بين السماء والأرض إلى أن أتى به إلى جزيرة فى وسط البحر فألقاه فيها وانصرف عنه ذلك العقاب، فصار الشاب متحيرًا فى أمره لا يدرى أين يذهب. فبينما هو جالس يومًا من الأيام وإذا بقلع مركب قد لاح له فى البحر كالنجمة فى السماء فتعلق خاطر الشاب بالمركب لعل نجاته تكون فيه وصار ينظر إليه حتى وصل إلى قربه.

فلما وصل رأى زورقًا من العاج والأبنوس ومجاديفه من الصندل والعود وهو مصفح جميعه بالذهب الوهاج وفيه عشرة من الجوارى الأبكار كأنهن الأقمار. فلما نظرته الجوارى طلعن إليه من الزورق وقبلن يديه وقلن له: «أنت الملك العريس». ثم تقدمت إليه جارية وهى كالشمس الضاحية، فى السماء الصاحية، وفى يدها منديل حرير فيه خلعة ملوكية وتاج من الذهب مرصع بأنواع اليواقيت فتقدمت إليه وألبسته وتوجته وأخذته إلى ذلك الزورق، فوجد فيه أنواعًا من بسط الحرير الملون ثم نشرنَ القلوع وسرنَ فى لجج البحر. قال الشاب: «فلما سرت معهن اعتقدت أن هذا منام ولا أدرى أين يذهبن بى فى ذلك الزورق.

«فلما أشرفن على البر رأيت البر قد امتلأ بعساكر لا يعلم عدتهم إلا الله - سبحانه وتعالى - وهم متدرعون، ثم قدّموا إلى خمسة من الخيل المسوّمة بسروج من ذهب مرصّعة بأنواع اللآلئ والفصوص الثمينة، فأخذت منها فرسًا فركبته والأربعة سارت معى. ولما ركبت انعقدت على رأسى الرايات والأعلام ودقت الطبول وضربت الكاسات، ثم ترتبت العساكر ميمنةً وميسرةً وصرت أتردد هل أنا نائم أم يقظان. ولم أزل سائرًا ولا أصدق بما أنا فيه من الموكب بل أظن أنه أضغاث أحلام حتى أشرفنا على مرج أخضر فيه قصور وبساتين وأشجار وأنهار وأزهار وأطيار، تسبح الواحد القهار.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: «فبينما هم كذلك وإذا بعسكر قد برز من بين تلك القصور والبساتين مثل السيل إذا انحدر إلى أن ملأ ذلك المرج. فلما دنوا منى وقفت تلك العساكر وإذا بملك منهم قد تقدم بمفرده راكب بين يديه بعض خواصه مشاة». فلما قرب الملك من الشاب نزل عن جواده، فلما رأى الملك نزل عن جواده نزل الآخر ثم سلما على بعضهما أحسن سلام، ثم ركبوا خيولهم. فقال الملك للشاب: «سر بنا فإنك ضيفى». فسار معه الشاب وهم يتحدثون والمواكب مرتبة وهى تسير بين أيديهما إلى قصر الملك، ثم نزلوا ودخلوا القصر جميعًا ويد الشاب فى يد الملك، ثم أجلسه على كرسى من الذهب وجلس عنده.

فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه وإذا هو جارية كالشمس الضاحية، فى السماء الصاحية، ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، وعجب ودلال. فنظر الشاب إلى نعمة عظيمة، وسعادة جسيمة، وصار الشاب متعجبًا من حسنها وجمالها. ثم قالت له: «اعلم أيها الملك أنى ملكة هذه الأرض وكل هذه العساكر التى رأيتها وجميع من رأيته منهم من فارس أو راجل فهن نساء ليس فيهن رجال، والرجال عندنا فى هذه الأرض يحرثون ويزرعون ويحصدون ويشتغلون بعمارة الأرض وعمارة البلاد ومصالح الناس من سائر الصناعات، وأما النساء فهن الحكام وأرباب المناصب والعساكر».

فتعجب الشاب من ذلك غاية العجب. وفيما هم كذلك وإذا بالوزير قد دخل وإذا هى عجوز شمطاء وهى محتشمة ذات هيبة ووقار، فقالت لها الملكة: «أحضرى لنا القاضى والشهود». فمضت العجوز لذلك. ثم عطفت الملكة على الشاب تنادمه وتؤانسه وتزيل وحشته بكلام لطيف، ثم أقبلت عليه وقالت له: «أترضى أن أكون لك زوجة؟» فقام وقبل الأرض بين يديها فمنعته. فقال لها: «يا سيدتى أنا أقل من الخدم الذين يخدمونك». فقالت له: «أما ترى جميع ما نظرته من الخدم والعساكر والمال والخزائن والذخائر؟» فقال لها: «نعم». فقالت له: «جميع ذلك بين يديك تتصرف فيه بحيث تعطى وتهب ما بدا لك». ثم إنها أشارت إلى باب مغلق وقالت له: «جميع ذلك تتصرف فيه إلا هذا الباب فلا تفتحه وإذا فتحته تندم حيث لا ينفعك الندم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فما استتمت كلامها إلا والوزيرة والقاضى والشهود معها فلما حضرن وكلهن عجائز ناشرات الشعر على أكتافهن وعليهن هيبة ووقار. فلما حضرن بين يدى الملكة أمرتهن أن يعقدن العقد بالتزويج، فزوجنها الشاب وعملت الولائم وجمعت العساكر وأكلوا وشربوا وأقام معها سبعة أعوام فى ألذ عيش وأرغده وأهناه وأطيبه. فتذكر ذات يوم من الأيام فتح الباب وقال: «لولا أن يكون فيه ذخائر جليلة أحسن مما رأيت ما منعتنى عنه». ثم قام وفتح الباب وإذا داخله الطائر الذي حمله من ساحل البحر وحطه فى الجزيرة. فلما نظره ذلك الطائر قال له: «لا مرحبًا بوجه لا يفلح أبدًا». فلما نظره وسمع كلامه هرب منه، فتبعه وخطفه وطار به بين السماء والأرض مسافة ساعة وحطه فى المكان الذى خطفه منه ثم غاب عنه. فجلس مكانه ثم رجع إلى عقله وتذكر ما نظره قبل ذلك من النعمة والعز والكرامة

وركوب العسكر أمامه والأمر والنهى فجعل يبكى وينتحب. ثم أقام على ساحل البحر الذى وضعه فيه ذلك الطائر مدة شهرين وهو يتمنى أن يعود إلى زوجته. فبينما هو ذات ليلة من الليالى سهران حزين متفكر وإذا بقائل يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو ينادى: «هيهات هيهات أن يرجع إليك ما فات، فأكثر الحسرات» فلما سمعه ذلك الشاب يئس من لقاء تلك الملكة ومن رجوع النعمة التى كان فيها إليه، ثم دخل الدار التى كان فيها المشايخ وعلم أنهم قد جرى لهم مثل ما جرى له وهذا الذي كان سبب بكائهم وحزنهم فعذرهم بعد ذلك. ثم إن الشاب أخذه الحزن والهم ودخل ذلك المجلس وما زال يبكى وينوح وترك المآكل والمشرب والروائح الطيبة والضحك إلى أن مات ودفنوه بجانب المشايخ. فاعلم أيها الملك أن العجلة ليست محمودة وإنما هى تورث الندامة، وقد نصحتك بهذه النصيحة». فلما سمع الملك ذلك الكلام رجع عن قتل ولده.

فلما كان اليوم السادس دخلت الجارية على الملك وفى يدها سكين مسلولة وقالت: «اعلم يا سيدى أنك إن لم تقبل شكايتى وترعَ حقك وحرمتك فيمن تعدى على وهم وزراؤك الذين يزعمون أن النساء صاحبات حيل ومكر وخديعة ويقصدون بذلك ضياع حقى وإهمال الملك النظر فى حقى وها أنا أحقق بين يديك أن الرجال أمكر وأكيد من النساء كما ورد بحكاية الخادم الخبيث:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «فقد بلغنى أيها الملك أن رجلاً من الظرفاء دخل السوق فوجد غلامًا ينادى عليه للبيع فاشتراه وجاء به إلى منزله وقال لزوجته: «استوصى به» فأقام الغلام مدة من الزمان. فلما كان فى بعض الأيام قال الرجل لزوجته: «اخرجى غدًا إلى البستان وتفرجى وتنزهى وانشرحى». فقالت: «حبًا وكرامة». فلما سمع الغلام ذلك عمد إلى طعام وجهزه فى تلك الليلة وإلى شراب ونُقل وفاكهة، ثم توجه إلى البستان وجعل ذلك الطعام تحت شجرة وجعل الشراب تحت شجرة والفواكه والنقل تحت شجرة فى طريق زوجة سيده. فلما أصبح الصباح أمر الرجل الغلام أن يتوجه مع سيدته إلى ذلك البستان وأمر بما يحتاجون إليه من المآكل والمشرب والفواكه. ثم طلعت الجارية وركبت فرسًا والغلام معها حتى وصلوا إلى ذلك البستان.

فلما دخلوا نعق غراب، فقال له الغلام: «صدقت». فقالت له سيدته: «هل أنت عرفت ما يقول الغراب؟» فقال لها: «نعم يا سيدتى» قالت له: «فما يقول؟» قال لها: «يا سيدتى يقول إن تحت هذه الشجرة طعامًا تعالوا كلوه». فقالت له: «أراك تعرف لغات الطير». فقال لها: «نعم» فتقدمت الجارية إلى تلك الشجرة فوجدت طعامًا مجهزًا. فلما أكلوه تعجبت منه غاية العجب واعتقدت أنه يعرف لغات الطير. فلما أكلوا ذلك الطعام تفرجوا فى البستان فنعق الغراب. فقال له الغلام: «صدقت». فقال له سيدته: «أى شىء يقول؟» قال: «يا سيدتى يقول إن تحت الشجرة الفلانية كوز ماء ممسك وخمرًا عتيقًا». فذهبت هى وإياه فوجدا ذلك فتزايد عجبها وعظم الغلام عندها، فقعدت مع الغلام يشربان. فلما شربا مشيا فى ناحية البستان فنعق الغراب فقال له الغلام: «صدقت» فقالت له سيدته: «أى شىء يقول هذا الغراب؟» قال:

يقول إن تحت الشجرة الفلانية فواكه ونقلاً». فذهبا إلى تلك الشجرة فوجدا ذلك فأكلا من تلك الفواكه والنقل، ثم مشيا فى البستان فنعق الغراب فأخذ الغلام حجرًا ورماه به. فقالت: «ما لك تضربه وما الذى قاله؟» قال: «يا سيدتى إنه يقول كلامًا ما أقدر أن أقوله لك». قالت: «قل ولا تخف منى أنا ليس بينى وبينك شىء». فصار يقول: «لا»، وهى تقول: «قل». ثم أقسمت عليه. فقال لها: «إنه يقول لى: اقتل سيدك وتزوج بسيدتك». فلما سمعت كلامه ضحكت حتى استلقت على قفاها. ثم قالت له: حاجة هينة أعينك عليها». وإذا بسيده خلفه ينظر إليه فناداه وقال له: «يا غلام ما لسيدتك راقدة هنا تبكى؟» فقال: «يا سيد يوقعت من فوق الشجرة فماتت وما ردها عليك إلا الله - سبحانه وتعالى - فرقدت ههنا ساعة لتستريح».

فلما رأت الجارية زوجها فوق رأسها قامت وهى متمرضة تتوجع وتقول: «آه يا ظهرى يا جنبى تعالوا إلىّ يا أحبابى ما بقيت أعيش». فصار زوجها مبهوتًا، ثم نادى الغلام وقال له: «هات لسيدتك الفرس واركبها». فلما ركبت أخذ الزوج بركابها والغلام بركابها الثانى وهو يقول لها: «الله يعافيك ويشفيك». وهذا أيها الملك من جملة حيل الرجال ومكرهم فلا يردك وزراؤك عن نصرتى والأخذ بحقى». ثم بكت فلما رأى الملك بكاءها وهى عنده أعز جواريه أمر بقتل ولده.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فدخل عليه الوزير السادس وقبل الأرض بين يديه وقال له: «أعز الله - تعالى - الملك إنى ناصحك ومشير عليك بالتمهل فى أمر ولدك فإن الباطل كالدخان، والحق مشيد الأركان، ونور الحق يُذهب ظلام الباطل، واعلم أن مكر النساء عظيم وقد قال الله فى كتابه العزيز: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ وقد بلغنى حديث امرأة فعلت مع أرباب الدولة مكيدة ما سبقها بمثلها أحد قط». فقال الملك: «وكيف كان ذلك؟» قال الوزير:

حكاية الوزير السادس فى كيد النساء

بلغنى أيها الملك أن امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الأسفار فسافر زوجها إلى بلاد بعيدة وأطال الغيبة، فزاد عليها الحال، وكان لها غلامٌ ظريف من أولاد التجار وكانت تحبه محبة عظيمة، ففى بعض الأيام تنازع الغلام مع رجل فشكاه الرجل إلى والى تلك البلد فسجنه، فبلغ خبره زوجة التاجر فطار عقلها عليه فقامت ولبست أفخر ملبوسها ومضت إلى منزل الوالى فسلمت عليه ودفعت له ورقة تذكر فيها أن الذى سجنته وحبسته هو أخى فلان الذى تنازع مع فلان والجماعة الذين شهدوا عليه قد شهدوا باطلاً، وقد سجن فى سجنك وهو مظلوم وليس عندى ممن يدخل علىّ ويقوم بحالى غيره وأسأل من فضل مولانا إطلاقه من السجن. فلما قرأ الوالى الورقة نظر إليها وقال لها: «ادخلى المنزل حتى أحضره بين يدىّ ثم أرسل إليك فتأخذينه». فقالت له: «يا مولانا ليس لى أحد إلا الله - تعالى - وأنا امرأة غريبة لا أقدر على دخول منزل أحد». فقال لها الوالى: «لا أطلقه حتى تدخلى المنزل». فقالت له: «إن أردت ذلك فلا بد أن تحضر عندى فى منزلى وتقعد وتستريح نهارك كله». فقال لها: «وأين منزلك؟» فقالت له: «فى الموضع الفلانى». ثم خرجت.

فلما خرجت من عنده دخلت على قاضى البلد وقالت له: «يا سيدنا القاضى». قال لها: «نعم». قالت له: «انظر أمرى وأجرك على الله - تعالى -». فقال لها: «من ظلمك؟» فقالت له: «يا سيدى لى أخ وليس لى أحد غيره وهو الذى كلفنى الخروج إليك لأن الوالى قد سجنه وشهدوا عليه بالباطل أنه ظالم، وإنما أطلب منك أن تشفع لى فيه عند الوالى». فلما نظرها القاضى قال لها: «ادخلى المنزل عند الجوارى واستريحى ساعة ونحن نرسل إلى الوالى أن يطلق أخاك ولو كنا نعرف الدراهم التى عليه كنا دفعناها من عندنا لأنك أعجبتنا من حسن كلامك». فقالت له: «إذا كنت أنت يا مولانا تفعل ذلك فما نلوم الغير». فقال لها القاضى: «إن لم تدخلى منزلنا فاخرجى إلى حال سبيلك». فقالت له: «إن أردت ذلك يا مولانا فلا بد أن تشرفنى فى منزلى» فقال لها القاضى: «وأين منزلك؟» فقالت له: «فى الموضع الفلانى». وواعدته على اليوم الذى واعدت فيه الوالى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم خرجت من عند القاضى إلى منزل الوزير فرفعت إليه قصتها وشكت إليه ضرورة أخيها وأنه سجنه الوالى، فكلمها الوزير كما كلمها القاضى وقال لها: «نطلق لك أخاك» فقالت له: «إن أردت شرفنى فى منزلى». فقال له الوزير: «وأين منزلك؟» فقالت له: «فى الموضع الفلانى». وواعدته على ذلك اليوم. ثم خرجت من عنده إلى ملك تلك المدينة ورفعت إليه قصتها وسألته إطلاق أخيها. فقال لها: «من حبسه؟» قالت له: «حبسه الوالى». فلما سمع الملك كلامها أمرها أن تدخل القصر حتى يرسل إلى الوالى ويخلص أخاها. فقالت: «إذا جاء الملك إلى منزلى يشرفنى بنقل خطواته الكرام كما قال الشاعر:

خليلىَّ هل أبصرتما أو سمعتما ... زيارة من جلت مكارمه عندى

فقال الملك: «لا نخالف لك أمرًا». فواعدته باليوم الذى واعدت فيه غيره وعرفته منزلها. ثم إنها خرجت من عنده فجاءت إلى رجل نجار وقالت له: «أريد منك أن تصنع لى خزانة بأربع طبقات بعضها فوق بعض كل طبقة بباب يقفل عليها وأخبرنى بقدر أجرتك فأعطيكها». فقال لها: «أربعة دنانير وإن أنعمت علىّ أيتها السيدة المصونة بزيارتك فهو الذى أريد ولا آخذ منك شيئًا». فقالت له: «إن كان لا بد من ذلك فاعمل لى خمس طبقات بأقفالها». فقال لها: «حبًا وكرامة». وواعدته أن يحضر لها بالخزانة فى ذلك اليوم بعينه. فقال لها النجار: يا سيدتى اقعدى حتى تأخذى حاجتك فى هذه الساعة وأنا بعد ذلك أجىء على مهلى». فقعدت عنده حتى عمل لها خزانة بخمس طبقات وانصرفت إلى منزلها فوضعتها فى المحل الذى فيه الجلوس، ثم أخذت أربعة ثياب وحملتها إلى الصباغ فصبغ كل ثوب لونًا وكل لون خلاف الآخر وأقبلت على تجهيز المأكول والمشروب والفواكه والطيب.

فلما جاء يوم الميعاد لبست أفخر ملبوسها وتزينت وتطيبت. ثم فرشت المجلس بأنواع البسط الفاخرة وقعدت تنتظر من يأتى وإذا بالقاضى قد دخل عليها قبل الجماعة. فلما رأته قامت واقفة على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وأخذته وأجلسته. فقالت له: «يا سيدى اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء لترتاح واجعل هذا القناع على رأسك حتى

تحضر بالمأكول والمشروب». فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع، وإذا بطارق يطرق الباب. فقال لها القاضى: «من هذا الذى يطرق الباب؟» فقالت له: «هذا زوجى» فقال لها: «وكيف العمل وأين أروح أنا؟» فقالت له: «لا تخف إنى أدخلك هذه الخزانة» فقال لها: «افعلى ما بدا لك» فأخذته من يده وأدخلته فى الطبقة السفلى وقفلت عليه. ثم إنها خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوالى.

فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وأخذته بيدها وأجلسته وقالت له: «يا سيدى إن الموضع موضعك والمحل محلك وأنا جاريتك ومن بعض خدامك، وأنت تقيم هذا النهار كله عندى فاخلع ما عليك من الملبوس والبس هذا الثوب الأحمر فإنه ثوب الراحة» وقد جعلت على رأسه خلقًا من خرقة كانت عندها. فلما أخذت ثيابه قالت له: «يا مولانا من فضلك وإحسانك تكتب لى ورقة بإطلاق أخى من السجن حتى يطمئن خاطرى». فقال لها: «السمع والطاعة على الرأس والعين». وكتب كتابًا إلى خازنداره يقول له فيه: «ساعة وصول هذه المكاتبة إليك تطلق فلانًا من غير إمهال ولا إهمال ولا تراجع حاملها بكلمة». ثم ختمها وأخذتها منه. وإذا بطارق يطرق الباب. فقال لها: «من هذا؟» قالت: «زوجى». قال: «كيف العمل؟» فقالت له: «ادخل هذه الخزانة فأخذته وأدخلته فى الطبقة الثانية وقفلت عليه. كل هذا والقاضى يسمع كلامها.

ثم خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوزير قد أقبل، فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وتلقته وخدمته وقالت له: «يا سيدى لقد شرفتنا بقدومك فى منزلنا يا مولانا فلا أعدمنا الله هذه الطلعة. ثم أجلسته وقالت له: «اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الثياب الخفيفة». فخلع ما كان عليه وألبسته غلالة زرقاء وطرطورًا أحمر وقالت له: «يا مولانا أما هذه ثياب الوزارة فخلها لوقتها وأما فى هذه الساعة فهذه ثياب المنادمة والبسط. فبينما هما فى الكلام وإذا بطارق يطرق. فقال لها: «من هذا؟» فقالت له: «زوجى». فقال لها: «كيف التدبير؟» فقالت له: «قم وادخل هذه الخزانة حتى أصرف زوجى وأعود إليك ولا تخف». ثم إنها أدخلته الطبقة الثالثة وقفلت عليه وخرجت ففتحت الباب. وإذا هو الملك قد دخل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وأدخلته فى صدر المكان وأجلسته وقالت: «شرفتنا أيها الملك ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوى خطوة من خطواتك إلينا». فلما جلس قالت له: «أعطنى إذنًا حتى أكلمك كلمة واحدة». فقال لها: «تكلمى مهما شئت». فقالت له: «استرح يا سيدى واخلع ثيابك وعمامتك». وكانت ثيابه فى ذلك الوقت تساوى ألف دينار. فلما خلعها ألبسته ثوبًا خلقًا قيمته عشرة دراهم بلا زيادة، وأقبلت تؤانسه. هذا كله والجماعة التى فى الخزانة يسمعون ما يحصل منها ولا يقدر أحد أن يتكلم. ثم قالت للملك: «قد كنت قبل الآن وعدت خدمتك بهذا المجلس فلك عندى ما يسرك». فبينما هما يتحدثان وإذا بطارق يطرق الباب. فقال لها: «من هذا؟» قالت له: «زوجى». فقال لها: «اصرفيه عنا كرمًا منه وإلا أطلع إليه واصرفه قهرًا». فقالت له: «لا يكون ذلك يا مولانا بل اصبر حتى أصرفه بحسن معرفتى». فقال لها: «وكيف أفعل أنا؟» فأخذته من يده وأدخلته فى الطبقة

الرابعة وأقفلت عليه. ثم خرجت إلى الباب ففتحته وإذا هو النجار، فلما دخل سلم عليها. فقال له: «أى شىء هذه الخزائن التى عملتها؟» فقال لها: «ما لها يا سيدتى؟» فقالت له: «إن هذه الطبقة ضيقة». فقال لها: «يا سيدتى هذه واسعة». فقالت له: «ادخل وانظرها فإنها لا تسعك». فقال لها: «هذه تسع أربعة». ثم دخل النجار. فلما دخل قفلت عليه الطبقة الخامسة. ثم إنها قامت وأخذت ورقة الوالى ومضت بها إلى الخازندار، فلما أخذها وقرأها قلبها وأطلق لها الرجل من الحبس فأخبرته بما فعلته. فقال لها: «وكيف نفعل؟» قالت له: «نخرج من هذه المدينة إلى مدينة أخرى وليس لنا بعد هذا الفعل إقامة هنا». ثم جهزا ما كان عندهما وحملاه على الجمال وسافرا من ساعتهما إلى مدينة أخرى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: وأما القوم فإنهم أقاموا فى طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل فانحصروا فقضوا حاجتهم على بعضهم فصاح القاضى وقال: «أى شىء هذه النجاسة؟! أما يكفينا ما نحن فيه حتى تبولوا علينا؟» فرفع الوالى صوته وقال: عظم الله أجرك أيها القاضى فلما سمعه عرفه أنه الوالى ثم إن الوالى رفع صوته وقال: «ما بال هذه النجاسة؟» فرفع الوزير صوته وقال: «عظم الله أجرك أيها الوالى». فلما سمعه الوالى عرف أنه الوزير. ثم إن الوزير رفع صوته وقال: «ما بال هذه النجاسة؟» فرفع الملك صوته وقال: «عظم الله أجرك أيها الوزير». ثم إن الملك لما سمع كلام الوزير عرفه، ثم سكت وكتم أمره ثم إن الوزير قال: «لعن الله هذه المرأة بما فعلت معنا أحضرت جميع أرباب الدولة عندها ما عدا الملك. فلماسمعهم الملك قال لهم: «اسكتوا فأنا أول من وقع فى شبكة هذه الفاجرة». فلما سمع النجار قولهم قال لهم: «وأنا أى شىء ذنبى قد عملت لها خزانة بأربعة دنانير ذهبًا وجئت أطلب الأجرة فاحتالت علىّ وأدخلتنى هذه الطبقة وقفلتها علىّ؟».

ثم إنهم صاروا يتحدثون مع بعضهم وسلوا الملك بالحديث وأزالوا ما عنده من الانقباض، فجاء جيران ذلك المنزل فرأوه خاليًا. فقال بعضهم لبعض: «بالأمس كانت جارتنا زوجةفلان فيه والآن لم نسمع فى هذا الموضع صوت أحد ولا نرى فيه أنيسًا فاكسروا هذه الأبواب وانظروا حقيقة الأمر لئلا يسمع الوالى أو الملك فيسجننا فنكون نادمين على أمر لم نفعله قبل ذلك». ثم إن الجيران كسروا الأبواب ودخلوا فرأوا خزانة من خشب ووجدوا فيها رجالاً تئن من الجوع والعطش، فقالوا لبعضهم: «هل جنى فى هذه الخزانة؟» فقال واحد منهم: «تعالوا نجمع لها حطبًا ونحرقها بالنار». فصاح عليهم القاضى وقال: «لا تفعلوا ذلك».

فقال الجيران لبعضهم: «إن الجن يتصورون ويتكلمون بكلام الإنس». فلما سمعهم القاضى قرأ شيئًا من القرآن العظيم ثم قال للجيران: «ادنوا من الخزانة التى نحن فيها». فلما دنوا منها قال لهم: «أنا فلان وأنتم فلان وفلان ونحن هنا جماعة». فقال الجيران للقاضى: «ومن جاء بك هنا فأعلمنا بالخبر؟» فأعلمهم بالخبر من أوله إلى آخره. فأحضروا لهم نجارًا ففتح للقاضى خزانته وكذلك الوالى والوزير والملك والنجار وكل منهم بالملبوس الذى عليه. فلما طلعوا نظر بعضهم لبعض وصار كل منهم يضحك على الآخر. ثم إنهم طلبوا المرأة فلم

يقفوا لها على خبر وقد أخذت جميع ما كان عليهم. فأرسل كل منهم إلى جماعته يطلب ثيابًا فأحضروا لهم ملبوسًا ثم خرجوا مستورين به عن الناس. فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التى فعلتها هذه المرأة مع هؤلاء القوم، فهذا أيها الملك بسبب سوء تدبير المرأة. وإنما ذكرت لك ذلك لتتحقق غفلة النساء وسخافة عقولهن وسوء تدبيرهن فلا تسمع قولها وتقتل ولدك مهجة قلبك وتمحو ذكرك من بعدك». فانتهى الملك عن قتل ولده. فلما كان فى اليوم السابع حضرت الجارية صارخة بين يدى الملك وأضرمت نارًا عظيمة، فأتوا بها قدام الملك ماسكين بأطرافها، فقال لها الملك: «لماذا فعلت ذلك؟» قالت له: «إن لم تنصفنى من ولدك ألقيت نفسى فى هذه النار فقد كرهت الحياة، وقبل حضورى كتبت وصيتى وتصدقت بمالى وعزمت على الموت فتندم كل الندم كما ندم الملك على عذاب حارسة الحمام». فقال لها الملك: «وكيف كان ذلك؟» فقالت له الجارية:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهر زاد: «بلغنى أيها الملك أن امرأة كانت عابدة زاهدة ناسكة وكانت تدخل قصر ملك من الملوك يتبركون بها وكان لها عندهم حظ عظيم.

فدخلت يومًا من الأيام ذلك القصر على جرى عادتها وجلست بجانب زوجة الملك فناولتها عقدًا قيمته ألف دينار وقالت لها: يا جارية خذى هذا العقد عندك واحرسيه حتى أخرج من الحمام فآخذه منك». وكان الحمام فى القصر فأخذته الجارية وجلست فى موضع فى منزل الملكة حتى تدخل الحمام الذى عندها فى المنزل وتخرج، ثم وضعت ذلك العقد تحت السجادة وقامت تصلى، فجاء طير وأخذ ذلك العقد وجعله فى شق من زوايا القصر وقد خرجت الحارسة لحاجة تقضيها وترجع ولم تعلم بذلك. فلما خرجت زوجة الملك من الحمام طلبت العقد من تلك الحارسة فلم تجده وجعلت تفتش عليه فلم تجد له خبرًا ولم تقع له على أثر، فصارت الحارسة تقول: «والله يا ابنتى ما جاءنى أحد وحين أخذته وضعته تحت السجادة ولم أعلم هل أحد من الخدم عاينه واستغلنى وأنا فى الصلاة وأخذه، والعلم فى ذلك لله - تعالى -».

فلما سمع الملك بذلك أمر زوجته أن تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد، فعذّبتها بأنواع العذاب فلم تقر بشىء ولم تتهم أحدًا، فبعد ذلك أمر بسجنها وأن يجعلوها بالقيود فحُبست.

ثم إن الملك جلس يومًا من الأيام فى وسط القصر والماء محدق به وزوجته بجانبه فوقعت عينه على طير وهو يسحب ذلك العقد من شق من زوايا القصر، فصاح على جارية عنده فأدركت ذلك الطير وأخذت العقد منه، فعلم الملك أن الحارسة مظلومة فندم على ما فعل معها وأمر بإحضارها. فلما حضرت أخذ يقبل رأسها ثم صار يبكى ويستغفر ويندم على ما فعل معها ثم أمر لها بمال جزيل، فأبت أن تأخذه، ثم سامحته وانصرفت من عنده وأقسمت على نفسها أنها لا تدخل منزل أحد وساحت فى الجبال والأودية وصارت تعبد الله - تعالى - إلى أن ماتت.

وبلغنى أيضًا أيها الملك من كيد الرجال أن حمامتين ذكرًا وأنثى جمعا قمحًا وشعيرًا فى عشهما أيام الشتاء، فلما كان فى زمن الصيف ضمر الحب ونقص. فقال الذكر للأنثى: أنت أكلت ذلك الحب. فصارت تقول: لا والله ما أكلت منه شيئًا. فلم يصدقها على ذلك وضربها بأجنحته ونقرها بمنقاره إلى أن قتلها. فلما كان زمن البرد عاد الحب كما كان على حاله، فعلم الذكر أنه قتل زوجته ظلمًا وعدوانًا وندم حيث لا ينفعه الندم، فنام فى جانبها ينوح عليها تأسفًا ويبكى تأسفًا وامتنع عن الأكل والشرب إلى أن مات.

وبلغنى أيضًا من كيد الرجال للنساء حكاية أعجب من هذا كله. فقال لها الملك: هات ما معك. فقالت: أيها الملك إن جارية من جوارى الملك ليس لها نظير فى زمانها فى الحسن، والجمال، والقد والاعتدال، والبهاء والدلال، وكانت تقول: ليس لى نظير فى زمانى. وكان جميع أولاد الملوك يخطبونها فلم ترضَ أن تأخذ واحدًا منهم، وكان اسمها الدتماء، وكانت تقول: لا يتزوجنى إلا من يقهرنى فى حومة الميدان والضرب والطعان فإن غلبنى أحد تزوجته بطيب قلبى وإن غلبته أخذت فرسه وسلاحه وثيابه وكتبت على جبهته: هذا عتيق فلانة. وكان أبناء الملوك يأتون إليها من كل مكان بعيد وقريب وهى تغلبهم وتعيبهم وتأخذ أسلحتهم وتوسمهم بالنار.

فسمع بها ابن ملك من ملوك العجم يقال له بهرام فقصدها من مسافة بعيدة واستصحب معه مالاً وخيلاً ورجالاً وذخائر من ذخائر الملوك حتى وصل إليها. فلما حضر عندها أرسل إلى والدها هدية سنية، فأقبل عليه الملك وأكرمه غاية الإكرام، ثم أرسل إليه مع وزرائه أنه يريد أن يخطب ابنته، فأرسل إليه والدها وقال له: يا ولدى أما ابنتى الدتماء فليس لى عليها حكم لأنها أقسمت على نفسها أنها لا تتزوج إلا من يقهرها فى حومة الميدان. فقال له ابن الملك: وأنا ما سافرت من مدينتى إلا على هذا الشرط. فقال له الملك: فى غد تلتقى معها.

فلما جاء الغد أرسل والدها إليها واستأذنها. فلما سمعت تأهبت للحرب، ولبست آلة حربها وخرجت إلى الميدان. فخرج ابن الملك إلى لقائها وعزم على حربها، فتسامعت الناس بذلك فأتوا من كل مكان فحضروا فى ذلك اليوم، وخرجت الدتماء وقد لبست وتمنطقت وتنقبت. فبرز لها ابن الملك وهو فى أحسن حالة وأتقن آلة من آلات الحرب وأكمل عدة فحمل كل واحد منهما على الآخر ثم تجاولا طويلاً واعتركا مليًا فنظرت منه الشجاعة والفروسية ما لم تنظره من غيره فخافت على نفسها أن يخجلها بين الحاضرين وعلمت أنه لا محالة غالبها فأرادت مكيدته وعملت له الحيلة فكشفت عن وجهها وإذا هو أضوأ من البدر فلما نظر إليها ابن الملك اندهش فيه وضعفت قوته وبطلت عزيمته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما نظرت ذلك منه حملت عليه واقتلعته من سرجه وصار فى يدها مثل العصفور فى مخلب العقاب وهو ذاهل لا يدرى ما يُفعل به. فأخذت جواده وسلاحه وثيابه ووسمته بالنار وأطلقت سبيله. فلما أفاق من غشيته مكث أيامًا لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من القهر، فصرف عبيده إلى والده وكتب له كتابًا أنه لا يقدر أن يرجع إلى بلده حتى يظفر

بحاجته أو يموت دونها. فلما وصلت المكاتبة إلى والده حزن عليه وأراد أن يبعث إليه الجيوش والعساكر فمنعه الوزراء من ذلك وصبروه. ثم إن ابن الملك استعمل فى حصول غرضه الحيلة، فجعل نفسه شيخًا هرمًا وقصد بستان ابنة الملك لأنها كانت أكثر أيامها تدخل فيه، فاجتمع ابن الملك بالخولى وقال له: إننى رجل غريب من بلاد بعيدة وكنت مدة شبابى وإلى الآن أُحسن الفلاحة وحفظ النبات والمشموم ولا يُحسنه أحد غيرى. فلما سمعه الخولى فرح به غاية الفرح. فأدخله البستان ووصى عليه جماعته، فأخذ فى الخدمة وتربية الأشجار. فبينما هو كذلك يومًا من الأيام وإذا بالعبيد قد دخلوا إلى البستان ومعهم البغال عليها الفرش والأوانى، فسأل عن ذلك فقالوا له: إن ابنة الملك تريد أن تتفرَّج على ذلك البستان. فمضى وأخذ الحلى والحلل التى كانت معه من بلاده وجاء بها إلى البستان وقعد فيه ووضع قدامه شيئًا من تلك الذخائر وصار يرتعش ويظهر أن ذلك من الكبر والهرم والضعف. فلما كان بعد ساعة حضر الجوارى والخدم ومعهنَّ ابنة الملك فى وسطهنَّ كأنها القمر بين النجوم فأقبلن وجعلن يدرن فى البستان ويقطفن الأثمار ويتفرجن فرأين رجلاً قاعدًا تحت شجرة من الأشجار فقصدنه وهو ابن الملك ونظرنه وإذا به شيخ كبير يرتعش بيديه ورجليه وبين يديه حلى وذخائر من ذخائر الملوك.

فلما نظرنه تعجبن من أمره، فسألنه عن هذا الحلى ما يصنع به، فقال لهنَّ: هذا الحلى أريد أن أتزوج به واحدة منكنَّ فتضاحكن عليه. فقالت له ابنة الملك: قد زوجتك بهذه الجارية. فدفع لها ذلك الحلى والحلل، ففرحت الجارية وتضاحكن عليه ثم ذهبن إلى منازلهن. فلما كان فى اليوم الثانى دخلن البستان وجئن نحوه فوجدنه جالسًا فى موضعه وبين يديه حلى وحلل أكثر من الأول. فقعدن عنده وقلن له: أيها الشيخ ما تصنع بهذا الحلى؟ فقال: أتزوَّج به واحدة منكنَّ. فقالت له ابنة الملك: قد زوجتك هذه الجارية فقام وأعطاها ذلك الحلى والحلل، وذهبن إلى منزلهن.

فلما رأت ابنة الملك الذى أعطاه للجوارى من الحلى والحلل قالت فى نفسها: أنا كنت أحق بذلك وما علىَّ فى ذلك من بأس. فلما أصبح الصباح خرجت من منزلها وحدها وهى فى صورة جارية من الجوارى وأخفت نفسها إلى أن أتت عند الشيخ فلما حضرت بين يديه قالت له: يا شيخ أنا ابنة الملك هل تريد أن تتزوج بى؟ فقال لها: حبًا وكرامة. وأخرج لها من الحلى والحلل ما هو أعلى قدرًا وأغلى ثمنًا ثم دفعه إليها وقال لها: أما تعرفينى؟ فقالت له: من أنت؟ فقال لها: أنا بهرام ابن ملك العجم قد غيرت صورتى وتغربت عن أهلى ومملكتى من أجلك.

فقالت فى نفسها: إن قتلته فما يفيد قتله. ثم تفكرت فى نفسها وقالت: ما يسعنى فى ذلك إلا أن أهرب معه إلى بلاده فجمعت مالها وذخائرها وأرسلت إليه وأعلمته بذلك لأجل أن يتجهز أيضًا ويجمع ماله وتعاهدا على ليلة يسافران فيها. ثم ركبا الخيل الجياد وسارا تحت جنح الليل، فما أصبح الصباح حتى قطعا بلادًا ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى بلاد العجم بالقرب من مدينة أبيه. فلما سمع والده تلقاه بالعساكر والجنود وفرح غاية الفرح، ثم بعد أيام قلائل أرسل إلى والد الدتماء هدية سنية وكتب له كتابًا يخبره فيه أن ابنته عنده ويطلب جهازها، فلما وصلت الهدايا تلقاها وأكرم من حضر بها غاية الإكرام وفرح بذلك فرحًا

شديدًا، ثم أولم الولائم وأحضر القاضى والشهود وكتب كتابها على ابن الملك وخلع على الرسل الذين حضروا بالكتاب من عند ابن ملك العجم وأرسل إلى ابنته جهازها، ثم أقام معها ابن ملك العجم حتى فرق الموت بينهما. فانظر أيها الملك كيد الرجال للنساء وأنا لم أرجع عن حقى إلى أن أموت. فتعجب الملك وأمر بقتل ولده.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فدخل على الملك الوزير السابع فلما حضر بين يديه قبل الأرض وقال: أيها الملك أمهلنى حتى أقول لك هذه النصيحة فإن من صبر وتأنى أدرك الأمل ونال ما تمنى ومن استعجل يحصل له الندم، وقد رأيت ما تمهدته هذه الجارية من تحميل الملك على ركوب الأهوال، وأنا ناصح لك لأننى أعرف من كيد النساء ما لا يعرفه غيرى.

حكاية الوزير السابع فى كيد النساء

فقد بلغنى أن امرأة دفع لها زوجها درهمًا لتشترى به أرزًا فأخذت منه الدرهم وذهبت به إلى بياع الأرز فأعطاها الأرز وجعل يمازحها ويقول لها: إن الأرز لا يطيب إلا بالسكر فإن أردته فادخلى وخذيه. فدخلت المرأة عنده فى الدكان. فقال بياع الأرز لعبده: زن لها بدرهم سكرًا، وأعطاه سيده رمزًا. فأخذ العبد المنديل من المرأة وفرَّغ منه الأرز وجعل فى موضعه ترابًا وجعل بدل السكر حجرًا وعقد المنديل وتركه عندها، فلما خرجت المرأة من عنده أخذت منديلها وانصرفت إلى منزلها وهى تحسب أن الذى فى منديلها أرز وسكر.

فلما وصلت إلى منزلها وضعت المنديل بين يدى زوجها فوجد فيه ترابًا، وحجرًا، فلما أحضرت القدر قال لها زوجها: هل نحن قلنا لكِ إن عندنا عمارة حتى جئت لنا بتراب وحجر؟. فلما نظرت إلى ذلك علمت أن عبد البياع نصب عليها، وكانت قد أتت بالقدر فى يدها فقالت لزوجها: يا رجل من شغل البال الذى أصابنى ذهبت لأجىء بالغربال فجئت بالقدر. فقال زوجها: وأى شىء أشغل بالك؟. قالت: له: يا رجل إن الدرهم الذى كان معى سقط منى فى السوق فاستحييت من الناس أن أدور عليه وما هان علىَّ أن الدرهم يروح منى فجمعت التراب من ذلك الموضع الذى وقع فيه الدرهم وأردت أن أغربله وكنت رائحة أجىء بالغربال فجئت بالقدر. ثم ذهبت وأحضرت الغربال وأعطته لزوجها وقالت له: غربله فإن عينك أصح من عينى. فقعد الرجل يغربل فى التراب إلى أن امتلأ وجهه وذقنه من الغبار وهو لا يدرك مكرها وما وقع منها. فهذا أيها الملك من جملة كيد النساء وانظر إلى قول الله - تعالى -: ﴿إن كيدكن عظيم﴾، وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ فانظر أيها الملك كيد النساء وما تفعله فى الرجال. فرجع الملك عن قتل ولده. فلما أصبح الصباح جلس والده فى اليوم الثامن فدخل عليه ولده ويده فى يد مؤدبه السندباد وقبل الأرض بين يديه ثم تكلم بأفصح لسان ومدح والده ووزراءه وأرباب دولته وشكرهم وأثنى عليهم، وكان حاضرًا بالمجلس العلماء والأمراء والجند وأشراف الناس فتعجب الحاضرون من فصاحة ابن الملك وبلاغته وبراعته فى نطقه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

بقية حكاية
الملك وولده والوزراء السبعة والجارية

قالت شهر زاد: فلما سمع والده ذلك فرح به فرحًا شديدًا زائدًا ثم ناداه وقبله بين عينيه ونادى مؤدبه السندباد وسأله عن سبب صمت ولده مدة السبعة الأيام. فقال له المؤدب: يا مولانا الأصلح فى أنه لا يتكلم فإنى خشيت عليه من القتل فى تلك المدة وكنت يا سيدى أعرف هذا الأمر يوم ولادته فإنى لما رأيت طالعه دلنى على جميع ذلك، وقد زال عنه السوء بسعادة الملك. ففرح الملك بذلك وقال لوزرائه: لو كنت قتلت ولدى هل يكون الذنب علىّ أو على الجارية أو على المؤدب السندباد؟.

فسكت الحاضرون عن رد الجواب، فقال مؤدب الولد السندباد لولد الملك: رد الجواب يا ولدى. قال ابن الملك: سمعت أن رجلاً من التجار حلَّ به ضيف فى منزله فأرسل جاريته لتشترى له من السوق لبنًا فى جرة، فأخذت اللبن فى جرتها وطلبت الرجوع إلى منزل سيدها، فبينما هى فى الطريق إذ مرَّت عليها حدأة وفى مخلبها حية تعصرها به، فقطرت نقطة من الحية فى الجرة وليس عند الجارية خبر بذلك، فلما وصلت المنزل أخذ السيد منها اللبن وشرب منه هو وضيوفه، فما استقر اللبن فى جوفهم حتى ماتوا جميعًا. فانظر أيها الملك لمن كان الذنب فى هذه القضية؟.

فقال أحد الحاضرين: الذنب للجماعة الذين شربوا. وقال آخر: الذنب للجارية التى تركت الجرة مكشوفة من غير غطاء. فقال السندباد مؤدب الغلام: ما تقول أنت فى ذلك يا ولدى؟ فقال ابن الملك: أقول إن القوم أخطأوا وليس الذنب للجارية ولا للجماعة وإنما آجال القوم فرغت مع أرزاقهم وقدرت منيتهم بسبب ذلك الأمر. فلما سمع ذلك الحاضرون تعجبوا منه غاية العجب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لابن الملك وقالوا له: يا مولانا قد تكلمت بجواب ليس له نظير وأنت عالم أهل زمانك الآن. فلما سمعهم ابن الملك قال لهم: إنى لست بعالم وإن الشيخ الأعمى وابن الثلاث السنين وابن الخمس السنين أعلم منى. فقال له الجماعة الحاضرون حدثنا بحديث هؤلاء الثلاثة الذين هم أعلم منك يا غلام. فقال لهم ابن الملك.

بلغنى أنه كان تاجر من التجار كثير الأموال والأسفار إلى جميع البلدان، فأراد المسير إلى بعض البلدان، فسأل من جاء منها وقال لهم: أى بضاعة فيها كثيرة الكسب؟ فقالوا له: حطب الصندل فإنه فيها يباع غاليًا. فاشترى التاجر بجميع ما عنده من المال حطب صندل وسافر إلى تلك المدينة. فلما وصل إليها كان قدومه إليها آخر النهار، وإذا بعجوز تسوق غنمًا لها. فلما رأت التاجر قالت له: من أنت أيها الرجل؟ فقال لها: أنا رجل تاجر غريب. فقالت له: احذر من أهل البلد فإنهم قوم مكارون لصوص وإنهم يخدعون الغريب ليظفروا به ويأكلوا ما كان معه وقد نصحتك. ثم فارقته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما أصبح الصباح تلقاه رجل من أهل المدينة فسلم عليه وقال له: يا سيدى من أين قدمت؟ فقال له: قدمت من البلد الفلانية. قال له: ما حملت معك من التجارة؟ قال له: خشب صندل فإنى سمعت أن له قيمة عندكم. فقال له الرجل: لقد أخطأ من أشار

عليك بذلك فإننا لم نوقد تحت القدر إلا بذلك الحطب الصندل فقيمته عندنا هو والحطب سواء. فلما سمع التاجر كلام الرجل تأسف وندم وصار بين مصدق ومكذب. ثم نزل ذلك التاجر فى بعض خانات المدينة يوقد بالصندل تحت القدر فلما رآه ذلك الرجل قال له: أتبيع هذا الصندل كل صاع بما تريده نفسك؟ فقال له: بعتك. فحول الرجل جميع ما عنده من الصندل فى منزله وقصد البائع أن يأخذ ذهبًا بقدر ما يأخذ المشترى، فلما أصبح الصباح تمشى التاجر فى المدينة فلقيه رجل أزرق العينين من أهل تلك المدينة وهو أعور فتعلق بالتاجر وقال له: أنت الذى أتلفت عينى فلن أطلقك أبدًا. فأنكر التاجر ذلك وقال له: إن هذا الأمر لا يتم فاجتمع الناس عليهما وسألوا الأعور المهلة إلى غد ويعطيه ثمن عينه، فأقام الرجل التاجر له ضامنًا حتى أطلقوه. ثم مضى التاجر وقد انقطع نعله من مجاذبة الرجل الأعور فوقف على دكان الإسكافى ودفعه له وقال له: أصلحه ولك عندى ما يرضيك. ثم انصرف عنه وإذا بقوم قاعدون يلعبون فجلس عندهم من الهم والغم فسألوه اللعب فلعب معهم فأوقعوا عليه الغلب فغلبوه وخيروه إما أن يشرب البحر وإما أن يخرج من ماله جميعًا. فقام التاجر، وقال: أمهلونى إلى غد.

ثم مضى التاجر وهو مغموم على ما فعل ولا يدرى كيف يكون حاله، فقعد فى موضع متفكرًا مغمومًا مهمومًا، وإذا بالعجوز جائزة عليه، فنظرت نحو التاجر فقالت له: لعل أهل المدينة ظفروا بك فإنى أراك مهمومًا من الذى أصابك؟ فحكى لها جميع ما جرى له من أوله إلى آخره. فقالت له: من الذى عمل عليك فى الصندل فإن الصندل عندنا قيمته كل رطل بعشرة دنانير ولكن أنا أدبر لك رأيًا أرجو به أن يكون لك خلاص نفسك وهو أن تسير نحو الباب الفلانى فإن فى ذلك الموضع شيخًا أعمى مقعدًا وهو عالم عارف كبير خبير وكل الناس تحضر عنده يسألونه عما يريدونه فيشير إليهم بما يكون لهم فيه الصلاح، لأنه عارف بالمكر والسحر والنصب وهو شاطر فتجتمع الشطار عنده بالليل، فاذهب عنده واخف نفسك من غرمائك بحيث تسمع كلامهم ولا يرونك فإنه يخبرهم بالغالبة والمغلوبة لعلك تسمع منهم حجة تخلصك من غرمائك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فانصرف التاجر من عندها إلى الموضع الذى أخبرته به وأخفى نفسه ثم نظر إلى الشيخ وجلس قريبًا منه، فما كان إلا ساعة حتى حضر جماعته الذين يتحاكمون عنده، فلما صاروا بين يدى الشيخ سلّموا عليه وسلّم بعضهم على بعض وقعدوا حوله. فلما رآهم التاجر وجد غرماءه الأربعة من جملة الذين حضروا، فقدم لهم الشيخ شيئًا من الأكل فأكلوا، ثم أقبل كل واحد منهم يخبره بما جرى له فى يومه، فتقدم صاحب الصندل وأخبر الشيخ بما جرى له فى يومه من أنه اشترى صندلاً من رجل بغير قيمته واستقر البيع بينهما على ملء صاع مما يحب. فقال له الشيخ: قد غلبك خصمك. فقال له: وكيف يغلبنى؟ قال الشيخ: فإذا قال لك أنا آخذ ملأه ذهبًا أو فضة فهل أنت تعطيه؟ قال: نعم أعطيه وأنا أكون الرابح. فقال له الشيخ: فإذا قال لك أنا آخذ ملء صاع براغيث النصف ذكور والنصف إناث فماذا تصنع؟ فعلم أنه مغلوب.

ثم تقدم الأعور وقال: يا شيخ أنا رأيت رجلاً اليوم أزرق العينين وهو غريب عن البلد فتقاويت عليه وتعلقت به وقلت له: أنت قد أتلفت عينى وما تركته حتى ضمنه لى جماعة أن يعود إلىّ ويرضينى فى عينى. فقال له الشيخ: لو أراد أن يغلبك لغلبك، قال: وكيف يغلبنى؟ قال: يقول لك اقلع عينك وأنا أقلع عينى ونزن كلا منهما فإن تساوت عينى بعينك فأنت صادق فيما ادعيته، ثم تغرم دية عينه وتكون أنت أعمى ويكون هو بصيرًا بعينه الثانية، فعلم أنه يغلبه بهذه الحجة.

ثم تقدم الإسكافى وقال له: يا شيخ إنى رأيت اليوم رجلاً أعطانى نعله وقال لى أصلحه. فقلت له: كم تعطينى الأجرة. فقال لى: أصلحه ولك عندى ما يرضيك. وأنا لا يرضينى إلا جميع ماله. فقال له الشيخ: إذا أراد أخذ نعله منك ولا يعطيك شيئًا أخذه. فقال له: وكيف ذلك؟ قال: يقول لك إن السلطان هُزمت أعداؤه وضعفت أضداده وكثرت أولاده وأنصاره أرضيت أم لا، فإن قلت رضيت أخذ نعله منك وانصرف، وإن قلت لا أخذ نعله وضرب به وجهك وقفاك. فعلم أنه مغلوب.

ثم تقدم الرجل الذى لعب معه بالمراهنة وقال له: يا شيخ إنى لقيت رجلاً فراهنته وغلبته فقلت له: إن شربت هذا البحر فأنا أخرج عن جميع مالى لك وإن لم تشربه فاخرج عن جميع مالك لى. فقال له الشيخ: لو أراد أن يغلبك لغلبك. فقال له: وكيف ذلك؟ قال: يقول لك امسك فم البحر بيدك وناوله لى وأنا أشربه فلا تستطيع ويغلبك بهذه الحجة. فلما سمع التاجر ذلك عرف ما يحتج به على غرمائه، ثم قام غرماء التاجر من عند الشيخ وانصرف التاجر إلى محله. فلما أصبح الصباح أتاه الذى راهنه على شرب البحر. فقال له التاجر: ناولنى فم البحر وأنا أشربه. فلم يقدر فغلبه التاجر وفدى الراهن نفسه بمائة دينار وانصرف. ثم جاءه الإسكافى وطلب منه ما يرضيه. فقال له التاجر: إن السلطان غلب أعداءه وأهلك أضداده وكثرت أولاده أرضيت أم لا؟ قال له: نعم رضيت، فأخذ مركوبه بلا أجرة وانصرف. ثم جاءه الأعور وطلب منه دية عينه. فقال له التاجر: اقلع عينك وأنا أقلع عينى ونزنهما فإن استوتا فأنت صادق فخذ دية عينك، فقال له الأعور: أمهلنى. ثم صالح التاجر على مائة دينار وانصرف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم جاءه الذى اشترى الصندل فقال له: خذ ثمن صندلك. فقال له: أى شىء تعطينى؟فقال له: قد اتفقنا على أن صاعًا صندلاً بصاع من غيره فإن أردت خذ ملأه ذهبًا وفضة. فقال له التاجر: أنا لا آخذ إلا ملأه براغيث النصف ذكور والنصف إناث. فقال له: أنا لا أقدر على شىء من ذلك. فغلبه التاجر وفدى المشترى نفسه منه بمائة دينار ذهب بعد أن أرجع له صندله بكامله فأخذ التاجر الصندل وباعه كيف أراد وقبض ثمنه وسافر من تلك المدينة إلى بلده. ثم قال ابن الملك: أما ابن الثلاث السنين فإنه كان رجل فاسق قد سمع بامرأة ذات حسن وجمال وهى ساكنة فى مدينة غير مدينته فسافر إلى المدينة التى هى فيها وأخذ معه هدية فلما وصل إلى منزلها ودخل عليها قامت له على قدميها وقد تلقته بالإكرام والاحترام وقبلت يديه وضيفته ضيافة لا مزيد عليها من المأكول والمشروب، وقد كان لها ولد

صغير له من العمر ثلاث سنين فتركته واشتغلت بطهى الطبائخ. فقال لها الرجل: هذا ولد صغير لا يفهم ولا يعرف أن يتكلم. فقالت: لو علمت معرفته ما تكلمت. فلما علم الولد أن الأرز استوى بكى بكاءً شديدًا. فقالت له أمه: ما يبكيك يا ولدى؟ فقال لها: اغرفى لى من الأرز واجعلى لى فيه سمنًا. فغرفت له وجعلت عليه السمن، فأكل الولد. ثم بكى ثانيًا فقالت له أمه: ما يبكيك يا ولدى؟ فقال لها: يا أماه اجعلى لى عليه سكرًا. فقال له الرجل وقد اغتاظ منه: ما أنت إلا ولد مشؤوم. فقال له الولد: والله ما مشؤوم إلا أنت حيث تعبت وسافرت من بلد إلى بلد فى طلب الفاحشة وأما أنا فبكائى من أجل شىء كان فى عينى فأخرجته بالدموع وأكلت بعد ذلك أرزًا وسمنًا وسكرًا وقد اكتفيت، فمن المشؤوم منّا؟!.

فلما سمعه الرجل خجل من كلام ذلك الولد الصغير. ثم أدركته الموعظة فتأدب من وقته وساعته وانصرف إلى بلده، ولم يزل تائبًا إلى أن مات. ثم قال ابن الملك: وأما ابن الخمس السنين فقد بلغنى أيها الملك أن أربعة من التجار اشتركوا فى ألف دينار وقد خلطوها بينهم وجعلوها فى كيس واحد، فذهبوا بها ليشتروا بضاعة فلقوا فى طريقهم بستانًا حسنًا فدخلوه وتركوا الكيس عند حارسة ذلك البستان.

فلما دخلوا تفرجوا فى ناحية البستان فأكلوا وشربوا وانشرحوا، فقال واحد منهم: أنا معى طيب تعالوا نغسل رءوسنا من هذا الماء الجارى ونتطيب. قال آخر: نحتاج إلى مشط. قال آخر: نسأل الحارسة لعلها أن يكون عندها مشط. فقام واحد منهم إلى الحارسة وقال لها: ادفعى لى الكيس. فقالت له: حتى تحضروا كلكم أو يأمرنى رفقاؤك أن أعطيك إياه. وكان رفقاؤه فى مكان بحيث تراهم الحارسة وتسمع كلامهم. فقال الرجل لرفقائه: ما هى راضية أن تعطينى شيئًا. فقالوا لها: أعطيه. فلما سمعت كلامهم أعطته الكيس، فأخذه الرجل وخرج هاربًا منهم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أبطأ عليهم جاؤوا إلى الحارسة وقالوا لها: ما لك لم تعطه المشط؟ قالت لهم: ما طلب منى إلا الكيس ولم أعطه إياه إلا بإذنكم وخرج من هنا إلى حال سبيله. فلما سمعوا كلام الحارسة لطموا على وجوههم وقبضوا عليها بأيديهم وقالوا لها: نحن ما أذنا لك إلا بإعطاء المشط. فقالت لهم: ما ذكر لى مشطًا. فقبضوا عليها ورفعوها إلى القاضى. فلما حضروا بين يديه قصّوا عليه القصة فألزم الحارسة بالكيس وألزم بها جماعة من غرمائها، فخرجت وهى حيرى لم تعرف طريقًا، فلقيها غلام له من العمر خمس سنين فلما رآها الغلام وهى حيرى قال لها: ما بالك يا أماه؟.

فلم ترد الحارسة عليه جوابًا واستحقرته لصغر سنه، فكرر عليها الكلام أولاً وثانيًا وثالثًا. فقالت له: إن جماعة دخلوا علىّ فى البستان ووضعوا عندى كيسًا فيه ألف دينار وشرطوا علىّ أنى لا أعطى أحدًا الكيس إلا بحضرتهم كلهم. ثم دخلوا البستان يتفرجون ويتنزهون فيه فخرج واحد منهم وقال لى: أعطينى الكيس. فقلت له: حتى يحضر رفقاؤك. فقال لى: قد أخذت الإذن منهم. فلم أرضَ أن أعطيه الكيس. فصاح على رفقائه وقال لهم: ما هى راضية أن تعطينى شيئًا. فقالوا لى: أعطيه. وكانوا بالقرب منى. فأعطيته الكيس فأخذه

وخرج إلى حال سبيله، فاستبطأه رفقاؤه فخرجوا إليّ وقالوا: لأى شيء لم تعطيه المشط؟ فقلت لهم: ما ذكر لى مشطًا وما ذكر لى إلا الكيس. فقبضوا على ورفعونى إلى القاضى وألزمنى بالكيس. فقال لها الغلام: أعطينى درهمًا آخذ به حلاوة وأنا أقول لك شيئًا يكون لك فيه الخلاص. فأعطته الحارسة درهمًا وقالت له: ما عندك من مقول؟ فقال لها الغلام: ارجعى إلى القاضى وقولى له: كان بينى وبينهم أنى لا أعطيهم الكيس إلا بحضرتهم الأربعة. فرجعت الحارسة إلى القاضى وقالت له ما قاله لها الغلام فقال لهم القاضى: أكان بينكم وبينها هكذا؟ قالوا: نعم. فقال لهم القاضى: أحضروا لى رفيقكم وخذوا الكيس. فخرجت الحارسة سالمة ولم يحصل لها ضرر وانصرفت إلى حال سبيلها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما سمع الملك كلام ولده والوزراء ومن حضر ذلك المجلس قالوا للملك: يا مولانا الملك إن ابنك أبرع أهل زمانه، فدعوا له وللملك وضم الملك ولده إلى صدره وقبله بين عينيه وسأله عن قضيته مع الجارية، فحلف ابن الملك بالله العظيم وبنبيه الكريم أنها هى التى راودته عن نفسه، فصدَّقه الملك فى قوله وقال له: قد حكمتك فيها إن شئت فاقتلها أو فافعل فيها ما تشاء. فقال الولد لأبيه: انفيها من المدينة.

وقعد ابن الملك مع ولده فى أرغد عيش وأهنأه إلى أن أتاهم هادم اللذات، ومفرّق الجماعات، وهذا آخر ما انتهى إلينا من قصة الملك وولده والجارية والوزراء السبعة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية جودر بن عمر التاجر مع أخويه

قالت شهر زاد: بلغنى أن تاجرًا اسمه عمر قد خلف من الذرية ثلاثة أولاد أحدهم يسمَّى سالمًا والأصغر يسمَّى جودرًا والأوسط يسمَّى سليمًا، ورباهم إلى أن صاروا رجالاً. ولكنه كان يحبُّ جودرًا أكثر من أخويه فلما تبين لهما أنه يحب جودرًا أخذتهما الغيرة وكرها جودرًا، فبان لأبيهما أنهما يكرهان أخاهما، وكان والدهم كبير السن وخاف أنه إذا مات يحصل لجودر مشقة من أخويه فأحضر جماعة من أهله وأحضر جماعة قسامين من طرف القاضى وجماعة من أهل العلم وقال: هاتوا لى مالى وقماشى.

فأحضروا له جميع المال والقماش. فقال: يا ناس اقسموا هذا المال والقماش أربعة أقسام بالوضع الشرعى. فقسموه، فأعطى لكل ولد قسمًا وأخذ هو قسمًا وقال: هذا مالى وقسمته بينهم ولم يبقَ لهم عندى ولا عند بعضهم شيء فإذا متّ لا يقع بينهم اختلاف لأنى قسمت بينهم الميراث فى حال حياتى وهذا الذى أخذته أنا فإنه يكون لزوجتى أمّ هؤلاء الأولاد فتستعين به على معيشتها. ثم بعد مدة قليلة مات والدهم فما أحد منهم رضى بما فعل والدهم، فأخوَا جودر طلبا منه الزيادة وقالا له: إن مال أبينا عندك. فترافع معهما إلى الحاكم وجاء المسلمون الذين كانوا حاضرين وقت القسمة وشهدوا بما علموا ومنعهم الحاكم عن بعضهم، فخسر جودر جانبًا من المال وخسر أخواه كذلك بسبب النزاع، فتركاه مدة ثم مكرا به

ثانيًا، فترافع معهما إلى الحاكم فخسروا جملة من المال أيضًا من أجل الحكام.

وما زالا يطلبان أذيته من ظالم إلى ظالم وهما يخسران ويخسر حتى أطعموا جميع مالهم للظالمين وصار الثلاثة فقراء. ثم جاء أخواه إلى أمهم وضحكا عليها وأخذا مالها وضرباها وطرداها. فجاءت إلى ابنها جودر وقالت له: قد فعل أخواك معى كذا وكذا وأخذا مالى. وصارت تدعو عليهما. فقال لها جودر: يا أمى لا تدعى عليهما فالله يجازى كلاً منهما بعمله ولكن يا أمى أنا بقيت فقيرًا وأخواى فقيران والمخاصمة تحتاج إلى خسارة المال واختصمت أنا وإياهما كثيرًا بين أيدى الحكام ولم يفدنا ذلك شيئًا بل خسرنا جميع ما خلفه لنا والدنا وهتكنا الناس بسبب الشهادة، وهل بسببك أختصم وإياهما ونترافع إلى الحكام؟، فهذا شيء لا يكون إنما تقعدين عندى والرغيف الذى آكله أخليه لكِ وادعى لى والله يرزقنى برزقك واتركيهما يلقيان من الله فعلهما وتسلّى بقول من قال:

إن يبغِ ذو جهل عليك فخله ... وارقب زمانًا لانتقام الباغى

وتجنب الظلم الوخيم فلو بغى ... جبلٌ على جبلٍ لدُكَّ الباغى

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وصار يطيّب خاطر أمه حتى رضيت ومكثت عنده. فأخذ له شبكة وصار يذهب إلى البحر والبِرَك وإلى كل مكان فيه ماء وصار يذهب كل يوم إلى جهة، فصار يعمل يومًا بعشرة ويومًا بعشرين ويومًا بثلاثين ويصرفها على أمه ويأكل طيبًا ويشرب طيبًا ولا صنعة ولا بيع ولا شراء لأخويه ودخل عليهما الساحق والماحق، والبلاء اللاحق. وقد ضيعا الذى أخذاه من أمهما وصارا من الصعاليك المعاكيس عريانين فتارة يأتيان إلى أمهما ويتواضعان لها زيادة ويشكوان إليها الجوع، وقلب الوالدة رءوف فتطعمهما عيشًا معفنًا وإن كان هناك طبيخ بائت تقول لهما: «كلاه سريعًا وروحا قبل أن يأتى أخوكما فإنه ما يهون عليه ويقسى قلبه علىّ وتفضحانى معه». فيأكلان باستعجال ويروحان.

ففى يوم من الأيام دخلا على أمهما فوضعت لهما طبيخًا وعيشًا، فصارا يأكلان وإذا أخوهما جودر داخل فاستحت أمه وخجلت منه وخافت أن يغضب عليها وأطرقت برأسها فى الأرض حياءً من ولدها، فتبسم فى وجهها وقال: مرحبًا يا أخويَّ نهار مبارك كيف جرى حتى زرتمانى فى هذا النهار المبارك؟ واعتنقهما وَوَادَّهما وصار يقول: ما كان رجائى أن توحشانى ولا تجيئا عندى ولا تطلا علىّ ولا على أمكما. فقالا: والله يا أخانا إننا اشتقنا إليك وما منعنا إلا الحياء مما جرى بيننا وبينك ولكن ندمنا كثيرًا وهذا فعل الشيطان لعنه الله - تعالى - ولا بركة لنا إلا أنت وأمنا. فقالت له أمه: يا ولدى بيَّض الله وجهك وكثر الله خيرك وأنت الأكثر يا ولدى. فقال: مرحبًا بكما أقيما عندى والله كريم والخير عندى كثير. واصطلح معهما وباتا عنده وتعشيا معه، وثانى يوم فطر، وحمل جودر الشبكة وراح على باب الفتّاح، وراح أخواه فغابا إلى الظهر وأتيا فقدمت لهما أمهما الغداء، وفى المساء أتى أخوهما وجاء باللحم والخضر، وصاروا على هذه الحالة مدة شهر وجودر يصطاد سمكًا يبيعه ويصرف ثمنه على أمه وأخويه وهما يأكلان ويبرجسان، فاتفق يومًا من الأيام أن جودرًا أخذ الشبكة إلى البحر فرماها

وجذبها فطلعت فارغة، فطرحها ثانيًا فطلعت فارغة، فقال فى نفسه: هذا المكان ما فيه سمك. ثم انتقل إلى غيره ورمى فيه الشبكة فطلعت فارغة، ثم انتقل إلى غيره ولم يزل ينتقل من الصباح إلى المساء ولم يصطد ولا صيدة واحدة. فقال: عجائب هل السمك فرغ من البحر أو ما السبب؟. ثم حمل الشبكة ورجع مغمومًا حامل هَمّ أخويه وأمه ولم يدر بأى شىء يعشيهم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية جودر مع الخباز

قالت شهر زاد: فأقبل جودر على طابونة فرأى الخلق على العيش مزدحمين وبأيديهم الدراهم ولا يلتفت إليهم الخباز، فوقف وتحسر. فقال له الخباز: مرحبًا بك يا جودر هل تحتاج عيشًا؟ فسكت. فقال له: إن لم يكن معك دراهم فخذ كفايتك وعليك مهل. فقال له: أعطنى بعشرة أنصاف عيشًا. فقال له: خذ هذه عشرة أنصاف أخر وفى غدٍ هات لى بالعشرين سمكًا. فقال: على الرأس والعين.

فأخذ العيش والعشرة الأنصاف أخذ بها لحمة وخضرًا وقال: فى غد يفرجها المولى. وراح إلى منزله وطبخت أمه الطعام وتعشى ونام، وثانى يوم أخذ الشبكة، فقالت له أمه: اقعد افطر. فقال: افطرى أنت وأخواى. ثم ذهب إلى البحر ورمى الشبكة فيه أولاً وثانيًا وثالثًا. وتنقل وما زال كذلك إلى العصر ولم يقع له شىء. فحمل الشبكة ومشى مقهورًا وطريقه لا يكون إلا على الخباز. فلما وصل جودرًا رآه الخباز فعد له العيش والفضة وقال له: تعال خذ ورُح إن ما كان فى اليوم يكون فى غد. فأراد أن يعتذر له، فقال له: رُح ما يحتاج الأمر لعذر لو كنتَ اصطدت شيئًا لكان معك، فلما رأيتك فارغًا علمت أنه ما حصل لك شىء وإن كان فى غد لم يحصل لك شىء تعال خذ عيشًا ولا تستحى وعليك مهل. ثم إنه ثالث يوم تبع البرَك إلى العصر فلم يرَ فيها شيئًا فراح إلى الخباز وأخذ منه العيش والفضة. وما زال على هذه الحالة مدة سبعة أيام.

حكاية جودر مع عبد السلام المغربى

ثم إن جودر تضايق فقال فى نفسه: رُح اليوم إلى بركة قارون. ثم إنه أراد أن يرمى الشبكة فلم يشعر إلا وقد أقبل عليه مغربى راكب على بغلة وهو لابس حلة عظيمة وعلى ظهر البغلة خرج مزركش، وكل ما على البغلة مزركش، فنزل من فوق ظهر البغلة وقال: السلام عليك يا جودر يا ابن عمر. فقال له: وعليك السلام يا سيدى الحاج. فقال له المغربى: يا جودر لى عندك حاجة فإن طاوعتنى تنال خيرًا كثيرًا وتكون بسبب ذلك صاحبى وتقضى لى حوائجى. فقال: يا سيدى الحاج قل لى أى شىء فى خاطرك وأنا أطاوعك وما عندى خلاف. فقال له: اقرأ الفاتحة. فقرأها معه. وبعد ذلك أخرج له قيطانًا من حرير وقال له: كتفنى وشدّ كتافى شدًا قويًا وارمنى فى البركة واصبر علىَّ قليلاً فإن رأيتنى أخرجتُ يدى من الماء مرتفعة قبل أن أبين فاطرح أنت الشبكة علىّ واجذبنى سريعًا وإن رأيتنى أخرجت رجلى فاعلم أنى ميت فاتركنى وخذ البغلة والخرج وامض إلى سوق التجار تجد يهوديًا اسمه شميعة فأعطه البغلة وهو يعطيك مائة دينار فخذها واكتم السرّ ورُح إلى حال سبيلك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فكتفه كتافًا شديدًا، فصار يقول له: «شد الكتاف». ثم إنه قال له: «ادفعنى إلى أن ترمينى فى البركة». فدفعه ورماه فيها فغطس ووقف ينتظره ساعة من الزمان وإذا بالمغربى خرجت رجلاه فعلم أنه مات فأخذ البغلة وتركه وراح إلى سوق التجار فرأى اليهودى جالسًا على كرسىّ فى باب الحاصل. فلما رأى البغلة قال اليهودى: «إن الرجل هلك». ثم قال: «ما أهلكه إلا الطمع». وأخذ منه البغلة وأعطاه مائة دينار وأوصاه بكتم السر، فأخذ جودر الدنانير وراح فأخذ ما يحتاج إليه من العيش من الخباز وقال له: «خذ هذا الدينار». فأخذه وحسب الذى له وقال: «بقى لك عندى عيش يومين».

ثم انتقل من عنده إلى الجزّار وأعطاه دينارًا آخر وأخذ اللحمة وقال له: «خل عندك بقية الدينار تحت الحساب». وأخذ الخضر وراح فرأى أخويه يطلبان من أمهما شيئًا يأكلانه وهى تقول لهما: «اصبرا حتى يأتى أخوكما فما عندى شىء». فدخل عليهم وقال لهما: «خذا كلا». فوقعا على العيش مثل الغيلان، ثم إن جودرًا أعطى أمه بقية الذهب وقال: «خذى يا أمى وإذا جاء أخواى فأعطيهما ليشتريا ويأكلا فى غيابى». وبات تلك الليلة، ولما أصبح أخذ الشبكة وراح إلى بركة قارون ووقف وأراد أن يطرح الشبكة وإذا بمغربى آخر أقبل وهو راكب بغلة ومهيأ أكثر من الذى مات ومعه خرج وحقان فى الخرج فى كل عين منه حق وقال: «السلام عليك يا جودر». فقال: «عليك السلام يا سيدى الحاج». فقال: «هل جاءك بالأمس مغربى راكب بغلة مثل هذه البغلة؟». فخاف وأنكر وقال: «ما رأيت أحدًا». خوفًا أن يقول: «راح إلى أين». فإن قال له غرق فى البركة ربما يقول: «أنت أغرقته». فما ساغه إلا الإنكار. فقال له: «يا مسكين هذا أخى وسبقنى». قال: «ما معى خبر». قال: «أما كتفته أنت ورميته فى البركة وقال لك: «إن خرجت يداى ارم علىّ الشبكة واسحبنى بالعجل، وإن خرجت رجلاى أكون ميتًا وخذ أنت البغلة وأدها إلى اليهودى شميعة وهو يعطيك مائة دينار. وقد خرجت رجلاه وأنت أخذت البغلة وأديتها إلى اليهودى وأعطاك مائة دينار؟». فقال: «حيث إنك تعرف ذلك فلأى شىء تسألنى؟». قال: «مرادى أن تفعل بى كما فعلت بأخى». وأخرج له قيطانًا من حرير وقال له: «كتفنى وارمنى وإن جرى لى مثل ما جرى لأخى خذ البغلة وأدها إلى اليهودى وخذ منه مائة دينار». فقال له جودر: «تقدّم» فتقدم فكتفه ودفعه فوقع فى البركة وغطس فانتظره ساعة فطلعت رجلاه فقال: «مات فى داهية إن شاء الله كل يوم يجيئنى المغاربة وأنا أكتفهم ويموتون ويكفينى من كل ميت مائة دينار». ثم إنه أخذ البغلة وراح. فلما رآه اليهودى قال له: «مات الآخر؟». قال له: «يعيش رأسك». قال له: «هذا جزاء الطماعين». وأخذ البغلة منه وأعطاه مائة دينار، فأخذها وتوجه إلى أمه فأعطاها إياها. فقالت له أمه: «يا ولدى من أين لك هذا؟» فأخبرها، فقال له: «لا بقيت تروح إلى بركة قارون فإنى أخاف عليك من المغاربة؟». فقال لها: «يا أمى أنا لا أرميهم إلا برضاهم وكيف يكون العمل هذه صنعة يأتينا منها كل يوم مائة دينار وأرجع سريعًا فوالله لا أرجع عن ذهابى إلى بركة قارون حتى ينقطع أثر المغاربة ولا يبقى منهم واحد».

ثم إنه فى اليوم الثالث راح ووقف وإذا بمغربى راكب بغلة ومعه خرج ولكنه مهيأ أكثر من الأولين وقال: «السلام عليك يا جودر يا ابن عمر». فقال فى نفسه: «من أين كلهم

يعرفوننى؟» ثم رد عليه السلام، فقال: «هل جاز على هذا المكان مغاربة؟» قال له: «اثنان». قال له: «أين راحا؟» قال: «كتفتهما ورميتهما فى هذه البركة فغرقا والعاقبة لك أنت الأخرى». فضحك ثم قال: «يا مسكن كل حى ووعده». ونزل عن البغلة وقالله: «يا جودر اعمل معى كما عملت معهما». وأخرج القيطان الحرير.

فقال له جودر: «أدر يديك حتى أكتفك فإنى مستعجل وراح على الوقت»، فأدار له يديه فكتفه ودفعه فوقع فى البركة ووقف ينتظره وإذا بالمغربى أخرج له يديه وقال له: «ارم الشبكة يا مسكين». فرمى عليه الشبكة وجذبه وإذا هو قابض فى يديه على سمكتين لونهما أحمر مثل المرجان فى كل يد سمكة وقال له: «افتح الحقين». ففتح له الحقين ووضع فى كل حق سمكة وسدّ عليهما فم الحقين.

ثم إن المغربى حضن جودرًا وقبله ذات اليمين وذات الشمال فى خديه وقال له: «الله ينجيك من كل شدة والله لولا أنك رميت علىّ الشبكة وأخرجتنى لكنت ما زلت قابضًا على هاتين السمكتين وأنا غاطس فى الماء حتى أموت ولا أقدر أن أخرج من الماء». فقال له: «يا سيدى الحاج بالله عليك أن تخبرنى بشأن اللذين غرقا أولاً وبحقيقة هاتين السمكتين وبشأن اليهودى». فقال له: «يا جودر اعلم أن اللذين غرقا أولاً أخواى أحدهما اسمه عبد السلام والثانى اسمه عبد الأحد وأنا اسمى عبد الصمد واليهودى أخونا اسمه عبد الرحيم وما هو يهودى وإنما هو مسلم مالكى المذهب وكان والدنا علمنا حل الرموز وفتح الكنوز والسحر وصرنا نعالج حتى خدمتنا مردة الجنّ والعفاريت، ونحن أربعة إخوة والدنا اسمه عبد الودود ومات أبونا وخلف لنا شيئًا كثيرًا فقسمنا الذخائر والأموال والأرصاد حتى وصلنا إلى الكتب فقسمناها فوقع بيننا اختلاف فى كتاب اسمه أساطير الأولين ليس له مثيل ولا يقدَّر له على ثمن ولا يعادل بجواهر لأنه مذكور فيه سائر الكنوز وحل الرموز. وكان أبونا عبد الودود يعمل به ونحن نحفظ منه شيئًا قليلاً وكل منا غرضه أن يملك هذا الكتاب النفيس حتى يطّلع على ما فيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «فلما وقع الخلاف بيننا حضر مجلسنا شيخ أبينا الذى كان رباه وعلمه السحر والكهانة وكان اسمه الكهين الأبطن، فقال لنا: «هاتوا الكتاب». فأعطيناه الكتاب. فقال: «أنتم أولاد ولدى ولا يمكن أن أظلم منكم أحدًا فليذهب من أراد أن يأخذ هذا الكتاب إلى معالجة كنز الشمردل ويأتينى بدائرة الفلك والمُكحلة والخاتم والسيف، فإن الخاتم له مارد يخدمه اسمه الرعد القاصف ومن ملك هذا الخاتم لا يقدر عليه ملك ولا سلطان وإن أراد أن يملك به الأرض بالطول والعرض يقدر على ذلك.

«وأما السيف فإنه لو جرد على جيش وهزه حامله لهزم الجيش وإن قال له وقت هزه اقتل هذا الجيش فإنه يخرج من ذلك السيف برق من نار فيقتل جميع الجيش. وأما دائرة الفلك فإن الذى يملكها إن شاء أن ينظر جميع البلاد من المشرق إلى المغرب فإنه ينظرها ويتفرج عليها وهو جالس فى أى جهة أرادها يوجه الدائرة إليها وينظر فى الدائرة فإنه يرى

تلك الجهة وأهلها كأن الجميع بين يديه، وإذا غضب على مدينة ووجه الدائرة إلى قرص الشمس وأراد احتراق تلك المدينة فإنها تحترق.

«وأما المكحلة فإن من اكتحل منها يرى كنوز الأرض. ولكن لى عليكم شرط وهو أن كل من عجز عن فتح هذا الكنز ليس له فى الكتاب استحقاق ومن فتح هذا الكنز وأتانى بهذه الذخائر الأربعة فإنه يستحق أن يأخذ هذا الكتاب».

فرضينا بالشرط. فقال لنا: «يا أولادى اعلموا أن كنز الشمردل تحت حكم أولاد الملك الأحمر وأبوكم أخبرنى أنه كان عالج فتح ذلك الكنز فلم يقدر ولكن هرب منه أولاد الملك الأحمر إلى بركة فى أرض مصر تسمى بركة قارون وعصوا فى البركة فلحقهم إلى مصر ولم يقدر عليهم بسبب انسيابهم فى تلك البركة لأنها مرصودة، ثم إنه رجع مغلوبًا ولم يقدر على فتح كنز الشمردل من أولاد الملك الأحمر. فلما عجز أبوكم عنهم جاءنى وشكا إلىّ فضربت له تقويمًا فرأيت أن هذا الكنز لا يفتح إلا على وجه غلام من أبناء مصر اسمه جودر بن عمر فإنه يكون سببًا فى قبض أولاد الملك الأحمر، وذلك الغلام يكون صيادًا والاجتماع به يكون على بركة قارون ولا ينفك ذلك الرصد إلا إذا كان جودر يكتف صاحب النصيب ويرميه فى البركة فيتحارب مع أولاد الملك الأحمر وكل من كان له نصيب فإنه يقبض على أولاد الملك الأحمر والذى ليس له نصيب يهلك وتظهر رجلاه من الماء والذى يسلم تظهر يداه فيحتاج إلى جودر بن عمر يرمى عليه الشبكة ويخرجه من البركة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال أخوتى: «نحن نروح ولو هلكنا». وأنا قلت: «أروح أيضًا». وأما أخونا الذى فى هيئة يهودى فإنه قال: «أنا ليس لى غرض». فاتفقنا معه أنه يتوجه إلى مصر فى صفة يهودى تاجر حتى إذا مات منا أحد فى البركة يأخذ البغلة والخرج منه ويعطيه مائة دينار. فلما أتاك الأول قتله أولاد الملك الأحمر وقتلوا أخى الثانى وأنا لم يقدروا علىّ فقبضتهم». فقال: «أين الذين قبضتهم؟» فقال: «أما رأيتهم قد حبستهم فى الحقين؟» قال: «هذا سمك». قال له المغربى: «ليس هذا سمكًا إنما هم عفاريت بهيئة السمك، ولكنّ يا جودر اعلم أن فتح الكنز لا يكون إلا على وجهك فهل تطاوعنى وتروح معى إلى مدينة فاس ومكناس ونفتح الكنز وأعطيك ما تطلب؟» وإن بقيت أخى فى عهد الله وترجع إلى عيالك مجبور القلب؟» فقال له: «يا سيدى الحاج أنا فى رقبتى أمى وأخوى وأنا الذى أجرى عليهم وإن رحت معك من يطعمهم العيش؟».

فقال له المغربى: «هذه حجة بطالة فإن كان من شأن المصروف فنحن نعطيك ألف دينار تعطى أمك إياها لتصرفها حتى ترجع إلى بلادك وأنت إن غبت ترجع قبل أربعة أشهر». فلما سمع جودر بالألف الدينار قال: «هات يا حاج الألف الدينار أتركها عند أمى وأروح معك». فأخرج له الألف الدينار فأخذها وراح إلى أمه وأخبرها بالذى جرى بينه وبين المغربى وقال لها: «خذى هذه الألف الدينار واصرفى منها عليكِ وعلى أخوى وأنا مسافر مع المغربى إلى الغرب فأغيب أربعة أشهر ويحصل لى خير كثير فادعى لى يا والدتى». فقالت له: «يا ولدى

توحشنى وأخاف عليك». فقال: «يا أمى ما على من يحفظه الله بأس والمغربى رجل طيب». وصار يشكر لها حاله. فقالت له: «الله يعطف قلبه عليك رح معه يا ولدى لعله يعطيك شيئًا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سفره مع عبد الصمد المغربى

قالت شهر زاد: فودع جودر أمه وراح ولما وصل عند المغربى عبد الصمد قال له: «هل شاورت أمك؟» قال: «نعم ودّعت لى». فقال له: «اركب ورائى». فركب على ظهر البغلة وسافرا من الظهر إلى العصر فجاع جودر ولم يرَ مع المغربى شيئًا يؤكل، فقال له: «يا سيدى الحاج لعلك نسيت أن تجىء لنا بشىء نأكله فى الطريق؟» فقال: «هل أنت جائع؟» قال: «نعم». فنزل من فوق ظهر البغلة هو وجودر ثم قال له: «نزل الخرج». فنزله. ثم قال له: «أى شىء تشتهى يا أخى؟». فقال له: «أى شىء كان». قال له: «بالله عليك أن تقول لى أى شىء تشتهى؟» قال: «عيشًا وجبنًا». قال: «يا مسكين العيش والجبن ما هو مقامك فاطلب شيئًا طيبًا». قال جودر: «أنا عندى فى هذه الساعة كل شىء طيب». فقال له: «أتحب الفراخ المحمرة؟» قال: «نعم». قال: «أتحب الأرز بالعسل؟» قال: «نعم». قال: «أتحب اللون الفلانى واللون الفلانى»... حتى سمى له من الطعام أربعة وعشرين لونًا. ثم قال جودر فى باله: «هو مجنون من أين يجىء لى بالأطعمة التى سماها وما عنده مطبخ ولا طباخ، ولكن قل له: يكفى».

فقال جودر: «يكفى هل أنت تشهينى الألوان ولا أنظر شيئًا». فقال المغربى: «مرحبًا بك يا جودر» وحط يده فى الخرج فأخرج صحنًا من الذهب فيه فرختان محمرتان سخنتان، ثم حط يده ثانى مرة فأخرج صحنًا من الذهب فيه كباب وما زال يُخرج من الخرج حتى أخرج الأربعة والعشرين لونًا التى ذكرها بالتمام والكمال. فبهت جودر. فقال له: «كل يا مسكين». فقال: «يا سيدى أنت جاعل فى هذا الخرج مطبخًا وناسًا تطبخ؟» فضحك المغربى وقال له: «هذا مرصود له خادم لو نطلب فى كل ساعة ألف لون يجىء بها الخادم ويحضرها فى الوقت». فقال: «نعم هذا الخرج».

ثمَّ إنهما أكلا حتى اكتفيا والذى فضل كباه وردَّ الصحون فارغة فى الخرج. وحط يده فأخرج إبريقًا فشربا وتوضآ وصليا العصر ورد الإبريق فى الخرج. ثم إنه حط فيه الحقين وحمله على تلك البغلة وركب وقال: «اركب حتى نسافر». ثم إنه قال: «يا جودر هل تعلم ما قطعنا من مصر إلى هنا؟» قال له: «والله لا أدرى». فقال له: «قطعنا مسيرة شهر كامل». قال: «كيف ذلك؟» قال له: «يا جودر اعلم أن البغلة التى تحتنا مارد من مردة الجن تسافر فى اليوم مسافة سنة ولكن من شأن خاطرك مشت على مهلها».. ثم ركبا وسافرا إلى المغرب، فلما أمسيا أخرج من الخرج العشاء وفى الصباح أخرج الفطور وما زالا على هذه الحالة مدة أربعة أيام وهما يسافران إلى نصف الليل وينزلان فينامان ويسافران فى الصباح وجميع ما يشتهى جودر يطلبه من المغربى فيخرجه له من الخرج. وفى اليوم الخامس وصلا إلى فاس ومكناس ودخلا المدينة فلما دخلا صار كل من قابل المغربى يسلم عليه ويقبل يده وما زال كذلك حتى وصل إلى باب فطرقه، وإذا بالباب قد فُتح وبان منه ابنة كأنها القمر، فقال لها: «يا رحمة يا

ابنتى افتحى لنا القصر». قالت: «على الرأس والعين يا أبتى». ودخلت تهز أعطافها.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فطار عقل جودر وقال: «ما هذه إلا ابنة ملك». ثم إن الابنة فتحت القصر فأخذ الخرج من فوق البغلة وقال لها: «انصرفى بارك الله فيك». وإذا بالأرض انشقت ونزلت البغلة ورجعت الأرض كما كانت. فقال جودر: «يا ستار الحمد لله الذى نجانا فوق ظهرها». ثم إن المغربى قال: «لا تعجب يا جودر فإنى قلت لك إن البغلة عفريت لكن اطلع بنا إلى القصر». فلما دخلا ذلك القصر اندهش جودر من كثرة الفرش الفاخر ومما رأى فيه من التحف النفيسة وتعاليق الجواهر والمعادن.

فلما جلسا أمر الابنة وقال: «يا رحمة هاتى البقجة الفلانية». فقامت وأقبلت ببقجة ووضعتها بين يدى أبيها ففتحها وأخرج منها حلّة تساوى ألف دينار وقال له: «البس يا جودر مرحبًا بك». فلبس الحلة وصار كناية عن ملك من ملوك الغرب ووضع الخرج بين يديه. ثم مد يده فيه وأخرج منه صحونًا فيها ألوان مختلفة حتى صارت سفرة فيها أربعون لونًا. فقال: «يا مولاى تقدم وكل ولا تؤاخذنا نحن لا نعرف أى شىء تشتهى من الأطعمة فقل لنا على ما تشتهى ونحن نحضره إليك من غير تأخير». فقال له: «والله يا سيدى الحاج إنى أحب سائر الأطعمة ولا أكره شيئًا على الإطلاق فلا تسألنى عن شىء فهات جميع ما يخطر ببالك وأنا ما علىّ إلا الأكل».

ثم إنه أقام عنده عشرين يومًا كل يوم يلبسه حلة والأكل من الخرج والمغربى لا يشترى شيئًا من اللحم ولا عيشًا ولا يطبخ ويخرج كل ما يحتاجه من الخرج حتى أصناف الفاكهة. ثم إن المغربى فى اليوم الحادى والعشرين قال: «يا جودر قم بنا فإن هذا هو اليوم الموعود لفتح كنز الشمردل». فقام معه ومشيا إلى آخر المدينة ثم خرجا منها فركب جودر بغلة وركب المغربى بغلة. ولم يزالا مسافرين إلى وقت الظهر فوصلا إلى نهر ماء جار، فنزل عبد الصمد وقال: «انزل يا جودر». فنزل. ثم إن عبد الصمد قال: «هيا» وأشار بيده إلى عبدين فأخذا البغلتين وراح كل عبد من طريق ثم غابا قليلاً وقد أقبل أحدهما بخيمة فنصبها وأقبل الثانى بفراش وفرشه فى الخيمة ووضع فى دائرها وسائد ومساند.

ثم ذهب واحد منهما وجاء بالحقين اللذين فيهما السمكتان والثانى جاء بالخرج. فقام المغربى وقال: «تعال يا جودر». فأتى وجلس بجانبه، وأخرج المغربى من الخرج صحون الطعام وتغديا وبعد ذلك أخذ الحقين. ثم إنه عزّم عليهما فصارا من داخل الحقين يقولان: «لبيك يا كهين الدنيا ارحمنا». وهما يستغيثان وهو يعزم عليهما حتى تمزق الحقان فصارا قطعًا وتطايرت قطعهما فظهر منهما اثنان مكتفان يقولان: «الأمان يا كهين الدنيا مرادك أن تعمل فينا أى شىء؟». فقال «مرادى أن أحرقكما أو تعاهدانى على فتح كنز الشمردل». فقالا: نعاهدك ونفتح لك الكنز لكن بشرط أن تحضر جودر الصياد فإن الكنز لا يفتح إلا على وجهه ولا يقدر أحد أن يدخل فيه إلا جودر بن عمر».

فقال لهما: «الذى تذكرانه قد جئت به وهو ههنا يسمعكما وينظركما». فعاهداه على

فتح الكنز وأطلقهما. ثم إنه أخرج قصبة وألواحًا من العقيق الأحمر وجعلها على القصبة وأخذ مجمرة ووضع فيها فحمًا ونفخها نفخة واحدة فأوقد فيها النار وأحضر البخور وقال: «يا جودر أنا أتلو العزيمة وألقى البخور فإذا ابتدأتُ فى العزيمة لا أقدر أن أتكلم فتبطل العزيمة ومرادى أن أعلمك كيف تصنع حتى تبلغ مرادك». فقال له: «علّمنى».

فقال عبد الصمد: «اعلم أنى متى عزمت وألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه طرقة خفيفة واصبر مدة واطرق الثانية طرقة أثقل من الأولى واصبر مدة واطرقه ثلاث طرقات متتابعات وراء بعضها، فتسمع قائلاً يقول: «من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز؟» فقل: «أنا جودر الصياد ابن عمر». فيفتح لك الباب ويخرج شخص بيده سيف ويقول لك: «إن كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى أرمى رأسك». فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصًا من غير روح وأنت لا تتألم بالضربة ولا يجرى عليك شىء وأما إذا خالفته فإنه يقتلك.

ثم إذا أبطلت رصده بالامتثال فادخل حتى ترى بابًا فاطرقه يخرج لك فارس راكب على فرس وعلى كتفه رمح فيقول: «أى شىء أوصلك إلى هذا المكان الذى لا يدخله أحد من الإنس والجان؟» ويهز عليك الرمح، فافتح له صدرك فيضربك ويقع فى الحال فتراه جسمًا من غير روح وإن خالفت قتلك، ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك آدمى وفى يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك فيضربك ويقع قدامك جسمًا من غير روح وإن خالفت قتلك. ثم ادخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه يريك أنه يقصد أكلك فلا تخف ولا تهرب منه فإذا وصل إليك فأعطه يدك فإنه يقع فى الحال ولا يصيبك شىء.

ثم ادخل الباب الخامس يخرج لك عبد أسود يقول لك: «من أنت؟» فقل له: «أنا جودر». فيقول لك: «إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس». فتقدم إلى الباب وقل: «يا عيسى قُل لموسى يفتح الباب»، فيفتح الباب فادخل تجد ثعبانين أحدهما على الشمال والآخر على اليمين كل واحد منهما يفتح فاه ويهجمان عليك فى الحال، فمدّ إليهم يديك فيعض كل واحد منهما فى يد وإن خالفت قتلاك.

ثم ادخل إلى الباب السابع واطرقه تخرج لك أمك وتقول لك: «مرحبًا يا ابنى تقدم حتى أسلم عليك»، فقل لها: «خليك بعيدًا عنى واخلعى ثيابك». فتقول لك: «يا ابنى أنا أمك ولى عليك حق الرضاعة والتربية كيف تعرّينى؟» فقل لها: «إن لم تخلعى ثيابك قتلتك»، وانظر جهة يمينك تجد سيفًا معلقًا فى الحيط فخذه واسحبه عليها وقل لها: «اخلعى»، فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها فكلما تخلع لك شيئًا قل لها: «اخلعى الباقى»، ولا تزل تتهددها بالقتل حتى تخلع لك جميع ما عليها وتسقط وحينئذ قد حللت الرموز وأبطلت الأرصاد وقد أمنت على نفسك فادخل تجد الذهب كيمان داخل الكنز فلا تعتن بشىء منه وإنما ترى مقصورة فى صدر الكنز وعليها ستارة فاكشف الستارة فإنك ترى الكهين الشمردل راقدًا على سرير من الذهب وعلى رأسه شىء مدور يلمع مثل القمر فهو دائرة الفلك وهو

متقلد بالسيف وفى أصبعه خاتم وفى رقبته سلسلة فيها مكحلة فهات الأربع الذخائر وإياك أن تنسى شيئًا مما أخبرتك به ولا تخالف مطلقًا جميع ما قلته لك فتندم ويخشى عليك».

ثم كرر عليه الوصية ثانيًا وثالثًا، ورابعًا حتى قال: «حفظت ولكن من يستطيع أن يواجه هذه الأرصاد التى ذكرتها ويمر على هذه الأهوال العظيمة؟» فقال له: «يا جودر لا تخف إنهم أشباح من غير أرواح». وصار يطمئنه فقال جودر: «توكلت على الله». ثم إن المغربى عبد الصمد ألقى البخور وصار يعزم مدة وإذا بالماء قد ذهب وبانت أرض النهر وظهر باب الكنز فنزل إلى الباب فسمع قائلاً يقول: «من يطرق أبواب الكنوز، ولم يعرف أن يحلّ الرموز؟» فقال: «أنا جودر بن عمر» فانفتح الباب وخرج له الشخص وجرد السيف وقال له: «مدّ عنقك». فمدّ عنقه وضربه ثم وقع. وكذلك الباب الثانى إلى أن أبطل أرصاد السبعة الأبواب وخرجت أمه وقالت له: «سلامات يا ولدى». فقال لها: «أنت أى شىء؟» فقالت: «أنا أمك ولى عليك حق الرضاعة والتربية وحملتك تسعة أشهر يا ولدى؟». فقال لها: «اخلعى ثيابك». فقالت: «أنت ولدى كيف تعرّينى؟» قال لها: «اخلعى وإلا أرمى رأسك بهذا السيف». ومدّ يده فأخذ السيف وشهره عليها وقال لها: «إن لم تخلعى قتلتك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وطال بينها وبينه العلاج. ثم إنه لما أكثر عليها التهدد خلعت شيئًا. فقال: «اخلعى الباقى». وعالجها كثيرًا حتى خلعت شيئًا آخر وما زال على هذه الحالة وهى تقول: «يا ولدى خابت فيك التربية» حتى لم يبقَ عليها غير اللباس. فقالت: «يا ولدى هل قلبك حجر فتفضحنى يا ولدى أما هذا حرام؟» فقال: «صدقت فلا تخلعى اللباس». فلما نطق بهذه الكلمة صاحت وقالت: «قد غلط فاضربوه». فنزل عليه ضرب مثل قطر المطر واجتمعت عليه جميع خدام الكنز فضربوه ضربًا لم ينسه فى عمره ودفعوه فرموه خارج باب الكنز وانغلقت جميع أبواب الكنز كما كانت.

فلما رموه خارج الباب أخذه المغربى فى الحال وجرت المياه كما كانت. فقام عبد الصمد المغربى وقرأ على جودر حتى أفاق وصحا من سكرته، فقال له: «أى شىء عملت يا مسكين؟» فقال له: «أبطلت الموانع كلها ووصلت إلى أمى ووقع بينى وبينها معالجة طويلة وصارت يا أخى تخلع ثيابها حتى لم يبق عليها إلا اللباس فقالت لى: «لا تفضحنى» فتركت لها اللباس شفقة عليها وإذا بها صاحت وقالت: «قد غلط فاضربوه». فخرج لى ناس لا أدرى أين كانوا، ثم إنهم ضربونى بشدة حتى أشرفت على الموت ودفعونى ولم أدر بعد ذلك ما جرى لى». فقال له: «أما قلت لك لا تخالف؟ قد سؤتنى وسؤت نفسك فلو خلعت لباسها كنا بلغنا المراد، ولكن حينئذ تقيم عندى إلى العام القابل لمثل هذا اليوم».

ثم إن المغربى نادى العبدين فى الحال، فحلا الخيمة وحملاها ثم غابا قليلاً ورجعا بالبغلتين، فركب كل واحد بغلة ورجعا إلى مدينة فاس، فأقام عنده فى أكل طيب وشرب طيب وكل يوم يلبسه حلة فاخرة إلى أن فرغت السنة وجاء ذلك اليوم. فقال له المغربى: هذا هو اليوم الموعود فامض بنا». قال له: «نعم». فأخذه إلى خارج المدينة فرأيا العبدين بالبغلتين ثم

ركبا إلى أن وصلا عند النهر فنصب العبدان الخيمة وفرشاها وأخرج المغربى السفرة فتغديا وبعد ذلك أخرج القصبة والألواح مثل الأول وأوقد النار وأحضر له البخور وقال: «يا جودر مرادى أن أوصيك». فقال له: «يا سيدى الحاج إن كنت نسيت الضرب أكون نسيت الوصية». فقال له: «هل أنت حافظ الوصية؟» قال: «نعم». قال: «احفظ روحك ولا تظن أن المرأة أمك وإنما هى رصد فى صورة أمك ومرادها أن تغلطك، وإن كنت أول مرة طلعت حيًا فإنك فى هذه المرة إن غلطت يرموك مقتولاً». قال: «إن غلطت فى هذه المرة أستحق أن يحرقونى».

ثم إن المغربى وضع البخور وعزم فنشف النهر فتقدم جودر إلى الباب وطرقه فانفتح وأبطل الأرصاد السبعة إلى أن وصل إلى أمه فقالت: «مرحبًا يا ولدى». فقال لها: «من أين أنا ولدك يا ملعونة اخلعى» فجعلت تخادعه وتخلع شيئًا بعد شىء حتى لم يبق غير اللباس. فقال: «اخلعى يا ملعونة». فخلعت وصارت شبحًا بلا روح فدخل ورأى الذهب كيمان فلم يعتن بشىء، ثم أتى المقصورة ورأى الكهين الشمردل راقدًا متقلدًا بالسيف والخاتم فى أصبعه والمكحلة على صدره ورأى دائرة الفلك فوق رأسه، فتقدم وفك السيف وأخذ الخاتم ودائرة الفلك والمكحلة وخرج وإذا بنوبة دقت له وصار الخدام ينادون: «هنيت بما أعطيت يا جودر». ولم تزل النوبة تدق إلى أن خرج من الكنز ووصل إلى المغربى فأبطل العزيمة والبخور وقام وحضنه، وسلّم عليه وأعطاه جودر الأربع الذخائر فأخذها وصاح على العبدين فأخذا الخيمة وردّاها ورجعا بالبغلتين فركباهما ودخلا مدينة فاس.

فأحضر عبد الصمد الخرج وجعل يطلع منه الصحون والألوان وكملت قدّامه سفرة وقال: «يا أخى يا جودر كل». فأكل حتى اكتفى، وفرّغ بقية الأطعمة فى صحون غيرها وردّ الفوارغ فى الخرج. ثم إن المغربى عبد الصمد قال: «يا جودر أنت فارقت أرضك وبلدك من أجلنا وقضيت حاجتنا وصار لك علينا أمنية فتمن ما تطلب فإن الله - تعالى - أعطاك ونحن السبب فاطلب مرادك ولا تستحى فإنك تستحق».

فقال جودر: «يا سيدى تمنيت على الله - تعالى - ثم عليك أن تعطينى هذا الخرج». قال: «هات الخرج». فجاء به، قال: «خذه فإنه حقك ولو كنت تمنيت غيره لأعطيناك إياه ولكن يا مسكين هذا ما يفيدك غير الأكل وأنت تعبت معنا ونحن وعدناك أن نرجعك إلى بلادك مجبور الخاطر، والخرج هذا تأكل منه ونعطيك خرجًا آخر ملآن من الذهب والجواهر ونوصلك إلى بلادك فتصير تاجرًا واكس نفسك، وعيالك ولا تحتاج إلى مصروف وكل أنت وعيالك من هذا الخرج. وكيفية العمل به أنك تمدّ يدك فيه وتقول: «بحق ما عليك من الأسماء العظام يا خادم هذا الخرج أن تأتينى باللون الفلانى، فإنه يأتيك حالاً بما تطلبه ولو طلبت كل يوم ألف لون».

ثم إنه أحضر عبدًا ومعه بغلة وملأ له خرجًا عينًا بالذهب وعينًا بالجواهر والمعادن وقال له: «اركب هذه البغلة والعبد يمشى قدامك فإنه يعرفك الطريق إلى أن يوصلك إلى باب دارك، فإذا وصلت فخذ الخرجين وأعطه البغلة فإنه يأتى بها ولا تظهر أحدًا على سرّك واستودعناك الله». فقال له: «كثر الله خيرك». وحط الخرجين على ظهر البغلة وركب والعبد يمشى قدامه وصارت البغلة تتبع العبد ذلك النهار وطول الليل وثانى يوم فى الصباح دخل من

باب النصر فرأى أمه قاعدة تقول: «شيئًا لله». فطار عقله ونزل من فوق ظهر البغلة ورمى روحه عليها، فلما رأته بكت. ثم إنه أركبها ظهر البغلة ومشى فى ركابها إلى أن وصل إلى البيت، فنزّل أمه وأخذ الخرجين وترك البغلة للعبد فأخذها وراح إلى سيده لأن العبد شيطان والبغلة شيطان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية رجوعه إلى أمه مع الخرج المرصود

قالت شهر زاد: وأما ما كان من جودر فإنه صعب عليه كون أمه تسأل. فلما دخل البيت قال لها: «يا أمى هل أخواى طيبان؟» قالت: «طيبان». قال: «لأى شىء تسألين فى الطريق؟» قالت: «يا ابنى من جوعى». قال: «أنا أعطيتك قبل ما أسافر مائة دينار فى أول يوم ومائة دينار فى ثانى يوم وأعطيتك ألف دينار يوم سافرت».

فقالت أمه: «يا ولدى قد مكرا بى وأخذاها منى وقالا: «مرادنا أن نشترى بها سببًا، فأخذاها وطردانى فصرت أسأل فى الطريق من شدة الجوع». فقال: «يا أمى ما عليك بأس حيث جئت فلا تحملى همًا أبدًا هذا خرج ملآن ذهبًا وجواهر والخير كثير». فقالت له: «يا ولدى أنت مسعد الله يرضى عليك ويزيدك من فضله قم يا ابنى هات لنا شيئًا فإنى بائتة بشدة الجوع من غير عشاء». فضحك وقال لها: «مرحبًا بك يا أمى فاطلبى أى شىء تأكلينه وأنا أحضره لك فى هذه الساعة ولا أحتاج لشراء من السوق ولا أحتاج لمن يطبخ». فقالت: «يا ولدى ما أنا ناظرة معك شيئًا» فقال: «معى فى الخرج من جميع الألوان» فقالت: «يا ولدى كل شىء حضر يسدّ». قال: «صدقت فعند عدم الموجود يقنع الإنسان بأقل الشىء وإنما إذا كان الموجود حاضرًا فإن الإنسان يشتهى أن يأكل من الشىء الطيب وأنا عندى الموجود فاطلبى ما تشتهين».

قالت له: «يا ولدى عيشًا سخنًا وقطعة جبن». فقال: «يا أمى ما هذا من مقامك». فقالت له: «أنت تعرف مقامى فالذى من مقامى أطعمنى منه». فقال: «يا أمى أنت مقامك اللحم المحمر والفراخ المحمرة والأرز المفلفل، ومن مقامك المنبار المحشى والخروف المحشى والضلع المحشى والكنافة بالمكسرات وعسل النحل والسكر والقطائف والبقلاوة». فظنت أمه أنه يضحك عليها ويسخر منها، فقالت له: «يوه يوه أى شىء جرى لك هل أنت تحلم أو جننت؟» فقال لها: «من أين علمت أنى جننت؟» قالت له: «لأنك تذكر لى جميع الألوان الفاخرة فمن يقدر على ثمنها ومن يعرف أن يطبخها؟» فقال لها: «وحياتى لا بدّ أن أطعمك من جميع الذى ذكرته لك فى هذه الساعة». فقالت له: «ما أنا ناظرة شيئًا». فقال لها: «هات الخرج». فجاءت له بالخرج وجسته فرأته فارغًا وقدمته إليه. صار يمدّ يده ويخرج صحونًا ملآنة حتى إنه أخرج لها جميع ما ذكره.

فقالت له أمه: «يا ولدى إن الخرج صغير وكان فارغًا وليس فيه شىء وقد أخرجت منه هذا كله فهذه الصحون أين كانت؟» فقال: «يا أمى اعلمى أ هذا الخرج أعطانيه المغربى وهو

مرصود وله خادم إذا أراد الإنسان شيئًا وتلا عليه الأسماء وقال: «يا خادم هذا الخرج هات لى اللون الفلانى فإنه يحضره». فقالت له أمه: «هل أمد يدى وأطلب منه؟» قال: «مد يدك» فمدّت يدها وقالت له أمه: «بحق ما عليك من الأسماء يا خادم هذا الخرج أن تجىء لى بضلع محشى». فرأت الصحن صار فى الخرج فمدّت يدها فأخذته فوجدت فيه ضلعًا محشيًا نفيسًا. ثم طلب العيش وطلب كل شىء أرادته من أنواع الطعام. فقال لها: «يا أمى بعد أن تفرغى من الأكل افرغى بقية الأطعمة فى صحون غير هذه وأرجعى الفوارغ فى الخرج فإن الرصد على هذه الحالة واحفظى الخرج».

فنقلت أمه الخرج وحفظته. وقال لها: «يا أمى اكتمى السرّ وأبقيه عندك وكلما احتجت لشىء أخرجيه من الخرج وتصدقى وأطعمى أخواى سواء كان فى حضورى أو فى غيابى»، وجعل يأكل وإياها وإذا بأخويه داخلان عليه وكان بلغهما الخبر من رجل من أولاد حارته وقال لهما: «أخوكما أتى وهو راكب على بغلة وقدامه عبد وعليه حلة ليس لها نظير». فقالا لبعضهما: «يا ليتنا ما كنا شوشنا على أمنا لا بدّ أنها تخبره بما عملنا فيها يا فضيحتنا منه». فقال واحد منهما: «أمنا شفيقة فإن أخبرته فأخونا أشفق منها علينا وإذا اعتذرنا إليه يقبل عذرنا فإنه شفوق عطوف». ثم دخلا عليه.

فلما نظرهما قام لهما على الأقدام وسلم عليهما غاية السلام وقال لهما: «اقعدا وكلا». فقعدا وأكلا وكانا ضعيفين من الجوع، فما زالا يأكلان حتى شبعا، فقال لهما جودر: «يا أخوى خذا بقية الطعام وفرقاه على الفقراء والمساكين». فقالا له: «يا أخانا خله لنتعشى به» فقال لهما: «وقت العشاء يأتيكما أكثر منه». فأخرجا بقية الأطعمة وصار كل فقير جاز عليهما يقولان له: «خذ وكل». حتى لم يبقَ شىء ثم ردا الصحون، فقال لأمه: «حطيها فى الخرج» وعند المساء دخل القاعة وأخرج من الخرج سماطًا أربعين لونًا وطلع. فلما جلس بين أخويه قال لأمه: «هاتى العشاء» فلما دخلت رأت الصحون ممتلئة فحطت السفرة ونقلت الصحون شيئًا بعد شىء حتى أكملت الأربعين صحنًا فتعشوا وبعد العشاء قال: «خذوا وأطعموا الفقراء والمساكين». فأخذوا بقية الأطعمة وفرّقوها وبعد العشاء أخرج لهم حلويات فأكلوا منها والذى فضل عنهم قال: «أطعموه الجيران». وفى ثانى يوم الفطور كذلك، وما زالوا على هذه الحالة مدة عشرة أيام.

ثم قال سالم لسليم: «ما سبب هذا الأمر إن أخانا يخرج لنا ضيافة فى الصبح وضيافة فى الظهر وضيافة فى المغرب وفى آخر الليل حلويات وكل شىء فضل يفرقه على الفقراء وهذا فعل السلاطين ومن أين أتته هذه السعادة، ألا تسأل عن هذه الأطعمة المختلفة وعن هذه الحلويات، وكل شىء فضل يفرقه على الفقراء والمساكين ولا نراه يشترى شيئًا أبدًا ولا يوقد نارًا وليس له مطبخ ولا طباخ؟» فقال له أخوه: «والله لا أدرى ولكن هل تعرف من يخبرنا بحقيقة الأمر» قال له: «لا يخبرنا إلا أمنا».

فدبرا لهما حيلة ودخلا على أمهما فى غياب أخيهما وقالا: «يا أمنا نحن جائعان» فقالت لهما: «أبشرا». ودخلت القاعة وطلبت من خادم الخرج وأخرجت لهما أطعمة سخنة. فقالا: «يا أمنا هذا الطعام سخن وأنت لم تطبخى ولم تغرفى؟» فقالت لهما: «إنه من الخرج» فقالا له: «أى

شىء هذا الخرج؟» فقالت لهما: «إن الخرج مرصود والطلب من الرصد»، وأخبرتهما بالخبر وقالت لهما: «اكتما السرّ». فقالا لها: «السرّ مكتوم يا أمنا ولكن علّمينا كيفية ذلك»، فعلمتهم وصارا يمدّان أياديهما إلى هذا الخرج ويخرجان منه الشىء الذى يطلبانه وأخوهما ما عنده خبر بذلك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية بيع أخويه له

قالت شهر زاد: فلما علما بصفة الخرج قال سالم لسليم: «يا أخى إلى متى ونحن عند جودر فى صفة الخدامين ونأكل صدقته ألا نعمل عليه حيلة ونأخذ هذا الخرج ونفوز به؟» فقال: «كيف تكون الحيلة؟» قال: «نبيع أخانا لرئيس بحر السويس». فقال له: «وكيف نصنع حتى نبيعه؟» فقال: «أروح أنا وأنت لذلك الرئيس ونعزمه مع اثنين من جماعته والذى أقوله لجودر تصدقنى عليه وآخر الليل أريك ما أصنع».

ثم اتفقا على بيع أخيهما وراحا إلى بيت رئيس بحر السويس ودخل سالم وسليم على الرئيس وقالا له: «يا رئيس جئناك فى حاجة تسرك» فقال: «خيرًا». قالا له: «نحن أخوان ولنا أخ ثالث معكوس لا خير فيه ومات أبونا وخلّف لنا جانبًا من المال، ثم إننا قسمنا المال وأخذ هو قسمه من الميراث فصرفه فى الفسق والفساد ولما افتقر تسلط علينا وصار يشكو إلى الظلمة ويقول: «أنتما أخذتما مالى ومال أبى»، وبقينا نترافع إلى الحكام وخسرنا المال وصبر علينا مدة واشتكانا ثانيًا حتى أفقرنا ولم يرجع عنا وقد قلقنا منه والمراد أنك تشتريه منا». فقال لهما: «هل تقدران أن تحتالا عليه وتأتيانى به إلى هنا وأنا أرسله سريعًا إلى البحر؟» فقالا: «ما نقدر أن نجىء به ولكن أنت تكون ضيفنا وهات معك اثنين من غير زيادة، فلما ينام نتعاون عليه نحن الخمسة فنقبضه ونجعل فى فمه العقلة وتأخذه تحت الليل وتخرج به من البيت وافعل فيه ما شئت».

فقال لهما الرئيس: سمعًا وطاعة أتبيعانه بأربعين دينارًا؟» فقالا له: «نعم وبعد العشاء تأتى الحارة الفلانية فتجد واحدًا منا ينتظركم». قال لهما: «اذهبا» فقصدا جودرًا وصبرا ساعة. ثم تقدم إليه سالم وقبل يده. فقال له: «ما لك يا أخى؟». فقال له: «اعلم أن لى صاحبًا عزمنى مرات عديدة فى بيته فى غيابك وله علىّ ألف جميل ودائمًا يكرمنى بعلم أخى فسلمت عليه اليوم فعزمنى، فقلت له: «أنا ما أقدر أن أفارق أخى». فقال: هاته معك. فقلت: لا يرضى بذلك ولكن إن كنت تضيفنا أنت وأخواك وكان أخواه جالسين عنده فعزمتهم وقد ظننت أنى أعزمهم ويمتنعون، فلما عزمته هو وأخويه رضى وقال: انتظرنى على باب الزاوية وأنا أجىء بأخوىّ، فأنا خائف أن يجىء ويستحى منك فهل تجبر خاطرى وتضيفهم فى هذه الليلة وأنت خيرك كثير يا أخى وإن كنت لم ترضَ فائذن لى أن أدخلهم بيت الجيران». فقال له: «لأى شىء تدخلهم بيت الجيران فهل بيتنا ضيق أو ما عندنا شىء نعشيهم؟ عيب عليك أن تشاورنى ما لك إلا أطعمة طيبة وحلويات إلى أن يفضل عنهم، وإن جئت بناس وكنت أنا غائبًا فاطلب من أمك تخرج لك أطعمة بزيادة رُح هاتهم حلّت علينا البركات».

فقبل يده وراح فقعد على باب الزاوية لبعد العشاء وإذ بهم قد أقبلوا عليه فأخذهم ودخل بهم البيت. فلما رآهم جودر قال لهم: «مرحبًا بكم». وأجلسهم وعمل معهم صحبة وهو لا يعلم ما فى الغيب منهم. ثم إنه طلب العشاء من أمه فجعلت تخرج من الخرج وهو يقول: «هات اللون الفلانى» حتى صار قدامهم أربعون لونًا فأكلوا حتى اكتفوا ورفعت السفرة، والبحرية يظنون أن هذا الإكرام من عند سالم.

فلما مضى ثُلث الليل أخرج لهم الحلويات وسالم هو الذى يخدمهم وجودر وسليم قاعدان إلى أن طلبوا المنام. فقام جودر ونام وناموا حتى غفل. فقاموا وتعاونوا عليه فلم يفق إلا والعقلة فى فمه وكتفوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل وأرسلوه إلى السويس ووضعوا فى رجليه القيد وأقام يخدم وهو ساكت ولم يزل يخدم خدمة الأسارى العبيد سنة كاملة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أسر الملك شمس الدولة لأخويه

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر جودر. وأما ما كان من أمر أخويه فإنهما لما أصبحا دخلا على أمهما وقالا لها: «يا أمنا إن أخانا جودرًا لم يستيقظ». فقالت لهما: «أيقظاه». قالا لها: «أين هو راقد؟» قالت لهما: «عند الضيوف». قال: «لعله راح مع الضيوف ونحن نائمان يا أمى كأن أخانا ذاق الغربة ورغب فى دخول الكنوز وقد سمعناه يتكلم مع المغاربة فيقولون له: «نأخذك معنا ونفتح لك الكنز». فقالت: «هل اجتمع مع المغاربة؟». قالا لها: «أما كانوا ضيوفًا عندنا؟» قالت: «لعله راح معهم ولكن الله يرشد طريقه هذا مسعد لا بدّ أن يأتى بخير كثير». وبكت وعز عليها فراقه.

فقالا لها: «يا ملعونة أتحبين جودرًا كل هذه المحبة ونحن إن غبنا أو حضرنا فلا تفرحى بنا ولا تحزنى علينا أما نحن ولداك كما أن جودرًا ابنك؟» فقالت: «أنتما ولداى ولكن أنتما شقيان وما لكما علىّ فضل ومن يوم مات أبوكما ما رأيت منكما خيرًا، وأما جودر فرأيت منه خيرًا كثيرًا وجبر خاطرى وأكرمنى فيحقُّ لى أن أبكى عليه لأن خيره علىّ وعليكما». فلما سمعا هذا الكلام شتماها وضرباها ودخلا وصارا يفتشان على الخرج حتى عثرا به وأخذا الجواهر من العين الأولى والذهب من العين الثانية والخرج المرصود.

ثم قالا لها: «هذا مال أبينا». فقالت: «لا والله إنما هو مال أخيكما جودر جاء به من بلاد المغاربة». فقالا لها: «كذبت بل هذا مال أبينا ونحن نتصرف فيه». فقسماه بينهما ووقع الاختلاف بينهما فى الخرج المرصود. فقال سالم: «أنا آخذه». وقال سليم: «أنا آخذه». ووقعت بينهما المعاندة. فقالت أمهما: «يا ولداى الخرج الذى فيه الجواهر والذهب قسمتماه وهذا لا ينقسم ولا يعادل بمال، وإن انقطع قطعتين بطل رصده ولكن اتركاه عندى وأنا أخرج لكما ما تأكلانه فى كل وقت وأرضى بينكما باللقمة وإن كسوتمانى شيئًا من فضلكما وكل منكما يجعل له معاملة مع الناس، وأنتما ولداى وأنا أمكما وخلونا على حالنا ربما يأتى أخوكما خوف الفضيحة». فما قبلا كلامها وباتا يختصمان تلك الليلة.

فسمع هذا الخصام رجل قواس من أعوان الملك كان معزومًا فى بيت بجنب بيت جودر طاقته مفتوحة، فطلّ القواس من الطاقة وسمع جميع الخصام وما قالوه من الكلام والقسمة.

ولما أصبح الصباح دخل ذلك الرجل القواس على الملك وكان اسمه شمس الدولة وكان ملك مصر فى ذلك العصر، فلما دخل عليه القواس أخبره بما قد سمعه، فأرسل الملك إلى أخوى جودر وجاء بهما ورماهما تحت العذاب فأقرا وأخذ الخرجين منهما ووضعهما فى السجن، ثم إنه عين إلى أم جودر من الجرايات فى كل يوم ما يكفيها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمرهما. وأما ما كان من أمر جودر فإنه أقام سنة كاملة يخدم فى السويس وبعد السنة كانوا فى المركب مسافرين فخرجت عليهم ريح رمت المركب الذى هم فيه على جبل فانكسر وغرق جميع ما فيه ولم يحصّل البر إلا جودر والبقية ماتوا. فلما حصّل البر سافر حتى وصل إلى نجع عرب فسألوه عن حاله فأخبرهم انه كان بحريًا فى مركب وحكي لهم قصته.

وكان فى النجع رجل تاجر من أهل جدّة فحن عليه وقال له: «هل تخدم عندنا يا مصرى وأنا أكسوك وآخذك معى إلى جدة؟».

فخدم عنده وسافر معه إلى أن وصلا إلى جدة فأكرمه كثيرًا. ثم إن سيده التاجر طلب الحجّ فأخذه معه إلى مكة، ولما دخلاها راح جودر ليطوف فى الحرم فبينما هو يطوف وإذا هو بصاحبه المغربى عبد الصمد يطوف. فلما رآه سلّم عليه وسأله عن حاله فبكى ثم أخبره بما جرى له فأخذه معه إلى أن دخل منزله وأكرمه وألبسه حلّة ليس لها نظير وقال له: «زال عنك الشرُّ يا جودر». وضرب له تخت رمل فبان له الذى جرى لأخويه فقال له: «اعلم يا جودر أن أخويك جرى لهما كذا وكذا وهما محبوسان فى سجن ملك مصر ولكن مرحبًا بك حتى تقضى مناسكك ولا يكون إلا خير».

قال له جودر: «يا سيدى حتى أروح آخذ خاطر التاجر الذى أنا عنده وأجىء إليك». فقال: «هل عليك مال؟» قال: «لا». فقال: «رُح خذ بخاطره وتعال فى الحال فإن العيش له حق عند أولاد الحلال». فراح وأخذ بخاطر التاجر وقال له: «إنى اجتمعت على أخى». فقال له: «رُح هاته ونعمل له ضيافة». فقال له: «ما يحتاج فإنه من أصحاب النعم وعنده خدم كثير». فأعطاه عشرين دينارًا وقال له: «أبرئ ذمتى». فودعه وخرج من عنده فرأى رجلاً فقيرًا فأعطاه العشرين دينارا.

ثم إنه ذهب إلى عبد الصمد المغربى فأقام عنده حتى قضيا مناسك الحج وأعطاه الخاتم الذى أخرجه من كنز الشمردل وقال له: «خذ هذا الخاتم فإنه يبلّغك مرادك لأن له خادمًا اسمه الرعد القاصف فجميع ما تحتاج إليه من حوائج الدنيا فادعك الخاتم يظهر لك الخادم وجميع ما تأمره به يفعله لك ودعكه قدّامه فظهر له الخادم ونادى: «لبيك يا سيدى أى شىء تطلب فتعطى فهل تعمر مدينة خربة أو تخرب مدينة عامرة أو تقتل ملكًا أو تكسر

عسكرًا؟» فقال له المغربي: «يا رعد هذا صار سيدك فاستوص به». ثم صرفه وقال: «ادعك الخاتم يحضر بين يديك خادمه فأمره بما في مرادك فإنه لا يخالفك وامض إلى بلادك واحتفظ عليه فإنك تكيد به أعداءك ولا تجهل مقدار هذا الخاتم. فقال له: «يا سيدى عن إذنك أسير إلى بلادى». قال له: «ادعك الخاتم يظهر لك الخادم فاركب على ظهره وإن قلت له أوصلنى فى هذا اليوم إلى بلادى فلا يخالف أمرك». ثم ودّع جودر عبد الصمد ودعك الخاتم فحضر له الرعد القاصف وقال له: «لبيك اطلب تُعطَ». فقال له: «أوصلنى إلى مصر فى هذا اليوم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال الخادم له: «لك ذلك». وحمله وطار به من وقت الظهر إلى نصف الليل، ثم نزل به فى وسع بيت أمه وانصرف، فدخل على أمه ولما رأته قامت وبكت وسلمت عليه وأخبرته بما قد جرى لأخويه من الملك وكيف ضربهما وأخذ الخرج المرصود والخرج الذهب والجواهر. فلما سمع جودر ذلك لم يهن عليه أخواه. فقال لأمه: «لا تحزنى على ما فاتك ففى هذه الساعة أريك مما أصنع وأجيء بأخوى». ثم إنه دعك الخاتم فحضر له الخادم وقال: «لبيك اطلب تعطَ». فقال له: «أمرتك أن تجيء على بأخويّ من سجن الملك».

فنزل إلى الأرض ولم يخرج إلا من وسط السجن وكان سالم وسليم فى أشد ضيق وكرب عظيم من ألم السجن وصار يتمنيان الموت وأحدهما يقول للآخر: «والله يا أخى قد طالت علينا المشقة وإلى متى ونحن فى هذا السجن فالموت فيه راحة لنا».

فبينما هما كذلك وإذا بالأرض قد انشقت وخرج لهما الرعد القاصف وحمل الاثنين ونزل بهما فى الأرض فغشى عليهما من شدة الخوف، ولما أفاقا وجدا أنفسهما فى بيتهما ورأيا أخاهما جودرًا جالسًا وأمه فى جانبه. فقال لهما: «سلامات يا أخويّ آنستمانى». فطأطئا وجهيهما فى الأرض وصارا يبكيان. فقال لهما: «لا تبكيا فالشيطان والطمع ألجآكما إلى ذلك وكيف تبيعانى؟ ولكن أتسلى بيوسف فإنه فعل به إخوته ما هو أبلغ من فعلكما معى حيث رموه فى الجب».

حكاية عمار القصر

ثم قال جودر لأخويه: «كيف فعلتما معى هذا الأمر ولكن توبا إلى الله واستغفراه فيغفر لكما وهو الغفور الرحيم وقد عفوت عنكما ومرحبًا بكما ولا بأس عليكما». وجعل يأخذ بخواطرهما حتى طيب قلوبهما وصار يحكى لهما جميع ما قاساه فى السويس إلى أن اجتمع بالشيخ عبد الصمد وأخبرهما بالخاتم. فقالا: «يا أخانا لا تؤاخذنا فى هذه المرة إن عدنا لما كنا فيه فافعل بنا مرادك».

فقال: «لا بأس ولكن أخبرانى بما فعل بكما الملك؟» فقالا: «ضربنا وهدّدنا وأخذ الخرجين منا». فقال: «ما أبالى». ودعك الخاتم فحضر له الخادم. فلما رآه أخواه خافا منه

وظنا أنه يأمر الخادم بقتلهما فذهبا إلى أمهما وصار يقولان: «يا أمنا نحن فى عرضك، يا أمنا اشفعى فينا».

فقالت لهما: «يا ولدىّ لا تخافا». ثم إنه قال للخادم: «أمرتك أن تأتينى بجميع ما فى خزانة الملك من الجواهر وغيرها ولا تبق فيها شيئًا وتأتى بالخرج المرصود وخرج الجواهر اللذين أخذهما الملك من أخوىّ». فقال: «السمع والطاعة». وذهب فى الحال وجمع ما فى الخزانة وجاء بالخرجين بأمانتهما ووضع جميع ما كان فى الخزانة قدام جودر وقال: «يا سيدى ما أبقيت فى الخزانة شيئًا».

فأمر أمه أن تحفظ خرج الجواهر وحطَّ الخرج المرصود قدامه وقال للخادم: «أمرتك أن تبنى لى فى هذه الليلة قصرًا عاليًا وتزوّقه بماء الذهب وتفرشه فرشًا فاخرًا ولا يطلع النهار إلا وأنت خالص من جميعه».

فقال له خادم الخاتم: «لك ذلك يا مولاى». ونزل فى الأرض.

وبعد ذلك أخرج جودر الأطعمة وأكلوا وانبسطوا وناموا. وأما ما كان من أمر الخادم فإنه جمع أعوانه وأمر ببناء قصر فصار البعض يقطع الأحجار والبعض يبنى والبعض يبيض والبعض ينقش والبعض يفرش، فما طلع النهار حتى تم انتظام القصر.

ثم طلع الخادم إلى جودر وقال: «يا سيدى إن القصر كما تريد وتم نظامه فإن كنت تطلع تتفرج عليه فطلع هو وأمه وأخواه فرأوا هذا القصر ليس له نظير يحير العقول من حسن نظامه ففرح به جودر، وكان على قارعة الطريق ومع ذلك لم يتكلف عليه شيئًا. فقال لأمه: «هل تسكنين فى هذا القصر؟».

فقالت: «يا ولدى أسكن». ودعت له، فدعك الخاتم وإذا بالخادم يقول: «لبيك».

فقال له: «أمرتك أن تأتينى بأربعين جارية بيض ملاح وأربعين جارية سود وأربعين مملوكًا وأربعين عبدًا». فقال: «لك ذلك».

وذهب الخادم مع أربعين من أعوانه إلى بلاد الهند والسند والعجم وصاروا كلما يرون بنتًا جميلة يخطفونها أو غلامًا يخطفونه، وأنفذ أربعين فجاؤوا بجوار سود ظراف، وأربعين جاؤوا بعبيد وأتى الجميع دار جودر فملأوها، ثم عرضهم على جودر فأعجبوه. فقال: «هات لكل شخص حلة من أفخر الملبوس». قال: «حاضر». وقال: «هات حلة تلبسها أمى وحلة ألبسها أنا».

فأتى بالجميع وألبس الجوارى وقال لهم: «هذه سيدتكم فقبلوا يدها ولا تخالفوها واخدموها بيضًا وسودًا».

ولبس المماليك وقبلوا يد جودر ولبس أخواه وصار جودر كناية عن ملك وأخواه مثل الوزراء وكان بيته واسعًا فأسكن سالمًا وجواريه فى جهة وسليمًا وجواريه فى جهة وسكن هو وأمه فى القصر الجديد.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية غضب الملك شمس الدولة على جودر

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر خازندار الملك فإنه أراد أن يأخذ بعض مصالح من الخزانة فدخل فلم يرَ فيها شيئًا بل وجدها كقول من قال:

كانت خليَّات نحل وهي عامرة ... لما خلا نحلها صارت خليات

فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيًا عليه، ولما أفاق خرج من الخزانة وترك بابها مفتوحًا ودخل على الملك شمس الدولة وقال: «يا أمير المؤمنين الذى نعلمك به أن الخزانة فرغت فى هذه الليلة». فقال الملك: «ما صنعت بأموالى التى فى خزانتى؟» فقال: «والله ما صنعت فيها شيئًا ولا أدرى ما سبب فراغها، بالأمس دخلتها فرأيتها ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة ليس فيها شىء والأبواب مغلقة ولا نُقبت ولا كسرت ضبَّتها ولم يدخلها سارق». قال: «هل راح منها الخرجان؟» قال: «نعم». فطار عقله من رأسه وقام على قدميه. ثم إنه قال للخازندار: «امض قدامى فمضى وتبعه الملك حتى أتيا الخزانة فلم يجد فيها شيئًا فانقهر الملك وقال: «من سطا على خزانتى ولم يخف من سطوتى؟».

وغضب الملك غضبًا شديدًا. ثم خرج ونصب الديوان فجاءت أكابر العساكر وصار كل منهم يظن أن الملك غضبان عليه. قال الملك: «يا عساكر اعلموا أن خزانتى انتهبت فى هذه الليلة ولم أعلم من فعل هذه الفعال وسطا علىّ ولم يخف منى». قالوا: «وكيف ذلك؟» قال: «اسألوا الخازندار» فسألوه، قال الخازندار: «بالأمس كانت ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة لم يوجد فيها شىء ولم تُنقب ولم يكسر بابها».

فتعجب جميع العسكر من هذا الكلام فلم يحصل ردّ الجواب من العسكر إلا والقواس الذى نم سابقًا على سليم وسالم دخل على الملك وقال: «يا ملك الزمان طول الليل وأنا أتفرج على بنائين يبنون، فلما طلع النهار رأيت قصرًا مبنيًا ليس له نظير، فسألت فقيل لى: «إن جودرًا أتى وبنى هذا القصر وعنده مماليك وعبيد وجاء بأموال كثيرة وخلص أخويه من السجن وهو فى داره كأنه سلطان». قال الملك: «انظروا السجن». فنظروه فلم يروا سالمًا وسليمًا فرجعوا وأعلموه بما جرى. قال الملك: «بان غريمى فالذى خلّص سالمًا وسليمًا من السجن هو الذى أخذ مالى». قال الوزير: «يا سيدى من هو؟» قال: «أخوهما جودر وأخذ الخرجين ولكن يا وزير أرسل له أميرًا بخمسين رجلاً يقبضون عليه وعلى أخويه ويضعون الختم على جميع ماله ويأتونى بهم حتى أشنقهم». وقد غضب غضبًا شديدًا وقال: «هيا بالعجل ابعث لهم أميرًا يأتينى بهم لأقتلهم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قال له الوزير: «احلم فإن الله حليم لا يعجل على عبده إذا عصاه فإن الذى يكون بنى قصرًا فى ليلة واحدة كما قالوا لم يقسُ عليه أحد فى الدنيا وإنى أخاف على الأمير أن يجرى له مشقة من جودر فاصبر حتى أدبر لك تدبيرًا وننظر حقيقة الأمر والذى فى مرادك أنت لاحقه يا ملك الزمان». فقال الملك: «دبر لى تدبيرًا يا وزير». قال له: «ارسل له الأمير واعزمه ثم إنى أتقيد لك به وأُظهر له الودّ وأسأله عن حاله وبعد ذلك ننظر إن كان عزمه شديدًا

فنحتال عليه بحيلة وإن كان عزمه ضعيفًا فاقبض عليه وافعل به مرادك». فقال الملك: «أرسل اعزمه». فأمر أميرًا اسمه الأمير عثمان أن يروح إلى جودر ويعزمه ويقول له: «الملك يدعوك للضيافة». وقال له الملك: «لا تجيء إلا به».

وكان الأمير عثمان أحمق متكبرًا فى نفسه. فلما نزل رأى قدام باب القصر طواشيًا جالسًا على كرسى فى باب القصر، فلما وصل الأمير عثمان إلى القصر لم يقم له وكأنه لم يكن مقبلاً عليه أحد ومع ذلك كان مع الأمير عثمان خمسون رجلاً، فوصل الأمير عثمان وقال له: «يا عبد أين سيدك؟» قال له: «فى القصر». وصار يكلمه وهو متكئ فغضب الأمير عثمان وقال له: «يا عبد النحس أما تستحى منى وأنا أكلمك وأنت مضطجع مثل الجبابرة؟» فقال له: «امش لا تكن كثير الكلام». فما سمع منه هذا الكلام حتى امتزج بالغضب وسحب الدبوس وأراد أن يضرب الطواشى ولم يعلم أنه شيطان، فلما رآه سحب الدبوس، قام واندفع عليه وأخذ منه الدبوس وضربه أربع ضربات. فلما رآه الخمسون رجلاً صعب عليهم ضرب سيدهم فسحبوا السيوف وأرادوا أن يقتلوا العبد. فقال لهم: «أتسحبون السيوف يا كلاب؟». وقام عليهم وصار كل من لطشه دبوسًا يهشمه ويغرقه فى الدم، فانهزموا قدامه وما زالوا هاربين وهو يضربهم إلى أن بعدوا عن باب القصر ورجع وجلس على كرسيه ولم يبال بأحد.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: أما ما كان من أمر الأمير عثمان وجماعته فإنهم رجعوا منهزمين مضروبين إلى أن وقفوا قدام الملك شمس الدولة وأخبروه بما جرى لهم. وقال الأمير عثمان للملك: «يا ملك الزمان لما وصلت إلى باب القصر رأيت طواشيًا جالسًا فى الباب على كرسى من الذهب وهو متكبر. فلما رآنى مقبلاً عليه اضطجع بعد أن كان جالسًا واحتقرنى ولم يقم لى، فصرت أكلمه فيجيبنى وهو مضطجع، فأخذتنى الحدّة وسحبت عليه الدبوس وأردت ضربه فأخذ الدبوس منى وضربنى به وضرب جماعتى وبطحهم وهربنا من قدامه ولم نقدر عليه». فحصل للملك غيظ وقال: «ينزل إليه مائة رجل». فنزلوا إليه وأقبلوا عليه، فقام لهم بالدبوس وما زال يضربهم فيه حتى هربوا من قدامه ورجع وجلس على الكرسى.

فرجع المائة رجل ولما وصلوا إلى الملك أخبروه وقالوا له: «يا ملك الزمان هربنا من قدامه خوفًا منه». قال الملك: «تنزل مائتان». فنزلوا فكسرهم. ثم رجعوا. فقال الملك للوزير: «ألزمتك أيها الوزير أن تنزل بخمسمائة رجل وتأتينى بهذا الطواشى سريعًا وتأتى بسيده جودر وأخويه». فقال له: «يا ملك الزمان لا أحتاج لعسكر بل أروح إليه وحدى من غير سلاح». فقال له: «رُح وافعل الذى تراه مناسبًا». فرمى الوزير السلاح ولبس حلة بيضاء وأخذ فى يده سبحة ومشى وحده من غير ثان حتى وصل إلى قصر جودر، فرأى العبد جالسًا فلما رآه أقبل عليه من غير سلاح وجلس جنبه بأدب ثم قال: «السلام عليكم». فقال: «وعليك السلام يا إنسى ما الذى تريده؟» فلما سمعه يقول يا إنسى علم أنه من الجن وارتعش من خوفه فقال له: «يا سيدى هل سيدك جودر هنا؟» قال: «نعم فى القصر». فقال له: «يا سيدى اذهب إليه وقل له إن الملك شمس الدولة يدعوك وعامل لك ضيافة ويقرئك السلام ويقول لك: «شرف منزله وكل

ضيافته». فقال له: «قف أنت هنا حتى أشاوره». فوقف الوزير مؤدبًا وطلع المارد إلى القصر وقال لجودر: «اعلم يا سيدى أن الملك أرسل إليك أميرًا فضربته وكان معه خمسون رجلاً فهزمتهم، ثم إنه أرسل مائة رجل فضربتهم، ثم أرسل مائتى رجل فهزمتهم، ثم أرسل إليك الوزير من غير سلاح يدعوك إليه لتأكل ضيافته فماذا تقول؟» قال له: «رُح هات الوزير إلى هنا». فنزل المارد من القصر وقال لوزير الملك: «يا وزير كلم سيدى» فقال: «على الرأس».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إنه طلع ودخل على جودر فرآه أعظم من الملك جالسًا على فرش لا يقدر الملك أن يفرش مثله وتحير فكره من حسن القصر ومن نقشه وفرشه حتى كأن الوزير بالنسبة إليه فقير، فقبل الأرض ودعا له. فقال له: «ما شأنك أيها الوزير؟» فقال له: «يا سيدى إن الملك شمس الدولة حبيبك يقرئك السلام ومشتاق إلى النظر لوجهك وقد عمل لك ضيافة فهل تجبر خاطره؟» فقال جودر: «حيث كان حبيبى فسلم عليه وقل له يجىء هو عندى». فقال له: «على الرأس». وأخرج الخاتم ودعكه فحضر الخادم، فقال له: «هات لى حلّة من خيار الملبوس». فأحضر له حلة فقال للوزير: «البس هذه يا وزير». فلبسها، ثم قال له: «رح أعلم الملك بما قلته».

فنزل الوزير لابسًا تلك الحلة التى لم يلبس مثلها، ثم دخل على الملك وأخبره بحال جودر وشكر القصر وما فيه وقال: «إن جودرًا عزمك». فقال: «قوموا يا عسكر». فقاموا كلهم على الأقدام وقال: «اركبوا خيلكم وهاتوا لى جوادى حتى نروح إلى جودر». ثم إن الملك ركب وأخذ العساكر وتوجهوا إلى بيت جودر.

أما جودر فإنه قال للمارد: «مرادى أن تجىء لنا من أعوانك بعفاريت فى صفة الإنس يكونون عسكرًا ويقفون فى ساحة البيت حتى يراهم الملك فيرعبونه فيرتجف قلبه ويعلم أن سطوتى أعظم من سطوته». فأحضر مائتين فى صفة عسكر متقلدين بالسلاح الفاخر وهم شداد غلاظ. فلما وصل الملك رأى القوم الشداد الغلاظ فخاف قلبه منهم.

حكاية طاعة شمس الدولة لجودر

ثم إنه طلع إلى القصر ودخل على جودر فرآه جالسًا جلسة لم يجلسها ملك ولا سلطان، فسلم عليه وتمنى بين يديه وجودر لم يقم له ولم يعمل له مقامًا ولم يقل له اجلس بل تركه واقفًا حتى داخله الخوف فصار لا يقدر أن يجلس ولا أن يخرج وصار يقول فى نفسه: «لو كان خائفًا منى ما كان تركنى عن باله وربما يؤذينى بسبب ما فعلت مع أخويه».

ثم إن جودرًا قال: «يا ملك الزمان ليس شأن مثلكم أن يظلم الناس ويأخذ أموالهم». فقال له: «يا سيدى لا تؤاخذنى فإن الطمع أحوجنى إلى ذلك ونفذ القضاء ولولا الذنب ما كانت المغفرة». وصار يعتذر إليه على ما سلف منه ويطلب العفو والسماح وأنشد:

يا أصيل الجدود سمح السجايا ... لا تلمنى فيما تحصل منى
إن تكن ظالمًا فمنك عفونا ... أو أكن ظالمًا فعفوك عنى

وما زال يتواضع بين يديه حتى قال له: «عفا الله عنك». وأمره بالجلوس فجلس وخلع عليه ثياب الأمان وأمر أخويه بمدّ السماط وبعد أن أكلوا كسا جماعة الملك وأكرمهم وبعد ذلك أمر جماعة الملك بالمسير، فخرج من بيت جودر وصار كل يوم يأتى إلى بيت جودر ولا ينصب الديوان إلا فى بيت جودر وزادت بينهما العشرة والمحبة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية تزويج الملك ابنته له

قالت شهر زاد: ثم إنهم أقاموا على هذه الحالة مدة وبعد ذلك خلا الملك بوزيره وقال له: «يا وزير أنا خائف أن يقتلنى جودر ويأخذ الملك منى». فقال له: «يا ملك الزمان أما من قضية أخذ الملك فلا تخف فإن حالة جودر التى هو فيها أعظم من حالة الملك وأخذ الملك حطّة فى قدره فإن كنت خائفًا أن يقتلك فإن لك ابنة فزوجها له وتصير أنت وإياه حالة واحدة». فقال له: «يا وزير أنت تكون واسطة بينى وبينه».

فقال له: «أعزمه عندك ثم إننا نسهر فى قاعة ومُر ابنتك تتزين بأفخر زينة وتمرّ عليه من باب القاعة فإنه متى رآها عشقها فإذا فهمنا منه ذلك فأنا أميل عليه وأخبره أنها ابنتك وادخل وأخرج معه فى الكلام كأنه لم يكن عندك خبر بشىء من ذلك حتى يخطبها منك ومتى زوَّجته الابنة صرت أنت وإياه شيئًا واحدًا وتأمن منه وإن مات ترث منه الكثير».

قال له الملك: «صدقت يا وزيرى».

وعمل الضيافة وعزمه، فجاء إلى سرايا السلطان وقعدوا فى القاعة مع أنس زائد إلى آخر النهار، وكان الملك أرسل إلى زوجته أن تزين الابنة بأفخر زينة وتمرّ بها على باب القاعة، فعملت كما قال ومرّت بالابنة فنظرها جودر وكانت ذات حسن وجمال وليس لها نظير فلما حقق جودر النظر فيها قال: «آه».

فقال له الوزير: «لا بأس عليك يا سيدى ما لى أراك متغيرًا متوجعًا؟». قال: «يا وزير، هذه الابنة ابنة من؟». فقال: «هذه ابنة حبيبك الملك فإن كانت أعجبتك أنا أتكلم مع الملك يزوجك إياها» قال: «يا وزير كلمه وأنا وحياتى أعطيك ما تطلب وأعطى للملك ما يطلب فى مهرها ونصير أحبابًا وأصهارًا».

قال له الوزير: «لا بدّ من حصول غرضك». ثم إن الوزير حدث الملك سرًّا وقال له: «يا ملك الزمان إن جودرًا حبيبك يريد القرب منك وقد توسل بى إليك أن تزوجه ابنتك السيدة آسية فلا تخيبنى واقبل سياقى ومهما تطلبه فى مهرها يدفعه».

فقال الملك: «المهر قد وصلنى والابنة جارية فى خدمته وأنا أزوجه إياها وله الفضل فى القبول».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وباتوا تلك الليلة ثم أصبح الملك ونصب ديوانًا وأحضر فيه الخاص والعام وحضر شيخ الإسلام وجودر خطيب الابنة وقال الملك: «المهر قد وصل».

وكتبوا الكتاب، فأرسل جودر بإحضار الخرج الذى فيه الجواهر وأعطاه للملك فى مهر الابنة ودقت الطبول وغنت الزمور، وانتظمت عقود الفرح وصار هو والملك شيئًا واحدًا وأقاما مع بعضهما مدة من الأيام. ثم مات الملك فصارت العساكر تطلب جودرًا للسلطنة ولم يزالوا يرغبونه وهو يمتنع منهم حتى رضى فجعلوه سلطانًا.

فأمر ببناء جامع على قبر الملك شمس الدولة ورتب له الأوقاف وهو فى خط البندقانيين وكان بيت جودر فى حارة اليمانية فلما تسلطن بنى أبنية وجامعًا، وقد سميت الحارة به وصار اسمها حارة الجودرية، وأقام ملكًا مدة وجعل أخويه وزيرين سالمًا وزير ميمنته وسليمًا وزير ميسرته.

حكاية قتل سالم لأخويه جودر وسليم
وقتل زوجة جودر لسالم

ثم إن سالمًا قال لسليم: «يا أخى إلى متى هذا الحال فهل نقضى عمرنا كله ونحن خادمان لجودر ولا نفرح بسيادة ولا سعادة ما دام جودر حيًا؟» قال: «وكيف نصنع حتى نقتله ونأخذ منه الخاتم والخرج؟» فقال سليم لسالم: «أنت أعرف منى فدبر لنا حيلة لعلنا نقتله بها». فقال سالم: «إذا دبرت لك حيلة على قتله هل ترضى أن أكون أنا سلطانًا وأنت وزير ميمنة ويكون الخاتم لى والخرج لك؟» قال: «رضيت» فاتفقا على قتل جودر من شأن حب الدنيا والرئاسة.

ثم إن سليمًا وسالمًا دبرا حيلة لجودر وقالا له: «يا أخانا إن مرادنا أن نفتخر بك فتدخل بيوتنا وتأكل ضيافتنا وتجبر خاطرنا»، وصارا يخادعانه ويقولان له: «اجبر خاطرنا وكل ضيافتنا». فقال: «لا بأس فالضيافة فى بيت من منكما؟» قال سالم: «فى بيتى وبعدما تأكل ضيافتى تأكل ضيافة أخى». قال: «لا بأس». وذهب مع سليم إلى بيته. فوضع له الضيافة وحط فيها السم، فلما أكل تفتت لحمه، فقام سالم ليأخذ الخاتم من أصبعه فعصى منه فقطع أصبعه بالسكين، ثم إنه دعك الخاتم فحضر له المارد وقال له: «لبيك فاطلب ما تريد؟» فقال له: «امسك أخى واقتله واحمل الاثنين المسموم والمقتول وارمهما قدام العسكر». فأخذ سليمًا وقتله وحمل الاثنين وخرج بهما ورماهما قدام أكابر العسكر وكانوا جالسين على السفرة فى مقعد البيت يأكلون.

فلما نظروا جودرًا وسليمًا مقتولين رفعوا أياديهم من الطعام وأزعجهم الخوف وقالوا للمارد: «من فعل بالملك والوزير هذه الفعال؟» فقال لهم: «أخوهما سالم»، وإذا بسالم أقبل عليهم وقال: «يا عسكر كلوا وانبسطوا فإنى ملكت الخاتم من أخى جودر وهذا المارد خادم الخاتم قدامكم وأمرته بقتل أخى سليم حتى لا ينازعنى فى الملك لأنه خائن وأنا أخاف أن يخوننى وهذا جودر صار مقتولاً وأنا بقيت سلطانًا عليكم هل ترضون بى وإلا أدعك الخاتم فيقتلكم خادمه كبارًا وصغارًا؟» فقالوا له: «رضينا بك ملكًا وسلطانًا». ثم أمر بدفن أخويه ونصب الديوان وذهب ناس فى تلك الجنازة وناس مشوا قدامه بالموكب ولما وصلوا إلى الديوان جلس على الكرسى وبايعوه على الملك.

وبعد ذلك قال: «أريد أن أكتب كتابى على زوجة أخى». فقالوا له: «حتى تنقضى العدة». فقال لهم: «أنا لا أعرف عدة ولا غيرها وحياة رأسى لا بدّ أن أدخل عليها فى هذه الليلة». فكتبوا الكتاب وارسلوا أعلموا زوجة جودر ابنة الملك شمس الدولة فقالت: «دعوه ليدخل». فلما دخل عليها أظهرت له الفرح وأخذته بالترحيب وحطت له السم فى الماء فأهلكته. ثم إنها أخذت الخاتم وكسرته حتى لا يملكه أحد وشقت الخرج. ثم أرسلت أخبرت شيخ الإسلام وارسلت تقول لهم: «اختاروا ملكًا يكون عليكم سلطانًا».

هذا ما انتهى إلينا من حكاية جودر بالتمام والكمال.

حكاية عجيب وغريب وسهيم الليل

قالت شهر زاد: «بلغنى أيضًا أنه كان فى قديم الزمان ملك من الملوك العظام يقال له الملك كندمر وكان ملكًا شجاعًا وقرمًا مناعًا ولكنه شيخ هرم كبير وقد رزقه الله ـ تعالى ـ فى حال هرمه ولدًا ذكرًا فسماه عجيبًا لحسنه وجماله وسلمه إلى القوابل والمرضعات والجوارى والسرارى. فنشأ وكبر حتى بلغ من العمر سبع سنين من الأعوام على التمام. فرتب له أبوه كاهنًا من أهل ملته ودينه فعلمه شريعتهم ودينهم وما يحتاج إليه فى مدة ثلاث سنين كوامل إلى أن مهر وقويت عريمته وصحت فكرته وصار عارفًا فصيحًا فيلسوفًا موصوفًا يناظر العلماء ويجالس الحكماء. فلما رأى أبوه ذلك منه أعجبه ثم علمه ركوب الخيل والطعن بالرمح والضرب بالسيف إلى أن صار فارسًا شجاعًا.

حكاية قتل عجيب لأبيه كندمر

فما تم عمره عشر سنين حتى فاق أهل زمانه فى جميع الأشياء وعرف أبواب الحرب فصار جبارًا عنيدًا، وشيطانًا مريدًا. وكان إذا ركب للصيد والقنص يركب فى ألف فارس. ويشنّ الغارات على الفوارس ويقطع الطرق ويسبى بنات الملوك والسادات وكثرت فيه لأبيه الشكايات. فصاح الملك على خمسة من العبيد فحضروا فقال له: «أمسكوا هذا الكلب». فهجم العبيد على عجيب وكتفوه، وأمرهم بضربه فضربوه حتى غاب عن الوجود وسجنه فى قاعة لا يعرف فيها السماء من الأرض، ولا الطول من العرض. فمكث يومين وليلة محبوسًا، فتقدم الأمراء إلى الملك وقبلوا الأرض بين يديه وشفعوا فى عجيب فأطلقه، فصبر عجيب على أبيه عشرة أيام ودخل عليه فى الليل وضربه فرمى عنقه.

فلما طلع النهار ركب عجيب على كرسى مملكة أبيه وأمر رجاله أن يقفوا بين يديه ويلبسوا الفولاذ ويسحبوا سيوفهم وأوقفهم ميمنة وميسرة، فلما دخل الأمراء والمقدمون وجدوا ملكهم مقتولاً وابنه جالسًا على كرسى مملكته، فتحيرت عقولهم. فقال لهم عجيب: «يا قوم لقد رأيتم ما حصل لملككم فمن أطاعنى أكرمته ومن خالفنى فعلت به مثله». فلما سمعوا كلامه خافوا منه أن يبطش بهم. فقالوا له: «أنت ملكنا وابن ملكنا». وقبّلوا الأرض بين يديه فشكرهم وفرح بهم، وأمر بإخراج المال، والقماش، ثم إنه خلع عليهم الخلع السنية وغمرهم بالمال فأحبوه كلهم وأطاعوه، وخلع على النواب ومشائخ العربان العاصى والطائع وقد دانت له البلاد وأطاعته العباد وحكم وأمر مدّة خمسة أشهر.

حكاية تعبير رؤيا عجيب وميلاد غريب

ثم رأى فى منامه رؤيا فانتبه فزعًا مرعوبًا ولم يأخذه منام حتى أصبح الصباح فجلس على الكرسى ووقفت الجنود بين يديه ميمنة وميسرة، ثم دعا بالمعبرين والمنجمين فقال لهم: «فسروا لى هذا المنام». فقالوا له: «وما المنام الذى رأيته أيها الملك؟» فقال: «رأيت كأن والدى قدامى وخرج منه شىء قدر النحلة فكبر حتى صار كالسبع العظيم بمخالب مثل الخناجر وقد خفت منه. فبينما أنا باهت فيه إذ هجم علىّ وضربنى بمخالبه فشق بطنى فانتبهت فزعًا مرعوبًا». فنظر المعبرون إلى بعضهم وتفكروا فى رد الجواب. ثم قالوا: «أيها الملك العظيم هذا المنام يدل على مولود لك من أبيك وتقع العداوة بينك وبينه ويظهر عليك، فخذ حذرك بسبب هذا المنام».

فلما سمع عجيب كلام المعبرين قال:«ليس لى أخ أخاف منه فقولكم هذا كذب». فقالوا له: «ما أخبرنا إلا بما علمنا». فنفر فيهم وضربهم وقام ودخل قصر أبيه واختبر سرارى أبيه فوجد فيهن جارية حاملاً لها سبعة أشهر، فأمر عبدين من عبيده وقال لهما: «خذا هذه الجارية وامضيا بها إلى البحر وغرّقاها». فأخذاها من يدها وذهبا بها إلى البحر وأرادا أن يغرّقاها، فنظرا إليها فوجداها بديعة الحسن والجمال. فقالا: «لأى شىء نغرق هذه الجارية وإنما نأخذها إلى الغابة». فأخذاها وسارا أيامًا وليالى حتى بعدا عن الديار. فتوجها بها إلى غابة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار. وبينما هما يتخاصمان من يأخذها له طلع عليهما ناس من السودان فسلوا سيوفهم وحملوا على بعضهم واشتد بينهم القتال والحرب والطعان، ولم يزالوا يحاربون العبدين حتى قتلوهما فى أسرع من طرفة العين وصارت الجارية تدور وحدها فى الغابة وتأكل من أثمارها، وتشرب من أنهارها، ولم تزل على هذه الحالة حتى وضعت غلامًا أسمر نظيفًا شريفًا وسمته الغريب لغربته وقطعت سرته ولفته فى بعض ثيابها وصارت ترضعه وهى حزينة القلب والفؤاد على ما كانت فيه من العز والدلال.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فبينما هى فى بعض الأيام على تلك الحالة وإذا هى بفرسان ورجال مشاة ومعهم بزاة وكلاب صيد وقد حملوا خيولهم من كركي وبلشون وإوزّ عراقيّ وغطاس وطير ماء ووحوش وأرانب وغزلان وبقر وحش وفراخ النعام وتُفّة وذئاب وسباع، ثم دخل هؤلاء العربان فى تلك الغابة فوجدوا الجارية وابنها فى حجرها ترضعه فتقربوا منها وقالوا لها: «هل أنتِ إنسية أو جنية؟» قالت: «أنا إنسية يا سادات العرب؟» فأعلموا أميرهم وكان اسمه مرداسًا سيد بنى قحطان وقد خرج إلى الصيد فى خمسمائة أمير من قومه وبنى عمه فلم يزالوا يصطادون حتى وصلوا إلى الجارية ونظروها. وأعلمتهم بما جرى لها من أوله إلى آخره.

فتعجب الملك من أمرها وصاح على قومه وبنى عمه فلم يزالوا يصطادون حتى وصلوا إلى بنى قحطان فأخذها وأفردها بمحل ووكل بها خمس جوار من أجل الخدمة وقد أحبها حبًا شديدًا فتزوج بها فحملت، ولما انقضت شهورها وضعت غلامًا ذكرًا فسمته سهيم الليل. فتربى بين القوابل مع أخيه حتى نشأ ومهر فى حجر الأمير مرداس. فسلمهما إلى فقيه

فعلّمهما أمر دينهما وبعد ذلك سلمهما إلى شجعان العرب فعلموهما طعن الرمح وضرب السيف ورمى النشاب فما كملا خمس عشرة سنة حتى تعلما ما يحتاجان إليه وفاقا على كل شجيع فى الحىّ، فكان غريب يحمل على ألف فاس وكذا أخوه سهيم الليل، وكان لمرداس أعداء كثيرة وكانت عربه أشجع العرب فكلهم أبطال فرسان لا يصطلى لهم بنار، وكان بجواره أمير من أمراء العرب يقال له حسان بن ثابت وهو صديقه وقد خطب كريمة من كرائم قومه فدعى جميع أصحابه ومن جملتهم مرداس سيد بنى قحطان فأجاب وأخذ معه من قومه ثلاثمائة فارس وترك أربعمائة فارس لحفظ الحريم وسار حتى وصل إلى حسان فتلقاه وأجلسه فى أحسن مكان وجاءت كل الفرسان لأجل العرس وعمل لهم الولائم وفرح بعرسه وانصرف العربان إلى منازلهم.

فلما وصل مرداس إلى حيه رأى قتيلين مطروحين والطير حائم عليهما يمينًا وشمالاً فارتجف قلبه ودخل الحى فتلقاه غريب وهو متدرع بالزرد وهناه بالسلامة. فقال مرداس: «ما هذا الحال يا غريب؟» قال: «هجم علينا الحمل بن ماجد وقومه فى خمسمائة فارس». وكان السبب فى هذه الوقيعة أن الأمير مرداس كان له ابنة تسمى مهدية ما رأى الرائى أحسن منها فسمع بها الحمل سيد بنى نبهان فركب فى خمسمائة فارس وتوجه إلى مرداس وخطب مهدية فلم يقبله ورده خائبًا، فصار الحمل يرصد مرداسًا حتى غاب بدعوة حسان فركب فى أبطاله وهجم على بنى قحطان فقتل جماعة من الفرسان وهرب بقية الأبطال فى الجبال. وكان غريب وأخوه قد ركبا فى مائة خيال وخرجا للصيد والقنص فما رجعا حتى انتصف النهار فوجدا الحمل وقومه ملكوا الحىّ وما فيه وأخذوا بنات الحى وأخذ مهدية ابنة مرداس وساقها مع السبى.

فلما نظر غريب إلى هذا الحال غاب عن الصواب وصاح على أخيه سهيم الليل وقال: «يا ابن الكرام نهبوا حيّنا وأخذوا حريمنا فدونك والأعداء وخلاص السبى والحريم». فحمل سهيم وغريب بالمائة فارس على الأعداء ولم يزد غريب إلا غيظًا وصار يحصد الرءوس ويسقى الأبطال من المنون كؤوسًا حتى وصل إلى الحمل ونظر إلى مهدية وهى مسبية فحمل على الحمل وطعنه وعن جواده قلبه. فما جاء وقت العصر حتى قتل أكثر الأعداء وانهزم الباقون وخلّص غريب السبى ورجع إلى البيوت ورأس الحمل على رمحه وهو ينشد:

أنا المعروف فى يوم المجال	وجن الأرض تفزع من خيالى
ولى سيف إذا هزت يمينى	تبادرت المنية من شمالى
ولى رمحٌ إذا نظروا إليه	يروا فيه سنانًا كالهلال
وأدعى بالغريب شجيع قومى	ولا أخشى إذا قلّت رجالى

فما فرغ غريب من شعره حتى وصل مرداس ونظر القتلى مطروحين والطير حائم عليهم يمينًا وشمالاً فطار عقله وارتجف قلبه فسلاه غريب وهناه بالسلامة وأخبره بجميع ما جرى للحى بعد غيابه، فشكره مرداس على ما فعل وقال: «ما خابت التربية فيك يا غريب». ونزل مرداس فى سرادقه ووقف الرجال حوله وصار أهل الحى يثنون على غريب ويقولون: «يا أميرنا لولا غريب ما سلم أحد من الحى». فشكره مرداس على ما فعل.

حكاية أسر مرداس عند أخ الحمل بن خالد

وكان غريب لما نظر الحمل سبى مهدية وخلصها منه وقتله قد رغب فى زواجها فافشى سره لبعض أصحابه فشاع فى الحىّ جميعه حتى وصل إلى مرداس فبرق ورعد وقام وقعد وشخر ونخر وسبّ الشمس والقمر، وقال: «هذا جزاء من يربى أولادًا لئامًا ولكن إن لم أقتل غريبًا ركبنى العار». ثم إنه استشار قومًا من عقلاء قومه فى قتل غريب وأظهر سرّه إليه. فقال له: «يا أمير إنه بالأمس خلص ابنتك من السبى فإن كان لا بد من قتله فاجعله على يد غيرك حتى لا يشكّ أحد فيك». فقال مرداس: «دبر لى حيلة فى قتله فما أعرف قتله إلا منك». فقال: «يا أمير ارصده حتى يخرج إلى الصيد والقنص وخذ معك مائة خيال واكمن له فى المغارة وغافله حتى ينتهى فاحملوا عليه وقطعوه وحينئذ تتبرأ من عاره». فقال مرداس: «هذا هو الصواب».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: واختار مرداس من قومه مائة وخمسين فارسًا عمالقة شدادا وأوصاهم وحرضهم على قتل غريب، ولم يزل يرقبه حتى خرج غريب ليصطاد وقد بعد فى الأودية والجبال، فذهب بفرسانه الأنجاس وكمنوا لغريب فى طريقه حتى يرجع من الصيد فيخرجون عليه ليقتلوه. فبينما مرداس وقومه كامنون بين الأشجار وإذا بخمسمائة من العمالقة هجموا عليهم فقتلوا منهم ستين وأسروا التسعين وكتفوا مرداسًا. وكان السبب فى ذلك أنه لما قُتل الحمل وقومه انهزم الباقون ولم يزالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا إلى أخيه وأعلموه بما جرى. فقامت قيامته وجمع العمالقة واختار منهم خمسمائة فارس طول كل واحد منهم خمسون ذراعًا لطلب ثأر أخيه فوقع بمرداس هو وأبطاله وجرى بينهم ما جرى فلما أسروا مرداسًا وقومه نزل أخو الحمل وقومه وأمرهم بالراحة وقال: «يا قوم إن الأصنام هوّنت علينا أخذ الثار فاحتفظوا على مرداس وقومه حتى أمضى بهم وأقتلهم أشنع قتلة». فنظر مرداس روحه مربوطًا وندم على ما فعل وقال: «هذا جزاء البغى». ونام القوم فرحين بالنصر ومرداس وأصحابه مربوطون وقد يئسوا من الحياة وأيقنوا بالوفاة.

حكاية فك غريب لمرداس وقومه من الأسر

هذا ما كان من أمر مرداس، وأما سهيم الليل فإنه دخل على أخته مهديّة وهو مجروح، فقامت له وقبلت يديه وقالت له: «لا شلت يداك ولا شمتت أعداؤك فلولا أنت وغريب ما خلصنا من السبى والأعداء، واعلم يا أخى أن أباك ركب فى مائة وخمسين فارسًا وهو يريد قتل غريب، وقد علمت أن غريبًا خسارة فى القتل لأنه صان عرضكم وخلص أموالكم». فلما سمع سهيم هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا ولبس آلة حربه وركب جواده وطلب المكان الذى يصطاد فيه أخوه فوجده اصطاد شيئًا كثيرًا. فتقدم إليه وسلّم عليه وقال: «يا أخى هل تسرح ولا تعلمنى؟» فقال غريب: «والله ما منعنى من ذلك إلا أنى رأيتك مجروحًا فقصدت راحتك». فقال سهيم: «يا أخى خذ حذرك من أبى». ثم حكى له ما جرى وأنه خرج

فى مائة وخمسين فارسًا يريدون قتله. قال غريب: «الله يرمى كيده فى نحره». ورجع غريب وسهيم طالبين الديار.

فأمسى عليهما المساء وسارا على ظهور الخيل حتى وصلا إلى الوادى الذى فيه القوم وسمعا صهيل الخيل فى ظلام الليل. فقال سهيم: «يا أخى هذا أبى وقومه كامنون فى هذا الوادى فتنح بنا عن هذا الوادى». وكان غريب قد نزل عن جواده وألقى لجامه لأخيه وقال له: «قف مكانك حتى أعود إليك». وسار غريب حتى رأى القوم فلم يجدهم من حيهم وسمعهم يذكرون مرداسًا ويقولون: «ما نقتله إلا فى أرضنا». فعرف أن مرداسًا عمه مربوط معهم وقال: «وحياة مهدية ما أروح حتى أخلص أباها ولا أشوش عليها». ولم يزل يفتش على مرداس حتى وقع به وهو مربوط فى الحبال. فقعد بجانبه وقال له: «سلامتك يا عمى من هذا الذل والاعتقال».

فلما نظر مرداس غريبًا خرج عقله وقال: «يا ولدى أنا فى جيرتك فخلصنى بحق التربية». فقال له غريب: «إذا خلصتك تعطينى مهدية؟» فقال له: «يا ولدى وحق ما أعتقد هى لك على طول الزمان». فحله وقال له: «امض نحو الخيل فإن ولدك سهيمًا هناك». فعند ذلك انسل مرداس حتى وصل إلى ولده سهيم ففرح به وهنأه بالسلامة. ولم يزل غريب يحل واحدًا بعد واحد حتى حل التسعين فارسًا وصار الكل بعيدًا عن الأعداء.

وأرسل غريب إليهم العدد والخيول وقال لهم: «اركبوا وتفرقوا حول الأعداء وصيحوا ويكون صياحكم يا آل قحطان، وإن صحا القوم فابعدوا عنهم وتفرقوا حولهم».

وصبر غريب إلى الثلث الأخير من الليل وصاح يا آل قحطان. وصاح قومه كذلك يا آل قحطان صيحة واحدة. فجاوبتهم الجبال حتى تخيل للأعداء أن القوم قد هجموا عليهم، فخطفوا سلاحهم جميعًا ووقعوا فى بعضهم قتلاً.

فتأخر غريب وقومه ولم تزل الأعداء يقتلون بعضهم بعضًا إلى أن طلع النهار. فحمل غريب ومرداس والتسعون بطلاً على بقية الأعداء فقتلوا منهم جملة وانهزم الباقون. وأخذ بنو قحطان الخيل الشاردة والعدد المهيَّأة وتوجهوا إلى حيهم. فلاقاهم المقيمون وفرحوا بسلامتهم ونزلوا فى خيامهم.

ونزل غريب فى خيمته واجتمع عليه شباب الحىّ وحياه الكبار والصغار. فلما نظر مرداس إلى غريب والشباب حوله بغضه أكثر من الأول والتفت إلى عشيرته وقال: «قد زاد بغض غريب فى قلبى وما غمنى إلا اجتماع هؤلاء حوله، وفى غد يطلب منى مهدية».

فقال له المشير: «يا أمير اطلب منه ما لا يقدر عليه». ففرح مرداس بهذا الرأى وبات إلى الصباح.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سفر غريب لقتل سعدان الغول

قالت شهر زاد: فلما أصبح الصباح جلس فى مرتبته ودارت العرب حوله، وجاء غريب برجاله والشباب حوله، فأقبل على مرداس وقبّل الأرض بين يديه. ففرح به وقام إليه وأجلسه بجنبه. فقال غريب: «يا عم قد وعدتنى وعدًا فانجزه». فقال مرداس: «يا ولدى هى لك على طول المدى ولكن أنت قليل المال». فقال غريب: «يا عم اطلب ما شئت حتى أغير على أمراء العرب فى مواطنهم، وعلى الملوك فى مدائنهم، وأجيء لك بمال يسدّ الخافقين». فقال مرداس: «يا ولدى إنى حلفت بجميع الأصنام أنى لا أعطى مهدية إلا لمن يأخذ لى ثارى، ويكشف عنى عارى». فقال غريب: «قل لى يا عمّ ثارك عند مَن من الملوك حتى أسير إليه وأكسر تخته على رأسه». فقال مرداس: «يا ولدى قد كان لى ولد بطل من الأبطال، فخرج فى مائة بطل لطلب الصيد والقنص فسار من واد إلى واد وقعد بين الجبال حتى وصل إلى وادى الأزهار وقصر صاصا بن شيت بن شداد بن عاد، وذلك المكان يا ولدى ساكن فيه رجل أسود طويل طوله سبعون ذراعًا يقاتل بالأشجار فيقتلع الشجرة من الأرض ويقاتل بها. فلما وصل ولدى إلى ذلك الوادى خرج عليه هذا الجبّار فأهلكه هو والمائة الفارس فما سلم منهم إلا ثلاثة أبطال أتوا أخبرونا بما جرى، فجمعت الأبطال وسرت لقتاله فما قدرنا عليه وأنا مقهور على ثار ولدى، وقد حلفت أنى لا أزوج ابنتى إلا لمن يأخذ ثار ولدى».

فلما سمع غريب كلام مرداس قال: «يا عمّ أنا أسير إلى هذا العملاق وآخذ ثار ولدك بعون الله - تعالى -». قال مرداس: «يا غريب إن ظفرت به تغنم منه ذخائر وأموالاً لا تأكلها نيران». فقال غريب: «اشهد لى بالزواج حتى يقوى قلبى وأسير فى طلب رزقى». فاعترف وأشهد كبار الحى. وانصرف غريب وهو فرحان ببلوغ الآمال. ودخل على أمه وأخبرها بما تم له، فقالت له: «يا ولدى اعلم أن مرداسًا يبغضك وما بعثك لذلك الجبل إلا ليعدمنى حسك فخذنى معك وارحل من ديار هذا الظالم». قال: يا أمى لا أرحل حتى أبلغ أملى وأقهر عدوى». وبات حتى أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح.

فما ركب جواده حتى أقبل أصحابه الشباب وكانوا مائتى فارس شدادًا وهم غارقون فى السلاح، وصاحوا على غريب وقالوا له: «سر بنا نعاونك ونؤانسك فى طريقك». ففرح غريب بهم وقال لهم: «جزاكم الله عنا خيرًا». ثم قال لهم: «سيروا يا أصحابى». فسار غريب بأصحابه أول يوم وثانى يوم. ثم نزلوا عند المساء تحت جبل شامخ وعلقوا على خيولهم، فغاب غريب يتمشى فى ذلك الجبل حتى وصل إلى مغار فطلع منه نور، فسار غريب إلى صدر المغار فوجد شيخًا له من العمر ثلاثمائة سنة وأربعون سنة. حاجباه غطيا عينيه وشارباه غطيا فمه.

فلما نظر غريب إلى ذلك الشيخ هابه واستعظم خلقته. فقال له الشيخ: «كأنك من الكفار يا ولدى الذين يعبدون الأحجار، دون الملك الجبّار، خالق الليل والنهار، والفلك الدوار».

فلما سمع غريب كلام الشيخ ارتعدت فرائصه وقال: «يا شيخ أين يكون هذا الرب حتى أعبده وأتملى برؤيته؟» قال الشيخ: «يا ولدى هذا الرب العظيم لا ينظره أحد فى الدنيا وهو يَرى ولا يُرى وهو بالمنظر الأعلى وهو حاضر فى كل مكان بآثار صنعه ومكون الأكوان ومدبر الزمان خلق الإنس والجان ويبعث الأنبياء لهداية الخلق إلى طريق الصواب فمن أطاعه أدخله الجنّة ومن

خلق الإنس والجان وبعث الأنبياء لهداية الخلق إلى طريق الصواب فمن أطاعه أدخله الجنَّة ومن عصاه أدخله النار». فقال غريب: «يا عمّ فما يقول من يعبد هذاالرب العظيم الذى هو على كل شيء قدير؟» قال الشيخ: «يا بنىّ إنى من قوم عاد الذين طغوا فى البلاد فكفروا فأرسل الله إليهم نبيًا اسمه هود فكذبوه فأهلكهم بالريح العقيم وكنت أنا آمنت مع جماعة من قومى فسلمنا من العذاب، وحضرتُ قوم ثمود وما جرى لهم مع نبيهم صالح، وأرسل الله - تعالى - بعد صالح نبيًا اسمه إبراهيم الخليل إلى نمرود بن كنعان وجرى له معه ما جرى. ومات قومى الذين آمنوا فصرت أعبد الله فى هذا المغار والله - تعالى - يرزقنى من حيث لا أحتسب.

فقال غريب: «يا عم ماذا أقول حتى أصير من حزب هذا الرب العظيم؟». قال له الشيخ: «قل لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله». فأسلم غريب قلبًا ولسانًا. قال له الشيخ: «ثبتت فى قلبك حلاوة الإسلام والإيمان». ثم علّمه شيئًا من الفرائض وشيئًا من الصحف وقال له: «ما اسمك؟» قال: «اسمى غريب». قال له الشيخ: «وأين تقصد يا غريب؟» فحكى له ما جرى من أوله إلى آخره حتى وصل إلى حديث غول الجبل الذى جاء فى طلبه. فقال له: «يا غريب هل أنت مجنون حتى تسير إلى غول الجبل وحدك؟» فقال له: «يا مولاى معى مائتا فارس».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فعند ذلك قال له الشيخ: «يا غريب ولو كان معك عشرة آلاف فارس ما تقدر عليه فإن اسمه الغول يأكل الناس نسأل الله السلامة، وهو من أولاد حام وأبوه هندى الذى عمر الهند وسمّى به وقد خلفه وسماه سعدان الغول. فكان يا ولدى جبّارًا عنيدًا وشيطانًا مريدًا ما له مأكول إلا ابن آدم، فنهاه أبوه قبل موته عن ذلك فما انتهى وزاد فى الطغيان.

فطرده أبوه بعد ذلك ونفاه من بلاد الهند بعد حروب وتعب عظيم. فجاء إلى هذه الأرض وتحصّن بها وسكن فيها وصار يقطع الطرق على الرائح والجائى ويرجع إلى مسكنه بهذا الوادى، ورُزق بخمسة أولاد غلاظ شداد يحمل أحدهم على ألف بطل، وقد جمع أموالاً وغنائم وخيلاً وجمالاً وبقرًا وغنمًا قد سدت الوادى، وأنا خائف عليك منه.

فأسأل الله - تعالى - أن ينصرك عليه بكلمة التوحيد، فإذا حملت على الكفار فقل: الله أكبر. فإنها تخذل من كفر». ثم إن الشيخ أعطى غريبًا عمودًا من فولاذ وزنه مائة رطل وفيه عشر حلقات إذا هزّه حامله طنت حلقاته مثل الرعد. وأعطاه سيفًا مجوهرًا من صاعقة طوله ثلاثة أذرع وعرضه ثلاثة أشبار إذا ضرب به صخرة قدّها نصفين. وأعطاه درعًا وترسًا ومصحفًا وقال له: «سر إلى قومك واعرض عليهم الإسلام».

فخرج غريب وهو فرحان بالإسلام وسار حتى وصل إلى قومه فتلقوه بالسلام وقالوا له: «ما أبطأك عنا؟» فحكى لهم جميعًا ما جرى له من أوله إلى آخره، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا جميعًا وباتوا إلى الصباح، فركب غريب وأتى الشيخ يودعه فودعه وخرج وسار حتى وصل إلى قومه. وإذا بفارس وهو بالحديد غاطس لم يظهر منه غير آماق البصر، فحمل على غريب وقال له: «اخلع ما عليك يا قطاعة العرب، وإلا رميتك بالعطب». فحمل غريب عليه وجرى بينهما حرب يشيب منها المولود، ويذيب من هولها الحجر الجلمود، فكشف البدوى البرقع فإذا

هو سهيم الليل أخو غريب من أمه ابن مرداس، وسبب خروجه وإتيانه إلى ذلك المحل أن غريبًا لما سار إلى غول الجبل كان سهيم غائبًا. فلما رجع لم ينظر غريبًا فدخل على أمه فوجدها تبكى فسألها عن سبب بكائها فأخبرته بما جرى من سفر أخيه، فما تمهل على نفسه ليستريح، فلبس آلة الحرب وركب جواده وسار حتى وصل إلى أخيه وجرى بينهما ما جرى.

حكاية أسر سعدان الغول مع أبنائه عند غريب

فلما كشف سهيم وجهه عرفه غريب وسلم عليه وقال: «ما حملك على هذا؟» قال له: «حتى أعرفك طبقتى معك فى الميدان وقدرى فى الضرب والطعان». وسارا. فعرض غريب على سهيم الإسلام فأسلم، ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على الوادى، فلما نظر غول الجبل غبار القوم قال: «يا أولادى اركبوا وائتونى بهذه الغنيمة». فركبت الخمسة وساروا نحوهم. فلما رأى غريب الخمسة العمالقة قد هجموا عليهم لكز جواده وقال: «من أنتم وما جنسكم وما تريدون؟» فتقدم فلحون بن سعدان غول الجبل وهو أكبر أولاده وقال: «انزلوا عن خيولكم وكتفوا بعضكم بعضًا حتى نسوقكم إلى أبينا يشوى بعضكم ويطبخ بعضكم، فإن له زمانًا طويلاً ما أكل آدميًا».

فلما سمع غريب هذا الكلام حمل على فلحون وهز العمود حتى طنّت حلقاته مثل الرعد القاصف فاندهش فلحون، فضربه غريب بالعمود وكانت ضربته خفيفة وقد وقعت بين أكتافه فسقط مثل النخلة السحوق. فنزل سهيم وبعض القوم على فلحون وكتفوه، ثم إنهم وضعوا فى رقبته حبلاً وسحبوه مثل البقرة. فلما رأى إخوته أخاهم أسيرًا حملوا على غريب فأسر منهم أربعة، والخامس فر هاربًا حتى دخل على أبيه. فقال له أبوه: «ما وراءك وأين إخوتك؟» فقال له: «أسرهم صبى ما خطّ عذاره طوله أربعون ذراعًا». فلما سمع غول الجبل كلام ابنه قال: «لا طرحت الشمس فيكم من بركة». ثم إنه نزل من الحصن واقتلع شجرة عظيمة وطلب غريبًا وقومه وهو راجل على قدميه لأن الخيل لم تحمله لعظم جثته. وتبعه ابنه وسارا حتى أشرفا على غريب وحمل على القوم من غير كلام وضرب بالشجرة فهشم خمسة رجال، وحمل على سهيم وضربه بالشجرة فزاغ عنها وراحت خالية، فغضب الغول ورمى الشجرة من يده وانقض على سهيم فخطفه مثل مايخطف الباشق العصفور.

فلما نظر غريب إلى أخيه وهو فى يد الغول صاح وقال: «الله أكبر يا جاه إبراهيم ومحمد ﷺ»، ووجه جواده إلى غول الجبل وهزّ العمود فطنّت حلقاته وصاح: «الله أكبر». وضرب غريب الغول بالعمود على صفّ أضلاعه فوقع فى الأرض مغشيًا عليه وانفلت سهيم من يديه. فما أفاق الغول إلا وهو مكتف مقيّد. فلما نظره ابنه وهو أسير ولّى هاربًا، فساق غريب جواده خلفه ثم ضربه بالعمود بين أكتافه فوقع عن جواده فكتفه عند إخوته وأبيه وأوثقوهم بالحبال وسحبوهم مثل الجمال، وساروا حتى وصلوا إلى الحصن فوجدوه ملآن بالخيرات والأموال والتحف ووجدوا ألفًا ومائتى أعجمى مربوطين مقيدين، فقعد غريب على كرسى غول الجبل وكان أصله لصاص بن شيت بن شداد بن عاد. وأوقف سهيمًا أخاه على يمينه ووقف أصحابه ميمنة وميسرة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: وبعد ذلك أمر بإحضار غول الجبل وقال له: «كيف رأيت روحك يا ملعون؟» فقال له: «يا سيدى فى أقبح حال من الذل والخبال أنا وأولادى مربوطون فى الحبال مثل الجمال». فقال غريب: «أريد أن تدخلوا فى دينى وهو دين الإسلام وتوحدوا الملك العلام، خالق الضياء والظلام، وخالق كل شىء لا إله إلا هو الملك الديان وتقروا بنبوة إبراهيم الخليل - عليه السلام -».

فأسلم غول الجبل وأولاده وحسن إسلامهم، فأمر بحلهم فحلُّوهم من الرباط، فبكى سعدان الغول وأقبل على أقدام غريب يقبلها وكذلك أولاده، فمنعهم من ذلك فوقفوا مع الواقفين، فقال غريب: «يا سعدان». فقال: «لبيك يا مولاى». فقال: «ما شأن هؤلاء الأعجام؟» فقال: «يا مولانا هذا صيدى من بلاد العجم وليسوا وحدهم». قال غريب: «ومن معهم؟» قال: «يا سيدى معهم ابنة الملك سابور ملك العجم واسمها فخر تاج ومعها مائة جارية كأنهم الأقمار».

حكاية التقاء غريب بفخر تاج ابنة الملك سابور

فلما سمع غريب كلام سعدان تعجب وقال: «كيف وصلت إلى هؤلاء؟» فقال: «يا أمير سرحت أنا وأولادى وخمسة عبيد من عبيدى فما وجدنا فى طريقنا صيدًا فتفرقنا فى البرارى والقفار فما وجدنا روحنا إلى فى بلاد العجم ونحن ندور على غنيمة نأخذها ولا نرجع خائبين. فلاحت لنا غبرة فأرسلنا عبدًا من عبيدنا ليعرف الحقيقة فغاب ساعة ثم عاد وقال: «يا مولاى هذه الملكة فخر تاج ابنة الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ومعها ألفا فارس وهم سائرون.

فقال للعبد: بشَّرت بالخير فليس غنيمة أعظم من هذه الغنيمة، ثم حملت أنا وأولادى على الأعجام فقتلنا منهم ثلاثمائة فارس وأسرنا ألفًا ومائتين وغنمنا ابنة سابور ومعها من التحف والأموال وجئنا بهم إلى هذا الحصن».

فلما سمع غريب كلام سعدان قال: «هل فعلت بالملكة فخر تاج معصية؟» قال: «لا وحياة رأسك وحق هذا الدين الذى دخلت فيه». فقال غريب: «قد فعلت حسنًا يا سعدان لأن أباها ملك الدنيا ولا بد أن يجرد العساكر خلفها ويخرب ديار الذين أخذوها، ومن لا يدرى العواقب ما الدهر له بصاحب، وأين هذه الجارية يا سعدان؟» فقال: «قد أفردت لها قصرًا هى وجواريها».

فقال: «أرنى مكانها». فقال: «سمعًا وطاعةً». فقام غريب وسعدان الغول يمشيان حتى وصلا إلى قصر الملكة فخر تاج فوجدوها حزينة ذليلة تبكى بعد العز والدلال. فلما نظرها غريب ظن أن القمر قريب منه فعظَّم الله السميع العليم، ونظرت فخر تاج إلى غريب فوجدته فارسًا صنديدًا والشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه، فقامت له وقبلت يديه وبعد يديه انكبت على رجليه وقالت له: «يا بطل الزمان أنا فى جيرتك فأجرنى من هذا الغول فأنا خائفة أن يأكلنى فخذنى أخدم جواريك». فقال غريب: «لكِ الأمان حتى تصلى إلى أبيك».

فدعت له بالبقاء وعز الارتقاء. فأمر غريب بحل الأعجام فحلوهم والتفت إلى فخر تاج وقال لها: «ما الذى أخرجك من قصرك إلى هذه البرارى والقفار حتى أخذكِ قطاع الطريق؟» فقالت له: «يا مولاى إن أبى وأهل مملكته وبلاد الترك والديلم والمجوس يعبدون النار دون الملك الجبار، وعندنا فى مملكتنا دير اسمه دير النار وفى كل عيد تجتمع فيه بنات المجوس وعباد النار ويقيمون فيه شهرًا مدة عيدهم ثم يعودون إلى بلادهم، فخرجت أنا وجوارىَّ على

العادة وأرسل معى أبى ألفى فارس يحفظوننى، فخرج علينا هذا الغول فقتل بعضنا وأسر الباقى وحبسنا فى هذا الحصن، وهذا ما جرى يا بطل الشجعان، كفاك الله نوائب الزمان».

فقال غريب: «لا تخافى فأنا أوصلك إلى قصرك ومحل عزك». فدعت له وقبلت يديه ورجليه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية سفر غريب مع فخر تاج إلى وادى الأزهار

قالت شهر زاد: ثم خرج من عندها وأمر بإكرامها وبات تلك الليلة حتى أصبح الصباح فقام وتوضأ وصلى ركعتين على ملة أبينا الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وكذا الغول وأولاده وجماعة غريب كلهم صلّوا خلفه.

ثم التفت غريب إلى سعدان وقال له: «يا سعدان أما تفرجنى على وادى الأزهار؟» قال: «نعم يا مولاى». فقام سعدان وأولاده وغريب وقومه والملكة فخر تاج وجواريها وخرج الجميع، فأمر سعدان عبيده وجواريه أن يذبحوا ويطبخوا الغداء ويقدموه بين الأشجار.

وكان عنده مائة وخمسون جارية وألف عبد ترعى الجمال والبقر والغنم، وسار غريب والقوم معه إلى وادى الأزهار.

فلما رآه وجد شيئًا بديعًا صنوانًا وغير صنوان وأطيارًا تغرّد بالألحان على الأغصان، والهزار يرجع بأنغام الألحان، والقمرى قد ملأ بصوته الأمكنة خلقة الرحمن، والبلبل يغرّد بحسن صوته كالإنسان، والشحرور يكلّ عن وصفه اللسان، والفاخت أضحى بصوته يهيم الإنسان، والمطوق تجاوبه الدرة بأفصح لسان، والأشجار المثمرة من كل فاكهة زوجان، والرمان حامض وحلو على الأفنان، والمشمش لوزى وكافورى ولوز خُراسان، والبرقوق يختلط بأشجاره أغصان البان، والنارنج كأنه مشاعل النيران، والكباد مالت به الأغصان، والليمون دواء لكل قرفان، والحامض يشفى من علة اليرقان، والبلح على أمه أحمر وأصفر صنع الله العظيم الشان وفى مثل هذا المكان يقول الشاعر الولهان:

وإذا ترنم طيرهُ بغديرهِ	يشتاقه الولهان فى الأسحارِ
فكأنه الفردوس فى نفحاته	ظلٌ وفاكهةٌ وماءٌ جارِ

فأعجب غريبًا هذا الوادى فأمر أن ينصبوا فيه سرادق فخر تاج الكسرويَّة فنصبوه بين الأشجار وفرشوه بالفرش الفاخر، وقعد غريب وجاءهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قال غريب: «يا سعدان».

قال: «لبيك يا مولاى». قال: «هل عندك شىء من الخمر؟» قال: «نعم عندى صهريج ملآن بشىء كثير فأكلوا وشربوا واستلذوا وطربوا وطرب غريب وتذكر أحباءه فأنشد يقول هذه الأبيات:

تذكرت أيام الوصال بقربكم	فهيج قلبى بالغرام لهيبُ
فوالله ما فارقتكم بإرادتى	ولكنّ تصريف الزمان غريبُ
سلامٌ وتسليمٌ وألف تحيةٍ	عليكم وإنى مدنفٌ وكئيبُ

حكاية سفر غريب مع فخر تاج إلى أبيها الملك سابور

ولم يزالوا يأكلون ويشربون ويتفرجون ثلاثة أيام. ثم رجعوا إلى الحصن ودعا غريب بسهيم أخيه فحضر. فقال له: «خذ معك مائة فارس وسر إلى أبيك وأمك وقومك بنى قحطان فائت بهم إلى هذا المكان ليعيشوا فيه بقية الزمان، وأنا أسير إلى بلاد العجم بالملكة فخر تاج إلى أبيها. وأنت يا سعدان أقم أنت وأولادك فى هذا الحصن حتى نعود إليك». فقال له: «ولِمَ لا تأخذنى معك إلى بلاد العجم؟» قال له: «لأنك أسرت ابنة سابور ملك العجم وإن وقعت عينه عليك أكل من لحمك وشرب من دمك».

فلما سمع غول الجبل ذلك ضحك ضحكًا عاليًا مثل الرعد القاصف وقال: «يا مولاى وحياة رأسك لو تجتمع على العجم والديلم لأسقينهم شراب العدم». فقال غريب: «أنت كما تقول ولكن اقعد فى حصنك حتى أعود إليك». فقال: «سمعًا وطاعةً». فرحل سهيم وتوجه غريب إلى بلاد العجم ومعه من قومه بنى قحطان ومعه الملكة فخر تاج وقومها وساروا قاصدين مدائن سابور ملك العجم.

هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر الملك سابور فإنه انتظر مجىء ابنته من دير النار فما عادت وفات الميعاد فالتهبت فى قلبه النار، وكان له أريمون وزيرًا وكان أكبرهم وأعرفهم وأعلمهم وزير اسمه ديدان. فقال له الملك: «يا وزير إن ابنتى أبطأت ولم يجئنا خبر عنها وقد فات ميعاد مجيئها فأرسل ساعيًا إلى دير النارليتحقق الأخبار» فقال: «سمعًا وطاعةً». ثم خرج الوزير ونادى مقدم السعاة وقال له: «سرْ من وقتك إلى دير النار». فخرج وسافر حتى وصل إلى دير النار وسأل الرهبان عن ابنة الملك فقالوا: «ما رأيناها فى هذا العام».

فعاد على أثره حتى وصل إلى مدينة أسبانير ودخل على الوزير وأعلمه بما كان. فدخل الوزير على الملك سابور وأعلمه، فقامت قيامته ورمى تاجه فى الأرض ونتف لحيته ووقع على الأرض مغشيًا عليه، فرَشُّوا عليه الماء فأفاق وهو باكى العين حزين القلب، فأنشد قول الشاعر:

ولما دعوت الصبر بعدك والبكى	أجاب البكى طوعًا ولم يجب الصبرُ
وإن كانت الأيام تفرق بيننا	فمن عادة الأيام سيمتها الغدرُ

ثم دعا الملك بعشرة قواد وأمرهم أن يركبوا بعشرة آلاف فارس وكل قائد يتوجه إلى إقليم ليفتش على الملكة فخر تاج، فبكوا وتوجه كل قائد وجماعته إلى إقليم.

وأما أم فخر تاج فإنها لبست هى وجواريها السواد وفرشوا الرماد وقعدوا فى البكاء والعديد.

حكاية قتال غريب مع الصمصام قاطع الطريق

هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر غريب وما جرى له فى طريقه من الأمر العجيب فإنه سار عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر لاحت له غبرة وارتفعت إلى عنان السماء، فدعا غريب بالأمير الذى يحكم على العجم فحضر. فقال له: «تحقق لنا خبر هذا الغبار الذى ظهر». فقال: «سمعًا وطاعةً». ثم ساق جواده حتى دخل تحت الغبار فنظر القوم وسألهم. فقال واحد منهم: «نحن من بنى هطال وأميرنا الصمصام بن الجراح ونحن دائرون

على شيء ننهبه وقومنا خمسة آلاف فارس». فرجع العجمى مسرعًا بجواده حتى وصل إلى غريب وأخبره بالأمر فصاح غريب على رجال بنى قحطان وعلى العجم وقال: «احملوا سلاحكم». فحملوه وساروا، فقابلتهم العربان وهم ينادون: «الغنيمة الغنيمة». فصاح غريب وقال: «أخزاكم الله يا كلاب العرب». ثم حمل وصدمهم وهو يقول: «الله أكبر يا لدين إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ووقع بينهم القتال وعظم النزال ودار السيف وكثر القيل والقال ولم يزالوا فى حرب حتى ولى النهار وأقبل الظلام فانفصلوا من بعضهم. وتفقد غريب القوم فوجد المقتول من بنى قحطان خمسة رجال ومن العجم ثلاثة وسبعين ومن قوم الصمصام ما يزيد على خمسمائة فارس. ثم نزل الصمصام ولم يطب له طعام ولا منام. ثم قال لقومه: «عمرى ما رأيت مثل قتال هذا الصبى لأنه تارة يقاتل بالسيف وتارة بالعمود. ولكنى أبرز له غدًا فى حومة الميدان وأطلبه إلى مقام الضرب والطعان وأقطع هؤلاء العربان».

وأما غريب فإنه لما رجع إلى قومه لاقته الملكة فخر تاج باكية مرعوبة من هول ما جرى، وقبّلت حله فى الركاب وقالت له: «لا شلت يداك ولا شمتت عداك يا فارس الزمان والحمد لله الذى سلمك فى هذا النهار. واعلم أننى خائفة عليك من هذه العربان». فلما سمع غريب كلامها ضحك فى وجهها وطيب قلبها وطمأنها وقال لها: «لا تخافى يا ملكة فلو كانت الأعداء ملء هذه البيداء لأفنيتهم بقوة العلى الأعلى» فشكرته ودعت له بالنصر على الأعداء. ثم إنها انصرفت إلى جواريها ونزل غريب فغسل يديه وما عليه من دم الكفار وباتوا إلى الصباح ثم ركب الفريقان وطلبوا الميدان ومقام الحرب والطعان.

فكان السابق للميدان غريب فساق جواده حتى قرب من الكفار وصاح: «هل من مبارز يخرج لى غير كسلان ولا عاجز؟» فبرز إليه عملاق من العمالقة الشداد من نسل قوم عاد، ثم حمل على غريب وقال: «يا قطاعة العرب خذ ما جاءك وابشر بالهلاك». وكان معه دبوس حديد وزنه عشرون رطلاً فرفع يده وضرب غريبًا فزاغ عنه فغاص الدبوس فى الأرض ذراعًا وقد انثنى العملاق مع الضربة فضربه غريب بالعمود فشق جبهته فخرّ صريعًا وعجل الله بروحه إلى النار. ثم إن غريبًا صال وجال وطلب البراز، فبرز له ثان فقتله وثالث وعاشر وكل من برز له قتله.

فلما نظر الكفار إلى قتال غريب وضرباته زاغوا منه وتأخروا عنه. ونظر أميرهم إليهم وقال: «لا بارك الله فيكم أنا أبرز له». فلبس آلة حربه وساق جواده حتى ساوى غريبًا فى حومة الميدان وقال له: «ويلك يا كلب العرب هل بلغ من قدرك أن تبارزنى فى الميدان وتقتل رجالى؟» فجاوبه غريب وقال: «دونك والقتال وخذ ثار من قُتل من الفرسان». فحمل الصمصام على غريب، فتلقاه بصدر رحيب وقلب عجيب، فتضارب الاثنان بالعمودين حتى حيرا الفريقين ورمقتهما كل عين وقد جالا فى الميدان وضربا بعضهما ضربتين، فأما غريب فإنه خيّب ضربة الصمصام فى الحرب والاصطدام، وأما الصمصام فسقطت عليه ضربة غريب فخسفت

صدره وأوقعته فى الأرض قتيلاً، فحمل قومه على غريب حملة واحدة وحمل غريب عليهم وصاح: «الله أكبر فتح ونصر وخزل من كفر بدين إبراهيم الخليل - عليه السلام -».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما سمع الكفار ذكر الملك الجبار الواحد القهار الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: «ما هذا الكلام الذى أرعد فرائصنا وأضعف هممنا وقصر أعمارنا فما سمعنا فى عمرنا أطيب من هذا الكلام». ثم إنهم قالوا لبعضهم: «ارجعوا عن القتال حتى نسأل عن هذا الكلام». فرجعوا عن القتال ونزلوا عن الخيول واجتمع كبارهم وتشاوروا وطلبوا المسير إلى غريب وقالوا: «يمضى إليه منا عشرة». واختاروا عشرة من خيارهم فتوجهوا إلى خيام غريب. وأما غريب وقومه فإنهم نزلوا فى خيامهم وتعجبوا من رجوع القوم عن الحرب.

حكاية إسلام قوم الصمصام

فبينما هم كذلك وإذا بالعشرة الرجال قد أقبلوا وطلبوا الحضور بين يدى غريب وقبلوا الأرض ودعوا له بالعزّ والبقاء. فقال لهم: «ما لكم رجعتم عن القتال؟» فقالوا: «يا مولانا أرعبتنا بالكلام الذى صحت به علينا». فقال لهم: «ما تعبدون من النصب؟» فقالوا: «نعبد ودًّا وسواعًا ويغوث أرباب قوم نوح». قال غريب: «إنّا لا نعبد إلا الله - تعالى - خالق كل شىء ورازق كل حى وهو الذى خلق السموات والأرض وأرسى الجبال وأنبع الماء من الأحجار وأنبت الأشجار ورزق الوحوش فى القفار فهو الله الواحد القهار». فلما سمع القوم كلام غريب انشرحت صدورهم بكلمة التوحيد وقالوا: «إن هذا الإله رب عظيم راحم رحيم». ثم قالوا: «فما نقول حتى نصير مسلمين؟» قال غريب: «قولوا لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله». فأسلم العشرة إسلامًا صحيحًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم قال غريب: «إن صحت حلاوة الإسلام فى قلوبكم فامضوا إلى قومكم وأعرضوا عليهم الإسلام فإن أسلموا سلموا وإن أبوا نحرقهم بالنار». فسار العشرة حتى وصلوا إلى قومهم وعرضوا عليهم دين الإسلام وشرحوا لهم طريق الحق والإيمان، فأسلموا قلبًا ولسانًا وسعوا على الأقدام حتى وصلوا إلى خيام غريب وقبلوا الأرض بين يديه ودعوا له بالعز وعلو الدرجات وقالوا: «يا مولانا نحن صرنا عبيدك فأمرنا بما تريد فإنا لك سامعون مطيعون وما بقينا نفارقك لأن الله هدانا على يديك». فجازاهم خيرًا وقال لهم: «امضوا إلى منازلكم وارتحلوا بأموالكم وأولادكم واسبقونا على وادى الأزهار وحصن صاصا بن شيت حتى أشيع فخر تاج ابنة الملك سابور ملك العجم وأعود إليكم». فقالوا: «سمعًا وطاعةً».

ثم إنهم رحلوا من وقتهم وقصدوا حيّهم وهم فرحون بالإسلام، وعرضوا الإسلام على عيالهم وأولادهم، ثم هدوا بيوتهم وأخذوا أموالهم ومواشيهم ورحلوا إلى وادى الأزهار. فخرج غول الجبل وأولاده، واستقبلوا القوم. وكان غريب أوصاهم وقال لهم: «إذا خرج إليكم غول الجبل وأراد أن يبطش بكم فاذكروا الله خالق كل شىء فإنه متى سمع ذكر الله - تعالى - يرجع عن القتال ويلقاكم بالترحيب». فلما خرج غول الجبل بأولاده وأراد أن يبطش بهم أعلنوا بذكر الله - تعالى - فتلقاهم بأحسن ملتقى وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم مع غريب. ففرح بهم سعدان وأنزلهم وغمرهم بالإحسان.

حكاية وصول غريب مع فخر تاج عند الملك سابور

هذا ما جرى لهم. وأما غريب فإنه رحل بالملكة فخر تاج وتوجه إلى مدينة أسبانير، فسار خمسة أيام وفى اليوم السادس ظهر له غبار فأرسل رجلاً من الأعجام يتحقق له الأخبار. فسار إليه ثم عاد أسرع من الطير إذ طار وقال: «يا مولاى هذا غبار ألف فارس من أصحابنا الذين أرسلهم الملك يفتشون على الملكة فخر تاج». فلما بلغ غريبًا ذلك أمر أصحابه بالنزول وأن يضربوا الخيام، فنزلوا وضربوا خيامهم حتى وصل إليهم القادمون فتلقاهم رجال الملكة فخر تاج، وأخبروا طومان الحاكم عليهم وأعلموه بالملكة فخر تاج.

فلما سمع طومان بذكر الملك غريب دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وسأله عن حال الملكة فأرسله إلى خيمتها، فدخل عليها وقبل يديها ورجليها وأخبرها بما جرى لأبيها وأمها، فأخبرته بجميع ما جرى لها وكيف خلصها غريب، من غول الجبل وإلا كان أكلها. ثم قالت: «فواجب على أبى أن يعطيه نصف ملكه». ثم إن طومان قام وقبل يدى غريب ورجليه وشكر إحسانه وقال: «عن إذنك يا مولاى هل أرجع إلى مدينة أسبانير فأبشر الملك؟». فقال له: «توجه وخذ منه البشارة». فسار طومان ورحل غريب بعده. فأما طومان فإنه جدّ فى السير حتى أشرف على أسبانير المدائن فطلع إلى القصر وقبل الأرض قدام الملك سابور. فقال الملك: «ما الخبر يا بشير الخير؟» فقال له طومان: «ما أقول حتى تعطينى بشارتى». فقال له الملك: «بشرنى حتى أرضيك». فقال: «يا ملك الزمان أبشر بالملكة فخر تاج».

فلما سمع سابور ذكر ابنته وقع مغشيًا عليه، فرشوا عليه ماء الورد فأفاق وصاح على طومان وقال له: «تقرّب إلى وبشرنى». فتقدم وشرح له ما جرى للملكة فخر تاج. فلما سمع ذلك الكلام خبط كفيه على بعضهما وقال: «مسكينة يا فخر تاج». ثم إنه أمر لطومان بعشرة آلاف دينار وأنعم عليه بمدينة أصبهان وأعمالها. ثم صاح على أمرائه وقال: «اركبوا بأجمعكم حتى نلاقى الملكة فخر تاج». ودخل الخادم الخاص فأعلم أمها وكامل الحريم ففرحن بذلك. وخلعت أمها على الخادم خلعة وأعطته ألف دينار. وسمع أهل المدينة بذلك فزينوا الأسواق والبيوت، وركب الملك وطومان وساروا حتى رأوا غريبًا فترجل الملك سابور ومشى خطوات ليستقبل غريبًا. وترجل غريب ومشى إليه واعتنقا وانكب سابور على يدى غريب فقبلهما وشكر إحسانه. ونصبوا الخيام قبال الخيام.

حكاية ملاقاة فخر تاج مع أبيها وأمها

ودخل سابور على ابنته فقامت له واعتنقته وصارت تحدثه بما جرى لها وكيف خلصها غريب من قبضة غول الجبل. فقال لها أبوها: «وحياتك يا سيدة الملاح إنى أعطيه حتى أغمره بالعطاء». فقالت له: «صاهره يا أبتِ حتى يكون لك عونًا على الأعداء فإنه شجاع». وما قالت هذا الكلام إلا لأن قلبها تعلق بغريب. فقال: «يا ابنتى أما تعلمين أن الملك خردشاه رمى الديباج ووهب مائة ألف دينار وهو ملك شيراز وأعمالها وهو صاحب ملك وجنود وعساكر؟» فلما سمعت فخر تاج كلام أبيها قالت: «يا أبتِ ما أريد ما ذكرت لى وإن أكرهتنى على ما لا أريد قتلت روحى». فخرج الملك وتوجّه إلى غريب فقام له وجلس سابور وصار لا يشبع نظره من غريب وقال فى نفسه: «والله إن ابنتى معذورة حيث أحبَّت هذا البدوى». ثم حضر الطعام فأكلوا وباتوا ثم أصبحوا سائرين إلى أن وصلوا إلى المدينة. ودخل الملك وغريب فى ركابه وكان لهم يوم عظيم. ودخلت فخر تاج قصرها ومحل عزها وتلقتها أمها وجواريها وقمنَ بالفرح والزغاريد.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وجلس الملك سابور على كرسى مملكته وأجلس غريبًا عن يمينه ووقف الملوك والحجاب والأمراء والنواب والوزراء ميمنة وميسرة، وقد هنأوا الملك بابنته. فقال الملك لأرباب دولته: «من أحبنى يخلع على غريب». فوقع عليه خلع مثل المطر وأقام غريب فى الضيافة عشرة أيام، ثم أراد المسير فخلع عليه الملك وحلف بدينه أنه لا يرحل إلا بعد شهر. فقال غريب: «يا ملك إنى خطبت ابنة من بنات العرب وأريد أن أرحل إليها». فقال الملك: «أيّهما أحسن مخطوبتك أم فخر تاج» فقال غريب: «يا ملك الزمان أين العبد من المولى؟» فقال الملك: «فخر تاج صارت جاريتك لأنك خلصتها من مخالب الغول وما لها بعل سواك». فقام غريب وقبّل الأرض وقال: «يا ملك الزمان أنت ملك وأنا رجل فقير، وربما تطلب مهرًا ثقيلاً». فقال له الملك سابور: «يا ولدى اعلم أن الملك خردشاه صاحب شيراز وأعمالها خطبها وجعل لها مائة ألف دينار وأنا قد اخترتك دون الناس أجمعين وقد جعلتك سيف مملكتى وترس نقمتى». ثم التفت إلى كبراء قومه وقال: «اشهدوا علىّ يا أهل مملكتى أنى زوجت ابنتى فخر تاج لولدى غريب».

فعند ذلك صافحه وصارت زوجته. فقال له غريب: «اشرط على مهرًا أحمله إليك فإن عندى فى حصن صاصا مالاً وذخائر لا تحصى». فقال سابور: «يا ولدى ما أريد منك مالاً ولا ذخائر ولا آخذ مهرها إلا رأس الجمرقان ملك الدشت ومدينة الأهواز». فقال: «يا ملك الزمان سوف أمضى وأجىء بقومى وأسير لعدوى وأخرب دياره». فجازاه الملك خيرًا وانفض القوم والأكابر. وظنّ الملك أن غريبًا إذا توجه إلى الجمرقان ملك الدشت لا يعود أبدًا. فلما أصبح الصباح ركب الملك وركب غريب وأمر العسكر بالركوب فركبوا ونزلوا الميدان. فقال لهم الملك: «العبوا بالرماح وفرّحوا قلبى». فلعب أبطال العجم بعضهم مع بعض.

ثم قال غريب: «يا ملك الزمان مرادى أن ألعب مع فرسان العجم على شرط». فقال له:

«وما شرطك؟» قال له: سألبس ثوبًا رفيعًا على البدن وآخذ رمحًا بلا سنان وأجعل عليه خرقة مغموسة بالزعفران ويبرز لى كل شجاع ويطل رمحه بسنان فإن غلبنى فقد وهبته روحى وإن غلبته علمت عليه فى صدره فيخرج من الميدان». فصاح الملك على نقيب الجيش أن يقدم أبطال العجم، فانتخب ألفًا ومائتين من ملوك العجم واختارهم أبطالاً شجعانً. وقال لهم الملك بلسان العجم: «كل من قتل هذا البدوى يتمنى علىّ حتى أرضيه». فتسابقوا إلى غريب وحملوا عليه وقد بان الحق من الباطل والجدّ من المزاح وقال: «توكلت على الله إله إبراهيم الخليل وإله كل شيء قدير الذى لا يخفى عليه شيء وهو الواحد القهار، الذى لا تدركه الأبصار».

فبرز له عملاق من أبطال العجم، فما أمهله فى الثبات قدامه حتى علّم عليه وملأصدره بالزعفران، ولما ولى لطشه غريب بالرمح على رقبته فوقع فى الأرض وحمله غلمانه من الميدان. فبرز له ثان فعلّم عليه وثالث ورابع وخامس. ولم يزل يبرز له بطل بعد بطل حتى علّم على الجميع ونصره الله - تعالى - عليهم وطلعوا من الميدان، وقدّم لهم الطعام فأكلوا وأحضروا الشراب فشربوا. فشرب غريب وطاش عقله فقام يزيل ضرورة وأراد أن يعود فتاه ودخل فى قصر فخر تاج. فلما رأته خرج عقلها وصاحت على جواريها وقالت: «اخرجن إلى مواضعكن». فتفرقن وتوجهن إلى مواضعهن. ثم قامت وقبلت يد غريب وقالت: «مرحبًا بسيدى الذى أعتقنى من الغول فأنا جاريتك على الدوام». فبات عندها إلى الصباح.

هذا ما جرى والملك يظن أن غريبًا مضى. فلما أصبح الصباح دخل على الملك فقام له وأجلسه بجانبه. ثم دخل الملوك وقبلوا الأرض ووقفوا ميمنة وميسرة وصاروا يتحدثون فى شجاعة غريب ويقولون: «سبحان من أعطاه الشجاعة على صغر سنه». فبينما هم فى الكلام إذا نظروا من الشباك غبار خيل مقبلة. فصاح الملك على السعاة وقال: «ويلكم ائتونى بخبر هذا الغبار». فسار فارس منهم حتى كشف الغبار وعاد وقال: «أيها الملك وجدنا تحت الغبار مائة فارس من الفرسان أميرهم يقال له سهيم الليل». فلما سمع غريب هذا الكلام قال: «يا مولاى هذا أخى كنت بعثته فى حاجة وأنا خارج لألاقيه».

ثم ركب غريب فى قومه المائة فارس من بنى قحطان، وركب معه ألف من العجم وسار فى موكب عظيم ولا عظمة إلا لله. ولم يزل غريب سائرًا حتى وصل إليه فترجل الاثنان واعتنقا ثم ركبا. فقال غريب: «يا أخى هل أوصلت قومك إلى حصن صاصا ووادى الأزهار؟» فقال: «يا أخى إن الكلب الغدار لما سمع أنك ملكت حصن غول الجبل زاد به الضجر وقال: إن لم أرحل من هذه الديار يجيء غريب فيأخذ ابنتى مهدية بلا صداق، ثم أخذ ابنته وأخذ قومه وعياله وماله وقصد أرض العراق ودخل الكوفة واحتمى بالملك عجيب وهو طالب أن يعطيه ابنته مهدية».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع غريب كلام أخيه سهيم الليل كادت روحه أن تزهق من القهر وقال: «وحق دين الإسلام دين الخليل إبراهيم وحق الرب العظيم لأسيرن إلى أرض العراق، وأقيم الحرب فيها على ساق». ودخل المدينة وطلع غريب وأخوه سهيم الليل إلى قصر الملك

وقبلوا الأرض. فقام الملك لغريب وسلم على سهيم. ثم إن غريبًا أخبر الملك بما جرى. فأمر له بعشرة قواد مع كل قائد عشرة آلاف فارس من الشجعان العرب والعجم. فجهزوا حالهم فى ثلاثة أيام، ثم رحل غريب وسار حتى وصل إلى حصن صاصا. فخرج له غول الجبل وأولاده ولاقوا غريبًا. ثم ترجل سعدان وأولاده وقبلوا أقدام غريب فى الركاب وحكى لغول الجبل ما جرى. فقال: «يا مولاى اقعد فى حصنك وأنا أسير بأولادى وأجنادى نحو العراق وأخرب مدينة الرستاق وأجيء بجميع جنودها مربوطين بين يديك فى أشد الوثاق». فشكره غريب وقال: «يا سعدان نسير كلنا». فجهز حاله وفعل ما أمره وساروا كلهم وتركوا فى الحصن ألف فارس يحفظونه وراحوا قاصدين العراق.

حكاية ذهاب مرداس عند عجيب وقتل عجيب أم غريب

هذا ما كان من أمر غريب. وأما ما كان من أمر مرداس فإنه سار بقومه حتى وصل أرض العراق وأخذ معه هدية حسنة ومضى بها إلى الكوفة وأحضرها قدام عجيب. ثم قبل الأرض ودعا له الملوك وقال: «يا سيدى إنى أتيت مستجيرًا بك». فقال: «من ظلمك حتى أجيرك منه ولو كان سابور ملك العجم والترك والديلم». فقال مرداس: «يا ملك الزمان ما ظلمنى إلا صبى ربيته فى حجرى، وقد وجدته فى حجر أمه فى وادٍ فتزوجت بأمه فجاءت منى بولد فسميته سهيم الليل. وولدها اسمه غريب فنشأ فى حجرى وطلع صاعقة محرقة وداهية عظيمة فقتل حسان سيد بنى نبهان وأفنى الرجال وقهر الفرسان، وعندى ابنة ما تصلح إلا لك، وقد طلبها منى فطلبت منه رأس غول الجبل، فسار له وبارزه وصار من جملة رجاله. وسمعت أنه أسلم وصار يدعو الناس إلى دينه وخلّص ابنة سابور من الغول وملك حصن صاصا بن شيت بن شداد بن عاد وفيه ذخائر الأولين والآخرين وكنوز السابقين، وقد سار يشيع ابنة سابور وما يرجع إلى بأموال العجم». فلما سمع عجيب كلام مرداس اصفر لونه وتغير حاله وأيقن بهلاك نفسه وقال: «يا مرداس وهل أمّ هذا عندك أو عنده؟» قال: «عندى فى خيامى». قال: «فما اسمها؟» قال: «اسمها نصرة». قال: «هى إياها». فأرسل أحضرها. فنظر عجيب إليها فعرفها فقال: «يا ملعونة أين العبدان اللذان أرسلتهما معكِ؟» قالت: «قتل بعضهما بعضًا على شانى». فسل عجيب سيفه وضربها فشقها نصفين وسحبوها ورموها. ودخل فى قلبه الوسواس فقال: «يا مرداس زوجنى ابنتك». فقال مرداس: «هى من بعض جواريك وقد زوجتك بها وأنا عبدك». فقال عجيب: «مرادى أن أنظر إلى هذا اللئيم غريب حتى أهلكه وأذيقه أصناف العذاب». وأمر لمرداس بثلاثين ألف دينار مهر ابنته ومائة شقة من الحرير منسوجة بطراز الذهب مزركشة ومائة مقطع بحاشية ومناديل وأطواق ذهب. ثم خرج مرداس بهذا المهر العظيم فاجتهد فى جهاز مهدية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية وصول غريب إلى الجزيرة عند عمه الدامغ

قالت شهر زاد: هذا ما جرى لهؤلاء. وأما ما كان من أمر غريب فإنه سار حتى وصل إلى الجزيرة وهى أول بلاد العراق وهى مدينة حصينة منيعة، فأمر غريب بالنزول عليها، فلما نظر أهل المدينة نزول العسكر عليهم أغلقوا الأبواب وحصنوا الأسوار وطلعوا عند الملك فأعلموه، فنظر من شرفات القصر فنظر عسكرًا جرارًا وكلهم أعجام. فقال: «يا قوم ما يريد هؤلاء الأعجام؟» فقالوا: «لا ندرى». وكان الملك اسمه الدامغ لأنه يدمغ الأبطال فى حومة الميدان. وكان من جملة أعوانه رجل شاطر كأنه شعلة نار، اسمه سبع القفار، فدعاه الملك وقال له: «امض إلى هذا العسكر، وانظر أخبارهم وما يريدون منا وارجع عاجلاً». فخرج سبع القفار كأنه الريح إذا سار، حتى وصل إلى خيام غريب، فقام جماعة من العرب فقالوا: «من أنت وما تريد؟» فقال: «أنا قاصد ورسول من عند صاحب المدينة إلى صاحبكم». فأخذوه وشقوا به الخيام والمضارب والأعلام حتى وصلوا به إلى سرادق غريب فدخلوا عليه وأعلموه به فقال: «ائتونى به».

فلما دخل قبل الأرض ودعا له بدوام العز والبقاء. قال له غريب: «ما حاجتك؟» قال: «أنا رسول صاحب مدينة الجزيرة الدامغ أخ الملك كندمر صاحب مدينة الكوفة وأرض العراق». فلما سمع غريب كلام الرسول جرت دموعه مدرارًا ونظر إلى الرسول وقال له: «ما اسمك؟» قال: «اسمى سبع القفار» قال له: «امض إلى مولاك وقل له إن صاحب هذه الخيام اسمه غريب بن كندمر صاحب الكوفة الذى قتله ابنه وقد أتى إلى أخذ الثأر من عجيب الكلب الغدار». فخرج الرسول حتى وصل إلى الملك الدامغ وهو فرحان، ثم قبل الأرض، قال الملك: «ما وراءك يا سبع القفار؟» قال: «يا مولاى إن صاحب هذا العسكر ابن أخيك». ثم حكى له جميع الكلام. فظنّ أنه فى المنام وقال: «يا سبع القفار هل الذى قلته حق؟» قال له: «وحياة رأسك إنه حق».

فعند ذلك أمر كبار قومه بالركوب فركبوا وركب الملك وساروا حتى وصلوا إلى الخيام. فلما علم غريب بحضور الملك الدامغ خرج إليه ولاقاه واعتنق الاثنان وسلما على بعضهما ورجع غريب بالملك إلى الخيام وجلسا على مراتب العزّ وفرح الدامغ بغريب ابن أخيه، ثم التفت الملك الدامغ إلى غريب وقال له: «إن فى قلبى حسرة من ثأر أبيك وما لى قدرة على الكلب أخيك لأن عسكره كثير وعسكرى قليل. قال غريب: «يا عم ها أنا قد أتيت آخذ الثأر وأزيل العار وأخلى منه الديار». قال الدامغ: «يا ابن أخى إن لك ثأرين ثأر أبيك وثأر أمك». فقال غريب: «ما بال أمى؟» قال: «قتلها عجيب أخوك». فقال غريب: «يا عم وما سبب قتلها؟» فحكى له ما جرى لأمه وكيف زوج مرداس ابنته بعجيب وهو يريد أن يدخل عليها.

حكاية وصول غريب إلى بابل وقتاله مع الملك جمك

فلما سمع غريب كلام عمه طار عقله من رأسه وغشى عليه حتى كاد أن يهلك. فكلما صحا من غشيته صاح فى عسكره وقال: «اركبوا». قال الدامغ: «يا ابن أخى اصبر حتى أهيئ حالى وأركب فى رجالى وأسير معك فى ركابك». فقال: «يا عم ما بقى لى صبر فجهز حالك والحقنى فى الكوفة». ثم إن غريبًا سار حتى وصل إلى مدينة بابل وقد ارتعب أهلها. وكان فيها

ملك اسمه جمك وكان تحت يده عشرون ألف فارس واجتمع عنده من القرى خمسون ألف فارس وضربوا الخيام قبال بابل. ثم كتب غريب كتابًا وأرسله لصاحب بابل. فسار الرسول ولما وصل إلى المدينة صاح وقال: «إنى رسول». فسار بواب الباب متوجهًا إلى الملك جمك وأخبره بالرسول. فقال: «ائتنى به».

فخرج البواب وأتى بالرسول بين يدى الملك، فقبل الأرض وأعطى جمكًا الكتاب ففكه وقرأه فإذا فيه: «الحمد لله رب العالمين رب كل شىء ورازق كل حى وهو على كل شىء قدير. من عند غريب ابن الملك كندمر صاحب العراق وأرض الكوفة إلى جمك. فساعة وصول الكتاب إليك لا يكن جوابك إلا أن تكسر الأصنام، وتوحّد الملك العلام، خالق النور والظلام، وخالق كل شىء وهو على كل شىء قدير، وإن لم تفعل ما أمرتك به جعلت اليوم عليك من أشأم الأيام، والسلام على من اتبع الهدى، وخشى العواقب والردى، وأطاع الملك الأعلى، رب الآخرة والأولى، الذى يقول للشىء كن فيكون».

حكاية أسر غول الجبل للملك جمك

فلما قرأ الكتاب ازرقّت عيناه واصفر وجهه وصاح على الرسول وقال له: «امض إلى صاحبك وقل له: غدًا عند الصباح، يكون الحرب والكفاح، ويبان الجحجاح». فمضى الرسول وأعلم غريبًا بما كان فأمر غريب قومه بأخذ الأهبة للقتال، ثم أمر جمك بنصب الخيام قبال خيام غريب وأخرج العساكر مثل البحر الزاخر وباتوا على نية القتال. فلما أصبح الصباح ركبت الطائفتان واصطفتا صفوفًا ودقوا الكاسات ورمحوا على الصافنات فملأوا الأرض والفلوات وتقدمت الأبطال، وكان أول من برز إلى ميدان الحرب والنزال غول الجبل وعلى كتفه شجرة هائلة. فصاح بين الفريقين وقال: «أنا سعدان الغول». ونادى: «هل من مبارز هل من مناجز؟ لا يأتينى كسلان ولا عاجز». ثم صاح على أولاده: «يا ويلكم فائتونى بالحطب والنار لأننى جائع».

فصاحوا على عبيدهم فجمعوا الحطب وأشعلوا النار وسط الميدان، فبرز له رجل من الكفار عملاق من العمالقة العتاة وعلى كتفه عمود مثل صارى مركب فحمل على سعدان وقال: «يا ويلك يا سعدان». فلما سمع كلام العملاق ساءت منه الأخلاق ولف الشجرة فأمرت فى الهواء وضرب بها العملاق فلاقى الضربة بالعمود فنزلت الشجرة بثقلها مع عمود العملاق على دماغه فهشمته ووقع كالنخلة السحوق. فصاح سعدان على عبيده وقال: «اسحبوا هذا العجل الثمين واشووه سريعًا». فأسرعوا وسلخوا العملاق وشووه وقدموه لسعدان الغول فأكله ومرمش عظامه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما نظر الكفار إلى ما فعل سعدان بصاحبهم اقشعرت جلودهم وأبدانهم وانعكست أحوالهم وتغيرت ألوانهم وقالوا لبعضهم: «كل من خرج لهذا الغول أكله ومرمش عظامه وأعدمه نسيم الدنيا». فتوقفوا عن القتال وقد فزعوا من الغول وأولاده. ثم ولوا هاربين وإلى بلدهم قاصدين. فعند ذلك صاح غريب على قومه وقال: «عليكم بالمنهزمين». فحمل

العجم والعرب على ملك بابل وقومه وأوقعوا فيهم ضرب السيف حتى قتلوا منهم عشرين ألفًا أو يزيد وازدحموا فى الباب فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ولم يقدروا على غلق الباب فهجمت عليهم العرب والعجم. وأخذ سعدان عمودًا من بعض القتلى وهزه قدام القوم ونزل به فى الميدان، ثم هجم على قصر الملك جمك فواجهه وضربه بالعمود فوقع على الأرض مغشيًا عليه، وحمل سعدان على من فى القصر فجعلهم هشيمًا. فصاحوا: «الأمان الأمان».

فعند ذلك قال لهم سعدان: «كتفوا ملككم». فكتفوه وحملوه وساقهم سعدان قدامه مثل الغنم بعد فناء أكثر أهل المدينة بسيوف عسكر غريب وأوقفهم قدام غريب، فلما أفاق جمك ملك بابل من غشيته وجد نفسه مربوطًا. والغول يقول: «الليلة أتعشى بهذا الملك جمك». فلما سمعه جمك التفت إلى غريب وقال له: «أنا فى جيرتك». قال غريب: «أسلم تسلم من الغول، ومن عذاب الحى الذى لا يزول». فأسلم جمك قلبًا ولسانًا. فأمر غريب بحل كتافه. ثم عرض الإسلام على قومه فأسلموا جميعًا وقد وقفوا فى خدمة غريب. ودخل جمك مدينته وأخرج الطعام والشراب وباتوا على بابل. فلما أصبح الصباح أمر غريب بالرحيل وساروا حتى وصلوا إلى ميافارقين فرأوها خالية من أهلها. وكان أصحابها قد سمعوا ما جرى لبابل فأخلوا الديار وساروا حتى وصلوا إلى مدينة الكوفة فأخبروا عجيبًا بما جرى. فقامت قيامته وجمع أبطاله وأخبرهم بقدوم غريب وأمرهم أن يأخذوا الأهبة لقتال أخيه. وقد أحصى قومه فكانوا ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل، ثم طلب غيرهم للحضور فحضر له خمسون ألفًا من فارس وراجل. ثم ركب فى عسكر جرار وسار خمسة أيام فوجد عسكر أخيه نازلاً بالموصل فنصب خيامه قبال خيامهم. ثم كتب غريب كتابًا والتفت إلى رجاله وقال: «من فيكم يوصل هذا الكتاب إلى عجيب؟» فوثب سهيم قائمًا وقال: «يا ملك الزمان أنا أروح بكتابك وأجىء بجوابك». فأعطاه الكتاب وسار به إلى سرادق عجيب، فأخبروا عجيبًا فقال: «ائتونى به».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية قتال سهيم وقتال عسكر عجيب وغريب

قالت شهر زاد: فلما أحضروه بين يديه قال له: «من أين جئت؟» قال: «جئتك من عند ملك العجم والعرب صهر كسرى ملك الدنيا وقد أرسل إليك كتابًا فردَّ جوابه». قال له عجيب: «هات الكتاب». فأعطاه إياه ففكه وقرأه فوجد فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، والسلام على الخليل إبراهيم. أما بعد فساعة وصول الكتاب إليك توحد الملك الوهاب، مسبب الأسباب، مسيّر السحاب، وتترك عبادة الأصنام. فإن أسلمت كنت أخى والحاكم علينا وأترك لك ذنب أبى وأمى ولا أؤاخذك بما فعلت، وإن لم تفعل ما أمرتك به قطعت عنقك وأخربت ديارك وعجلت عليك، وقد نصحت والسلام على من اتبع الهدى، وأطاع الملك الأعلى». فلما قرأ عجيب كلام غريب وفهم ما فيه من التهديد صارت عيناه فى أم رأسه وقرش على أضراسه واشتد غضبه. ثم مزق الكتاب ورماه. فصعب على سهيم فصاح على عجيب وقال له: «شلّ الله يدك بما فعلت». فصاح عجيب على قومه وقال: «أمسكوا هذا الكلب وقطعوه بسيوفكم». فهجموا على سهيم فسحب سهيم سيفه وبطش بهم فقتل منهم ما يزيد على خمسين بطلاً

ومرق سهيم حتى وصل إلى أخيه وهو غاطس فى الدم. فقال له غريب: «أى شىء هذا الحال يا سهيم؟» فحكى له ما جرى. فصاح غريب: «الله أكبر». وامتزج بالغضب، ودق طبل الحرب. وركب الأبطال واصطف الرجال، واجتمع الأقران ورقصوا الخيل فى المجال، ولبس الرجال الحديد، والزرد النضيد، وتقلدوا بالسيوف واعتقلوا الرماح الطوال.

وركب عجيب بقومه وحملت الأمم على الأمم وحكم قاضى الحرب وفى حكمه ما ظلم، وختم على فمه ولم يتكلم، وجرى الدم وانسجم، ونقش على الأرض طرازًا محكمًا، وشابت الأمم، واشتد الحرب واحتدم، وزلّت القدم، وثبت الشجاع واقتحم، وولى الجبان وانهزم، ولم يزالوا فى حرب وقتال حتى ولّى النهار وأقبل الليل بالاعتكار، فدقّوا كؤوس الانفصال وانفرق بعضهم عن بعض ورجعت كل طائفة إلى خيامها وباتوا. فلما أصبح الصباح دقوا كؤوس الحرب والكفاح، وقد لبسوا آلة الحرب وتقلدوا بالسيوف الملاح، واعتقلوا سمر الرماح، وركبوا الجرد القداح، ونادوا «اليوم لا براح».

فكان أول من فتح باب الحرب سهيم فساق جواده بين الصفين ولعب بالسيفين والرمحين وقلب أبوابًا فى الحرب حتى حير أولى الألباب، ثم نادى: «هل من مبارز هل من مناجز؟ لا يأتنى كسلان ولا عاجز». فبرز له فارس من الكفار كأنه شعلة من نار، فما أمهله سهيم بالثبات قدامه حتى طعنه فألقاه فبرز له الثانى فقتله والثالث فمزقه والرابع فأهلكه، ولم يزل كل من برز له قتله إلى نصف النهار حتى قتل مائتى بطل. فعند ذلك صاح عجيب فى قومه وأمرهم بالحملة فحمل الأبطال على الأبطال، وعظم النزال وكثر القيل والقال، ورنت السيوف الصقال وفتكت الرجال بالرجال، وصارت الجماجم للخيل كالنعام. ولم يزالوا فى ضرب شديد حتى ولّى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصلوا من بعضهم ومضوا إلى خيامهم وباتوا إلى الصباح.

حكاية سرقة سيار لغريب من خيمته

ثم ركب الطائفتان وطلبوا الحرب والكفاح، وانتظر المسلمون غريبًا ليركب تحت الأعلام على جرى عادته فما ركب، فذهب عبد سهيم إلى سرادق أخيه فلم يجده فسأل الفراشين فقالوا: «ما لنا به علم» فاغتم غمًا شديدًا وخرج وأعلم العسكر فامتنعوا من الحرب وقالوا: «إن غاب غريب يهلكنا عدوّه». وكان لغياب غريب أمر عجيب نذكره على الترتيب. وهو أنه لما رجع عجيب من حرب أخيه غريب دعا رجلاً من أعوانه يقال له سيار وقال له: «يا سيار ما ادّخرتك إلا لمثل هذا اليوم، وقد أمرتك أن تدخل فى عسكر غريب وتصل إلى سرادق الملك وتجىء بغريب وترينى شطارتك». فقال: «سمعًا وطاعة».

ثم إن سيار سار حتى تمكن من سرادق غريب وقد أظلم الليل وانصرف كل إنسان إلى مرقده. هذا كله وسيار واقف بسبب الخدمة، فعطش غريب فطلب الماء من سيار فقدم له كوز ماء وشغله بالبنج، فما فرغ غريب من الشرب حتى سبق رأسه رجليه، فلفه فى ردائه وحمله وسار به حتى دخل خيام عجيب، ثم وقف بين يديه ورماه قدامه. فقال له: «ما هذا يا سيار؟» قال له: «هذا أخوك غريب». ففرح عجيب وقال له: «باركت فيك الأصنام حُله ونبهه». فنشقه بالخل فأفاق وفتح عينيه فوجد نفسه مربوطًا وهو فى خيمة غير خيمته. فقال: «لا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم». فصاح عليه أخوه وقال له: «أتتجرأ علىّ يا كلب وتطلب قتلى

وتطالبنى بثأر أبيك وأمك فأنا اليوم ألحقك بهما وأريح الدنيا منك». فقال له غريب: «يا كلب الكفار سوف تنظر من تدور عليه الدوائر ويقهره الملك القاهر العالم بما فى السرائر الذى يتركك فى جهنم معذبًا حائرًا، فارحم نفسك وقل معى: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع عجيب كلام غريب شخر ونخر وسبّ إلهه الحجر وأمر بإحضار السياف ونطع الدم، فنهض الوزير وقبل الأرض وكان مسلمًا فى الباطن وكافرًا فى الظاهر وقال: «يا ملك أمهل لا تعجل حتى نعرف الغالب من المغلوب فإذا كنا غالبين فنحن متمكنون من قتله وإن كنا مغلوبين يكون إبقاؤه فى أيدينا قوة لنا». فقال الأمراء: «صدق الوزير».

فأمر عجيب لأخيه بقيدين وغلين وجعله فى خيمته وحرّس عليه ألف بطل شداد، وأصبح قوم غريب تفقّدوا ملكهم فلم يجدوه. فلما أصبح الصباح صاروا غنمًا من غير راع، فصاح سعدان الغول وقال: «يا قوم البسوا آلة حربكم وتوكلوا على ربكم يدفع عنكم». فركبّ العرب والعجم خيولهم بعد أن لبسوا الحديد، وتسربلوا بالزرد النضيد، وبرزت السادات، وتقدم أصحاب الرايات. فعند ذلك برز غول الجبل وعلى كتفه عمود وزنه مائتا رطل فجال وصال وقال: «يا عبدة الأصنام ابرزوا اليوم فإنه يوم الاصطدام، من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا سعدان غلام الملك غريب، هل من مبارز هل من مناجز لا يأتنى جبان ولا عاجز».

فبرز له بطل من الكفار، كأنه شعلة من نار. فحمل عليه سعدان وضربه بالعمود فكسر أضلاعه ووقع على الأرض ليس فيه روح، فصاح على أولاده وعبيده وقال لهم: «أشعلوا النار فكل من وقع من الكفار اشووه وأصلحوا شأنه ونضّجوه بالنار وقدموه إلىّ حتى أتغدى به». ففعلوا ما أمرهم به وأطلقوا النار فى وسط الميدان وطرحوا ذلك المقتول فى النار حتى استوى فقدموه لسعدان فنهش لحمه ومرمش عظمه. فلما نظر الكفار ما فعل غول الجبل فزعوا فزعًا شديدًا، فصاح عجيب على قومه وقال: «ويلكم احملوا على هذا الغول واضربوه بسيوفكم وقطعوه». فحمل عشرون ألفًا على سعدان ودارت حوله الرجال ورشقوه بالنبال والنشاب، فصار فيه أربعة وعشرون جرحًا وجرى دمه على الأرض وصار وحده، فعند ذلك حملت أبطال المسلمين على المشركين، واستعانوا برب العالمين، ولم يزالوا فى حرب وقتال حتى فرغ النهار، فافترقوا من بعضهم وقد أسر سعدان وهو مثل السكران من نزيف الدم وشدوا وثاقه وأضافوه إلى غريب.

فلما نظر غريب إلى سعدان وهو أسير قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». وقال له: «يا سعدان ما هذا الحال؟» فقال: «يا مولاى حكم الله - سبحانه وتعالى - بالشدّة والفرج ولا بدّ من هذا وهذا». قال: «صدقت يا سعدان». وبات عجيب وهو فرحان وقال لقومه: «اركبوا غدًا واهجموا على عسكر المسلمين حتى لا يبقى منهم بقية» فقالوا: «سمعًا وطاعة»، وأما ما كان من أمر المسلمين فإنهم باتوا وهم منهزمون باكون. فقال لهم سهيم: «يا قوم لا تهتموا ففرج الله - تعالى - قريب».

حكاية أسر سعدان وفك سهيم لغريب وسعدان من القيد

ثم صبر سهيم إلى نصف الليل وتوجه إلى عسكر عجيب، ولم يزل يخرق المضارب والخيام حتى وجد عجيبًا جالسًا على سرير عزه والملوك حوله. كل هذا وسهيم فى صفة فراش وتقدم إلى الشمع الموقد وقطف زهرته وأشعله بالبنج الطيار، وخرج منه خارج السرادق وصبر ساعة حتى طلع دخان البنج على عجيب وملوكه فوقعوا على الأرض كأنهم موتى. فتركهم سهيم وأتى إلى خيمة السجن فوجد فيها غريبًا وسعدان ووجد عليهما ألف بطل وقد غلبهم النعاس فصاح عليهم سهيم وقال: «يا ويلكم لا تناموا واحتفظوا على غريمكم وأوقدوا المشاعل». ثم أخذ سهيم مشعلاً وأشعله بالحطب وملأه بنجًا وحمله ودار حول الخيمة. فطلع دخان البنج ودخل فى خياشيمهم فرقدوا جميعًا وتبنج جميع العسكر من دخان البنج فرقدوا. وكان مع سهيم الليل الخلّ فى إسفنجة فنشقهما حتى أفاقا وقد حلهما من السلاسل والأغلال. فنظروا إلى سهيم ودعوا له وفرحا به.

ثم إنهم خرجوا وحملوا جميع السلاح من الحراس وقال لهما: «امضيا إلى عسكركما». فسارا. ودخل سهيم إلى سرادق عجيب ولفه فى بردة وحمله وسار قاصدًا خيام المسلمين وقد ستر عليه الرب الرحيم حتى وصل إلى سرادق غريب وحل البردة فنظر غريب إلى ما فى البردة فوجد أخاه عجيبًا وهو مكتف فصاح: «الله أكبر فتح ونصر». ودعا غريب لسهيم وقال: «يا سهيم نبهه». فتقدم وأعطاه الخل مع الكندر فأفاق من البنج وفتح عينيه فوجد روحه مكتفًا فأطرق برأسه إلى الأرض.

فقال له: «يا ملعون ارفع رأسك». فرفع رأسه فوجد نفسه بين عجم وعرب وأخوه جالس على سرير ملكه ومحلّ عزّه فسكت ولم يتكلم. فصاح غريب وقال: «أعروا هذا الكلب». فأعروه ونزلوا عليه بالسياط حتى أضعفوا جسمه وأخمدوا حسه وحرس عليه مائة فارس. فلما فرغ غريب من عذاب أخيه سمعوا التهليل والتكبير فى خيام الكفار، وكان السبب فى ذلك أن الملك الدامغ عمّ غريب لما رحل غريب من عنده من الجزيرة أقام بعد رحيله عشرة أيام، ثم ارتحل بعشرين ألف فارس وسار حتى صار قريبًا من الواقعة فأرسل ساعى ركابه يكشف له الأخبار. فغاب يومًا ثم عاد وأخبر الملك الدامغ بما جرى لغريب مع أخيه، فصبر حتى أقبل الليل ثم كبر على عسكر الكفار ووضع فيه من الصارم البتّار، فسمع غريب وقومه التكبير فصاح على أخيه سهيم الليل وقال له: «اكشف لنا خبر هذا العسكر وما سبب هذا التكبير».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فذهب سهيم حتى قرب من الواقعة وسأل الغلمان فأخبروه أن الملك الدامغ عمّ غريب وصل فى عشرين ألف فارس وقال: «وحق الخليل إبراهيم ما أترك ابن أخى بل أعمل عمل الشجعان وأردع القوم الكافرين وأرضى الملك الجبار». ثم هجم بقومه فى ظلام الليل على القوم الكفرة، فرجع سهيم إلى أخيه غريب وأخبره بما عمل عمه، فصاح على قومه وقال لهم: «احملوا سلاحكم واركبوا خيولكم وساعدوا عمى». فركب العسكر وهجموا على الكفار ووضعوا فيهم الصارم البتار، فما أصبح الصباح حتى قتلوا من الكفار نحو خمسين ألفًا

وأسروا نحو ثلاثين ألفًا وانهزم باقيهم فى الأرض طولاً وعرضًا. ورجع المسلمون مؤيدين منصورين. وركب غريب ولاقى عمه الدامغ وسلم عليه وشكره على فعله. وقال الدامغ: «يا ترى هذا الكلب وقع فى هذه الوقعة؟» فقال غريب: «يا عم طب نفسًا وقر عينًا واعلم أنه عندى مربوط». ففرح الدامغ فرحًا شديدًا ودخلوا الخيام وترجل الملكان ودخلا السرادق فما وجدا عجيبًا. فصاح غريب وقال: «يا جاه إبراهيم الخليل - عليه السلام -». ثم قال: «يا له من يوم عظيم ما أشنعه». وصاح على الفراشين وقال: «يا ويلكم أين غريمى؟» فقالوا له: «لما ركبت وسرنا حولك لم تأمرنا بسجنه». فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». فقال له عمه: «لا تعجل ولا تحمل همًّا فأين يروح ونحن له فى الطلب؟» وكان السبب فى هرب عجيب غلامه سيار فإنه كان فى العسكر كامنًا فما صدق بركوب غريب وما ترك فى العسكر من يحرس غريمه فصبر وأخذ عجيبًا وحمله على ظهره وتوجه إلى البر وعجيب مدهوش من ألم العذاب، ثم سار به يجدّ السير من أول الليل إلى ثانى يوم حتى وصل به إلى عين ماء عند شجرة تفاح فنزله عن ظهره وغسل وجهه ففتح عينيه فوجد سيَّارًا فقال له: «يا سيار رُح بى إلى الكوفة حتى أفيق وأجمع الفرسان والجيوش والعساكر وأقهر بها عدوى، واعلم يا سيار أنى جوعان».

فنهض سيار إلى الغابة واصطاد فرخ نعام وأتى مولاه وذبحه وقطعه وجمع الحطب وقدح الزناد وأشعل النار وشواه، وأطعمه وسقاه من العين فردّت روحه، ومضى سيَّار إلى بعض أحياء العرب وسرق منهم جوادًا وأتى به عجيبًا فاركبه وقصد به الكوفة، فسارا أيامًا حتى وصلا قريبًا من المدينة فخرج النائب لملتقى الملك عجيب وسلَّم عليه فوجده ضعيفًا من العذاب الذى عذبه إياه أخوه، فدخل المدينة ودعا الملك بالحكماء فحضروا فقال لهم: «داوونى فى أقل من عشرة أيام». فقالوا: «سمعًا وطاعة». وجعل الحكماء يلاطفون عجيبًا حتى شفى وتعافى من المرض الذى كان فيه ومن العذاب ثم أمر وزيره أن يكتب الكتب إلى جميع النواب فكتب واحدًا وعشرين كتابًا وأرسلها إليهم، فجهزوا العساكر وقصدوا الكوفة مجدين السير.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وأما غريب فإنه صار متأسفًا على هرب عجيب وأرسل خلفه ألف بطل وفرقهم فى جميع الطرق فساروا يومًا وليلة فلم يجدوا له خبرًا، ثم رجعوا وأخبروا غريبًا. فطلب أخاه سهيمًا فما وجده فخاف يومًا عليه من نوائب الزمان واغتم غمًّا شديدًا. فبينما هو كذلك وإذا بسهيم داخل عليه وقبَّل الأرض بين يديه. فقام غريب لما نظر إليه وقال «أين كنت يا سهيم؟» فقال له: «يا ملك قد وصلت إلى الكوفة فوجدت الكلب عجيبًا وصل إلى محل عزّه وأمر الحكماء أن يداووه مما به فداووه فتعافى وكتب الكتب وأرسلها لنوابه فأتوه بالعساكر». فأمر غريب عسكره بالرحيل فهدوا الخيام وساروا قاصدين الكوفة.

حكاية قتال الملك الدامغ مع عسكر عجيب

فلما وصلوا إليها وجدوا حولها عساكر مثل البحر الزاخر ليس لها أول من آخر فنزل غريب بعسكره مقابل عسكر الكفّار ونصبوا الخيام وأقاموا الأعلام. ودخل على الطائفتين الظلام فأوقدوا النيران وتحارس الفريقان حتى طلع النهار. فقام الملك غريب وتوضأ وصلى ركعتين على ملّة أبينا الخليل - عليه السلام -، وأمر بدق طبول الحرب فدقّت والأعلام خفقت والفرسان لدروعها لبست ولخيولها ركبت ولأنفسها أشهرت ولميدان الحرب طلبت، فأول من فتح باب الحرب الملك الدامغ عمّ الملك غريب وقد ساق جواده بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب بالسيفين والرمحين حتى حير الفرسان وتعجب منه الفريقان. فصاح: «هل من مبارز؟ لا يأتنى كسلان ولا عاجز، أنا الملك الدامغ أخ الملك كندمر». فبرز له بطل من فوارس الكفار كأنه شعلة نار. وحمل على الدامغ من غير كلام. فلاقاه الدامغ وطعنه فى صدره فخرج السنان من كتفه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار. وبرز له الثانى فقتله والثالث فقتله ولم يزل كذلك حتى قتل منهم ستة وسبعين رجلاً أبطالاً. فعند ذلك توقفت الرجال والأبطال عن المبارزة. فصاح الكافر عجيب على قومه وقال: «ويلكم يا قوم إن برزتم له جميعًا واحدًا بعد واحد فإنه لا يبقى أحدًا قائمًا ولا قاعدًا، فاحملوا عليه حملة واحدة حتى تتركوا الأرض منهم خالية ورءوسهم تحت حوافر الخيل مجندلة».

فعند ذلك هزوا العلم المدهش وانطبقت الأمم على الأمم وسال الدم على الأرض وانسجم، وحكم قاضى الحرب وفى حكمه ما ظلم، وثبت الشجاع فى مقام الحرب راسخ القدم، وولى الجبان وانهزم، وما صدق أن ينقضى النهار ويقبل الليل بحندس الظلام، ولم يزالوا فى حرب وقتال وضرب نصال حتى ولى النهار وأظلم الليل بالاعتكار. فعند ذلك دقّ الكفار طبل الانفصال. فما رضى غريب بل هجم على المشركين وتبعه المؤمنون الموحدون، فكم قطعوا رءوسًا ورقابًا، وكم مزقوا أيادى وأصلابًا، وكم هشموا ركبًا وأعصابًا، وكم أهلكوا كهولاً وشبابًا. فما أصبح الصباح إلا وقد عزم الكفار على الهرب والرواح وقد انهزموا عند انشقاق الفجر الوضاح، وتبعهم المسلمون إلى وقت الظهر وقد أسروا منهم ما يزيد عن العشرين ألفًا وقد أتوا بهم مكتفين.

ونزل غريب على باب الكوفة وأمر مناديًا أن ينادى فى المدينة المذكورة بالأمان والاطمئنان لمن يترك عبادة الأصنام، ويوحد الملك العلام، خالق الأنام والضياء والظلام، فعند ذلك نادوا فى شوارع المدينة كما قال بالأمن وأسلم كل من كان فيها كبارًا وصغارًا وخرجوا كلهم جدّدوا إسلامهم قدام الملك غريب. وقد فرح بهم غاية الفرح، واتسع صدره وانشرح، ثم سأل عن مرداس وابنته مهدية فأخبروه أنه كان نازلاً خلف الجبل الأحمر فعند ذلك أرسل إلى أخيه سهيم فحضر عنده. فقال له: «اكشف عن خبر أبيك». فركب جواده وما تأخر، وقد اعتقل رمحه الأسمر وما قصّر، وسار متوجهًا إلى الجبل الأحمر، وفتش فما رأى له خبرًا ولا لقومه أثرًا، ورأى مكانهم شيخًا من العرب كبير السن حطيمًا من كثرة السنين، فسأله سهيم عن حال الرجال وأين مضوا. فقال له: «يا ولدى إن مرداسًا لما سمع بنزول غريب على الكوفة خاف خوفًا عظيمًا وأخذ ابنته وقومه وجميع جواريه وعبيده وسار فى تلك البرارى والقفار ولا

أدرى أين توجه». فلما سمع سهيم كلام الشيخ رجع إلى أخيه وأعلمه بذلك. فاغتم غمًا شديدًا وجلس على سرير ملك أبيه وفتح خزائنه وفرّق الأموال على جميع الأبطال وأقام فى الكوفة وأرسل الجواسيس تكشف أمر عجيب. وأمر بإحضار أرباب الدولة فأتوه طائعين وكذلك أهل المدينة وخلع عليهم الخلع السنية وأوصاهم بالرعية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم ركب فى بعض الأيام إلى الصيد والقنص وخرج فى مائة فارس وسار إلى أن وصل إلى وادٍ ذى أشجار وأثمار كثير الأنهار والأطيار، ومرتع للظبى والغزلان، وترتاح إليه النفوس، وتنعش روائحه من فترة العكوس، فأقاموا فيه ذلك اليوم وكان يومًا مزهوًا وباتوا فيه إلى الصباح. فصلى غريب ركعتين بعد الوضوء وحمد الله تعالى وشكره، وإذا بصراخ وهرج لهما طنين فى ذلك المرج. فقال غريب لسهيم: «اكشف لنا الأخبار». فمرق من وقته وسار حتى رأى أموالاً منهوبة وخيلاً مجنوبة وحريمًا مسبيّة وأولادًا وصياحًا. فسأل بعض الرعاة وقال لهم: «أى شىء الخبر؟» قالوا: «هذا حريم مرداس سيد بنى قحطان وأمواله وأموال الحى الذى معه، فإن الجمرقان بالأمس قتل مرداسًا ونهب أمواله وسبى عياله وأخذ أموال الحى جميعه، والجمرقان من دأبه شنّ الغارات وقطع الطرقات وهو جبار عنيد ما تقدر عليه العربان ولا الملوك لأنه شر مكان».

حكاية قتال غريب مع الجمرقان وأسره

فلما سمع سهيم بقتل أبيه وسبى الحريم ونهب الأموال عاد إلى أخيه غريب وأعلمه بذلك، فازداد نارًا على نار وهاجت به الحمية لكشف العار وأخذ الثار، فركب فى قومه طالبين الفرصة وسار إلى أن وصل إلى القوم. فصاح على الرجال: «الله أكبر على من طغى وبغى وكفر». وقتل منهم فى حملة واحدة واحدًا وعشرين بطلاً، ثم وقف فى حومة الميدان بقلب غير جبان وقال: «أين الجمرقان يبرز لى حتى أذيقه كأس الهوان وأخلى منه الأوطان». فما فرغ من كلامه حتى برز الجمرقان كأنه قلّة من القلل أو قطعة من جبل بالحديد مسربل، وكان عملاقًا طويلاً جدًا. فصدم غريبًا صدمة جبار عنيد من غير كلام ولا سلام، فحمل عليه غريب ولاقاه كالأسد الضارى وكان مع الجمرقان عمود من الحديد الصينى ثقيل لو ضرب به جبلاً لهدمه، فحمله فى يده وضرب به غريبًا على رأسه فزاغ عنه غريب فنزل فى الأرض فغاص فيها نصف ذراع.

ثم إن غريبًا تناول الدبوس وضرب الجمرقان على مقبض كفه فهرس أصابعه فوقع العمود من يده فانحنى غريب من بحر سرجه وخطفه أسرع من البرق الخاطف وضرب به الجمرقان على صف أضلاعه فوقع على الأرض كالنخلة السحوق، فأخذه سهيم وأدار كتافه وسحبه بحبل، واندفعت فرسان غريب على فرسان الجمرقان فقتلوا خمسين وولى الباقى هاربين. ولم يزالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا إلى حيهم وأعلنوا بالصياح، فركب كل من فى الحصن ولاقوهم وسألوهم عن الخبر فأعلموهم بما كان.

فلما سمعوا بأسر سيدهم تسابقوا إلى خلاصه وساروا قاصدين الوادى. وكان الملك غريب لما أسر الجمرقان وهربت أبطاله نزل عن جواده وأمر بإحضار الجمرقان. فلما حضر

خضع له وقال: «أنا فى جيرتك يا فارس الزمان» فقال له غريب: «يا كلب العرب هل تقطع الطريق على عباد الله ـ تعالى ـ ولا تخاف من رب العالمين؟». قال له الجمرقان: «يا سيدى وما رب العالمين؟» قال غريب: «يا كلب وما تعبد من المصائب؟» قال له: «يا سيدى أعبد إلهًا من عجوة بالسمن والعسل وفى بعض الأوقات آكله وأعمل غيره». فضحك غريب حتى استلقى على قفاه وقال: «يا تعيس ما يُعبد إلا الله تعالى الذى خلقك وخلق كل شىء ورزق كل حى ولا يخفى عليه شىء وهو على كل شىء قدير». فقال الجمرقان: «وأين هذا الإله العظيم حتى أعبده؟» قال له غريب: «يا هذا اعلم أن ذلك الإله اسمه الله، وهو الذى خلق السموات والأرض وأنبت الأشجار وأجرى الأنهار وخلق الوحوش والأطيار والجنة والنار واحتجب عن الأبصار يَرى ولا يُرى وهو بالنظر الأعلى وهو الذى خلقنا ورزقنا سبحانه لا إله إلا هو».

فلما سمع الجمرقان كلام غريب انفتحت مسامع قلبه واقشعر جلده وقال: «يا مولاى فما أقول حتى أصير منكم ويرضى علىّ هذا الرب العظيم؟» قال له غريب: «قل لا إله إلا الله إبراهيم الخليل رسول الله». فنطق الجمرقان بالشهادة فكُتب من أهل السعادة. فقال له: «هل ذقت حلاوة الإسلام؟» قال: «نعم». قال غريب: «حلوا قيوده». فحلوها فقبل الأرض قدام غريب وقبل رجل غريب. وبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار.

فقال غريب: «يا سهيم اكشف لنا خبر هذا الغبار». فخرج مثل الطير إذا طار وغاب ساعة ثم عاد وقال: «يا ملك الزمان هذا غبار بنى عامر أصحاب الجمرقان». فقال له: «اركب ولاقِ قومك واعرض عليهم الإسلام فإن أطاعوك سلموا وإن أبوا أعملنا فيهم الحسام».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فركب الجمرقان وساق جواده حتى لاقاهم وصاح عليهم، فعرفوه ونزلوا عن الخيل وأتوا على أقدامهم.

وقالوا: «قد فرحنا بسلامتك يا مولانا». قال: «يا قوم من أطاعنى نجا ومن خالفنى قصمته بهذا الحسام». قالوا له: «مُرنا بما شئت فإننا لا نخالف لك أمرًا». قال: «قولوا معى: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله». قالوا له: «يا مولانا من أين لك هذا الكلام؟» فحكى لهم ما جرى له مع غريب وقال لهم: «يا قوم أما تعلمون أنى مقدم بكم فى حومة الميدان ومقام الحرب والطعان وقد أسرنى فرد إنسان وأذاقنى الذلّ والهوان؟».

فلما سمع قومه كلامه نطقوا بكلمة التوحيد، ثم توجّه بهم الجمرقان إلى غريب وجددوا إسلامهم بين يديه ودعوا له بالنصر والعزّ بعد أن قبلوا الأرض، ففرح بهم وقال لهم: «امضوا إلى حيكم واعرضوا عليهم الإسلام». فقال الجمرقان وقومه: «يا مولانا ما بقينا نفارقك ولكن نروح فنجىء بأولادنا ونأتى إليك».

فقال غريب: «يا قوم امضوا والحقونى فى مدينة الكوفة». فركب الجمرقان وقومه حتى وصلوا إلى حيهم وعرضوا على حريمهم وأولادهم الإسلام، فأسلموا عن آخرهم وهدوا جميع البيوت والخيام وساقوا الخيل والجمال والبقر والغنم وجميع ما يملكون من دوابّ وساروا إلى نحو الكوفة.

حكاية سفر غريب فى طلب عجيب

وسار غريب فلما وصل إلى الكوفة لاقاه الفرسان بموكب. ثم دخل قصر الملك وجلس على تخت أبيه ووقفت الأبطال ميمنة وميسرة. ودخل عليه الجواسيس وأخبروه أن أخاه وصل إلى الجلند بن كركر صاحب مدينة عمان وأرض اليمن. فلما سمع غريب خبر أخيه صاح على قومه وقال: «يا قوم خذوا أهبتكم للسفر بعد ثلاثة أيام».

وعرض غريب على الثلاثين ألفًا الذين أسرهم أول الوقعة الإسلام والسير معهم فأسلم منهم عشرون ألفًا وأبى عشرة آلاف فقتلهم، ثم قدم الجمرقان وقومه وقبلوا الأرض بين يديه وخلع عليهم الخلع السنية وجعله مقدم الجيش وقال: «يا جمرقان اركب فى كبار بنى عمك وعشرين ألف فارس وسر فى مقدم العسكر واقصد بلاد الجلند بن كركر صاحب مدينة عمان».

فقال: «السمع والطاعة». فتركوا حريمهم وأولادهم فى الكوفة ورحلوا. ثم تفقد حريم مرداس فوقعت عينه على مهدية وهى بين النساء فوقع مغشيًا عليه فرشوا على وجهه ماء الورد فأفاق، ولما أصبح الصباح خرج وجلس على سرير ملكه وخلع على عمه الدامغ وجعله نائبًا على العراق جميعه وأوصاه على مهدية حتى يرجع من غزوة أخيه، فامتثل أمره.

ثم رحل فى عشرين ألف فارس وعشرة آلاف راجل وسار متوجهًا إلى أرض عمان وبلاد اليمن.

وكان عجيب قد وصل مدينة عمان بقومه وهم منهزمون وقد ظهر لأهل عمان غبارهم فنظر الجلند بن كركر ذلك الغبار فأمر السعاة أن يكشفوا له الخبر فغابوا ساعة ثم عادوا وأخبروه أن هذا غبار ملك يقال له عجيب صاحب العراق.

فتعجب الجلند من مجىء عجيب إلى أرضه. فلما صح ذلك عنده قال لقومه: «اخرجوا ولاقوه».

فخرجوا ولاقوا عجيبًا ونصبوا له الخيام على باب المدينة وطلع عجيب إلى الجلند وهو باكٍ حزين القلب وكانت بنت عمّ عجيب زوجة الجلند وله أولاد منها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إرسال الجلند بن كركر وزيره جوامرد لقتال المسلمين

قالت شهر زاد: فلما نظر صهره وهو فى هذه الحالة قال له: «أعلمنى ما خبرك؟» فحكى له جميع ما جرى له من أوله إلى آخره مع أخيه وقال له: «يا ملك إنه يأمر الناس بعبادة رب السماء وينهاهم عن عبادة الأصنام وغيرها من الآلهة». فلما سمع الجلند هذا الكلام طغى وبغى وقال: «وحق الشمس ذات الأنوار لا أبقى من قوم أخيك ديارًا، فأين تركت القوم وكم هم؟» قال: «تركتهم بالكوفة وهم خمسون ألف فارس».

فصاح الجلند على قومه وعلى وزيره جوامرد وقال له: «خذ معك سبعين ألف فارس واذهب إلى الكوفة عند المسلمين وائتنى بهم بالحياة حتى أعاقبهم بأنواع العذاب». فركب جوامرد بالجيش قاصدًا الكوفة أول يوم وثانى يوم إلى سابع يوم.

وبينما هم سائرون إذ نزلوا على وادٍ ذى أشجار وأنهار وأثمار. فأمر جوامرد قومه

بالنزول واستراحوا إلى نصف الليل. ثم أمرهم جوامرد أن يرحلوا وركب جواده وسبقهم وسار إلى وقت السحر، ثم انحدروا إلى وادٍ كثير الأشجار قد فاحت أزهاره وترنمت أطياره وتمايلت أغصانه. فنفخ الشيطان فى معاطفه، فأنشد هذه الأبيات:

أخوض بجيشى بحر كل عجاجةٍ ... أقود الأسارى باجتهادى وقوتى
وتعلم فرسان البلاد بأننى ... مهاب لدى الفرسان حامى عشيرتى
سأسبى غريبًا فى القيود مكبلا ... وأرجع مسرورًا وتكمل فرحتى
وألبس درعى ثم آخذ عدتى ... وأمضى إلى الهيجاء فى كل وجهة

فما فرغ جوامرد من شعره حتى خرج عليه من بين الأشجار فارس أشم المعاطس فى الحديد غاطس، فصاح على جوامرد وقال له: «قف يا شلح العرب واشلح ثيابك وعدتك وانزل عن جوادك وانج بنفسك». فلما سمع جوامرد هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا وسلّ حسامه وهجم على الجمرقان وقال له: «يا شلح العرب أتقطع الطريق علىّ وأنا مقدم جيش الجلند بن كركر لأجىء بغريب وقومه مربوطين؟» فلما سمع الجمرقان هذا الكلام قال: «ما أبرده على كبدى». ثم حمل على جوامرد وهو ينشد هذه الأبيات:

أنا الفارس المعروف فى حومة الوغى ... تخاف العدى من صارمى وسنانى
أنا الجمرقان المرتجى لكريهةٍ ... وتعلم فرسان الأنام طعانى
غريبٌ أميرى بل إمامى وسيدى ... همام الوغى يوم التقى الجمعانِ
إمامٌ له دينٌ وزهدٌ وسطوةٌ ... يبيد العدى فى حومة الميدانِ
ويدعو إلى دين الخليل مرتلاً ... على رغم أوثان الجحود مثانى

وكان الجمرقان لما سار بقومه من مدينة الكوفة استمرّ على السير عشرة أيام، ثم نزلوا فى الحادى عشر وأقاموا إلى نصف الليل، ثم أمرهم الجمرقان بالرحيل فرحلوا وسار قدامهم وانحدر فى ذلك الوادى، فسمع جوامرد وهو ينشد ما تقدم ذكره فحمل عليه حملة أسد كاسر وضربه بالسيف فشقه نصفين وصبر حتى أقبل المقدمون وأعلمهم بما جرى وقال: «تفرقوا كل خمسة منكم تأخذ خمسة آلاف وتدور حول الوادى، وأنا ورجال بنى عامر، فإذا وصلنى أول الأعداء أحمل عليهم وأصيح: الله أكبر، فإذا سمعتم صياحى فاحملوا وكبروا واضربوا فيهم بالسيف». فقالوا: «سمعًا وطاعةً».

ثم داروا على أبطالهم وأعلموهم فتفرقوا فى جهات الوادى عند انشقاق الفجر، وإذا بالقوم قد أقبلوا مثل قطيع الغنم وقد ملأوا السهل والجبل، فعند ذلك حمل الجمرقان وبنو عامر وصاحوا «الله أكبر». فسمع المؤمنون والكفار، وصاح المسلمون من سائر الجهات: «الله أكبر فتح ونصر، وخذل من كفر». فجاوبت الجبال والتلال وكل يابس وأخضر يقول: «الله أكبر». فاندهش الكفار وضرب بعضهم بعضًا بالصارم البتار وحمل المسلمون الأبرار كأنهم شعل نار فما يرى إلا رأس طائر ودم فائر وجبان حائر. ولم تظهر الوجوه إلا وقد فنى ثلثا الكفار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار، وانهزم الباقون وتشتتوا فى القفار وتبعهم

المسلمون يأسرون ويقتلون إلى نصف النهار. ثم رجعوا وقد أسروا سبعة آلاف ولم يرجع من الكفار غير ستة وعشرين ألفًا وأكثرهم مجروحون. ورجع المسلمون منصورين وجمعوا العدد والأثقال وأرسلوها مع ألف فارس إلى الكوفة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الجمرقان مع القورجان ابن الملك الجلند

قالت شهر زاد: وأما الجمرقان وعساكر الإسلام فإنهم نزلوا عن الخيل وعرضوا الإسلام على الأسارى فأسلموا قلبًا ولسانًا فحلوهم من الرباط وعانقوهم وفرحوا بهم. وقد سار الجمرقان فى جيش عظيم وأراح قومه يومًا وليلة. ثم رحل بهم عند الصباح قاصدًا بلاد الجلند بن كركر وسار الألف فارس بالغنيمة حتى وصلوا إلى الكوفة وأعلموا الملك غريبًا بما جرى. ففرح واستبشر والتفت إلى غول الجبل وقال له: «اركب وخذ معك عشرين ألفًا واتبع الجمرقان». فركب سعدان الغول وأولاده فى عشرين ألف فارس وقصدوا مدينة عمان. ووصل المنهزمون من الكفار إلى المدينة وهم يبكون ويدعون بالويل والثبور، فاندهش الجلند بن كركر وقال لهم: «ما مصيبتكم؟». فأخبروه بما جرى لهم. فقال لهم: «ويلكم وكم كانوا؟» قالوا: «يا ملك كانوا عشرين علمًا وكل علم تحته ألف فارس».

فلما سمع الجلند هذا الكلام قال: «لا طرحت الشمس فيكم بركة، يا ويلكم أيغلبكم عشرون ألفًا وأنتم سبعون ألف فارس وجوامرد مقوَّم بثلاثة آلاف فى حومة الميدان؟». ومن شدة غمه سل سيفه وصاح فيهم وقال لمن حضر: «عليكم بهم». فسلّ القوم سيوفهم على المنهزمين فأفنوهم عن آخرهم ورموهم للكلاب. ثم بعد ذلك صاح الجلند على ابنه وقال له: «اركب فى مائة ألف فارس وامض إلى العراق وأخربه على الإطلاق».

وقد كان ابن الملك الجلند اسمه القورجان ولم يكن فى عسكر أبيه أفرس منه. وكان يحمل على ثلاثة آلاف فارس. فأخرج القورجان خيامه وابتدرت الأبطال وخرجت الرجال وأخذوا أهبتهم ولبسوا عدتهم ورحلوا يتلو بعضهم بعضًا والقورجان قدامهم ينشد:

أنا القورجان وذكرى اشتهرْ	قهرت لأهل الفلا والحضرْ
فكم فارس حين أرديته	يخور على الأرض مثل البقرْ
وكم من عساكر فرّقتهم	ودحرجتُ هاماتهم كالأكرْ
فلا بدّ أنى أغزو العراق	وأجعل دماء العدى كالمطرْ
وأسبى غريبًا وأبطاله	ليضحوا نكالاً لأهل النظرْ

ثم سار القوم اثنى عشر يومًا. وبينما هم سائرون وإذا بغبار ثار حتى سد الأفق والأقطار، فصاح القورجان على السعاة وقال لهم: «ائتونى بخبر هذا الغبار». فساروا حتى عبروا تحت الأعلام، وعادوا إلى القورجان وقالوا: «يا ملك إن هذا غبار المسلمين». ففرح وقال لهم: «هل أحصيتموهم؟» فقالوا: «عددنا من الأعلام عشرين علمًا». قال: «وحق دينى ما أجرد عليهم أحدًا وإنما أخرج لهم وحدى وأجعل رءوسهم تحت حوافر الخيل». وكان هذا الغبار غبار

الجمرقان وقد نظر إلى عساكر الكفار فرآهم مثل البحر الزاخر، فأمر قومه بالنزول ونصب الخيام، فنزلوا وأقاموا الأعلام وهم يذكرون الملك العلام، خالق النور والظلام، رب كل شيء الذى يَرى ولا يُرى وهو بالمنظر الأعلى - سبحانه وتعالى - لا إله إلا هو. ونزل الكفار ونصبوا خيامهم وقال لهم: «خذوا أهبتكم واحموا عددكم ولا تناموا إلا وأنتم بأسلحتكم، فإذا كان الثلث الأخير من الليل فاركبوا ودوسوا هذه الشرذمة القليلة». وكان جاسوس الجمرقان واقفًا يسمع ما دبره الكفار فعاد وأخبر الجمرقان، فالتفت الجمرقان لأبطاله وقال:

«احملوا سلاحكم، وإذا أقبل الليل ائتونى بالبغال والجمال وائتونى بالجلاجل والقلاقل والأجراس واجعلوها فى أعناق الجمال والبغال». وكانت أكثر من عشرين ألف جمل وبغل. وصبروا على الكفار حتى دخلوا فى المنام، ثم أمر الجمرقان قومه بالركوب فركبوا وعلى الله توكلوا وطلبوا النصر من رب العالمين. ثم قال لهم: «سوقوا الجمال والدواب نحو الكفار وانخسوها بأسنّة الرماح». ففعلوا ما أمرهم بسائر البغال والجمال.

ثم هجموا على خيام الكفار وقد قعقعت الجلاجل والقلاقل والأجراس والمسلمون خلفهم وهم يقولون: «الله أكبر». وقد طنت الجبال والتلال بذكر الملك المتعال، وهجمت الخيل لما سمعت هذه الجلبة العظيمة وداست الخيام والناس نيام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية وصول غول الجبل لإعانة المسلمين

قالت شهر زاد: فقام المشركون مدهوشين فخطفوا سلاحهم ووقعوا فى بعضهم ضربًا حتى قتل أكثرهم. وقد نظروا إلى بعضهم فلم يجدوا قتيلاً من المسلمين بل وجدوهم راكبين متسلحين فعلموا أنها حيلة عملت عليهم، فصاح القورجان على بقية قومه وقال: «يا بنى اللئام الذى أردنا أن نفعله بهم فعلوه بنا وقد غلب مكرهم على مكرنا». فأرادوا أن يحملوا وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار فضربته الرياح فعلاً وتسردق، وفى الجو تعلق، وبان من تحت الغبار لمعان الخوذ وبريق الزرد، وما معهم إلا كل بطل أمجد قد تقلد بسيف مهند وقد اعتقل برمح أملد، ولما نظر الكفار الغبار توقفوا عن القتال، وأرسلت كل طائفة ساعيًا فساروا تحت الغبار ثم نظروا وعادوا فأخبروا أنهم مسلمون.

وكان الجيش القادم الذى أرسله غريب جيش غول الجبل وكان هو سائرًا قدام جيشه، فوصل إلى عسكر المسلمين الأبرار. فعندها حمل الجمرقان وقومه وقد هجموا على الكفار كأنهم شعلة نار، وأعملوا فيهم السيف البتار، والرمح الرديني الخطار، واسود النهار، وعميت الأبصار من كثرة الغبار، وثبت الشجاع الكرار، وهرب الجبان الفرار، وطلب البرارى والقفار، وصارت الدماء على الأرض كالتيّار، ولم يزالوا فى حرب وقتال حتى فرغ النهار وأقبل الليل بالاعتكار. ثم انفصل المسلمون من الكفار ونزلوا فى الخيام وأكلوا الطعام، وباتوا حتى ولى الظلام، وأقبل النهار بالابتسام. ثم صلوا وركبوا للحرب.

وكان القورجان قد قال لقومه لما انفصلوا من الحرب وقد وجدوا أكثرهم مجروحًا وقد

فتى منهم الثلاثان بالسيف والسنان: «يا قوم غدًا أبرز أنا لحومة الميدان، ومقام الحرب والطعان، وآخذ الشجعان في المجال». فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الطائفتان وأكثروا الصياح، وشهروا السلاح، ومدوا سمر الرماح، واصطفوا للحرب والكفاح، وكان أول من فتح باب الحرب القورجان بن الجلند بن كركر وقال: «لا يأتيني اليوم كسلان ولا عاجز». كل هذا والجمرقان وسعدان الغول تحت الأعلام، فبرز مقدّم بني عامر وبارز القورجان في حومة الميدان، فحمل الاثنان كأنهما كبشان يتناطحان مدة من الزمان. ثم بعد ذلك هجم القورجان على المقدّم ومسكه من جلباب درعه وجذبه فاقتلعه من سرجه. وقد خبطه في الأرض وأشغله بنفسه فكتفه الكفار وساروا به إلى الخيام. ثم إن القورجان جال وصال وطلب النزال، فبرز له ثاني مقدم فأسره فلم يزل القورجان يأسر مقدمًا بعد مقدم حتى أسر سبعة مقدمين قبل الظهر.

ثم صاح الجمرقان صيحة دوى لها الميدان وسمعها العسكران، وهجم على القورجان وأنشد:

أنا الجمرقان قوى الجنان ... جميع الفوارس تخشى قتالى

هدمت الحصون وخلّيتها ... تنوح وتبكى لفقد الرجالِ

فيا قورجان طريق الهدى ... عليك وفارق طريق الضلالِ

ووحد إلهًا رفيع السما ... ومُجرى البحور ومرسى الجبالِ

إذا أسلم العبد يأوى غدًا ... جنانًا ويُكفى أليم النكالِ

فلما سمع القورجان كلام الجمرقان سب الشمس والقمر، وحمل وهو ينشد:

أنا القورجان شجيع الزمان ... وتفزع أسد الشرى من خيالى

ملكت القلاع وصدت السباع ... وكلُّ الفوارس تخشى قتالى

فيا جمرقانُ إذا لم تثقْ ... بقولى فدونك بارز نزالى

فلما سمع الجمرقان كلامه حمل عليه بقلب قوى، وتضاربا بالسيوف، حتى ضجت منهم الصفوف، وتطاعنا بالرماح، وكثر بينهما الصياح، ولم يزالا في حرب وقتال حتى فات العصر وقد ولى النهار.

ثم هجم الجمرقان على القورجان وضربه بالعمود على صدره فألقاه على الأرض مثل جزع النخلة، فكتفه المسلمون وسحبوه بحبل مثل الجمال، فلما نظرت الكفار إلى سيدهم أسيرًا أخذتهم حمية الجاهلية فحملوا على المسلمين يريدون خلاص مولاهم، فقابلتهم أبطال المسلمين وتركتهم على الأرض مطروحين، وولى بقيتهم هاربين وللنجاة طالبين، والسيف في قفاهم له طنين.

فلم يزالوا خلفهم حتى شتتوهم في الجبال والقفار، ثم رجعوا عنهم إلى الغنيمة وكانت شيئًا كثيرًا من خيل وخيام وغيرها، ثم توجهوا وعرض الجمرقان الإسلام على القورجان وهدده فلم يسلم، فقطعوا رأسه وحملوه على رمح ورحلوا قاصدين مدينة عمان.

حكاية قتال سعدان الغول مع عسكر الجلند

وأما ما كان من أمر الكفار فإنهم أخبروا الملك بقتل ولده وهلاك العسكر، فلما سمع الجلند هذا الخبر ضرب بتاجه الأرض ولطم على وجهه حتى طلع الدم من منخريه ووقع على الأرض مغشيًا عليه فرشوا على وجهه ماء الورد فأفاق وصاح على وزيره وقال: «اكتب الكتب إلى جميع النواب ائمرهم أن لا يتركوا ضارب سيف ولا طاعن رمح ولا حامل قوس إلا ويأتون بهم جميعًا». فكتب الكتب وأرسلها مع السعاة فتجهز النواب وساروا فى عسكر جرار قدره مائة ألف وثمانون ألفًا. فهيأوا الخيام والجمال وجياد الخيل، وأرادوا أن يرحلوا وإذا بالجمرقان وسعدان الغول قد أقبلا فى سبعين ألف فارس كأنهم ليوث عوابس، وكل منهم فى الحديد غاطس.

فلما نظر الجلند إلى المسلمين قد أقبلوا فرح وقال: «وحق الشمس ذات الأنوار ما أبقى من الأعداء ديارًا ولا من يرد الأخبار، وأخرب العراق وآخذ ثأر ولدى الفارس المغوار ولا تبرد لى نار». ثم التفت إلى عجيب وقال له: «يا كلب العراق هذه جلبتك التى جلبتها لنا، فأنا وحق معبودى إن لم أنتصف من عدوى لأقتلنك شرَّ قتلة».

فلما سمع عجيب هذا الكلام اغتم غمًا شديدًا وصار يلوم نفسه، ثم صبر حتى نزل المسلمون ونصبوا خيامهم وأظلم الليل وكان منعزلاً عن الخيام مع من بقى من عشيرته فقال لهم: «يا بنى عمى اعلموا أنه لما أقبلت المسلمون فزعتُ منهم أنا والجلند غاية الفزع، وقد علمتُ أنه لم يقدر أن يحميني من أخى ولا من غيره، والرأى عندى أن ترحلوا بنا إذا نامت العيون ونقصد الملك يعرب بن قحطان لأنه أكثر جندًا وأقوى سلطانًا».

فلما سمع قومه هذا الكلام قالوا: «هذا هو الصواب». فأمرهم أن يوقدوا النار على أبواب الخيام ويرحلوا فى حندس الظلام، ففعلوا ما أمرهم به وساروا فما أصبحوا حتى قطعوا بلادًا بعيدة، ثم أصبح الجلند ومائتان وستون ألف مدرَّع غاطسين فى الحديد والزرد النضيد، ودقُّوا كؤوس الحرب واصطفوا للطعن والضرب.

وركب الجمرقان وسعدان فى أربعين ألف فارس أبطال شداد، تحت كل علم ألف فارس شداد جياد مقدّمون فى الطراد، فاصطف العسكران وطلبا الضرب والطعان وسحبا السيوف وأسنة المران لشرب كأس المنون. وكان أول من فتح باب الحرب سعدان الغول وهو كأنه جبل صوان أو من مردة الجان، فبرز له بطل من الكفار قتله ورماه فى الميدان وصاح على أولاده وغلمانه وقال: «اشعلوا النار واشووا هذا القتيل».

ففعلوا ما أمرهم به وقدموه له مشويًا فأكله ونهش عظمه والكفار واقفون ينظرون إليه من بعيد. فقالوا: «يا للشمس ذات الأنوار». وفزعوا من قتال سعدان. فصاح الجلند فى قومه وقال: «اقتلوا هذا اللئيم». فنزل له مقدم من الكفار فقتله سعدان. ولم يزل يقتل فارسًا بعد فارس حتى قتل ثلاثين فارسًا.

فعندها توقَّف الكفار اللئام عن قتال سعدان وقالوا: «من يقاتل الجان والغيلان؟». فصاح الجلند وقال: «تحمل عليه مائة فارس ويأتونى به أسيرًا أو قتيلاً». فبرز مائة فارس وحملوا على سعدان وقصدوه بالسيوف والسنان، فتلقاهم بقلب أقوى من الصوان وهو يوحد

الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن وقال: «الله أكبر». وضرب فيهم بالسيف حتى ألقى رءوسهم. فجال فيهم جولة واحدة فقتل منهم أربعة وسبعين وهرب الباقون.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أسر سعدان وتخليصه من يد الكفار

قالت شهر زاد: فصاح الجلند على عشرة مقدّمين تحت كل مقدم ألف بطل وقال لهم: «ارموا جواده بالنبل حتى يقع من تحته فاقبضوه باليد». فحمل على سعدان عشرة آلاف فارس فتلقاهم بقلب قوى. فنظر الجمرقان والمسلمون إلى الكفار وقد حملوا على سعدان فكبروا وحملوا عليهم، فما وصلوا إلى سعدان حتى قتلوا جواده وأخذوه أسيرًا، ولم يزالوا حاملين على الكفار حتى أظلم النهار وعميت الأبصار، ورن السيف البتار، وثبت كل فارس مغوار، ولحق الجبان الانبهار، وبقى المسلمون فى الكفار كالشامة البيضاء فى الثور الأسود.

ولم يزالوا فى ضرب واصطدام حتى أقبل الظلام، وافترقوا من بعضهم وقد قتل من الكفار خلق كثير ما لها عدد. ورجع الجمرقان وقومه وهم فى غاية الحزن على سعدان ولم يطب لهم طعام ولا منام وتفقدوا قومهم فوجدوا المقتول منهم دون ألف. فقال الجمرقان: «يا قوم إنى أبرز فى حومة الميدان ومقام الحرب والطعان وأقتل أبطالهم وأسبى عيالهم وآخذهم أسارى وأفدى بهم سعدان بإذن الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن». فطابت قلوبهم وفرحوا ثم تفرّقوا إلى خيامهم. وأما الجلند فإنه قام ودخل سرادقه وجلس على سرير ملكه ودار قومه من حوله ودعا بسعدان فأحضروه بين يديه. فقال له: «يا كلب أكلب ويا أقل العرب ويا حمال الحطب من قتل ولدى القورجان شجيع الزمان قاتل الأقران ومجندل الأبطال؟» قال له سعدان: «قتله الجمرقان مقدم عسكر غريب سيد الفرسان وأنا شويته وأكلته وكنت جوعان».

فلما سمع الجلند كلام سعدان صارت عيناه فى أم رأسه وأمر بضرب رقبته، فأتى السياف بهمته وتقدم لسعدان. فعند ذلك تمطى سعدان فى الكتاف فقطعه وهَمَّ على السياف وخطف السيف منه وضربه فرمى رأسه وقصد الجلند فرمى روحه عن السرير وهرب، فوقع سعدان فى الحاضرين فقتل منهم عشرين من خواص الملك وهرب باقى المقدمين وارتفع الصياح فى عسكر الكفار وهجم سعدان على الحاضرين من الكفار وضرب فيهم يمينًا وشمالاً. فعند ذلك تفرقوا من بين يديه فأخلوا له الزقاق، ولم يزل سائرًا يضرب فى العدى بالسيف حتى خرج من الخيام وقصد خيام المسلمين. وسمع المسلمون ضجيج الكفار فقالوا: «لعلهم جاءتهم نجدة». فبينما هم باهتون وإذا بسعدان قد أقبل عليهم ففرحوا بقدومه فرحًا شديدًا. وكان أكثرهم فرحًا الجمرقان فسلم عليه وهنأه بالسلامة.

هذا ما كان من أمر المسلمين. وأما ما كان من أمر الكفار فإنهم رجعوا هم وملكهم إلى السرادق بعد رواح سعدان. فقال لهم الملك: «يا قوم وحقّ الشمس ذات الأنوار وحقّ ظلام الليل ونور النهار والكوكب السيار ما كنت أظن أنى أسلم من القتل فى هذا النهار، ولو وقعت فى يده لأكلنى ولا كنت أساوى عنده قمحًا ولا شعيرًا ولا حبة من الحبوب». فقالوا: «يا ملك ما رأينا من يعمل مثل هذا الغول». فقال لهم: «يا قوم إذا كان فى غد فاحملوا عددكم واركبوا خيولكم ودوسوهم تحت

حوافر الخيل». وأما المسلمون فإنهم اجتمعوا وهم فرحون بالنصر وخلاص سعدان الغول، فقال الجمرقان: «غدًا فى الميدان أريكم فعلى وما يليق بمثلى، وحق الخليل إبراهيم لأقتلنهم أشنع القتلات ولأضربن فيهم بالبتار حتى يتحير فيهم كل فهيم، ولكن قد نويت أنى أحمل على الميمنة والميسرة فإذا رأيتمونى قد هجمت على الملك فاحملوا خلفى ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية وصول غريب عند المسلمين مع عسكره

قالت شهر زاد: ثم إن الفريقان باتا يتحارسان حتى طلع النهار، وبانت الشمس للنظار، وركب الفريقان أسرع من لمحة العين، وصاح غراب البين، ونظروا بعضهم بالعين، واصطفوا للحرب والقتال، فأول من فتح باب الحرب الجمرقان فجال وصال وطلب النزال فأراد الجلند أن يحمل بقومه وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار، وأظلم النهار، وضربته الرياح الأربع، فتمزق وتقطع، وبان من تحته كل فارس أدرع، وبطل سميدع، وسيوف تقطع، ورماح تصدع، ورجال كأنهم السباع لا تخاف ولا تجزع. فلما نظر العسكران الغبار أمسكوا عن القتال وأرسلوا من يكشف لهم الأخبار، ومن أى قوم هؤلاء القادمون المثيرون لهذا الغبار، فسار السعاة وعبروا تحت الغبار وغابوا من الأبصار، ثم عادوا بعد ساعة من النهار، فأما ساعى الكفار فإنه أخبرهم أن هؤلاء القادمين طائفة من المسلمين وملكهم غريب، وأما ساعى المسلمين فإنه رجع وأخبرهم بمجىء الملك غريب وقومه ففرحوا بقدومه، ثم إنهم ساقوا خيلهم ولاقوا ملكهم ونزلوا وقبّلوا الأرض بين يديه.

فرحب بهم غريب وفرح بسلامتهم ووصلوا الخيام. ونصبوا له السرادقات والأعلام. وجلس على سرير ملكه وأرباب دولته من حوله، فحكوا له جميع ما جرى لسعدان. وأما الكفار فإنهم اجتمعوا يفتشون على عجيب فلم يجدوه بينهم ولا فى خيامهم فأخبروا الجلند بن كركر بهروبه، فقامت عليه القيامة وعض على أصبعه وقال: «وحقّ الشمس ذات الأنوار إنه كلب غدار، هرب مع قومه الأشرار، فى البرارى والقفار؛ ولكن ما بقى يدفع هؤلاء الأعداء إلا القتال الشديد فشدوا عزمكم واحذروا من المسلمين».

حكاية إرسال غريب كتابه إلى الجلند بن كركر

وأما الملك غريب فإنه قال لقومه: «شدوا عزمكم وقووا قلوبكم واستعينوا بربكم واسألوه أن ينصركم على عدوكم». فقالوا: «يا ملك سوف تنظر ما نفعل فى حومة الميدان، ومقام الحرب والطعان». وبات الطائفتان حتى أصبح الصباح، وأضاء بنوره ولاح، وأشرقت الشمس على رءوس الرُّبا والبطاح، فصلى غريب ركعتين على ملّة إبراهيم الخليل - عليه السلام - ثم كتب مكتوبًا وأرسله مع أخيه سهيم إلى الكفار. فلما وصل إليهم قالوا له: «ما تريد؟» قال لهم: «أريد الحاكم عليكم». فقالوا له: «قف حتى نشاوره عليك». فوقف ثم شاوروا عليه الجلند وأخبروه برسوله. فقال: «على به». فأحضروه بين يديه. فقال له: «من أرسلك؟» قال: «الملك غريب الذى حكّمه الله على العرب والعجم، فخذ كتابه ورد جوابه».

فأخذ الجلند الكتاب ففكه وقرأه فوجد فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، الرب القديم، الواحد العظيم، الذى هو بكل شىء عليم، رب نوح وصالح وهود وإبراهيم، ورب كل شىء، والسلام على من اتبع الهدى، وخشى عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى واتبع طريق الهدى واختار الآخرة على الأولى. أما بعد يا جلند فإنه لا يُعبد إلا الله الواحد القهار، خالق الليل والنهار والفلك الدوار، الذى أرسل الأنبياء الأبرار وأجرى الأنهار ورفع السماء وبسط الأرض وأنبت الأشجار، ورزق الطير فى الأوكار ورزق الوحوش فى القفار فهو الله العزيز الغفار الحليم الستَّار الذى لا تدركه الأبصار مكور الليل على النهار، الذى أرسل الرسل وأنزل الكتب، واعلم يا جلند أنه لا دين إلا دين إبراهيم الخليل فأسلم تسلم من السيف البتار وفى الآخرة من عذاب النار، وإن أبيت الإسلام فأبشر بالدمار وخراب الديار، وأرسل إلى الكلب عجيبًا لآخذ ثار أبى وأمى».

فلما قرأ الجلند الكتاب قال لسهيم: «قل لمولاك إن عجيبًا هرب هو وقومه وما ندرى أين ذهب، وأما الجلند فلا يرجع عن دينه وغدًا يكون الحرب بيننا والشمس تتصرنا». فرجع سهيم إلى أخيه وأعلمه بما قد جرى، فباتوا حتى أصبح الصباح. ثم أخذ المسلمون آلة السلاح وركبوا الخيل القراح وأعلنوا بذكر الملك الفتَّاح، خالق الأجساد والأرواح، وأعلنوا بالتكبير ودقوا طبول الحرب حتى ارتجت الأرض، وتقدّم كل فارس جحجاح وبطل وقاح، وقصدوا الحرب حتى ارتجت الأرض، فأول من فتح باب الحرب الجمرقان وساق جواده فى حومة الميدان ولعب بالسيف والنشاب حتى حير أولى الألباب، ثم صاح: «هل من مبارز، هل من مناجز؟ لا يأتى اليوم كسلان ولا عاجز، أنا قاتل القورجان بن الجلند فمن يبرز لأخذ الثار؟».

فلما سمع الجلند ذكر ولده صاح على قومه وقال: «يا أولاد اللئام ائتونى بهذا الفارس الذى قتل ولدى حتى آكل لحمه، وأشرب دمه». فحمل عليه مائة بطل فقتل أكثرهم وهزم أميرهم، فلما نظر الجلند ما فعل الجمرقان صاح على قومه وقال: «احملوا عليه حملة واحدة». فهزوا العلم المدهش وانطبقت الأمم على الأمم، وحمل غريب بقومه والجمرقان وتصادم الفريقان كأنهما بحران يلتقيان، فعمل السيف اليمانى والرمح حتى مزق الصدور والأبدان، ورأى الصفان ملك الموت بالعيان، وطلع الغبار إلى العنان، وصمَّت الآذان وخرس اللسان، وأحاط الموت من كل مكان، وثبت الشجاع وولى الجبان، ولم يزالوا فى حرب وقتال حتى ولى النهار، ودقوا طبول الانفصال وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة إلى خيامها.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سرق سهيم لجلند بن كركر من عسكره

قالت شهرزاد: وجلس غريب على سرير ملكه ومحل سلطانه واصطفَّت أصحابه حوله. فقال لقومه: «أنا جزعت من القهر بهروب هذا الكلب عجيب ولا أعرف أين مضى وإن لم ألحقه وآخذ ثارى أموت من القهر». فتقدم أخوه سهيم الليل وقبل الأرض وقال: «يا ملك أنا أمضى إلى عسكر الكفار وأكشف خبر هذا الكلب الغدار عجيب» فقال غريب: «سر وتحقق خبر هذا الخنزير». فتزيّا سهيم بزى الكفار ولبس لبسهم فصار كأنه منهم.

ثم قصد خيام الأعداء فوجدهم نيامًا وهم سكارى من الحرب والقتال ولم يبقَ من القوم بلا نوم سوى الحراس، فعبر سهيم وهجم على السرادق فوجد الملك نائمًا وما عنده أحد، فتقدم وشممه البنج الطيار فصار كأنه ميت، وخرج وأحضر بغلاً ولف الملك فى ملاءة الفرش ووضعه فوق البغل ووضع فوقه الحصير وسار حتى وصل إلى سرادق غريب ودخل على الملك، فأنكره الحاضرون وقالوا له: «من أنت؟» فضحك سهيم وكشف وجهه فعرفوه. فقال له غريب: «ما حملك يا سهيم؟» فقال له: «يا ملك هذا الجلند بن كركر». ثم حلّه فعرفه غريب وقال: «يا سهيم نبهه». فأعطاه الخل والكندر فرمى البنج من أنفه وفتح عينيه فوجد نفسه بين المسلمين فقال: «أى شىء هذا المنام القبيح؟» ثم إنه أطبق عينيه ونام، فلكزه سهيم وقال له: «افتح عينيك يا ملعون». ففتح عينيه وقال: «أين أنا؟» فقال سهيم: «أنت فى حضرة الملك غريب بن كندمر ملك العراق». فلما سمع الجلند هذا الكلام قال: «يا ملك أنا فى جيرتك واعلم أن ما لى ذنب والذى أخرجنا نقاتل هو أخوك ورمى بيننا وبينك وهرب». فقال غريب: «وهل تعلم طريقه؟» فقال: «لا وحق الشمس ذات الأنوار ما أعلم أين سار». فأمر غريب بتقييده والمحافظة عليه وتوجّه كل مقدم إلى خيمته، ورجع الجمرقان وقومه وقال: «يا بنى عمى قصدى أن أعمل فى هذه الليلة عملة أبيض بها وجهى عند الملك غريب». فقالوا له: «افعل ما تشاء فنحن لأمرك سامعون مطيعون». فقال: «احملوا سلاحكم وأنا معكم وخففوا خطوكم ولا تخلوا النمل يدرى بكم وتفرقوا حول خيام الكفار، فإذا سمعتم تكبيرى فكبروا وصيحوا قائلين: الله أكبر وتأخروا واقصدوا باب المدينة ونطلب النصر من الله ـ تعالى ـ». فاستعد القوم بالسلاح الكامل وصبروا إلى نصف الليل وتفرّقوا حول الكفار وصبروا ساعة، وإذا بالجمرقان ضرب بسيفه على ترسه وقال: «الله أكبر». فدوى الوادى، وفعل قومه مثله وصاحوا: «الله أكبر».

حتى دوى لهم الوادى والجبال والرمال والتلال وسائر الأطلال. فانتبه الكفار وقد اندهشوا ووقعوا فى بعضهم وقد دار السيف بينهم، وتأخر المسلمون وطلبوا أبواب المدينة وقتلوا البوابين ودخلوا المدينة وملكوها بما فيها من مال وحريم. هذا ما جرى للجمرقان، وأما الملك غريب فإنه سمع الصياح بالتكبير فركب وركب العسكر عن آخرهم، وتقدم سهيم حتى قرب من الوقعة فنظر بنى عامر والجمرقان قد شنوا الغارة على الكفار وأسقوهم كأس المنون، فرجع وأخبر أخاه بما كان فدعا للجمرقان. ولم تزل الكفار نازلين فى بعضهم بالصارم البتار، باذلين جهدهم حتى طلع النهار، وأضاء بنوره على الأقطار.

فعند ذلك صاح غريب على قومه وقال: «احملوا يا كرام وارضوا الملك العلام». فحملت الأبرار على الفجار ولعب السيف البتار، وجال الرمح الخطار فى صدر كل منافق من الكفار، وأرادوا أن يدخلوا مدينتهم فخرج لهم الجمرقان وبنوا عمه وصادروهم بين جبلين محيطين وقتلوا منهم خلقًا ما لهم عدد وتشتت الباقى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية قتل الملك غريب لجلند بن كركر

قالت شهر زاد: ولم يزل المسلمون خلف الكفار بالسيف حتى انتشروا فى السهل والأوعار، ثم رجعوا إلى مدينة عمان. ودخل الملك غريب قصر الجلند وجلس على كرسى مملكته ودارت أصحابه حوله ميمنة وميسرة، فدعا بالجلند فأسرعوا إليه وأحضروه بين يدى الملك غريب، فعرض عليه الإسلام فأبى. فأمر بصلبه على باب المدينة ثم رموه بالنبال إلى أن صار مثل القنفذ. ثم إن غريبًا خلع على الجمرقان وقال له: «أنت صاحب البلد وحاكمها وصاحب ربطها وحلها فإنك فتحتها بسيفك ورجالك». فقبل الجمرقان رجل الملك غريب وشكره ودعا له بدوام النصر والعز والنعم، ثم إن غريبًا فتح خزائن الجلند ونظر إلى ما فيها من الأموال، وبعد ذلك فرق على المقدمين والرجال أصحاب الرايات والقتال، وفرق على البنات والصبيان وصار يفرق من الأموال مدة عشرة أيام.

حكاية أسر غريب وسهيم عند مرعش ملك الجن

ثم إن غريبًا بعد ذلك كان نائمًا فى بعض الليالى فرأى فى منامه رؤيا هائلة فانتبه فزعًا مرعوبًا، ثم نبه أخاه سهيمًا وقال له: «إنى رأيت فى منامى أننا فى وادٍ وذلك الوادى مكان متسع، وقد انقضّ علينا من الطير جارحان لم أرَ فى عمرى أكبر منهما ولهما هذا الكلام قال: «يا ملك هذا عدو كبير فاحترس على نفسك منه». فلم ينم غريب بقية الليل. فلما أصبح الصباح طلب جواده وركبه، فقال له سهيم: «إلى أين تذهب يا أخى؟» فقال: «أصبحت ضيق الصدر فقصدى أن أسير عشرة أيام حتى ينشرح صدرى». فقال له سهيم: «خذ معك ألف بطل». فقال غريب: «لا أسير إلا أنا وأنت لا غير». فعند ذلك ركب غريب وسهيم وقصدا الأودية والمروج، ولم يزالا سائرين من وادٍ إلى وادٍ ومن مرج إلى مرج حتى عبرا على وادٍ كثير الأشجار والأثمار والأنهار فائح الأزهار، أطياره تغرد بالألحان على الأغصان، والهزار يرجع بطيب الألحان، والقمرى قد ملأ بصوته المكان والبلبل بحسه يوقظ الوسنان، والشحرور كأنه إنسان، والفاخت والمطوق تجاوبهما الدرة بأفصح لسان، والأشجار فى أثمارها من كل مأكول وفاكهة زوجان. فأعجبهما ذلك الوادى فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره، وقعدا تحت ظل أشجاره. فغلب عليهما النعاس فناما.

فبينما هما نائمان وإذا بماردين شديدين قد انقضا عليهما ووضع كل واحد منهما واحدًا على كاهله وارتفعا إلى أعلى الجو حتى صارا فوق الغمام، فانتبه سهيم وغريب فوجدا أنفسهما بين السماء والأرض. ونظرا إلى من حملاهما وإذا هما ماردان رأس أحدهما رأس كلب ورأس الآخر رأس قرد وهو كالنخلة السحوق ولهما شعر مثل أذناب الخيل ومخالب مثل مخالب السباع. فلما نظر غريب وسهيم إلى تلك الحال قالا: «لا حول ولا قوة إلا بالله». وكان السبب فى ذلك أن ملكًا من ملوك الجن اسمه مرعش وكان له ولد اسمه صاعق يحب جارية من الجن اسمها نجمة، وكان صاعق ونجمة مجتمعين فى ذلك الوادى وهما فى صفة طيرين: وكان غريب وسهيم نظرا إلى صاعق ونجمة فظناهما طائرين فرمياهما بنشاب فلم يصب إلا صاعقًا فسال دمه فحزنت نجمة على صاعق وخطفته وطارت خوفًا من أن يصيبها ما أصاب

صاعقًا. ولم تزل طائرة به حتى رمته على باب قصر أبيه. فحمله البوابون حتى رموه قدّام أبيه. فلما نظر مرعش إلى ولده ورأى النبلة فى ضلعه قال: «وا ولداه من فعل بك هذه الفعال حتى أخرب دياره وأعجل دماره ولو كان أكبر ملوك الجان؟» فعند ذلك فتح عينيه وقال: «يا أبت ما قتلنى إلا رجل من الإنس بوادى العيون». فلما فرغ من كلامه حتى طلعت روحه. فلطم أبوه حتى طلع الدم من فيه وصاح على ماردين وقال لهما: «سيرا إلى وادى العيون وائتيانى بكل من فيه». فسار الماردان حتى وصلا إلى وادى العيون، فرأيا غريبًا وسهيمًا نائمين فخطفاهما وسارا بهما حتى أوصلاهما إلى مرعش. فلما انتبها من نومهما وجدا أنفسهما بين السماء والأرض فقالا: «لا حول ولا قوة إلا بالله». ثم إن الماردين لما خطفا غريبًا وسهيمًا جاءا بهما إلى مرعش ملك الجن، ولما وضعاهما قدامه وجداه جالسًا على كرسى مملكته وهو كالجبل العظيم وعلى جثته أربعة رءوس رأس سبع ورأس فيل ورأس نمر وأس فهد. فقدما غريبا وسهيمًا قدام مرعش وقالا: «يا ملك هذان اللذان وجدناهما فى وادى العيون». فنظر إليهما بعين الغضب وقد شخر ونخر وطار من أنفه الشرر وقد خاف منه كل من حضر. وقال: «يا كلاب الإنس قتلتما ولدى وأقدتما النار فى كبدى». فقال غريب: «ومن هو ولدك الذى قتلناه ومن هو الذى نظر ولدك؟» فقال: «أما كنتما فى وادى العيون ونظرتما إلى ولدى فى صفة طير ورميتماه بعود نشاب فمات؟» فقال: غريب: «أنا لا أدرى من قتله وحق الرب العظيم الواحد القديم، الذى هو بكل شىء عليم، وحق الخليل إبراهيم ما رأينا طيرًا ولا قتلنا وحشًا ولا طيرًا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية إسلام مرعش على يد غريب

قالت شهر زاد: فلما سمع مرعش كلام غريب حين حلف بالله وعظمته ونبيه الخليل إبراهيم علم أنه مسلم. وكان مرعش يعبد النار دون الملك الجبار، فصاح على قومه وقال: «ائتونى بربتى فأتوه بتنور من ذهب فوضعوه بين يديه وأشعلوه بالنار ورموا عليه العقاقير، فطلع له لهيب أخضر ولهيب أزرق ولهيب أصفر، فسجد له الملك والحاضرون. كل هذا وغريب وسهيم يوحدان الله - تعالى - ويكبرانه ويشهدان أن الله على كل شىء قدير. فرفع الملك رأسه فرأى غريبًا وسهيمًا واقفين لا يسجدان، فقال: «يا كلبان ما لكما لا تسجدان؟» فقال غريب: «ويلكم يا ملاعين إن السجود لا يكون إلا للملك المعبود، مبرز الموجود من العدم إلى الوجود، ومنبع الماء من الحجر الجلمود، الذى حنن الوالد على المولود ولا يوصف بقيام ولا قعود، رب نوح وصالح وهود وإبراهيم الخليل، وهو الذى خلق الجنة والنار، وخلق الأشجار والأثمار، فهو الله الواحد القهار».

فلما سمع مرعش هذا الكلام انقلبت عيناه فى أ رأسه وصاح على قومه: «كتفوا هذين الكلبين وقربوهما لربتى». فكتفوا سهيمًا وغريبًا وأرادوا أن يرموهما فى النار، وإذا بشرافة من شراريف القصر وقعت على التنور فانكسر وانطفأت النار وصارت رمادًا طائرًا فى الهواء. فقال غريب: «الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر، الله أكبر على من يعبد النار دون الملك الجبار». فعند ذلك قال الملك: «إنك ساحر وسحرت ربتى حتى جرى لها هذا الحال». فقال

غريب: «يا مجنون لو كان للنار سر وبرهان كانت منعت عن نفسها ما ضرها». فلما سمع مرعش هذا الكلام هدر وزمجر وسب النار وقال: «وحق دينى ما أقتلكما إلا فيها». وأمر بحبسهما ودعا بمائة مارد وأمرهم أن يحملوا الحطب ويطلقوا فيه النار ففعلوا، والتهبت نار عظيمة ولم تزل مشتعلة إلى الصباح.

ثم ركب مرعش على فيل فى تخت من ذهب مرصع بالجواهر، ودارت حوله قبائل الجن وهم أصناف مختلفة، ثم أحضروا غريبًا وسهيمًا. فلما رأيا لهيب النار استغاثا بالواحد القهار خالق الليل والنهار، العظيم الشأن الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ولم يزالا يتوسلان وإذا بسحابة طلعت من الغرب إلى الشرق وأمطرت مثل البحر الزاخر فأطفأت النار فخاف الملك والجند ودخلوا فى قصرهم. ثم التفت الملك إلى الوزير وأرباب الدولة وقال لهم: «ما تقولون فى هذين الرجلين؟» فقالوا: «يا ملك لولا أنهما على الحق ما جرى للنار هذا الفعال، ونحن نقول إنهما على الحق صادقان» قال الملك: «قد بان لى الحق والطريق الواضحة فعبادة النار باطلة، فلو كانت ربة لمنعت عن نفسها المطر الذى أطفأها والحجر الذي كسر تنورها وقد صارت رمادًا؛ فأنا آمنت بالذى خلق النار والنور والظل والحرور، وأنتم ما تقولون؟» فقالوا: «يا ملك ونحن كذلك تابعون سامعون طائعون». ثم دعا بغريب فأحضره بين يديه فقام له واعتنقه وقبله بين عينيه وقبّل سهيمًا مثل ذلك. ثم إن الأجناد تزاحموا على غريب وسهيم يقبّلون أيديهما ورءوسهما.

ثم إن الملك مرعشًا جلس على كرسى مملكته وأجلس غريبًا عن يمينه وسهيمًا عن يساره وقال: «يا إنسى ما نقول حتى نصير مسلمين؟» فقال غريب: «قولوا: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله». فأسلم الملك وقومه قلبًا ولسانًا وقعد غريب يعلمهم الصلاة، ثم إن غريبًا تذكر قومه فتنهد. فقال له ملك الجن: «قد ذهب الغم وراح، وجاء البسط والانشراح». فقال له غريب: «يا ملك إن لى أعداء كثيرة وأنا خائف على قومى منهم». وحكى له ما جرى له مع أخيه عجيب من أوله إلى آخره. فقال له ملك الجن: «يا ملك الإنس أنا أبعث لك من يكشف خبر قومك وما أخليك تروح حتى أتملى بوجهك». ثم دعا بماردين شديدين أحدهما اسمه الكيلجان والآخر اسمه القورجان، فلما حضر الماردان قبلا الأرض. فقال لهما: «سيرا إلى اليمن واكشفا خبر جنودها وعساكرها». فقالا: سمعًا وطاعة». ثم سار الماردان وطارا نحو اليمن.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتال الكيلجان والقورجان مع الكفار

قالت شهر زاد: هذا ما جرى لغريب وسهيم. وأما عسكر المسلمين فإنهم أصبحوا راكبين هم والمقدمون وقصدوا قصر الملك غريب لأجل الخدمة. فقال لهم الخدام: «إن الملك وأخاه ركبا سحرًا وخرجا». فركب المقدمون وقصدوا الأودية والجبال ولم يزالوا يقصون الأثر حتى وصلوا إلى وادى العيون فوجدوا عدة غريب وسهيم مرمية والجوادين يرعيان فقال المقدمون: «إن الملك فقد من هذا المكان يا لجاه الخليل إبراهيم». ثم إنهم تفرقوا وفتشوا فى الوادى والجبال ثلاثة أيام فما ظهر لهم خبر. فأقاموا العزاء وطلبوا السعاة وقالوا لهم: «تفرقوا فى المدائن والحصون

والقلاع واكشفوا خبر ملكنا». فقالوا: «سمعًا وطاعة».

ثم إنهم تفرقوا وطلب كل واحد إقليمًا ووصل لعجيب مع الجواسيس خبر أخيه أنه فقد ولم يقعوا له على خبر. ففرح عجيب بفقد أخيه غريب واستبشر، ودخل على الملك يعرب بن قحطان وكان استجار به فأجاره. وأعطاه مائتى ألف عملاق وسار عجيب بعسكره حتى نزل علي مدينة عمان، فخرج لهم الجمرقان وسعدان وقاتلاهم وقتل من المسلمين خلق كثير ودخلوا المدينة وأغلقوا الأبواب وحصنوا الأسوار، ثم أقبل الماردان الكيلجان والقورجان وقد نظرا المسلمين محصورين فصبرا حتى أقبل الليل وأعملا فى الكفار سيفين باترين من سيوف الجن كل سيف طوله اثنا عشر ذراعًا لو ضرب به إنسان حجرًا لقسمه، فحملا عليهم وهما يقولان: «الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين الخليل إبراهيم». ثم إنهما بطشا بالكفار وأكثروا فيهم القتل وخرجت النار من أفواههما ومناخيرهما، فبرز الكفار من سرادقهم فنظروا إلى أشياء عجيبة تقشعر منها الأبدان واختبلوا وطارت عقولهم، ثم إنهم خطفوا أسلحتهم وبطشوا ببعضهم، والماردان يحصدان فى رقاب الكفار ويصيحان: «الله أكبر نحن غلمان الملك غريب صاحب الملك مرعش ملك الجان». ولم يزل السيف دائرًا فيهم حتى انتصف الليل. وقد تخيل للكفار أن الجبال كلها عفاريت فحملوا الخيام والثقل والمال وهربوا، وكان أولهم هروبًا عجيب.

ثم اجتمع المسلمون وتعجبوا من هذا الأمر الذى جرى للكفار وخافوا من قبائل الجان، ولم يزل الماردان فى أقفية الكفار حتى شتتاهم فى البرارى والقفار. وما سلم من الماردين سوى خمسين ألف عملاق من أصل مائتى ألف وقد قصدوا بلادهم وهم منهزمون مجروحون وأقبل الماردان على المسلمين وقالا: «يا عسكر إن الملك غريبًا سيدكم وأخاه يسلمان عليكم وهما مستضافان عند الملك مرعش ملك الجان وعن قريب يكونان عندكم». فلما سمع العساكر بخبر غريب وهو طيب فرحوا فرحًا شديدًا وقالوا لهما: «بشركما الله بالخير يا أرواحًا كرامًا». ثم إن الماردين رجعا ودخلا على الملك غريب والملك مرعش فوجداهما جالسين فأخبراهما بما جرى وما فعلا. فجازياهما خيرًا وقد اطمأن قلب غريب.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية تفرج غريب مع الملك مرعش على مدينة يافث

قالت شهرزاد: فعند ذلك قال الملك مرعش: «يا أخى مرادى أن أفرجك على أرضنا وأريك مدينة يافث بن نوح - عليه السلام -». قال: «يا ملك افعل ما بدا لك». فدعا بجوادين لهما وركب هو وغريب وسهيم وركب معه ألف مارد وساروا كأنهم قطعة جبل مشقوقة بالطول. فساروا يتفرجون على أودية وجبال حتى أتوا مدينة يافث بن نوح - عليه السلام - فخرج أهل المدينة كبارًا وصغارًا ولاقوا مرعشًا، فدخل فى موكب عظيم.

ثم إنه طلع إلى قصر يافث بن نوح وجلس على كرسى ملكه وهو من المرمر مشبك بقضبان الذهب علوه عشر درجات وهو مفروش بأنواع الحرير الملون. ولما وقف أهل المدينة قال لهم: «يا ذرية يافث بن نوح ما كان يعبد آباؤكم، وأجدادكم؟» قالوا: «إنا وجدنا آباءنا

يعبدون النار فتبعناهم وأنت أخبر بذلك». قال: «يا قوم إنا رأينا النار مخلوقة من مخاليق الله - تعالى - الذى خلق كل شىء».

فلما علمت ذلك أسلمت لله الواحد القهار خالق الليل والنهار والفلك الدوار، الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، فأسلموا تسلموا من غضب الجبار وفى الآخرة من عذاب النار، فأسلموا قلبًا ولسانًا، وأخذ مرعش بيد غريب وفرجه على قصر يافث وبنائه وما فيه من العجائب. ثم دخل دار السلاح وفرجه على سلاح يافث، فنظر غريب إلى سيف معلق فى وتد من ذهب.

فقال غريب: «يا ملك هذا لمن؟» قال: «هذا سيف يافث بن نوح الذى كان يقاتل به الإنس والجن، صاغه الحكيم جردوم ومكتوب على ظهره أسماء عظيمة، فلو ضرب به الجبل لهدمه، واسمه الماحق ما نزل على إنسى إلا محقه أو جنى إلا دمره.

فلما سمع غريب كلامه وما ذكره فى فضائل هذا السيف قال: «مرادى أن أنظر هذا السيف».

فقال مرعش: «دونك وما تريد». فمد غريب يده وأخذ السيف وسحبه من جفيره فسطع ودب الموت على حده فشمشع، وكان طوله اثنى عشر شبرًا وعرضه ثلاثة أشبار، فأراد غريب أن يأخذه فقال الملك مرعش: «إن كنت تقدر أن تضرب به فخذه». فقال غريب: «نعم».

ثم أخذه فى يده فصار فى يده كالعصا، فتعجب الحاضرون من الإنس والجن وقالوا: «أحسنت يا سيد الفرسان». فقال له مرعش: «ضع يدك على هذه الذخيرة التى بحسرتها قضى ملوك الأرض واركب حتى أفرجك».

فركب وركب مرعش ومشت الإنس والجن فى خدمتهما مشيًا بين قصور ودور خاليات وشوارع وأبواب مذهبات، ثم خرجا من أبواب المدينة وتفرجا فى بساتين ذات أشجار مثمرات وأنهار جاريات، وأطيار ناطقات، تسبح من له القدرة والبقاء، ولم يزالا يتفرجان حتى أقبل المساء ورجعا وباتا فى قصر يافث بن نوح.

فلما وصلا قدمت لهما مائدة فأكلا والتفت غريب لملك الجان وقال: «يا ملك إن قصدى الذهاب إلى قومى وجندى فلم أعلم حالهم بعدى». فلما سمع مرعش كلام غريب قال له: «يا أخى والله ما مرادى فراقك ولا أخليك تروح إلا بعد شهر كامل حتى أتملى برؤيتك».

فما قدر أن يخالفه فقعد شهرًا كاملاً فى مدينة يافث. ثم أكل وشرب وأعطاه الملك مرعش هدايا من التحف والمعادن والجواهر والزمرد والبلخش وحجر الماس وقطعًا من ذهب وفضة وكذلك المسك والعنبر ومقاطع حرير منسوجة بالذهب وعمل لغريب وسهيم خلعتين من الوشى منسوجتين بالذهب وعمل لغريب تاجًا مكللاً بالدرّ والجوهر لا يعادل بأثمان، ثم عبى له ذلك كله فى أعدال ودعا بخمسمائة مارد وقال لهم: «جهزوا حالكم إلى السفر فى غد حتى نؤدى الملك غريبًا وسهيمًا إلى بلادهما». قالوا: «سمعًا وطاعة». وباتوا على نية السفر حتى أتى الوقت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية حيلة برقان على مرعش وسجنه عنده

قالت شهر زاد: وإذا هم بخيول وطبول ونفير تصيح حتى ملأت الأرض وهم سبعون ألف مارد طيارة غواصة وملكهم اسمه برقان. وكان لمجىء هذا الجيش سبب عظيم عجيب، وأمر مطرب غريب، سنذكره على الترتيب، وكان برقان هذا صاحب مدينة العقيق وقصر الذهب وكان يحكم على خمس قلل كل قلة فيها خمسمائة ألف مارد وهو وقومه يعبدون النار دون الملك الجبار، وكان هذا الملك ابن عم مرعش، وكان فى قوم مرعش مارد كافر أسلم نفاقًا وغطس بين قومه وسار حتى وصل إلى وادى العقيق ودخل قصر الملك برقان وقبّل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والإنعام ثم أخبره بإسلام مرعش. فقال له برقان: «كيف مرق من دينه؟» فحكى له جميع ما جرى.

فلما سمع برقان كلامه شخر ونخر وسب الشمس والقمر والنار ذات الشرر. وقال: «وحق دينى لأقتلن ابن عمى وقومه وهذا الإنسى ولا أترك منهم أحدًا». ثم صاح على أرهاط الجن واختار منهم سبعين ألف مارد وسار بهم حتى وصل إلى مدينة مرعش وداروا حول المدينة كما ذكرنا. ونزل الملك برقان مقابل باب المدينة ونصب خيامه، فدعا مرعش بمارد وقال له: «امض إلى هذا العسكر وانظر ما يريدون وائتنى عاجلاً». فمرق المارد حتى دخل خيام برقان فتسارع إليه المردة وقالوا له: «من أنت؟» قال: «رسول مرعش». فأخذوه وأوقفوه بين يدى برقان. فسجد له وقال: «يا مولاى إن سيدى أرسلنى إليكم لأنظر خبركم». فقال له: «ارجع إلى سيدك وقل له: هذا ابن عمك برقان أتى يسلم عليك». فرجع المارد إلى مولاه وأخبره بذلك. فقال لغريب: «اقعد على سريرك حتى أسلم على ابن عمى وأعود إليك».

ثم ركب وسار قاصدًا الخيام. وكان برقان عملها حيلة حتى يُخرج مرعش ويَقبض عليه. ثم أوقف حوله مردة وقال لهم: «إذا رأيتمونى حضنته فامسكوه وكتفوه». فقالوا: «سمعًا وطاعةً». ثم بعد ذلك وصل الملك مرعش ودخل سرادق ابن عمه، فقام إليه واعتنقه فهجم عليه الجان وكتفوه وقيدوه، فنظر مرعش إلى برقان وقال له: «ما هذه الحال؟» فقال له: «يا كلب الجان أتترك دينك ودين آبائك وأجدادك وتدخل فى دين لا تعرفه؟». فقال له مرعش: «يا ولد عمى قد وجدت دين إبراهيم الخليل هو الحق وغيره باطل». فقال: «ومن خبركم؟» قال: «غريب ملك العراق وهو عندى فى أعز مكان». فقال له برقان: «وحق النار والنور والظل والحرور لأقتلنكم وإياه». ثم سجنه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتال غريب مع برقان وأسر برقان عنده

قالت شهر زاد: فلما نظر غلام مرعش ما حل بمولاه ولى هاربًا إلى المدينة وأعلم أرهاط الملك مرعش بما حصل لمولاه، فصاحوا وركبوا خيولهم. فقال غريب: «ما الخبر؟» فأعلموه بما جرى. فصاح على سهيم وقال له: «شدّ لى جوادًا من الجوادين اللذين أعطانيهما الملك مرعش». فقال له: «يا أخى أتقاتل الجان؟» قال: «نعم أقاتلهم بسيف يافث بن نوح

وأستمين برب الخليل إبراهيم - عليه السلام - فهو رب كل شيء وخالقه». فشد له جوادًا أشقر من خيل الجن كأنه حصن من الحصون، ثم أخذ آلة الحرب وخرج وركب وخرجت الأرهاط وهم لابسون الدروع. وركب برقان وقومه واصطف العسكران وتقاتل الفريقان وكان أول من فتح باب الحرب الملك غريب فساق جواده في حومة الميدان وجرَّد سيف يافث بن نوح - عليه السلام - فخرج منه نور ساطع انبهرت منه عيون الجن أجمعين ووقع في قلوبهم الرعب. فلعب غريب بالسيف حتى أذهل عقول الجان. ثم نادى: «الله أكبر أنا الملك غريب ملك العراق لا دين إلا دين إبراهيم الخليل».

فلما سمع برقان كلام غريب قال: «هذا الذي غير دين ابن عمي وأخرجه من دينه فوحق ديني لا أقعد على سريري حتى أقطع رأس غريب وأخمد أنفاسه وأرد ابن عمي وقومه إلى دينهم ومن خالفني أهلكته». ثم ركب على فيل أبيض قرطاسي كأنه برج مشيد وصاح عليه وضربه بسنان من فولاذ فغرق في لحمه، فصرخ الفيل وقصد الميدان ومقام الحرب والطعان حتى قرب من غريب. فقال له: «يا كلب الإنس ما أدخلك أرضنا حتى أفسدت ابن عمي وقومه وأخرجتهم من دين إلى دين؟ إن هذا اليوم آخر أيامك».

فلما سمع غريب هذا الكلام قال له: «اخسأ يا أقل الجان». فسحب برقان حربة وهزّها وضرب بها غريبًا فأخطأته فضربه بحربة ثانية فخطفها غريب من الهواء وهزّها وأرسلها نحو الفيل فدخلت في جنبه وخرجت من الجانب الآخر فوقع الفيل على الأرض قتيلاً وارتمى برقان كأنه نخلة سحوق. فما خلاه غريب يتحرك من مكانه حتى ضربه بسيف يافث بن نوح على جذع رقبته صفحًا فغشى عليه، فاندفعت عليه المردة وأرادوا كتافه. فلما نظر قومه إلى ملكهم هجموا وأرادوا خلاصه فحمل عليهم غريب وحملت معه الجن المؤمنون، فلله درّ غريب، لقد أرضى الرب المجيب، وأشفى الغليل بالسيف المطلسم، وكل من ضربه قسمه فما تطلع روحه حتى يصير في النار رمادًا، وهجمت الجن المؤمنون على الجن الكافرين وترامو بشهب النار وعم الدخان، وغريب قد جال فيهم يمينًا وشمالاً فتفرقوا بين يديه، وقد وصل الملك غريب إلى سرادق الملك برقان وكان إلى جانبه الكيلجان والقورجان فصاح غريب عليهما وقال: «حلا مولاكما». فحلاه.

وعند ذلك قال لهما الملك مرعش: «ائتياني بعدتي وجوادي الطيار». وكان عند الملك جوادان يطيران في الهواء فأعطى غريبًا واحدًا وبقي عنده واحد فأتوه به بعد أن لبس آلة الحرب، وحمل مع غريب وطار بهما الجوادان وقومهما خلفهما وهما يصيحان: «الله أكبر الله أكبر» فأجابتهما الأرض والجبال والأودية والتلال، ورجعوا من خلفهم بعد أن قتلوا منهم خلقًا كثيرًا تزيد عن ثلاثين ألف مارد وشيطان، ودخلوا مدينة يافث وجلس الملكان على مراتب العز وطلبا برقان فما وجداه لأنهما حين أسراه اشتغلا عنه بالقتال وقد سبقه عفريت من غلمانه فحله ومر به على قومه فوجد البعض مقتولاً والبعض هاربًا فطار به نحو السماء وحط على مدينة العقيق وقصر الذهب.

وجلس الملك برقان على تخت مملكته، ووصل إليه قومه الذين فضلوا من القتل فدخلوا عليه وهنأوه بالسلامة. فقال: «يا قوم وأين السلامة وقد قتل عسكري وأسروني وخرقوا

حرمتى بين قبائل الجان؟» فقالوا: «يا ملك ما دامت الملوك تصيب وتصاب». قال لهم: «لا بد من أن آخذ ثأرى وأكشف عارى وإلا أبقى معيرة بين قبائل الجان». ثم إنه كتب الكتب وأرسل إلى قبائل الحصون فأتوه مذعنين مطيعين، فتفقدهم فوجدهم ثلاثمائة ألف وعشرين ألفًا من المردة الجبارين والشياطين. فقالوا: «أى حاجة لك؟» فقال: «خذوا أهبتكم للسفر بعد ثلاثة أيام». فقالوا: «سمعًا وطاعة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتال عسكر غريب وبرقان

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر الملك برقان. وأما ما كان من أمر الملك مرعش فإنه لما رجع وطلب برقان ولم يجده صعب عليه وقال: «لو كنا حفظناه بمائة مارد ما كان هرب، ولكن أين يروح منا؟» ثم قال مرعش لغريب: «اعلم يا أخى أن برقان غدار ما يقعد عن أخذ الثأر ولا بد أن يجمع أرهاطه ويأتوا إلينا، وأنا قصدى أن ألحقه وهو ضعيف على أثر هزيمته». فقال غريب: «هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب». ثم قال مرعش لغريب: «يا أخى خلّ المردة يوصلونكم إلى بلادكم، واتركونى أجاهد الكفار حتى تخف عنى الأوزار». فقال غريب: «لا وحق الحليم الكريم الستار ما أروح من هذه الديار حتى أفنى جميع الجان الكفار، ويعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار ولا ينجو إلا من يعبد الواحد القهار، ولكن أرسل سهيمًا إلى مدينة عمان لعله يشفى من المرض». وكان سهيمًا ضعيفًا. فصاح مرعش على المردة وقال لهم: «احملوا سهيمًا وهذه الأموال إلى مدينة عمان فقالوا: «سمعًا وطاعة».

فحملوا سهيمًا والهدايا وقصدوا بلاد الإنس. ثم كتب مرعش الكتب إلى حصونه وجميع عماله فحضروا فكانت عدتهم مائة ألف وستين ألفًا، فتجهزوا وصاروا قاصدين بلاد المقيق وقصر الذهب فقطعوا فى يوم واحد مسيرة سنة ودخلوا واديًا فنزلوا فيه للراحة وباتوا حتى أصبح الصباح وأرادوا أن يرحلوا وإذا بطلائع الجان قد طلعت والجن قد صاحت والتقى العسكران فى ذلك الوادي، فحملوا على بعضهم وقد وقع القتل بينهم واشتد النزال وعظم الزلزال وساءت الأحوال، وجاء الجد وذهب المحال، وبطل القيل والقال، وقصرت الأعمار الطوال، وصارت الكفرة فى الذل والخبال، وحمل غريب وهو يوحد المعبود المتعال، فقطع الرقاب وقد ترك الرءوس مدحرجة على التراب، فما أمسى المساء حتى قتل من الكفار نحو سبعين ألفًا. فعند ذلك دقوا كؤوس الانفصال وافترقوا عن بعضهم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ولما انفصل العسكران من بعضهما وافترقا نزل مرعش وغريب فى خيامهما بعد أن مسحا سلاحهما، ثم حضر العشاء فأكلا وهنيا بعضهما بالسلامة وقد قتل أكثر من عشرة آلاف مارد. وأما برقان فإنه نزل فى خيامه وهو ندمان على من قتل من الأعوان وقال: «يا قوم إن قعدنا نقاتل هذا القوم ثلاثة أيام أفنونا عن آخرنا». فقالوا: «وما

نفعل يا ملك؟» قال: «نهجم عليهم فى ظلام الليل وهم نيام فما يبقى منهم من يردّ الأخبار فخذوا أهبتكم واهجموا على أعدائكم واحملوا حملة رجل واحد». فقالوا: «سمعًا وطاعة». ثم إنهم تجهزوا للهجوم. وكان فيهم مارد اسمه جندل وكان قلبه لان للإسلام. فلما نظر الكفار وما عزموا عليه مرق من بينهم ودخل على مرعش والملك غريب وأخبرهما بما دبَّر الكفار، فالتفت مرعش إلى غريب وقال له: «يا أخى ما يكون الفعل؟» فقال: «الليلة نهجم على الكفار ونشتتهم فى البرارى والقفار بقدرة الملك الجبار». ثم دعا بالمقدمين من الجان وقال لهم: «احملوا آلة حربكم أنتم وقومكم فإذا أسبل الظلام فانسلُّوا على أقدامكم مائة بعد مائة وخلُّوا الخيام خالية وأكمنوا بين الجبال، فإذا رأيتم الأعداء صاروا بين الخيام فاحملوا عليهم من سائر الجهات، وقووا عزمكم واعتمدوا على ربكم فإنكم تنصرون وها أنا معكم». فلما جاء الليل هجموا على الخيام وقد استعانوا بالنار والنور، فلما وصلوا بين الخيام هجمت المؤمنون على الكفار وهم يستعينون برب العالمين ويقولون: «يا أرحم الراحمين يا خالق الخلق أجمعين». حتى تركوهم حصيدًا خامدين. فما أصبح الصباح إلا والكفار أشباح بلا أرواح، والذين فضلوا طلبوا البرارى والبطاح، ورجع مرعش وغريب بقومهما وهم منصورون مؤيدون، ونهبوا أموال الكفار وباتوا حتى أصبح الصباح وساروا طالبين مدينة العقيق وقصر الذهب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية مقاتلة غريب مع برقان والملك الأزرق وقتلهما

قالت شهر زاد: وأما برقان فإنه لما دار الحرب عليه وقتل أكثر قومه فى ظلام الليل ولى هاربًا مع من بقى من قومه حتى وصل إلى مدينته، ودخل قصره وأجمع أرهاطه وقال لهم: «يا قوم من كان عنده شىء فليأخذه ويلحقنى فى جبل قاف عند الملك الأزرق صاحب القصر الأبلق فهو الذى يأخذ ثأرنا». فأخذوا حريمهم وأولادهم وأموالهم وقصدوا جبل قاف. ثم وصل مرعش وغريب إلى مدينة العقيق وقصر الذهب فوجدوا الأبواب مفتوحة وليس فيها من يخبر بخبر. فأخذ مرعش غريبًا يفرجه على مدينة العقيق وقصر الذهب، وكان أساسات سورها من الزمرُّد وبابها من العقيق الأحمر بمسامير من الفضة وسقوف بيوتها وقصورها العود والصندل، فمشوا وتفرقوا فى شوارعها وأزقتها حتى وصلوا إلى قصر الذهب. ولم يزالوا يدخلون من دهليز إلى دهليز وإذا هم ببناء من البلخش الملوكى ورخامه زمرد وياقوت ودخل مرعش وغريب فى القصر فاندهشا من حسنه ولم يزالا يدخلان من موضع إلى موضع حتى قطعا سبعة دهاليز. فلما وصلا إلى داخل القصر وإذا هما بأربعة لواوين كل ليوان لا يشبه الآخر، وفى وسط القصر فسقية من الذهب الأحمر وعليها صور سباع من الذهب والماء يجرى من أفواهها، فنظر أشياء تحير الأفكار والليوان الذى فى الصدر مفروش بالبسط المنسوجة بالحرير الملون وفيه كرسيان من الذهب الأحمر مرصعان بالدر والجوهر. فعند ذلك قعد مرعش وغريب على كرسى برقان وعملا فى قصر الذهب موكبًا عظيمًا.

وبعد ذلك قال غريب لمرعش: «أى شىء دبرت من الرأى؟» قال: «يا ملك الإنس قد أرسلت مائة فارس يكشفون لى خبر برقان فى أى مكان هو حتى نسير خلفه». ثم قعدا فى

قصر الذهب ثلاثة أيام حتى وصل المردة ورجعوا أخبروا أن برقان سار إلى جبل قاف واستجار بالملك الأزرق فأجاره. فقال مرعش لغريب: «ما تقول يا أخى؟» قال: «إن لم نهجم عليهم يهجموا علينا». ثم أمر مرعش وغريب العسكر أن يأخذوا الأهبة للسفر بعد ثلاثة أيام فأصلحوا أحوالهم وأرادوا أن يرحلوا وإذا هم بالمردة الذين أوصلوا سهيمًا والهدايا قد أقبلوا على غريب وقبلوا الأرض، فسألهم عن قومه فقالوا له: «إن أخاك عجيبًا لما هرب من الواقعة ذهب إلى يعرب بن قحطان وقصد بلاد الهند ودخل على ملكها وحكى له ما جرى له من أخيه واستجار به فأجاره، وأرسل كتبه إلى جميع عماله فاجتمع عسكر مثل الرمل الزاخر لا يعرف له أول من آخر، وهو عازم على خراب العراق.

فلما سمع غريب كلامه قال: «تعست الكفار فإن الله - تعالى - ينصر الإسلام وسوف أريهم ضربًا وطعانًا». ثم قال مرعش: «يا ملك الإنس وحق الاسم الأعظم لا بدّ أن أسير معك إلى ملكك وأهلك أعداءك وأبلغك مناك». فشكره غريب وباتوا على نية الرحيل إلى أن أصبح الصباح فرحلوا وساروا قاصدين جبل قاف ومشوا يومهم وبعد ذلك ساروا قاصدين القصر الأبلق ومدينة المرمر، وكانت هذه المدينة مبنية بالحجارة والمرمر بناها بارق بن فاقع أبو الجن وبنى القصر الأبلق وسُمى بذلك لأنه مبنى بطوبة من فضة وطوبة من ذهب ما بُنى مثله فى سائر الأقطار.

فلما قربوا من مدينة المرمر وبقى بينهم وبينها نصف يوم نزلوا للراحة فأرسل مرعش من يكشف له الأخبار، فغاب الساعى ثم عاد وقال له: «يا ملك إن فى مدينة المرمر من أرهاط الجن عدد أوراق الشجر وقطر المطر». فقال الملك مرعش: «أى شىء يكون العمل يا ملك الإنس؟» فقال غريب: «يا ملك اقسم قومك أربعة أقسام يدورون حول العسكر ثم يقولون الله أكبر، وبعد أن يصيحوا بالتكبير يتأخرون عنهم ويكون ذلك الأمر فى نصف الليل وانظر ما يجرى بين قبائل الجان».

فأحضر مرعش قومه وفرقهم مثل ما قال غريب فحملوا سلاحهم وصبروا حتى انتصف الليل فساروا حتى داروا حول العسكر وصاحوا: «الله أكبر يا لدين الخليل إبراهيم عليه السلام». فانتبه الكفار مرعوبين من هذه الكلمة وخطفوا سلاحهم ووقعوا فى بعضهم حتى لاح الفجر. وقد فنى أكثرهم وبقى أقلهم. فصاح غريب على الجن المؤمنين وقال: «احملوا على من بقى من الكافرين وها أنا معكم والله ناصركم» فحمل مرعش وصحبه غريب وجرد غريب سيفه الماحق الذى من سيوف الجنّ. فجدع الأنوف، ولوح القحوف، وهزم الصفوف، وقد ظفر ببرقان وضربه فأعدمه الحياة ونزل مختضبًا بدمائه، ثم فعل بالملك الأزرق كذلك.

فلما أضحى النهار لم يبق من الكفار ديار ولا من يرد الأخبار؛ ودخل مرعش وغريب القصر الأبلق فرأيا حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة وأعتابه من البللور وهو معقود بالزمرد الأخضر وفيه فسقية وشاذروان مفروش بالحرير المزركش بشرائط الذهب المرصع بالجوهر، ووجدا أموالاً لا تحصى ولا توصف. ثم دخلا قاعة الحريم، فنظر غريب إلى حريم الملك الأزرق فرأى فى بناته بنتًا ما رأى أحسن منها وعليها بدلة تساوى ألف دينار وحولها مائة جارية ترفع أذيالها بكلاليب من الذهب وهى مثل القمر بين النجوم، فلما رأى غريب هذه

مائة جارية ترفع أذيالها بكلاليب من الذهب وهى مثل القمر بين النجوم، فلما رأى غريب هذه البنت طاش عقله وحار. فقال لبعض تلك الجوارى: «من تكون هذه الجارية؟» فقالوا له: «هذه كوكب الصباح بنت الملك الأزرق».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية دخول غريب فى القصر الأبلق
وتزوجه بنت الملك الأزرق

قالت شهر زاد: فالتفت غريب إلى الملك مرعش وقال: «يا ملك الجان مرادى أن أتزوج بهذه البنت». فقال له الملك مرعش: «القصر وما فيه من الأموال والأولاد كسب يدك ولولا أنت عملت الحيلة حتى أهلكت برقان والملك الأزرق وقومهما لكانوا أهلكونا عن آخرنا، فالمال مالك وأهله عبيدك». فشكره غريب على حسن كلامه.

وتقدم إلى البنت ونظر إليها وحقق النظر فيها فأحبها حبًا شديدًا، ونسى فخر تاج بنت الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ونسى مهدية، وكانت والدة هذه البنت بنت ملك الصين خطفها الملك الأزرق من قصرها وتزوج بها فجاءت بهذه البنت، فمن حسنها وجمالها سماها كوكب الصباح. وهى سيدة الملاح، فماتت أمها وهى بنت أربعين يومًا فربَّتها القوابل والخدام حتى صار لها من العمر سبع عشرة سنة، فجرى هذا الأمر وقتل أبوها وأحبها غريب حبًا شديدًا وصافحها وتزوج بها، وكانت تبغض أباها وقد فرحت بقتله.

وقد أمر غريب أن يهدم القصر الأبلق فهدموه، وفرقه غريب على الجان فناب غريبًا إحدى وعشرون ألف طوبة من الذهب والفضة ونابه من المال والمعادن ما لا يحصى ولا يعد، ثم إن الملك مرعشًا أخذ غريبًا وفرّجه على جبل قاف وعجائبه وساروا قاصدين حصن برقان.

فلما وصلوا إليه أخربوه وقسموا أمواله وساروا إلى حصن مرعش فأقاموا فيه خمسة أيام وطلب غريب الرواح إلى بلاده. فقال مرعش: «يا ملك الإنس أنا أسير فى ركابك حتى أوصلك إلى بلادك».

فقال غريب: «لا وحق الخليل إبراهيم ما أخليك تُتعب سرك ولا آخذ من قومك سوى الكيلجان والقورجان».

فقال مرعش: «يا ملك خذ عشرة آلاف فارس من الجن يكونون معك فى خدمتك».
فقال غريب: «ما آخذ إلا ما أخبرتك به».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية وصول غريب قرب مدينته واستماعه بوصول عسكر الكفار

قالت شهر زاد: فأمر مرعش ألف مارد أن يحملوا ما ناب غريبًا من الغنيمة ويصحبوه إلى ملكه. وأمر الماردين الكيلجان والقورجان أن يكونا مع غريب ويطيعاه. فقالا: «سمعًا وطاعة». ثم قال غريب للمردة: «احملوا أنتم المال وكوكب الصباح». وأراد غريب أن يرحل ويركب جواده الطيار. فقال مرعش: «هذا الجواد يا أخى لا يعيش إلا فى أرضنا وإن وصل إلى أرض الإنس مات، ولكن عندى جواد بحرى وما يوجد له مثيل فى أرض العراق وجميع الآفاق». ثم أمر بإحضار الجواد فأحضروه. فلما نظره غريب حال بينه وبين عقله. ثم كبلوا الجواد وحمله الكيلجان وحمل القورجان ما أطاقه.

ثم إن مرعشًا اعتنق غريبًا وبكى على فراقه وقال له: «يا أخى إذا حصل لك ما لا طاقة لك به فأرسل إلىّ وأنا آتيك بعسكر يخربون الأرض وما عليها». فشكره غريب على معروفه وحسن إسلامه، وسار الماردان بغريب والجواد يومين وليلة وقد قطعا مسيرة خمسين سنة حتى قربوا من مدينة عمان فنزلوا قريبًا منها ليأخذوا الراحة.

فالتفت غريب إلى الكيلجان وقال له: «سر واكشف لى خبر قومى». فسار المارد ثم عاد وقال: «يا ملك إن على مدينتك عسكر الكفار مثل البحر الزخار وقومك يقاتلونهم وقد دقوا طبول الحرب والجمرقان برز لهم إلى الميدان». فلما سمع غريب هذا الكلام صاح: «الله أكبر». وقال: «يا كيلجان شد لى الحصان وقدم عدتى والسنان، اليوم يظهر الفارس من الجبان، فى مقام الحرب والطعان». فقام الكيلجان وقد أحضر له ما طلب، فأخذ عدة الحرب وتقلد بسيف يافث بن نوح وركب الجواد البحرى وقصد العساكر والجنود. فقال الكيلجان والقورجان: «أرح قلبك ودعنا نسير إلى الكفار فنشتتهم فى البرارى والقفار، حتى لا يبقى منهم ديار ولا نافخ نار بعون الله العلى الجبار». فقال لهما غريب: «وحق الخليل إبراهيم ما أخليكما تقاتلان إلا وأنا على ظهر جوادى».

وقد كان لمجىء هذا العسكر سبب عجيب وهو أن عجيبًا لما أتى بعسكر يعرب بن قحطان وحاصر المسلمين وخرج الجمرقان وسعدان وجاءهم الكيلجان والقورجان وكسروا عساكر الكفار وهرب عجيب قال: «يا قوم إن رجعتم إلى يعرب بن قحطان وقد قُتل قومه وولده يقول: يا قوم لولا أنتم ما قُتل قومى وولدى فيقتلنا عن آخرنا، والرأى عندى أن تسيروا إلى بلاد الهند وندخل على الملك طركنان فيأخذ بثأرنا. فقال له قومه: سر بنا باركت النار فيك». فساروا أيامًا وليالى حتى وصلوا إلى مدينة الهند. واستأذنوا فى الدخول على الملك طركنان فأذن لعجيب فى الدخول، فدخل وقبّل الأرض ودعا له بدعاء الملوك وقال: «يا ملك أجرنى أجارتك النار ذات الشرر، وحماك الدجى بالظلام المعتكر». فلما نظر ملك الهند إلى عجيب قال له: «من أنت وما تريد؟» قال له: «أنا عجيب ملك العراق وقد جار علىّ أخى وقد تبع دين الإسلام وأطاعته العباد، وقد ملك البلاد ولم يزل يطردنى من أرض إلى أرض، وها أنا أتيت إليك أستجير بك وبهمتك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية قتال عسكر غريب مع عسكر رعد شاه

قالت شهر زاد: فلما سمع ملك الهند كلام عجيب قام وقعد وقال: «وحق النار لآخذن بثأرك ولا أدع أحدًا يعبد غير ربتى النار». ثم إنه صاح على ولده وقال له: «يا ولدى هيء حالك واذهب إلى العراق، واهلك كل من فيها واربط الذين لا يعبدون النار وعذبهم ومثل بهم ولا تقتلهم، وائتنى بهم عندى حتى أصنع فى عذابهم أنواعًا وأذيقهم الهوان وأتركهم عبرة لمن اعتبر فى هذا الزمان». ثم اختار معه ثمانين ألف مقاتل على الخيل وثمانين ألف مقاتل على الزرافات، وبعث معهم عشرة آلاف فيل كل فيل عليه تخت من الصندل مشبك بقضبان الذهب وصفائحه ومساميره من الذهب والفضة، وفى كل تخت ستر من الذهب والزمرد. وأرسل معهم تخوت السلاح فى كل تخت ثمانية رجال يقاتلون بسائر السلاح. وكان ابن الملك شجاع الزمان ما له فى شجاعته نظير، كان اسمه رعد شاه وجهز نفسه فى عشرة أيام وساروا مثل قطع الغمام مدة شهرين من الزمان حتى وصلوا مدينة عمان وداروا حولها وعجيب فرحان ويظن أنه ينتصر.

وقد خرج الجمرقان وسعدان، وجميع الأبطال فى حومة الميدان، ودقت الطبول وصهلت الخيول، وأشرف على ذلك الكيلجان ورجع أخبر الملك غريبًا وركب كما ذكرنا وساق جواده ودخل بين الكفار ينتظر من يبرز له ويفتح باب الحرب، فبرز سعدان الغول وطلب البراز فبرز له بطل من أبطال الهند.

فما أمهله سعدان فى الثبات قدامه حتى ضربه بالعمود فهشم عظمه وصار على الأرض ممدودًا، فبرز له ثان فقتله وثالث فجندله، ولم يزل سعدان يقتل حتى قتل ثلاثين بطلاً.

فعند ذلك برز له بطل من الهند اسمه بطاش الأقران، وكان فارس الزمان يعد بخمسة آلاف فارس فى الميدان للحرب والطعان. وهو عم الملك طركنان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتال غريب مع بطاش

قالت شهر زاد: فلما برز بطاش لسعدان قال له: «يا شلح العرب هل بلغ من قدرك أن تقتل ملوك الهند وأبطالها وتأسر فرسانها؟ اليوم آخر أيامك من الدنيا». فلما سمع سعدان هذا الكلام احمرت عيناه وهجم على بطاش فضربه بالعمود، فخابت الضربة ولف سعدان مع العمود فوقع على الأرض. فما أفاق إلا وهو مكتف، مقيد فسحبوه إلى خيامهم. فلما نظر الجمرقان إلى صاحبه أسيرًا قال: «يا لدين الخيل إبراهيم». ولكز جواده وحمل على بطاش الأقران فتجاولا ساعة، ثم هجم بطاش على الجمرقان فجذبه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه ورماه على الأرض، فكتفوه وسحبوه إلى خيامهم. ولم يزل بطاش يبرز له مقدم بعد مقدم حتى أسر من المسلمين أربعة وعشرين مقدمًا. فلما نظر المسلمون إلى ذلك اغتموا غمًا شديدًا. فلما نظر غريب ما حل بأبطاله سحب من تحت ركبته عمودًا من الذهب وزنه مائة وعشرون رطلاً وهو عمود برقان ملك الجان.

ثم ساق جواده البحرى فجرى تحته مثل هبوب الريح، واندفع حتى صار فى وسط

الميدان وصاح: «الله أكبر فتح ونصر، وخذل من كفر بدين إبراهيم الخليل». ثم حمل على بطاش وضربه بالعمود فوقع على الأرض فالتفت نحو المسلمين ونظر إلى أخيه سهيم الليل وقال له: «كتف هذا الكلب». فلما سمع سهيم كلام غريب اندفع على بطاش فشد وثاقه وأخذه، وصار أبطال المسلمين يتعجبون من ذلك الفارس، وصار الكفار يقولون لبعضهم: «من هذا الفارس الذى خرج من بينهم وأسر صاحبنا؟».

كل هذا وغريب يطلب البراز فبرز له مقدم من الهنود فضربه غريب بالعمود فوقع على الأرض ممدودًا، فكتفه الكيلجان والقورجان وسلماه إلى سهيم، ولم يزل غريب يأسر بطلاً بعد بطل حتى أسر اثنين وخمسين بطلاً مقدمين أعيانًا. وقد فرغ النهار فدقوا طبول الانفصال وطلع غريب من الميدان وقصد عسكر المسلمين. وكان أول من لاقه سهيم فقبل رجله فى الركاب وقال له: «لا شلّت يداك يا فارس الزمان فأخبرنا من أنت من الشجعان؟» فعند ذلك رفع البرقع الزرد عن وجهه فعرفه وقال سهيم: «يا قوم هذا ملككم وسيدكم غريب وقد أتى من أرض الجان.

فلما سمع المسلمون بذكر ملكهم رموا أرواحهم عن ظهور الخيل وقدموا إليه وقبلوا رجليه فى الركاب وسلموا عليه وفرحوا بسلامته ودخلوا به إلى مدينة عمان ونزل على كرسى مملكته ودار قومه حوله وهم فى غاية الفرح، ثم قدموا الطعام فأكلوا وبعد ذلك حكى لهم جميع ما جرى له فى جبل قاف من قبائل الجان فتعجبوا غاية العجب وحمدوا الله على سلامته. وكان الكيلجان والقورجان لا يفارقان غريبًا. ثم أمر غريب قومه بالانصراف إلى مراقدهم. فتفرّقوا إلى بيوتهم ولم يبقَ عنده إلا الماردان. فقال لهما: «هل تقدران أن تحملانى إلى الكوفة لأزور أهلى وترجعا بى فى آخر الليل؟» فقالا: «يا مولانا هذا أهون ما طلبت». وكان بين الكوفة وعمان ستون يومًا للفارس المجد. فقال الكيلجان للقورجان: «أنا أحمله فى الذهاب وأنت تحمله فى المجىء». فحمله الكيلجان وحاذاه القورجان.

فما كان إلا ساعة حتى وصلوا إلى الكوفة وعدلا به إلى باب القصر، فدخل على عمه الدامغ. فلما رآه قام له وسلّم عليه. ثم قال له: «كيف حال زوجتى فخر تاج وزوجتى مهدية قال: «إنهما طيبتان بخير وعافية» ثم رحل الخادم فأخبر الحريم بمجىء غريب ففرحنَ وزغرتنَ ووهبنَ للخادم بشارته. ثم دخل الملك غريب فقمنَ له وسلمنَ عليه، ثم بعد ذلك تحدثوا وحضر الدامغ فحكى له ما جرى له مع الجن، فتعجب الدامغ والحريم، واستراح بقية الليل إلى أن قرب الفجر. فخرج إلى الماردين وودع أهله وحريمه وعمه الدامغ.

ثم ركب ظهر القورجان وحاذاه الكيلجان، فما انكشف الظلام إلا وهو فى مدينة عمان ولبس آلة حربه وكذلك قومه وأمر بفتح الأبواب. وإذا بفارس قد وصل من عسكر الكفار ومعه الجمرقان وسعدان الغول والمقدمون المأسورون وقد خلصهم ثم سلمهم لغريب ملك المسلمين، ففرح المسلمون بسلامتهم ثم تدرعوا وركبوا وقد دقوا كؤوس الحرب واستعدوا للطعن والضرب، وركب الكفار واصطفوا صفوفًا فى الميدان للحرب والطعان.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتال غريب مع عجيب وأسره له وقتاله مع رعد شاه

قالت شهر زاد: فأول من فتح باب الحرب، الملك غريب وسحب سيفه الماحق وهو سيف يافث بن نوح - عليه السلام - وساق جواده بين الصفين ونادى: «من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى فأنا أُعَرِّفُهُ بنفسى أنا الملك غريب ملك العراق واليمن، أنا غريب أخو عجيب». فلما سمع رعد شاه ابن ملك الهند كلام غريب صاح على المقدمين وقال: «ائتونى بعجيب». فأتوا به. فقال له: «أنت تعلم بأن هذه الفتنة فتنتك وأنت كنت السبب فيها. وهذا أخوك فى حومة الميدان، ومقام الحرب والطعان، فاخرج له وائتنى به أسيرًا حتى أركبه على جمل بالمقلوب وأمثل به حتى أصل إلى بلاد الهند». فقال له عجيب: «يا ملك أرسل له غيرى فإنى أصبحت ضعيفًا».

فلما سمع رعد شاه كلامه شخر ونخر وقال: «وحق النار ذات الشرر والنور والظل والحرور إن لم تخرج على أخيك وتأتنى به سريعًا قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك». فخرج عجيب وساق جواده وقد شجع قلبه وقارب أخاه فى حومة الميدان. وقال له: «يا كلب العرب وأخس من دق طنب، أتضاهى الملوك فخذ ما جاءك وأبشر بموتك». فلما سمع الملك غريب هذا الكلام قال له: «من أنت من الملوك؟» قال له: «أنا أخوك فاليوم آخر أيامك من الدنيا». فلما تحقق غريب أنه أخوه عجيب صاح وقال: «يا لثار أبى وأمى». ثم أعطى الكيلجان سيفه وحمل عليه وضربه بالدبوس ضربة جبار عنيد كادت أن تخرج أضلاعه وقبضه من أطواقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وضرب به الأرض فانطبق عليه الماردان وشدّا وثاقه ثم قاداه ذليلاً حقيرًا. كل هذا وغريب قد فرح بأسر عدوه وأنشد قول الشاعر:

بلغت المراد وزال العنا ... لك الحمد والشكر يا ربنا

نشأت ذليلاً فقيرًا حقيرًا ... فأعطانى الله كل المنى

ملكت البلاد قهرت العباد ... فلولاك ما كنتُ يا ربنا

فلما نظر رعد شاه ما حل بعجيب من أخيه غريب دعا بجواده ولبس آلة حربه وجلبابه وخرج إلى الميدان، وساق جواده إلى أن قارب الملك غريبًا فى مقام الحرب والطعان وصاح عليه وقال: «يا أخس العرب، وحمال الحطب، هل بلغ من قدرك أن تأسر الملوك والأبطال؟ فانزل عن جوادك وكتف نفسك وقبل رجلى وأطلق أبطالى وسر معى إلى ملكى وأنت مقيد مسلسل حتى أعفو عنك وأجعلك شيخ بلادنا تأكل فيها لقمة الخبز».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أسر رعد شاه عند غريب

قالت شهر زاد: فلما سمع غريب منه هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له: «يا كلبًا أكلب، وذئبًا أجرب، سوف تنظر من تدور عليه الدوائر». ثم صاح على سهيم وقال له: «ائتنى بالأسارى». فأتاه بهم فضرب رقابهم، فعند ذلك حمل رعد شاه على غريب حملة صنديد، وصدمه صدمة جبار عنيد، ولم يزالا فى كرّ وفرّ وصدام حتى هجم الظلام، فدقوا

طبول الانفصال. وافترقا من بعضهما وذهب كل ملك إلى موضعه فهنأوهما بالسلامة. فقال المسلمون للملك غريب: «ما هى عادتك يا ملك أن تطاول القتال؟» فقال: «يا قوم قاتلت الأبطال والأقيال فما رأيت أحسن ضربًا من هذا البطل وكنت أردت أن أسحب سيف يافث وأضربه فأهشم عظامه وأفنى أيامه ولكن طاولته ظنًا منى أنى آخذه أسيرًا ويكون له حظ فى الإسلام». هذا ما كان من أمر غريب، وأما ما كان من أمر رعد شاه فإنه دخل السرادق وجلس على سريره ودخلت عليه كبراء قومه فسألوه عن خصمه. فقال لهم: «وحق النار ذات الشرر ما رأيت عمرى مثل هذا البطل، وفى غد آخذه أسيرًا وأقوده ذليلاً حقيرًا». وباتوا إلى الصباح. فدقوا طبول الحرب، واستعدوا للطعن والضرب، وتقلّدوا الصفاح وأقاموا الصياح وركبوا الجرد القراح، وخرجوا من الخيام فملأوا الأرض والآكام والبطاح والأماكن الفساح. وكان أول من فتح باب الحرب والطعان الفارس المقدام والأسد الضرغام الملك غريب. فجال وصال وقال: «هل من مبارز هل من مناجز؟ لا يخرج لى اليوم كسلان ولا عاجز». فما استتم كلامه حتى برز له رعد شاه وهو راكب على فيل كأنه قبة عظيمة، وعلى ظهر الفيل تخت محزّم بشرايط حرير والفيّال راكب بين آذان الفيل وفى يده كلاب يضرب به الفيل ويهتز يمينًا وشمالاً، فلما قرب الفيل من جواد غريب وقد نظر الجواد شيئًا ما رآه قط جفل منه، فنزل غريب عنه وسلمه للكيلجان وسحب سيفه الماحق وتقدم نحو رعد شاه ماشيًا على أقدامه حتى صار قدام الفيل وكان رعد شاه إذا رأى نفسه مغلوبًا مع بطل من الأبطال يركب فى تخت الفيل ويأخذ معه شيئًا اسمه الوهق، وهو فى هيئة الشبكة واسع من أسفل وضيق من فوق؛ وفى ذيله حلق وفيه قنب حرير فيقصد الفارس والفرس ويضعه عليهما ويسحب القنب، فينزل عن الجواد وراكبه فيأخذه أسيرًا وقد قهر الفرسان بهذا الشأن.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية مقاتلة عسكر غريب مع عسكر رعد شاه

قالت شهر زاد: فلما قارب غريبًا رفع يده بالوهق وفرشه على غريب فانتشر عليه وسحبه فصار عنده على ظهر الفيل. وصاح على الفيل أن يرد إلى عسكره، وكان الكيلجان، والقورجان ما يفارقان غريبًا فلما رأيا ما حل بصاحبهما أمسكا الفيل. كل هذا وغريب قد تمطى فى الوهق فمزقه. وهجم الكيلجان والقورجان على رعد شاه وكتفاه وقاداه فى حبل ليف. وقد حمل الناس على بعضهم كأنهم بحران يلتطمان، أو جبلان يصطدمان، والغبار قد طلع إلى عنان السماء، وعاين العسكران العمى وقوى الحرب وسالت الدماء، ولم يزالوا فى حرب شديد، وطعن أكيد، وضرب ما عليه من مزيد، حتى ولى النهار، وأقبل الليل بالاعتكار، فدقوا طبول الانفصال وافترقوا من بعضهم.

وكان المسلمون حاضرون فى ذلك اليوم، وقد قتل منهم جماعة كثيرة وجرح أكثرهم وذلك من ركاب الفيلة والزرافات فصعب على غريب فأمر أن يداوى الجرحى، والتفت إلى كبار جماعته وقال: «ما عندكم من الرأى؟» قالوا: «يا ملك ما ضرنا إلا الفيلة والزرافات، فلو سلمنا منها كنا غلبناهم». فقال الكيلجان والقورجان: «نحن الاثنان نسحب سيوفنا ونهجم عليهم

فنقتل أكثرهم». فتقدم رجل من أهل عمان وكان صاحب رأى عند الجلند وقال: «يا ملك ضمان هذا العسكر على إذا أنت طاوعتنى وسمعت منى». فالتفت غريب إلى المقدمين. وقال: «مهما قاله لكم هذا المعلم فأطيعوه». فقالوا: «سمعًا وطاعةً». فاختار ذلك الرجل عشرة مقدمين وقال: «ما تحت أيديكم من الأبطال؟» فقالوا: «عشرة آلاف بطل». فأخذهم ودخل بهم دار السلاح. فأعطى خمسة آلاف منهم بندقيات وعلمهم كيفية الرمى بها. فلما لاح الفجر جهز الكفار أنفسهم وقدموا الفيلة والزرافات ورجالهم حاملون السلاح الكامل وقدموا الوحوش وأبطالهم قدام العسكر وركب غريب وأبطاله واصطفوا صفوفًا ودقت الكاسات وقدمت السادات وتقدمت الوحوش والفيلة، فصاح الرجل على الرماة فاشتغلوا بالسهام والبندقيات فخرج النبل والرصاص فدخلت فى أضلاع الوحوش، فصاحب الوحوش وانقلبت على الأبطال والرجال وداستهم بأرجلها، ثم هجم المسلمون على الكفار وأحاطوا بهم من الشمال إلى اليمين وداستهم الفيلة وشتتهم فى البرارى والقفار، وسار المسلمون فى أقفيتهم بالسيوف المهندة. فما سلم من الفيلة والزرافات إلا القليل ورجع الملك غريب وقومه فرحين بالنصر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية إسلام رعد شاه وسفر غريب إلى الهند

قالت شهر زاد: فلما أصبحوا فرقوا الغنائم وقعدوا خمسة أيام، ثم بعد ذلك جلس الملك غريب على كرسى المملكة وطلب أخاه عجيبًا وقال له: «يا كلب ما لك تحشد علينا الملوك، والقادر على كل شىء ينصرنى عليك فأسلم تسلم وأترك لك ثأر أبى وأمى من أجل ذلك وأجعلك ملكًا كما كنت وأكون أنا من تحت يدك». فلما سمع عجيب كلام غريب قال له: «ما أفارق دينى». فجعله فى قيد حديد ووكل به مائة عبد شديد، والتفت إلى رعد شاه وقال له: «ما تقول فى دين الإسلام؟» فقال: «يا مولاى أنا أدخل فى دينكم ولولا أنه دين صحيح مليح ما غلبتمونا، امدد يدك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن الخليل إبراهيم رسول الله». ففرح غريب بإسلامه وقال له: «هل ثبتت فى قلبك حلاوة الإيمان؟» قال: «نعم يا مولاى». ثم قال له غريب: «يا رعد شاه هل تمضى إلى بلادك وملكك؟» فقال: «يا ملك يقتلنى أبى لأنى خرجت من دينه». فقال غريب: «أنا أسير معك وأملكك الأرض حتى تطيعك البلاد والعباد بعون الله الكريم الجواد». فقبل يده ورجله، ثم أنعم على صاحب الرأى الذى هو سبب انهزام العدو وأعطاه أموالاً كثيرة. والتفت إلى الكيلجان والقورجان وقال لهما: «يا أرهاط الجن؟» قالا: «لبيك». قال: «مرادى أن تحملانى إلى بلاد الهند». فقالا: «سمعًا وطاعةً». فأخذ معه الجمرقان وسعدان وحملهما القورجان وحمل الكيلجان غريبًا ورعد شاه وقصدا بهم أرض الهند.

حكاية قتل طركنان
وجعل غريب رعد شاه سلطانًا على قومه

وكان المسير وقت الغروب فما جاء آخر الليل إلا وهم فى كشمير، فأنزلاهم فى قصر وانحدروا من سلالم القصر. وكان طركنان بلغه الخبر من المنهزمين بما جرى لابنه وعسكره

وأنهم فى هم عظيم وأن ابنه لا ينام ولا يلتذ بشىء، فصار متفكرًا فى أمره وما جرى له. وإذا بالجماعة دخلوا عليه فلما نظر الملك ابنه ومن معه بهت وأخذه الفزع من المردة والتفت إليه ابنه رعد شاه وقال له: «إلى أين يا غدار يا عابد النار، يا ويلك فاترك عبادة النار، واعبد الملك الجبار، خالق الليل والنهار، الذى لا تدركه الأبصار؟».

فلما سمع أبوه هذا الكلام كان معه دبوس حديد فرماه به فخلا عنه ووقع فى ركن القصر فهدم ثلاثة أحجار. وقال له: «يا كلب أهلكت العساكر وضيعت دينك وجئت تخرجنى من دينى؟» فتلقاه غريب ولكمه فى عنقه فرماه، فشد الكيلجان والقورجان وثاقه وهرب الحريم جميعًا. ثم إنه جلس على كرسى مملكته وقال لرعد شاه: «أعدل أباك» فالتفت إليه وقال له: «يا شيخ الضلال أسلم تسلم من النار ومن غضب الجبار». فقال طركنان: «ما أموت إلا على دينى». فعند ذلك سحب غريب سيفه الماحق وضربه به فوقع على الأرض شطرين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار، ثم أمر غريب بتعليقه على باب القصر فعلّقوه وجعلوه شطرًا يمينًا وشطرًا شمالاً وباتوا حتى جاء النهار.

فأمر غريب رعد شاه أن يلبس بدلة الملك فلبس وجلس على تخت أبيه وقعد غريب عن يمينه، ووقف الكيلجان والقورجان والجمرقان وسعدان الغول يمينًا وشمالاً وقال لهم الملك غريب: «كل من دخل من الملوك اربطوه ولا تخلوا مقدمًا ينفلت من أيديكم». فقالوا: «سمعًا وطاعةً». ثم بعد ذلك طلع المقدمون وقصدوا قصر الملك لأجل الخدمة فأول من طلع المقدم الكبير فنظر الملك طركنان معلقًا شطرين فاندهش وحار ولحقه الانبهار فهم إليه الكيلجان وجذبه من أطواقه فرماه وكتفه ثم جذبه إلى داخل القصر ثم ربطه وسحبه.

فما طلعت الشمس حتى ربط ثلاثمائة وخمسين مقدمًا وأوقفهم بين يدى غريب. فقال لهم: «يا قوم هل نظرتم ملككم وهو معلق على باب القصر؟» فقالوا: «من فعل به هذا الفعال؟» فقال غريب: «أنا فعلت به ذلك بعون الله ـ تعالى ـ ومن خالفنى فعلت به مثله». فقالوا: «ما تريد منا؟» فقال: «أنا غريب ملك العراق أنا الذى أهلكت أبطالكم، وإن رعد شاه دخل فى دين الإسلام وقد صار ملكًا عظيمًا وحاكمًا عليكم، فأسلموا تسلموا، ولا تخالفوا تندموا». فنطقوا بالشهادة وكتبوا من أهل السعادة. فقال غريب: «هل صحت فى قلوبكم حلاوة الإيمان؟» قالوا: «نعم». فأمر بحلهم فحلوهم فخلع عليهم وقال لهم: «امضوا إلى قومكم واعرضوا عليهم الإسلام فمن أسلم فأبقوه ومن أبى فاقتلوه» فمضوا وجمعوا رجالهم الذين تحت أيديهم ويحكمون عليهم وأعلموهم بما كان، ثم عرضوا عليهم الإسلام فأسلموا إلا قليلاً فقتلوهم. وأخبروا غريبًا بذلك فحمد الله ـ تعالى ـ وأثنى عليه وقال: «الحمد لله الذى هون علينا من غير قتال». وأقام غريب فى كشمير الهند أربعين يومًا حتى مهد البلاد وأخرب بيوت النار وأماكنها وبنى فى مواضعها مساجد وجوامع. وقد حزّم رعد شاه من الهدايا والتحف شيئًا كثيرًا لا يوصف وأرسله فى المراكب. ثم ركب غريب على ظهر الكيلجان وركب سعدان والجمرقان على ظهر القورجان بعد أن ودعوا بعضهم وساروا إلى آخر الليل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية رجوع غريب مع الجماعة إلى الكوفة
وصلب عجيب على بابها

قالت شهر زاد: فلما لاح الفجر إلا وهم فى مدينة عمان. فتلقاهم قومهم وسلموا عليهم وفرحوا بهم فلما وصل غريب إلى باب الكوفة أمر بإحضار أخيه عجيب فأحضروه وأمر بصلبه، فأحضر له سهيم كلاليب من حديد وجعلها فى عراقيبه وعلقوه على باب الكوفة، ثم أمر برميه بالنبال فرموه بها حتى صار كالقنفذ. ثم دخل الكوفة ودخل قصره وجلس على تخت ملكه. فحكم ذلك اليوم حتى فرغ النهار. ثم دخل على حريمه فقامت له كوكب الصباح وهنأته وكذلك الجوارى هنأنه بالسلامة. ثم أقام عند كوكب الصباح ذلك اليوم وتلك الليلة. فلما أصبح الصباح قام واغتسل وصلى صلاة الصبح وجلس على سرير ملكه وشرع فى عرس مهدية فذبح ثلاثة آلاف رأس من الغنم وألفين من البقر وألفًا من المعز وخمسمائة من الجمال وأربعة آلاف من الدجاج ومن الأوز كثيرًا ومن الخيل خمسمائة. وكان هذا لم يعمل مثله فى الإسلام فى ذلك الزمان. ثم إن غريبًا قعد مع مهدية فى الكوفة عشرة أيام. ثم وصى عمه بالعدل فى الرعية وسار بحريمه وأبطاله حتى وصل إلى مراكب الهداية والتحف ففرقها بجميع ما فيها على العسكر واستغنت الأبطال بالأموال، ولم يزالوا فى سيرهم حتى وصلوا إلى مدينة بابل، فخلع على أخيه سهيم الليل وجعله فيها سلطانًا وأقام فيها عشرة أيام.

ثم رحل ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا حصن سعدان الغول فاستراحوا خمسة أيام. ثم إن غريبًا قال للكيلجان والقورجان: امضيا إلى أسبانير المدائن وادخلا قصر كسرى واكشفا لى خبر فخر تاج وهاتا لى رجلاً من أقارب الملك يخبرنى بما جرى. فقالا: سمعًا وطاعة، ثم سار الاثنان إلى أسبانير المدائن.

فبينما هما سائران بين السماء والأرض وإذا هما بعسكر جرار مثل البحر الزاخر، فقال الكيلجان للقورجان: انزل بنا لنكشف خبر هذا العسكر، فنزلا ومشيا بين العساكر فوجداهم أعجامًا، فسألا بعض الرجال من هذا العسكر وإلى أين سائرون، فقالوا لهما: إلى غريب نقتله ونقتل كل من معه، فلما سمعا هذا الكلام توجها إلى سرادق الملك المقدم عليهم وكان اسمه رستم وصبرا حتى نام الأعجام فى مراقدهم ونام رستم على تخته فحملاه بتخته وتجاوزا الحصن، فما جاء نصف الليل إلا وهم فى خيام الملك غريب. فعند ذلك تقدما إلى باب السرادق وقالا: دستور.

فلما سمع غريب ذلك الكلام جلس وقال: ادخلوا، فدخلا بذلك التخت ورستم راقد عليه، فقال لهم غريب: من يكون هذا؟ فقالا: هذا ملك من ملوك العجم ومعه عسكر عظيم وقد أتى يريد قتلك أنت وقومك وقد جئناك به ليخبرك عما تريد. فقال غريب: ائتونى بمائة بطل، فأتوا بهم. فقال: اسحبوا سيوفكم وقفوا على رأس هذا العجمى ففعلوا ما أمرهم به ونبهوه ففتح عينيه فوجد على رأسه قبة من سيوف، فغمض عينيه وقال: أى شىء هذا المنام القبيح. فوكزه الكيلجان بذباب السيف فقعد فقال رستم: أين أنا؟ فقال: أنت فى حضرة الملك غريب صهر ملك العجم، فما اسمك وإلى أين تذهب؟

فلما سمع اسم غريب تفكر وقال فى نفسه: هل أنا نائم أم يقظان؟ فضربه سهيم وقال له: لم لا ترد الكلام، فرفع رأسه وقال: من أتى بى من خيمتى وأنا بين رجالي؟ فقال غريب: جاء بك هذان الماردان.

فلما نظر إلى الكيلجان والقورجان تغوط فى لباسه، فهم عليه الماردان وقد كشرا عن أنيابهما وسحبا سيوفهما وقالا له: أما تقدم تقبل الأرض قدام الملك غريب؟ فارتعب من الماردين وتحقق أنه غير نائم فوقف على أقدامه وقبل الأرض وقال: باركت النار فيك وطال عمرك يا ملك.

فقال غريب: يا كلب العجم النار ليست معبودة؛ لأنها لا تضر ولا تنفع إلا للطعام، فقال: فمن هو المعبود؟ فقال غريب: المعبود هو الله الذى خلقك وصورك وخلق السموات والأرض. فقال العجمى: فما أقول حتى أصير من حزب ذلك الرب وأدخل فى دينكم؟ فقال غريب: تقول: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إخبار رستم بموت فخر تاج

قالت شهر زاد: فنطق بالشهادة فكتب من أهل السعادة وقال: اعلم يا مولاى أن صهرك ملك سابور طلب قتلك وقد بعثنى فى مائة ألف وأمرنى أن لا أبقى منكم أحدًا، فلما سمع غريب كلامه قال: «أهذا جزائى منه حيث خلَّصت ابنته من الضيق ومن الردى فالله يجازيه بما أضمره، ولكن فما اسمك؟» قال: «رستم مقدم سابور». فقال له غريب: «وكذلك مقدم عسكرى». ثم قال له: «يا رستم كيف حال الملكة فخرتاج؟» فقال له: «يعيش رأسك يا ملك الزمان».

فقال: «ما سبب موتها؟» قال: «يا مولاى لما سرت إلى أخيك أتت جارية للملك سابور صهرك وقالت له: «يا سيدى أأنت أمرت غريبًا أن يزور سيدتى فخر تاج؟» قال: «لا وحق النار». ثم إنه سحب سيفه ودخل عليها وقال لها: «يا خبيثة كيف خليت هذا البدوى يزورك ولا أعطاك مهرًا ولا عمل عرسًا؟» فقالت له: «يا أبت أنت أذنت له». وأطرقت برأسها إلى الأرض.

فصاح على القوابل والجوارى وقال لهن: «كتفنَ هذه العاهرة». فعمل عليها وأراد قتلها. فقامت أمها ومنعت عنها وقالت: «يا ملك لا تقتلها فتبقى معيرة ولكن احبسها فى مخدع حتى تموت». فحبسها حتى هجم الليل فأرسلها مع اثنين من خواصه وقال لهما: «ابعدا بها وألقياها فى بحر جيحون ولا تخبرا أحدًا». ففعلا ما أمرهما وقد خفى ذكرها ومضى زمانها.

فلما سمع غريب كلامه اسودت الدنيا فى عينيه وساءت أخلاقه وقال: «وحقِّ الخليل لأسيرن إلى هذا الكلب وأهلكه وأخرب دياره». ثم أرسل الكتب للجمرقان ولصاحب ميافارقين ولصاحب الموصل. ثم التفت إلى رستم وقال له: «كم معك من العسكر؟» فقال له: «معى مائة ألف من فرسان العجم». فقال له: «خذ معك عشرة آلاف وسر إلى قومك وشاغلهم بالحرب وأنا على أثرك». فركب رستم فى عشرة آلاف فارس من عسكره ثم سافر إلى قومه وقال فى نفسه: «إنى أعمل عملاً يبيض وجهى عند الملك غريب». فسار رستم سبعة أيام وقد قرب من

عسكر العجم وبقى بينه وبينهم نصف يوم. ففرّق عسكره أربع فرق وقال لهم: «دوروا حول العسكر وأوقعوا فيهم السيف». فقالوا: «سمعًا وطاعة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية رستم مع عسكر العجم وغلبته عليهم

قالت شهر زاد: فركبوا من العشاء إلى نصف الليل حتى داروا حول العسكر وكانوا آمنين بعد فقد رستم من بينهم. فهجم عليهم المسلمون وصاحوا: «الله أكبر». فقام الأعجام من النوم ودار فيهم الحسام وزلت منهم الأقدام وغضب عليهم الملك العلام وعمل فيهم رستم عمل النار فى الحطب اليابس، فما فرغ الليل إلا وعسكر العجم ما بين قتيل وهارب ومجروح، وغنم المسلمون الثقل والخيام وخزائن الأموال والخيل والجمال. ثم نزلوا فى خيام الأعجام واستراحوا حتى أقبل الملك غريب ونظر كيف دبّر الحيلة وقتل الأعجام وكسر عسكرهم فخلع عليه وقال له: «يا رستم أنت الذى كسرت العجم فجميع الغنيمة لك». فقبل يد الملك وشكره واستراحوا يومهم.

ثم ساروا طالبين ملك العجم، ووصل المنهزمون ودخلوا على الملك سابور. وشكوا له الويل والثبور وعظائم الأمور. فقال لهم سابور: «ما الذى دهاكم، ومن بشرّه رماكم» فحكوا له ما جرى وكيف هجم عليهم فى ظلام الليل فقال سابور: «ومن الذى هجم عليكم؟» فقالوا: «ما هجم علينا إلا مقدم عسكرك لأنه أسلم، وأما غريب فلم يأتنا». فلما سمع الملك بذلك رمى تاجه على الأرض وقال: «مابقى لنا قيمة». ثم التفت إلى ولده ورد شاه وقال: «يا ولدى ما لهذا الأمر إلا أنت». فقال ورد شاه: وحياتك يا والدى لا بد من أن أجىء بغريب وكبراء قومه فى الحبال وأهلك كل من كان معه». وأحصى عسكره فوجدهم مائتى ألف وعشرين ألفًا وباتوا على نية الرحيل.

وقد أصبح الصباح وأرادوا أن يرحلوا وإذا هم بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وقد حجب أعين النظار. وكان الملك سابور راكبًا لوداع ولده. فلما نظر إلى هذا العجاج العظيم صاح على ساع وقال: «اكشف لى خبر هذا الغبار». فراح وعاد ثم قال: «يا مولاى قد أتى غريب وأبطاله». فعند ذلك حطوا الأحمال واصطف الرجال للحرب والقتال. فلما أقبل غريب على أسبانير المدائن ونظر الأعجام وقد عزموا على الحرب والكفاح ندب قومه وقال: «احملوا بارك الله فيكم». فعندها هزوا العلم وانطبقت العرب والعجم، والأمم على الأمم وجرى الدم وانسجم وعاينت النفوس العدم وتقدم الشجاع وهجم وولى الجبان وانهزم، ولم يزالوا فى حرب وقتال حتى ولّى النهار فدقوا طبول الانفصال وافترقوا من بعضهم. وأمر الملك سابور أن ينصبوا الخيام على باب المدينة. وكذلك الملك غريب نصب خيامه قبال خيام الأعجام ونزل كل واحد فى خيامه.

فلما أصبح الصباح ركبوا الجرد القراح وأقاموا الصياح وقد حملوا الرماح ولبسوا عدة الكفاح وتقدم كل بطل جحجاح وليث وقاح، فأول من فتح باب الحرب رستم فقدم جواده إلى وسط الميدان وصاح: «الله أكبر أنا رستم مقدم أبطال العرب والعجم، هل من مبارز، هل من

مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز؟» فبرز له طومان من العجم وحمل على رستم ورستم حمل عليه ووقع بينهما حملات منكرات، فوثب رستم على غريمه وضربه بعمود كان معه وزنه سبعون رطلاً فخسف رأسه فى صدره فوقع على الأرض قتيلاً وفى دمه غريقًا. فما هان ذلك على الملك سابور فأمر قومه بالحملة فحملوا على المسلمين واستغاثوا بالشمس ذات الأنوار، واستغاث المسلمون بالملك الجبار، وتكاثر العجم على العرب وسقوهم كأس العطب. فعند ذلك صاح غريب وتقدم بهمته وسحب سيفه الماحق سيف يافث وحمل على الأعجام، وكان الكيلجان والقورجان بركاب الملك غريب ولم يزل كارًا بسيفه حتى وصل إلى رافع العلم فضربه على رأسه صفحًا فوقع على الأرض مغشيًا عليه. فأخذه الماردان إلى الخيام.

فلما نظرت الأعجام العلم قد وقع ولوا هاربين، وإلى أبواب المدينة طالبين. فتبعهم المسلمون بالسيوف حتى وصلوا إلى الأبواب وازدحموا فيها فمات منهم خلق كثير ولم يقدروا على غلق الأبواب. فهجم رستم والجمرقان وسعدان وسهيم والدامغ والكيلجان والقورجان وجميع أبطال المسلمين وفرسان الموحدين على الأعجام المارقين فى الأبواب، وجرى الدم من الكفار فى الأزقة مثل التيار. فعند ذلك نادوا: «الأمان الأمان». فرفعوا السيف عنهم فرموا سلاحهم وعددهم وساقوهم سوق الغنم إلى خيامهم.

وكان غريب قد رجع إلى سرادقه وقلع سلاحه ولبس ثياب العز بعد أن اغتسل من دم الكفار، وقعد على تخت ملكه وطلب ملك العجم فجاؤوا به وأوقفوه بين يديه. فقال له: «يا كلب العجم ما حملك على ما فعلت بابنتك، كيف ترانى لا أصلح لها بعلاً؟» فقال: «يا ملك لا تؤاخذنى بما فعلت فإنى ندمت وما واجهتك بالقتال إلا خوفًا منك». فلما سمع غريب هذا الكلام أمر أن يسطحوه ويضربوه، ففعلوا ما أمرهم به حتى قطع الأنين. ثم أدخلوه عند المحبوسين. ثم دعا بالأعجام وعرض عليهم الإسلام فأسلم منهم مائة وعشرون ألفًا والباقى راحوا على السيف، وأسلم كل من فى المدينة من الأعجام. وركب غريب فى موكب عظيم ودخل أسبانير المدائن وجلس على كرسى سابور ملك العجم وخلع ووهب وفرق الغنيمة والذهب وفرق على الأعاجم، فأحبوه ودعوا له بالنصر والعز والبقاء.

ثم إن أم فخر تاج تذكرت بنتها وأقامت العزاء وامتلأ القصر بالصراخ والصياح، فسمعهم غريب فدخل عليهم وقال: «ما خبركم؟» فتقدمت أم فخر تاج وقالت له: «يا سيدى إنك لما حضرت تذكرت ابنتى وقلت: لو كانت طيبة كانت فرحت بقدومك». فبكى غريب عليها وجلس على تخته وقال: «ائتونى بسابور». فأتوا به وهو يحجل فى القيود. فقال له: «يا كلب العجم ما فعلت بابنتك؟» قال: «أعطيتها لهذا وهذا وقلت لهما غرقاها فى بحر جيحون». فدعا غريب بالرجلين وقال لهما: «هل ما ذكره هذا حق؟» قالا: «نعم ولكن يا ملك ما غرقناها بل شفقنا عليها وسيبناها على شاطئ جيحون وقلنا لها: اطلبى النجاة لنفسك ولا ترجعى إلى المدينة فيقتلك ويقتلنا معك، وهذا ما عندنا».

فلما سمع غريب منهم هذا دعا بالمنجمين فحضروا، فقال لهم: «اضربوا لى تخت رمل وانظروا حال فخر تاج هل هى فى قيد الحياة أو ماتت؟» فضربوا تخت رمل وقالوا: «يا ملك الزمان ظهر لنا أن الملكة فى قيد الحياة وقد جاءت بولد ذكر وهما عند طائفة من الجان،

ولكن تغيب عنك عشرين سنة. فاحسب كم لك فى سفرتك؟» فحسب مدة الغيبة فكانت ثمان سنين فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». وبعث رسلاً إلى القلاع والحصون التى فى حكم سابور فأتوا طائعين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية مجيء ورد شاه ملك شيراز وابن سابور لقتال غريب

قالت شهر زاد: فبينما هو جالس فى قصره إذ نظر غبارًا ثار حتى سد الأقطار وأظلم الآفاق. فصاح على الكيلجان والقورجان وقال: «ائتيانى بخبر هذا الغبار». فسار الماردان ودخلا تحت الغبار وخطفا فارسًا من الفرسان وأتيا به إلى غريب وأوقفاه بين يديه وقالا له: «اسأل هذا فإنه من العسكر». فقال له غريب: «لمن هذا العسكر؟» فقال: «يا ملك إن هذا الملك ورد شاه صاحب شيراز أتى يقاتلك». وكان السبب فى ذلك أن سابور ملك العجم لما وقعت الواقعة بينه وبين غريب وجرى ما جرى هرب ابن الملك سابور فى شرذمة من عسكر أبيه، فسار حتى وصل إلى مدينة شيراز ودخل على الملك ورد شاه وقبّل الأرض ودموعه نازلة على خدوده. فقال له: «ارفع رأسك يا غلام وقل لى ما يبكيك؟» فقال: «يا ملك ظهر لنا ملك من العرب اسمه غريب أخذ ملك أبى وقتل الأعجام وسقاهم كأس الحمام». وحكى له ما جرى من غريب من أوله إلى آخره. فلما سمع ورد شاه كلام ابن سابور قال: «هل امرأتى طيبة؟» فقال له: «أخذها غريب». فعند ذلك قال: «وحياة رأسى ما بقيت أبقى على وجه الأرض بدويًا ولا مسلمًا». ثم كتب الكتب وأرسلها إلى نوابه فاقبلوا فعدهم فوجدهم خمسة وثمانين ألفًا. ثم فتح الخزائن وفرّق على الرجال الدروع وآلات السلاح وسار بهم حتى وصلوا إلى أسبانير المدائن ونزلوا جميعهم قبال باب المدينة، فتقدم الكيلجان والقورجان وقبّلا ركبة غريب وقالا: «يا مولانا أجبر قلوبنا واجعل هذا العسكر من قسمنا» فقال لهما: «دونكما وإياهم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية وصول عسكر ورد شاه عند أخيه سيران الساحر

قالت شهر زاد: فعند ذلك طار الماردان حتى نزلا على سرادق ورد شاه فوجداه على كرسى عزه وابن سابور جالس على يمينه والمقدمون حوله صفّان وهم يتشاورون على قتل المسلمين فتقدم الكيلجان وخطف ابن سابور والقورجان خطف ورد شاه وسارا بهما إلى غريب فأمر بضربهما حتى غابا عن الوجود ثم عاد الماردان وسحبا سيفين كل سيف لا يقدر أحد أن يحمله وهجما على الكفار، وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار، فلم تنظر الكفّار سيفين يلمعان ويحصدان الرجال حصد الزرع ولا يرون أحدًا. ففاتوا خيامهم وساروا على جرد الخيل فتبعاهم يومين وقد أفنيا منهم خلقًا كثيرًا. ورجع الماردان وقبّلا يد غريب. فشكرهما على ما فعلا وقال لهما: «غنيمة الكفار لكما وحدكما لا يشارككما فيها أحد». فدعوا له وانصرفا ولمّا أموالهما واطمأنّا فى أوطانهما. هذا ما كان من أمر غريب وقومه.

وأما الكفار فإنهم لم يزالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا إلى شيراز وأقاموا العزاء على من قُتل منهم. وكان للملك ورد شاه أخ اسمه سيران الساحر ليس فى زمانه أسحر منه. وكان منعزلاً عن أخيه فى حصن من الحصون كثير الأشجار والأنهار والأطيار والأزهار، وكان بينه وبين مدينة شيراز نصف يوم، فسار القوم المنهزمون إلى ذلك الحصن ودخلوا على سيران الساحر وهم باكون صارخون. فقال لهم: «ما أبكاكم يا قوم؟» فأعلموه بالخبر وكيف خطف الماردان أخاه ورد شاه وابن سابور.

فلما سمع سيران هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا وقال: «وحق دينى لأقتلن غريبًا ورجاله ولا أترك منهم ديارًا ولا من يرد الأخبار». ثم إنه تلا كلمات وطلب الملك الأحمر فحضر، فقال له: «امض إلى أسبانير المدائن واهجم على غريب وهو جالس على سريره». فقال له: «سمعًا وطاعة». ثم إنه سار حتى وصل إلى الملك غريب. فلما رآه غريب سحب سيفه الماحق وحمل عليه وكذلك الكيلجان والقورجان وقصدوا عسكر الملك الأحمر، فقتلوا منهم خمسمائة وثلاثين وجرحوا الملك الأحمر جرحًا بالغًا فولّى هاربًا وولّى قومه مجروحين. ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا حصن الفواكه ودخلوا على سيران الساحر وهم يدعون بالويل والثبور. فقالوا له: «يا حكيم إن غريبًا معه سيف يافث بن نوح المطلسم فكل من ضربه به قضمه، ومعه ماردان من جبل قاف وقتل الملك الأزرق وأفنى من الجن شيئًا كثيرًا».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية رمى غريب فى البحر

قالت شهر زاد: فلما سمع الساحر كلام الملك الأحمر قال له: «امض». فمضى إلى حال سبيله. ثم إن الساحر عزم وأحضر ماردًا اسمه زعازع وأعطاه قدر درهم بنجًا طيّارًا وقال له: «امض إلى أسبانير المدائن واقصد قصر غريب وتصوّر فى صورة عصفور وارصده حتى ينام ولا يبقى عنده أحد، فخذ البنج وضعه فى أنفه وائتِ به». فقال: «سمعًا وطاعةً». وسار حتى وصل إلى أسبانير المدائن وقصد قصر غريب وهو فى صورة عصفور وقعد فى طاقة من طيقان القصر وصبر حتى دخل الليل وذهبت الملوك إلى مراقدهم ونام غريب. فنزل وأخرج البنج وذره فى أنفه فخمدت أنفاسه، فلفه فى ملاءة الفرش وحمله ومرق به مثل الريح العاصف. فما جاء نصف الليل إلا وهو فى حصن الفواكه ودخل به على سيران الساحر، فشكره على فعله وأراد أن يقتله وهو فى حالة تبنيجه، فنهاه رجل من قومه على قتله وقال له: «يا حكيم إنك إن قتلته أخرب ديارنا الجان لأن الملك مرعش صاحبه يحمل علينا بكل عفريت عنده». قال له: «وما نصنع به؟» فقال: «ارمه فى جيحون وهو مبنج فلا يدرى من رماه ويغرق ولا يعلم به أحد». فأمر المارد أن يحمل غريبًا ويرميه فى جيحون. فحمل المارد غريبًا وأتى به إلى جيحون.

فأراد أن يرميه فى جيحون فلم يهن عليه، فعمل رومس خشب وربطه بالحبال ودفع الرومس بغريب فى التيار فأخذه التيار وراح. هذا ما كان من أمر غريب. وأما قومه فإنهم أصبحوا يقصدون خدمته فلم يجدوه ووجدوا سبحته على تخته وانتظروه أن يخرج فما خرج.

فطلبوا الحاجب وقالوا له: «ادخل الحريم وانظر الملك فإنه ما له عادة أن يغيب إلى هذا الوقت». فدخل الحاجب وسأل من فى الحريم. فقالوا له: «من البارحة ما رأيناه». فرجع إليهم الحاجب وأخبرهم بذلك فتحيروا وقال بعضهم لبعض: «ننظر أن يكون راح ليتنزه نحو البساتين». ثم إنهم سألوا البستانية: «هل الملك مر عليكم؟» فقالوا: «ما رأيناه». فاغتموا وفتشوا جميع البساتين ورجعوا آخر النهار باكين.

وطاف الكيلجان والقورجان يفتشان عليه فى المدينة فلم يعرفا له خبرًا وعادا بعد ثلاثة أيام. فلبس القوم السواد وشكوا لرب العباد، الذى يفعل ما أراد، فهذا ما كان من أمرهم. وأما ما كان من أمر غريب فإنه صار ملقى على الرومس وهو يجرى به فى التيار خمسة أيام ثم قذفه التيار فى البحر المالح فلعبت به الأمواج واختض باطنه فخرج منه البنج. ففتح عينيه فوجد نفسه فى وسط البحر والأمواج تلعب به فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم يا ترى من فعل بى هذا الفعل؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية إخراج أهل المركب لغريب من البحر

قالت شهر زاد: فبينما هو متحير فى أمره وإذا بمركب سائر، فلوح للركاب بكمه فأتوه وأخذوه ثم قالوا له: «من تكون ومن أى البلاد أنت؟» فقال لهم: «أطعمونى واسقونى حتى ترد لى روحى وأقول لكم من أنا؟» فأتوه بالماء والزاد فأكل وشرب ورد الله عليه عقله فقال: «يا قوم ما جنسكم وما دينكم؟» فقالوا: «نحن من الكرج ونعبد صنمًا اسمه منقاش». فقال لهم: «تبًا لكم ولمعبودكم يا كلاب ما يُعبد إلا الله الذى خلق كل شىء ويقول للشىء كن فيكون. فعندها قاموا عليه بقوة وجنون وأرادوا القبض عليه وهو بلا سلاح فصار كل من لكمه رماه وأعدمه الحياة فبطح أربعين رجلاً فتكاثروا عليه وشدُّوا وثاقه وقالوا: «ما نقتله إلا فى أرضنا حتى نعرضه على الملك». ثم ساروا حتى وصلوا إلى مدينة الكرج، وكان الذى بناها عملاقًا جبارًا وقد جعل على كل باب من أبوابها شخصًا من نحاس بالحكمة، فإذا دخل المدينة أحد غريب يصيح ذلك الشخص بالبوق فيسمعه كل من فى المدينة فيمسكونه ويقتلونه إن لم يدخل فى دينهم. فلما دخل غريب صاح ذلك الشخص صيحة عظيمة وصرخ حتى أفزع قلب الملك، فقام ودخل على صنمه فوجد النار والدخان يخرجان من فيه وأنفه وعينيه، وكان الشيطان دخل فى جوف الصنم ونطق على لسانه وقال: «يا ملك قد وقع لك واحد اسمه غريب وهو ملك العراق، وهو يأمر الناس أن يتركوا دينهم ويعبدوا ربه، فإذا دخلوا عليك به فلا تبقيه».

فخرج الملك وجلس على تخته وإذا بهم قد دخلوا بغريب ثم أوقفوه بين يدى الملك وقالوا: «يا ملك قد وجدنا هذا الغلام كافرًا بآلهتنا ووجدناه غريقًا» وحكوا له حكاية غريب. فقال: «اذهبوا به إلى بيت الصنم الكبير وانحروه أمامه لعله يرضى عنا». فقال الوزير: «يا ملك نحره ما هو مليح فإنه يموت فى ساعة». فقال: «نحبسه ونجمع الحطب ونطلق فيه النار». فجمعوا الحطب وأطلقوا فيه النار إلى الصباح. وخرج الملك وخرج أهل المدينة وأمروا بإحضار غريب فذهبوا إليه ليحضروه فلم يجدوه فعادوا وأعلموا الملك بهروبه. فقال: «وكيف

هرب؟» قالوا: «وجدنا السلاسل والقيود مرمية والأبواب مغلقة. فتعجب الملك وقال: «هل هذا فى السماء طار أو فى الأرض غار؟» فقالوا: «لا نعلم». ثم قال: «أنا أمضى إلى إلهى وأسأله عنه فإنه يخبرنى أين مضى؟» ثم إنه قام وقصد الصنم ليسجد له فلم يجده، فصار يمعك عينيه ويقول: «هل أنت نائم أم يقظان؟» والتفت إلى وزيره وقال: «يا وزير أين إلهى وأين الأسير، وحق دينى يا كلب الوزراء لولا أنت أشرت على بحرقه لكنت نحرته فهو الذى سرق إلهى وهرب ولا بد أن آخذ ثاره؟» ثم سحب سيفه وضرب الوزير فقطع رقبته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إسلام زلزال ووصوله مع غريب عند أبيه

قالت شهر زاد: وكان لرواح غريب والصنم سبب عجيب وذلك أنه لما حبس غريب فى المخدع قعد بجانب القبة التى فيها الصنم، فقام غريب يذكر الله ـ تعالى ـ وطلب من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الفرج، فسمعه المارد الموكل بالصنم الناطق على لسانه فخشع قلبه وقال: «يا خجلتاه من الذى يرانى ولا أراه». ثم إنه تقدم إلى غريب وانكب على أقدامه وقال له: «يا سيدى ما الذى أقول حتى أصير من حزبك وأدخل فى ملّتك؟» قال: «تقول، لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله». فنطق المارد بالشهادة فكُتب من أهل السعادة وكان اسم المارد زلزال بن المزلزل وأبوه من كبار ملوك الجان، ثم إنه حل غريبًا من القيود وحمله مع الصنم وقصد الجو الأعلى. هذا ما كان من أمره.

وأما ما كان من أمر الملك فإنه لما دخل يسأل الصنم عن غريب لم يجده وجرى ما جرى من أمر الوزير وقتله. فلما رأى جند الملك ما جرى أنكروا عبادة الصنم وسحبوا سيوفهم وقتلوا الملك وحملوا على بعضهم ودار السيف بينهم ثلاثة أيام حتى أفنوا بعضهم ولم يبقَ سوى رجلين فتقوى أحدهما على الآخر فقتله. ووثب الصبيان على ذلك الرجل فقتلوه وفتكوا فى بعضهم البعض حتى هلكوا عن آخرهم، وهجمت النساء والبنات وقصدنَ القرى والحصون وصارت المدينة خالية لا يسكنها إلا البوم. هذا ما جرى لهم.

حكاية تقييد زلزال وأمر مزلزل لمارد بهلاك غريب فى وادى النار

وأما ما كان من أمر غريب فإنه لما حمله زلزال بن المزلزل وقصد به بلاده وهى جزائر الكافور وقصر البلور والعجل المسحور وكان الملك المزلزل عنده عجل أبلق قد ألبسه الحلى والحلل المنسوجة بالذهب الأحمر واتخذه إلهًا فدخل المزلزل هو وقومه على عجله فوجده منزعجًا. فقال له: «يا إلهى ما الذى أزعجك؟» فصاح الشيطان فى جوف العجل وقال: «يا مزلزل إن ابنك صبا إلى دين الخليل إبراهيم على يد غريب صاحب العراق». ثم حدثه بما جرى من أوله إلى آخره.

فلما سمع كلام العجل خرج متحيرًا وجلس على كرسى مملكته وطلب أرباب دولته فحضروا، فحكى لهم ما سمعه من الصنم، فتعجبوا من ذلك وقالوا: «ما نفعل يا ملك؟» قال:

«إذا حضر ولدى ورأيتمونى أعتنقه فاقبضوا عليه». فقالوا: «سمعًا وطاعة». ثم بعد يومين دخل زلزال مع أبيه ومعه غريب وصنم ملك الكرج. فلما دخل من باب القصر هجموا عليه وعلى غريب وقبضوهما وأوقفوهما قدام الملك المزلزل فنظر إلى ابنه بعين الغضب وقال له: «يا كلب الجان هل فارقت دينك ودين آبائك وأجدادك؟» قال له: «دخلت فى دين الحق وأنت يا ويلك فأسلم تسلم من غضب الجبار، خالق الليل والنهار». فغضب الملك على ولده وقال له: «يا أيها الولد اللئيم أتواجهنى بهذا الكلام؟» ثم إنه أمر بحبسه فحبسوه ثم التفت إلى غريب وقال له: «يا قطاعة الإنس كيف لعبت بعقل ولدى وأخرجته من دينه؟» فقال غريب: «أخرجته من الضلال إلى الهدى ومن النار إلى الجنة ومن الكفر إلى الإيمان». فصاح الملك على مارد اسمه سيَّار وقال له: «خذ هذا الكلب وضعه فى وادى النار حتى يهلك». وذلك الوادى من فرط حره والتهاب جمره كل من نزل فيه هلك ولا يعيش ساعة، ومحيط بذلك الوادى جبل عال أملس ليس فيه منفذ. فتقدم الملعون سيَّار وحمل غريبًا وطار به وقصد الربع الخراب من الدنيا حتى بقى بينه وبين الوادى ساعة واحدة وقد تعب العفريت بغريب فنزله فى واد فيه أشجار وأنهار وأثمار. فلما نزل المارد وهو تعبان نزل غريب من على ظهره وهو مكبّل حتى نام المارد من التعب وشخر فعالج غريب فى قيده حتى حله وأخذ حجرًا ثقيلاً وألقاه فوق رأس المارد فهشم عظامه فهلك لوقته.

ومضى غريب فى ذلك الوادى فوجده فى جزيرة فى وسط البحر وتلك الجزيرة واسعة وفيها جميع الفواكه مما تشتهيه الشفة واللسان. فسار غريب يأكل من أثمارها، ويشرب من أنهارها. ومضت عليه السنون والأعوام، وصار يأخذ من السمك ويأكل ولم يزل على هذه الحالة منفردًا وحده سبع سنين.

فبينما هو ذات يوم جالس إذ نزل عليه من الجو ماردان مع كل مارد رجل، وقد نظروا إلى غريب فقالوا له: «ما تكون يا هذا ومن أى القبائل أنت؟» وكان غريب قد طال شعره فحسبوه من الجن فسألوه عن حاله فقال لهم: «ما أنا من الجن». ثم أخبرهم بما جرى له من أوله إلى آخره فحزنوا عليه.

فقال عفريت منهما: «استمر مكانك حتى نؤدى هذين الخروفين إلى ملكنا يتغدى بواحد ويتعشى بواحد ونعود إليك ونوديك إلى بلادك». فشكرهما غريب وقال لهما: «أين الخروفان اللذان معكما؟» فقالا له: «هذان الآدميان». فقال غريب: «استجرت بإله إبراهيم الخليل رب كل شىء وهو على كل شىء قدير».

ثم إنهما طارا وقعد غريب ينتظر المارد فبعد يومين أتاه ذلك المارد بكسوة فستره وحمله وسار به إلى الجو الأعلى حتى غاب عن الدنيا.

فسمع غريب تسبيح الأملاك فى الهواء، فأصاب المارد منهما سهم من نار فهرب وقصد الأرض حتى بقى بينه وبين الأرض رمية رمح وقد قرب السهم منه وأدركه، فنهض غريب ونزل عن كاهله ولحقه السهم فصار رمادًا، ولم يكن نزول غريب إلا فى البحر فغطس مقدار قامتين وطلع فعام ذلك اليوم وليلته وثانى يوم حتى ضعفت نفسه وأيقن بالموت فما جاء اليوم الثالث إلا وقد يئس من الحياة، فبان له جبل شامخ فقصده وطلعه ومشى فيه وتقوّت من

نبات الأرض واستراح يومًا وليلة، ثم طلع من أعلى الجبل ونزل من خافه وسار يومين فوصل إلى مدينة ذات أشجار وأنهار وأسوار وأبراج.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية أسر غريب عند الملكة جانشاه

قالت شهر زاد: فلما وصل إلى أبواب المدينة قام إليه البوابون وقبضوا عليه وأتوا به إلى ملكتهم وكان اسمها جانشاه وكان لها من العمر خمسمائة سنة وكل من دخل مدينتها يعرضونه عليها فتأخذه وتقتله وقد قتلت ناسًا كثيرًا فلما أتوا بغريب إليها أعجبها. فقالت له: «ما اسمك وما دينك ومن أى البلاد أنت؟» فقال: «اسمى غريب ملك العراق ودينى الإسلام». قالت له: «اخرج من دينك وادخل فى دينى وأنا أتزوج بك وأجعلك ملكًا». فنظر غريب إليها بعين الغضب وقال لها: «تبًا لك ولدينك» فصاحت عليه وقالت له: «أتسب صنمى وهو من العقيق الأحمر مرصع بالدر والجوهر؟» ثم إنها قالت: «يا رجال احبسوه فى قبة الصنم لعله يلين قلبه». فحبسوه فى قبة الصنم وقفلوا عليه الأبواب ومضوا إلى حال سبيلهم.

فنظر غريب إلى الصنم وهو من العقيق الأحمر وفى عنقه قلائد الدر والجوهر فتقدم غريب إلى الصنم وحمله وضرب به الأرض فصار هشيمًا ونام حتى طلع النهار. فلما أصبح الصباح جلست الملكة على سريرها وقالت: «يا رجال ائتونى بالأسير». فساروا إلى غريب وفتحوا القبة ودخلوا فوجدوا الصنم مكسورًا فلطموا على وجوههم حتى نزل الدم من آماق عيونهم، ثم تقدموا إلى غريب ليمسكوه فلكم منهم واحدًا فمات وآخر فقتله حتى قتل خمسة وعشرين وهرب الباقى. فدخلوا على الملكة جانشاه وهم صارخون فقالت لهم: «ما الخبر؟» قالوا لها: «إن الأسير كسر صنمك وقتل رجالك». وأخبروها بما كان.

فرمت تاجها على الأرض وقالت: «ما بقى للأصنام قيمة؟» ثم إنها ركبت فى ألف بطل وقصدت بيت الصنم فوجدت غريبًا قد خرج من القبة وقد أخذ سيفًا وصار يقتل الأبطال ويجندل الرجال، فنظرت جانشاه إلى غريب وشجاعته وقالت: «ليس لى حاجة بالصنم وما مرادى إلا هذا الغريب يكون زوجى بقية عمرى». ثم إنها قالت لرجالها: «ابعدوا عنه وانعزلوا». ثم إنها تقدمت وهمهمت فوقف ذراع غريب وارتخت سواعده وسقط السيف من يده، فمسكوه وكتفوه ذليلاً حقيرًا متحيرًا. ثم رجعت جانشاه وجلست على سرير ملكها وأمرت قومها بالانصراف واختلت به فى المكان. فقالت له: «يا كلب العرب أتكسر صنمى وتقتل رجالى؟» فقال لها: «يا ملعونة لو كان إلهًا لمنع عن نفسه».

فقالت له: «وحق دينى لأعذبنك عذابًا شديدًا». ثم إنها أخذت ماء وعزّمت عليه ورشته عليه فصار قردًا وصارت تطعمه وتسقيه ثم حبسته فى مخدع ووكلت به من يقوم به سنتين، ثم دعته يومًا من الأيام فأحضرته إليها وقالت: «أتسمع منى؟» فقال لها برأسه: «نعم». ففرحت وخلصته من السحر وقدمت له الأكل فأكل معها فاطمأنت له.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية قتل الملكة جانشاه

قالت شهر زاد: ثم استغنم الفرصة فركب على صدرها وقبض على رقبتها فكسرها ولم يقم عنها حتى خرجت روحها. ثم نظر إلى خزانة مفتوحة فدخلها فوجد فيها سيفًا مجوهرًا ودرقة من الحديد الصينى، فلبس كامل العدة وصبر إلى الصباح. ثم خرج ووقف على باب القصر فأقبل الأمراء وأرادوا أن يدخلوا إلى الخدمة فوجدوا غريبًا وهو لابس آلة الحرب. فقال لهم: «يا قوم اتركوا عبادة الأصنام واعبدوا الملك العلام خالق الليل والنهار رب الأنام ومحيى العظام وخالق كل شيء وهو على كل شيء قدير». فلما سمع الكفار ذلك الكلام هجموا عليه. فحمل عليهم كأنه أسد كاسر فجال فيهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا». وأقبل الليل وهم يتكاثرون عليه وكلهم سموا له وأرادوا أن يأخذوه وإذا بألف مارد قد هجموا على الكفار بألف سيف ورئيسهم زلزال بن المزلزل وهو فى أولهم، فأعملوا فيهم السيف البتار، وأسقوهم كأس البوار، وعجل الله - تعالى - بأرواحهم إلى النار، ولم يبقوا من قوم جانشاه من يرد الأخبار، فصاح الأعوان: «الأمان الأمان». وآمنوا بالملك الديان، الذى لا يشغله شأن عن شأن، مبيد الأكاسرة ومفنى الجبابرة ورب الدنيا والآخرة. ثم سلّم زلزال على غريب وهناه بالسلامة. فقال له غريب: «من أعلمك بحالى؟» فقال: «يا مولاى لما حبسنى أبى وأرسلك إلى وادى النار أقمت فى الحبس سنتين ثم أطلقنى، فأقمت بعد ذلك سنة ثم عدت إلى ما كنت عليه فقتلت أبى وأطاعتنى الجنود، ولى سنة وأنا أحكم عليهم. فنمت وأنت فى خاطرى فرأيتك فى المنام وأنت تقاتل قوم جانشاه فأخذت هؤلاء الألف مارد وأتيت إليك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فتعجب غريب من هذا الاتفاق ثم أخذ أموال جانشاه وأموال قومها ونصب على المدينة حاكمًا. وحملت المردة الأموال وغريبًا وما باتوا ليلتهم إلا فى مدينة زلزال واستضيف غريب عند زلزال ستة أشهر. ثم أراد الرواح. فأحضر زلزال الهدايا وبعث ثلاثة آلاف مارد فجاؤوا بالمال من مدينة الكرج ووضعوه على أموال جانشاه. ثم أمرهم أن يحملوا الهدايا والأموال وحمل زلزال غريبًا وقصدوا مدينة أسبانير المدائن. فما جاء نصف الليل إلا وهم فيها، فنظر غريب فرأى المدينة محصورة محيطًا بها عسكر جرار مثل البحر الزخار. فقال غريب لزلزال: «يا أخى ما سبب هذه المحاصرة ومن أين هذا العسكر؟» ثم نزل غريب على سطح القصر ونادى: «يا كوكب الصباح، يا مهدية». فقامتا من نومهما مدهوشتين وقالتا: «من ينادينا فى هذا الوقت؟» قال: «أنا مولاكما غريب صاحب الفعل العجيب».

فلما سمعت السيدتان كلام مولاهما فرحتا وكذلك الجوارى والخدم، ونزل غريب فترامينَ عليه وزغرتنَ فدوى لهنَّ القصر، فأتى المقدمون من مراقدهم وقالوا: «ما الخبر؟» وطلعوا القصر وقالوا للطواشية: «هل ولدت واحدة من الجوارى؟» قالوا: «لا ولكن أبشروا فقد وصل إليكم الملك غريب». ففرح الأمراء وسلّم غريب على الحريم وخرج إلى أصحابه، فتراموا عليه وقبلوا يديه ورجليه، وحمدوا الله - تعالى - وأثنوا عليه، وقعد غريب على سريره ونادى أصحابه فحضروا وجلسوا حوله. فسألهم عن العسكر النازلين عليهم فقالوا: «يا ملك إن لهم

ثلاثة أيام من حين نزلوا علينا ومعهم جن وإنس وما ندرى ما يريدون وما وقع بيننا وبينهم قتال ولا كلام؟» قال غريب: «غدًا نبعث إليهم كتابًا وننظر ما يريدون». ثم قالوا: «وملكهم اسمه مراد شاه وتحت يده مائة ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ومائتان من أرهاط الجن».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية مقاتلة غريب ومراد شاه

قالت شهر زاد: وكان لمجيء العسكر ونزوله على مدينة أسبانير سبب عظيم، وذلك أنه لما بعث الملك سابور ابنته مع اثنين من قومه وقال لهما: «غرقاها فى جيحون». فخرجا بها وقالا لها: «امضى إلى حال سبيلك ولا تظهرى لأبيكِ فيقتلنا ويقتلكِ». فهجت فخر تاج وهى حيرانة لا تعرف أين تتوجه وقالت: «أين عينك يا غريب تنظر حالى والذى أنا فيه». ولم تزل سائرة من أرض إلى أرض ومن وادٍ إلى وادٍ حتى مرت بوادٍ كثير الأشجار والأنهار، وفى وسطه حصن مبنى عالى البنيان مشيد الأركان كأنه روضة من الجنان، فذهبت فخر تاج إلى الحصن ودخلته فوجدته مفروشًا بالبسط الحرير وفيه من أوانى الذهب والفضة شيء كثير، ووجدت فيه مائة جارية من الجوارى الحسان.

فلما نظرت الجوارى فخر تاج قمنَ وسلَّمن عليها وهن يحسبن أنها من جوارى الجن، فسألناها عن حالها فقالت لهن: «أنا بنت ملك العجم». وحكت لهن ما جرى لها. فلما سمعت الجوارى هذا الكلام حزنَّ عليها، ثم إنهن طيبنَ قلبها وقلن لها: «طيبى نفسًا وقرى عينًا ولك ما تأكلين وما تشربين وما تلبسين وكلنا فى خدمتك». فدعت لهن. ثم إنهن قدّمنَ إليها الطعام حتى اكتفت وقالت فخر تاج للجوارى: «ومن صاحب هذا القصر والحاكم عليكن؟» قلن: «سيدنا الملك صلصال بن دال وهو يأتى فى كل شهر ليلة ويصبح متوجهًا ليحكم على قبائل الجان». فأقامت عندهن فخر تاج خمسة أيام فوضعت ولدًا ذكرًا مثل القمر، فقطعنَ سرته وكحلن مقلته وسمينه مراد شاه فتربى فى حجر أمه، وعن قليل أقبل الملك صلصال وهو راكب على فيل أبيض قرطاسى قدر البرج المشيد وحوله طوائف الجان، ثم دخل القصر وتلقته المائة جارية وقبلنَ الأرض ومعهنَ فخر تاج. فنظرها الملك فقال لجواريه: «من تكون هذه الجارية؟» فقلن له: «بنت سابور ملك العجم والترك والديلم». فقال: «من أتى بها إلى هذا المكان؟» فحكين له ما جرى لها. فحزن عليها وقال: «لا تحزنى واصبرى حتى تربى ولدك ويكبر، ثم إنى أسير إلى بلاد العجم وأقطع رأس أبيكِ من بين أكتافه وأجلس لكِ ولدكِ على تخت العجم والترك والديلم».

فقامت فخر تاج وقبلت يديه ودعت له وقعدت تربى ولدها مع أولاد الملك. وصاروا يركبون الخيل ويسيرون إلى الصيد والقنص. فتعلم صيد الوحش وصيد السباع الضارية وأكل من لحومها حتى صار قلبه أقسى من الحجر. فلما صار له من العمر خمسة عشر عامًا كبرت عنده نفسه. فقال لأمه: «يا أماه ومن هو أبى؟» فقالت: «يا ولدى أبوك الملك غريب ملك العراق وأنا بنت ملك العجم». ثم إنها حكت له ما جرى. فلما سمع كلامها قال: «وهل أمر جدى بقتلك وقتل أبى؟» قالت: «نعم». فقال: «وحق ما لك من التربية علىّ لأسيرنّ إلى مدينة أبيكِ وأقطع

رأسه وأقدمه إلى حضرتك». ففرحت بقوله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: ثم إن مراد شاه بن فخر تاج صار يركب مع المائتى مارد حتى أنه تربى معهم وساروا يشنون الغارات ويقطعون الطرقات ولم يزالوا فى سيرهم حتى أشرفوا على بلاد شيراز فهجموا عليها وهجم مراد شاه على قصر الملك فرمى رأسه وهو على تخته وقتل من جنده خلقًا كثيرًا وصاح الباقى باللسان: «الأمان الأمان». ثم إنهم قبلوا ركبة مراد شاه. فعدهم فوجدهم عشرة آلاف فارس. فركبوا فى خدمته ثم ساروا إلى بلخ فقتلوا ملكها وأهلكوا جندها وتملكوا أهلها، وساروا إلى نورين وقد سار مراد شاه فى ثلاثين ألف فارس وقد خرج إليهم صاحب نورين طائعًا وقدم إليهم الأموال والتحف، وركب فى ثلاثين ألف فارس وسارا قاصدين مدينة سمرقند العجم فأخذوها، وساروا إلى أخلاط فأخذوها. ثم ساروا ولم يصلوا إلى مدينة إلا أخذوها. وقد سار مراد شاه فى جيش عظيم والذى يأخذه من الأموال والتحف من المدائن يفرقه على الرجال، فأحبوه لأجل شجاعته وكرمه. وقد وصل إلى أسبانير المدائن فقال: «اصبروا حتى أحضر باقى عسكرى وأقبض جدّى وأحضره قدام أمى وأشفى قلبها بضرب عنقه». ثم إنه أرسل من يجيء بها. فلأجل هذا لم يحصل القتال ثلاثة أيام. وقد وصل غريب ومعه زلزال فى أربعين ألف مارد حاملين الأموال والهدايا وسأل عن العسكر النازلين فقالوا: «لا نعلم من أين هم ولهم ثلاثة أيام لم يقاتلونا ولم نقاتلهم». ووصلت فخر تاج فاعتنقها ولدها مراد شاه وقال لها: «اقعدى فى خيمتك حتى أجيء لك بأبيك». فدعت له بالنصر من رب العالمين رب السموات ورب الأرضين.

فلما أصبح الصباح ركب مراد شاه والمائتا مارد على يمينه وملوك الإنس على شماله ودقوا طبول الحرب، فسمع غريب فركب وخرج ودعا قومه للحرب ووقفت الجن على يمينه والإنس على يساره فبرز مراد شاه وهو غارق فى عدة الحرب فساق جواده يمينًا وشمالاً. ثم نادى: «يا قوم لا يبرز لى إلا ملككم فإن قهرنى كان هو صاحب العسكرين وإن قهرته قتلته مثل غيره». فلما سمع غريب كلام مراد شاه قال: «اخسأ يا كلب العرب». ثم حملا على بعضهما وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت، ولم يزالا فى كر وفر وقرب وبعد حتى انتصف النهار وقد وقعت الخيل من تحتهما. فنزلا على الأرض وقد قبضا على بعضهما، فعند ذلك هجم مراد شاه على غريب وخطفه وعلقه وأراد أن يضرب به الأرض، فقبض غريب على أذنيه وجذبهما بشدة، فحس مراد شاه أن السماء انطبقت على الأرض فصاح بملء فمه وقال: «أنا فى جيرتك يا فارس الزمان»، فكتفه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية ملاقاة غريب مع ولده مراد شاه

قالت شهر زاد: فأراد المردة أصحاب مراد شاه أن يهجموا ويخلصوه، فحمل غريب بألف مارد وأرادوا أن يبطشوا بمردة مراد شاه فصاحوا: «الأمان الأمان». ورموا سلاحهم. فجلس غريب فى سرادقه وكان من الحرير الأخضر مطرزًا بالذهب الأحمر مكللاً بالدر والجوهر. ثم دعا بمراد شاه فأحضروه بين يديه وهو يحجل فى القيود والأغلال. فلما نظر مراد شاه إلى غريب أطرق برأسه إلى الأرض من الحياء. فقال له غريب: «يا كلب العرب أى شىء وصفك حتى تركب وتضاهى الملوك؟» فقال: «يا مولاى لا تؤاخذنى فإنى معذور». قال له غريب: «وما وجه عذرك؟» قال مراد شاه: «يا مولاى اعلم أنى قد خرجت آخذ ثار أبى وأمى من سابور ملك العجم فإنه أراد قتلهما، فسلمت أمى وما أدرى هل قتل أبى أم لا».

فلما سمع غريب كلامه قال: «والله إنك معذور فمن هو أبوك ومن هى أمك وما اسم أبيك وما اسم أمك؟» فقال: «اسم أبى غريب ملك العراق واسم أمى فخر تاج بنت سابور ملك العجم». فلما سمع غريب كلامه صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيًا عليه، فرشوا عليه ماء الورد. فلما أفاق قال له: «هل أنت ابن غريب من فخر تاج؟» قال: «نعم». قال غريب: «أنت فارس ابن فارس، حلوا القيود عن ولدى». فتقدم سهيم والكيلجان وحلا مراد شاه واحتضن ولده وأجلسه فى جانبه وقال له: «أين أمك؟» قال: «هى عندى فى خيمتى». قال: «ائتنى بها». فركب مراد شاه وسار إلى خيامه، فتلقاه أصحابه وفرحوا بسلامته وسألوه عن حاله. فقال: «ما هذا وقت سؤال». ثم إنه دخل على أمه وحدثها بما جرى، ففرحت فرحًا شديدًا وأتى بها إلى أبيه. فتعانقا وفرحا ببعضهما وأسلمت فخر تاج وأسلم مراد شاه وعرضا على عسكرهما الإسلام فأسلموا قلبًا ولسانًا، وفرح غريب بإسلامهم. ثم أحضر الملك سابور ووبخه على فعاله هو وولده وعرض عليهما الإسلام فأبيا فصلبهما على باب المدينة، وزينوا المدينة وفرح أهل المدينة وزينوها وألبسوا مراد شاه التاج الكسروى وجعلوه ملك العجم والترك والديلم.

وبعث الملك غريب عمه الملك الدامغ ملكًا على العراق، وقد أطاعته كل البلاد والعباد، وقعد غريب فى مملكته يعدل فى الرعية وقد أحبه الخلق أجمعون ولم يزالوا فى أرغد عيش إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات. فسبحان من يدوم عزه وبقاؤه، وعلى خلقه جلت آلاؤه. وهذا ما بلغنا من حكاية غريب وعجيب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية عبد الله بن معمر القيسى مع عتبة بن الحباب

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أن عبد الله بن معمر القيسى قال: حججت سنة إلى بيت الله الحرام. فلما قضيت حجى عدت إلى زيارة قبر النبى ﷺ. فبينما أنا ذات ليلة جالس فى الروضة بين القبر والمنبر إذ سمعت أنينًا رقيقًا بصوت رخيم. فأنست إليه وإذا هو يقول:

أشجاكَ نوحُ حمائم السِّدرِ ... فأهاجَ منكَ بلابلَ الصدرِ

أم ساءَ حالكَ ذكرُ غانيـةٍ ... أهدتْ إليكَ وساوسَ الفكرِ

ثم انقطع صوته ولم أدر من أين جاءنى فبقيت حائرًا، وإذا به قد أعاد الأنين وأنشد:

ناديت ليلى والظلام كأنــه	بحرٌ تلاطم فيه موج زاخرُ
يا ليل طلت على محبٍّ ما له	إلا الصباح مساعدٌ وموازرُ
فأجابنى لا تشكون إطالتى	إن الهوى لهوَ الهوان الحاضرُ

قال: فنهضت إليه عند ابتداء الأبيات أقصد جهة الصوت. فما انتهى إلى آخر الأبيات إلا وأنا عنده. فرأيت غلامًا فى غاية الجمال وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين. فقلت له: «نعمت غلامًا». فقال: «وأنت فمن الرجل؟» قلت: «عبد الله بن معمر القيسى». قال: «أفلك حاجة؟» قلت له: «كنت جالسًا فى الروضة فما راعنى هذه الليلة إلا صوتك، فبنفسى أفديك ما الذى تجده؟» قال: «اجلس». فجلست. قال: «أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى غدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعًا وساجدًا. ثم اعتزلت أتعبد وإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة. فوقفت على وقالت: «يا عتبة ما تقول فى من يطلب الاقتران بك؟» ثم تركتنى وذهبت. فلم أسمع لها خبرًا ولا وقعت لها على أثر وها أنا حيران أنتقل من مكان إلى مكان». ثم صرخ وانكب على الأرض مغشيًا عليه، ثم أفاق كأنما صُبغت ديباجة خديه بورس وأنشد يقول هذه الأبيات:

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة	تراكم ترونى بالقلوب على بعدِ
فؤادى وطرفى يأسفان عليكمُ	وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذُّ العيش حتى أراكم	ولو كنت فى الفردوس أو جنّة الخلدِ

فقلت له: «يا عتبة يا ابن أخى تب إلى ربك، واستغفر من ذنبك فإن بين يديكَ هول الموقف». فقال: «هيهات ما أنا سال حتى يؤوب القارظان». ولم أزل معه حتى طلع الفجر. فقلت له: «قم بنا إلى المسجد». فجلسنا فيه حتى صلينا الظهر، وإذا بالنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن، فقلن: «يا عتبة ما ظنك بطالبة الاقتران بك؟» قال: «وما بالها؟» قلنَ: «أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة». فسألتهنّ عن اسم الجارية فقلنَ: «ريا بنت الغطريف السليمى». فرفع رأسه وأنشد هذين البيتين:

خليلىَّ ريا قد أجد بكورها	وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليلىَّ إنى قد غشيت من البكا	فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

فقلت له حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا إلى مجلس الأنصار». فقمنا حتى أشرفنا على ملإهم فسلمت عليهم فأحسنوا الرد ثم قلت: «أيها الملأ ما تقولون فى عتبة وأبيه؟» فقالوا: «من سادات العرب». قلت: «اعلموا أنى أريد منكم المساعدة إلى السماوة». قالوا: «سمعًا وطاعةً». فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على مكان بنى سليم، فعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادرًا واستقبلنا وقال: «حييتم يا كرام». فقلنا له: «وأنت حييت إنا لك أضياف». فقال: «نزلتم يا كرام منزل رحب». فنزل ثم نادى: «يا معشر العبيد انزلوا». فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم.

فقلنا: «نحن لا نذوق طعامك حتى تقضى حاجتنا». قال: «وما حاجتكم؟» قلنا: «نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر العالى الفخر الطيب العنصر». فقال: «يا إخوانى إن

التى تخطبونها أمرها لنفسها وأنا أدخل وأخبرها». ثم نهض مغضبًا ودخل على ريا. فقالت: «يا أبتِ ما لى أرى الغضب بائنًا عليك؟» فقال: «ورد على قوم من الأنصار يخطبونك منى». فقالت: «سادات كرام استغفر لهم النبى عليه أفضل الصلوات والسلام، فلمن الخطبة فيهم؟» فقال لها: «لفتى يعرف بعتبة بن الحباب». قالت: «سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد ويدرك ما طلب». فقال: «أقسمت لا أزوجنك به أبدًا فقد نمى إلى بعض حديثك معه». قالت: «ما كان ذلك ولكن أقسمت أن الأنصار لا يُردّون مردا قبيحًا فأحسن لهم الرد». قال: «بأى شىء؟» قالت: «أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون». قال: «ما أحسن ما قلت». ثم خرج مبادرًا وقال: «إن فتاة الحى قد أجابت ولكن تريد لها مهر مثلها فمن القائم به؟» فقلت: «أنا». قالت: «أريد لها ألف إسوار من الذهب الأحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومادة ثوب من الأبراد والحبر وخمسة أكرشة من العنبر». قلت: «لك ذلك فهل أجبت؟» قال: «أجبت».

فأنفذ عبد الله نفرًا من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ما ضمنه، وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام. قال: فأقمنا على هذه الحال أربعين يومًا. ثم قال: «خذوا فتاتكم». فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف. ثم ودّعنا وانصرف وسرنا حتى بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة، ثم خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بنى سليم، فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف وبه طعنة، ثم سقط إلى الأرض، وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه. وقلنا: «واعتبتاه». فسمعت الجارية فألقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح بحرقة وتقول هذه الأبيات:

تصبرت لا أنى صبرت وإنما ... أعلّلُ نفسى أنها بك لاحقه
ولو أنصفت روحى لكانت إلى الرّدى ... أمامك من دون البريّة سابقه
فما أحد بعدى وبعدك منصفٌ ... خليلاً ولا نفسٌ لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة وانقضى نحبها. فحفرنا لهما قبرًا واحدًا وواريناهما فى التراب ورجعت إلى ديار قومى وأقمت سبع سنين. ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة فقلت: «والله لأعودن إلى قبر عتبة». فأتيت إليه فإذا هو عليه شجرة عالية عليها عصائب حمر وصفر وخضر، فقلت لأرباب المنزل: «ما يقال لهذه الشجرة؟» فقالوا: «شجرة العروسين». فأقمت عند القبر يومًا وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به رحمه الله تعالى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية هند بنت النعمان مع الحجاج

قالت شهر زاد: وحُكى أيضًا أن هندًا بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها، فوُصِفَ للحجاج حسنها وجمالها فخطبها وبذل لها مالاً كثيرًا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم. ثم دخل عليها فى بعض الأيام وهى تنظر وجهها فى المرآة وتقول شعرًا تهجوه به. فلما سمع الحجاج ذلك انصرف راجعًا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به. فأراد الحجاج طلاقها فبعث إليها عبد الله بن طاهر يطلقها، فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال

لها: «يقول لك الحجاج أبو محمد كان تأخر عليه من الصداق مائتا ألف درهم وهى هذه حضرت معى ووكلنى فى الطلاق». فقالت: «اعلم يا ابن طاهر أننا كنا معًا والله ما فرحت به يومًا قط، وإن تفرقنا والله لا أندم عليه أبدًا، وهذه المائتا ألف درهم لك بشارة بخلاصى من كلب ثقيف». ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووُصِفَ له حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فأرسل إليها يخطبها.

فلم يمكنها المخالفة، وكتبت إليه تقول بعد الثناء على الله - تعالى -: «اعلم يا أمير المؤمنين أنى لا أجرى العقد إلا بشرط فإن قلت: ما الشرط؟ أقول: أن يقود الحجاج محملى إلى بلدتك التى أنت فيها ويكون حافيًا بملبوسه الذى هو لابسه». فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك ضحكًا عاليًا شديدًا وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك. فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتثل الأمر، ثم أرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهيز فتجهزت فى محمل وجاء الحجاج فى موكبه حتى وصل إلى باب هند.

فلما ركبت المحمل وركب حولها جواريها وخدمها ترجل الحجاج وهو حافٍ وأخذ بزمام البعير يقوده وسار بها فصارت تسخر منه وتهزأ به وتضحك عليه مع بلانتها وجواريها. ثم إنها قالت لبلانتها: «اكشفى لى ستارة المحمل». فكشفتها حتى قابل وجهها وجهه فضحكت عليه. فتنهد الحجاج وأنشد هذا البيت:

فإن تضحكى يا هندُ يا رُبَّ ليلةٍ ... تركتكِ فيها تسهرين نواحا

فأجابته هند بهذين البيتين:

وما نبالى إذا أرواحنا سلمت ... بما فقدناه من مالٍ ومن نشبِ
فالمالُ مكتسبٌ والعزُّ مرتجعٌ ... إذا اشتفى المرءُ من داءٍ ومن عطبِ

ولم تزل تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلدة الخليفة. فلما وصلت إلى البلد رمت من يدها دينارًا على الأرض وقالت له: «يا جمال إنه قد سقط منا درهم فانظره وناولنا إياه». فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يرَ إلا دينارًا فقال لها: «هذا دينار». فقالت له: «بل هو درهم». فقال لها: «بل دينار». فقالت: «الحمد لله الذى عوضنا بالدرهم الساقط دينارًا، فناولنا إياه». فخجل الحجاج من ذلك. ثم إنه أوصلها إلى قصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ودخلت عليه وكانت محظية عنده.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية خزيمة بن بشر مع عكرمة الفياض

قالت شهر زاد: «بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد والقول السديد أنه كان فى أيام أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بنى أسد. وكان له مروءة ظاهرة ونعمة وافرة وفضل وبرّ بالإخوان. فلم يزل على ذلك الحال حتى أقعده الدهر، فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم ويواسيهم فواسوه حينًا ثم ملوا منه. فلما لاح له تغيُّرهم عليه ذهب إلى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها: «يا ابنة عمى قد رأيت من إخوانى

تغيرًا وقد عزمت على أن ألزم بيتى إلى أن يأتينى الموت».

فأغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وصار حائرًا. وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعى متولى الجزيرة فبينما هو فى مجلسه إذ ذُكر خزيمة بن بشر. فقال عكرمة الفياض: «ما حاله؟» فقالوا له: «قد صار إلى أمر لا يوصف وإنه أغلق بابه ولزم بيته». فقال عكرمة الفياض: «إنما حصل له ذلك لشدة كرمه، وكيف لم يجد خزيمة بن بشر مواسيًا ولا موافيًا؟» فقالوا: «إنه لم يجد شيئًا من ذلك». فلما جاء الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس واحد. ثم أمر بإسراج دابته وخرج سرًا من أهله وركب معه غلام من غلمانه يحمل المال. ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من غلامه ثم أبعده عنه. وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة، فناوله الكيس وقال له: «أصلح بهذا شأنك». فأخذه فرآه ثقيلاً فوضعه عن يده ومسك بلجام الدابة وقال له: «من أنت جُعلت نفسى فداك؟» فقال له عكرمة: «يا هذا ما جئتك فى هذا الوقت وأريد أن تعرفنى». قال: «فما أقيلك حتى تعرفنى من أنت؟» فقال: «جابر عثرات الكرام». قال: «فزدنى». قال: «لا». ثم مضى.

ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه فقال لها: «أبشرى فقد أتى الله بالفرج القريب والخير، فإن كان هذا دراهم فإنها كثيرة قومى فاسرجى». قالت: «لا سبيل إلى السراج». فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير فلا يصدق أنها دنانير. وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد تفقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك عليه وارتابت منه وقالت له: «إن والى الجزيرة لا يخرج بعد مدة من الليل منفردًا من غلمانه فى سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية». فقال لها: «علم الله أنى ما خرجت فى واحدة منهما». فقالت: «أخبرنى فيم خرجت؟» قال لها: «ما خرجت فى هذا الوقت إلا لأجل أن لا يعلم بى أحد». قالت: «لا بد من إخبارى». قال: «هل تكتمينه إذا قلت لكِ؟» قالت: «نعم».

فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من أمره. ثم قال لها: «أتحبين أن أحلف لكِ أيضًا؟» قالت: «لا فإن قلبى قد سكن وركن إلى ما ذكرت». وأما خزيمة فإنه لما أصبح الصباح صالح الغرماء وأصلح حاله، ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلاً يومئذ بفلسطين، فلما وقف ببابه واستأذن حجابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورًا بالمروءة وكان سليمان به عارفًا فأذن له فى الدخول. فلما دخل سلم عليه سلام الخلافة. فقال له سليمان ابن عبد الملك: «يا خزيمة ما أبطأك عنا؟» قال: «سوء الحال». قال: «فما منعك من النهضة إلينا؟» قال: «ضعفى يا أمير المؤمنين». قال: «فبمَ نهضت الآن؟» قال له: «اعلم يا أمير المؤمنين أنى كنت فى بيتى بعد مدة من الليل وإذا برجل طرق الباب وكان أمره كذا وكذا» وأخبره بقصته.

فقال سليمان: «هل تعرف الرجل؟» فقال خزيمة: «لا أعرفه يا أمير المؤمنين وذلك أنه كان متنكرًا وما سمعت من لفظه إلا أنا جابر عثرات الكرام». فتلهف وتلهف اليمان بن عبد الملك على معرفته وقال: «لو عرفناه لكافأناه على مروءته». ثم عقد لخزيمة بن بشر لواء وجعله عاملاً للجزيرة عوضًا عن عكرمة الفياض، فخرج خزيمة قاصدًا الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة ولاقاه وخرج أهل الجزيرة فى ملاقاته فسلما على بعضهما ثم ساروا جميعًا إلى أن

دخل البلد فنزل خزيمة دار الإمارة وأمر أن يؤخذ من عكرمة كفيل وأن يحاسب فحوسب. فوجد عليه أموالاً كثيرة فطالبه بأدائها. قال: «ما لى إلى شىء من سبيل». قال: «لا بد منها». قال: «ليست عندى فاصنع ما أنت صانع».

فعند ذلك أمر به إلى الحبس، ثم أرسل إليه ليطالبه بما عليه فأرسل يقول له: «إنى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت». فأمر أن يكبل بالحديد ويسجن. فأقام شهرًا أو أكثر حتى أضناه ذلك وأضر به حبسه. ثم بلغ ابنة عمه خبره واغتمت لذلك غاية الغم ودعت مولاة لها كانت ذات عقل وافر ومعرفة وقالت لها: «امضى فى هذه الساعة إلى باب الأمير خزيمة بن بشر وقولى: إن عندى نصيحة فإذا طلبها منكِ أحد فقولى: لا أقولها إلا للأمير فإذا دخلت عليه فاسأليه الخلوة فإذا اختليت به فقولى له: «ما هذا الفعل الذى فعلته، ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك إلا أن كافأته بالحبس الشديد والضيق فى الحديد؟» ففعلت الجارية ما أمرت به.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

فلما سمع خزيمة كلامها نادى بأعلى صوته: «واسوأتاه وإنه لهو؟» قالت: «نعم». فأمر من وقته بدابته فأسرجت ودعا بوجوه البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس وفتحه ودخل خزيمة ومن معه، فرأوه قاعدًا متغير الحال وقد أضناه الضرب والألم. فلما نظر إليه عكرمة أخجله ذلك فنكس رأسه، فأقبل خزيمة وانكب على رأسه فقبله.

فرفع عكرمة إليه رأسه وقال: «ما أعقب هذا منك؟» قال: «كريم أفعالك وسوء مكافأتى». قال: «يغفر الله لنا ولك». ثم أمر خزيمة السجان أن يفك القيود عنه وأمر أن توضع القيود فى رجليه. فقال عكرمة: «ماذا تريد؟» قال: «أريد أن ينالنى مثل ما نالك». فقال عكرمة: «أقسم عليك بالله أن لا تفعل».

ثم خرجا جميعًا حتى وصلا إلى دار خزيمة فودعه وأراد الانصراف فمنعه خزيمة من ذلك. فقال عكرمة: «ما تريد؟» قال: «أن أغير حالك فإن حيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك». ثم أمر بإخلاء الحمام فأخلى ودخلا جميعًا. فقام خزيمة وتولى خدمته بنفسه، ثم خرجا فخلع عليه خلعة نفيسة وأركبه وحمل معه مالاً كثيرًا، ثم سار معه إلى داره واستأذنه فى الاعتذار إلى ابنة عمه فاعتذر إليها.

ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ مقيمًا بالرملة فأجابه إلى ذلك، وسارا جميعًا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب عليه وأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر. فراعه ذلك وقال: «هل والى الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم».

فأذن له فى الدخول فلما دخل قال له: «فما الذى أقدمك؟» قال: «ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهّفك على معرفته وشوقك إلى رؤيته». قال: «ومن هو؟» قال: «عكرمة الفياض».

فأذن له بالتقرب فتقرب وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال له: «يا عكرمة ما كان خيرك له إلا وبالاً عليك». ثم قال سليمان: «اكتب حوائجك كلها وما تحتاج إليه فى رقعة».

ففعل ذلك. فأمر بقضائها من ساعته وأمر له بعشرة آلاف دينار خلاف الحوائج التى

كتبها وعشرين تختًا من الثياب زيادة على ما كتبه. ثم دعا بقناة وعقد له لواء على الجزيرة وارمينية وأذربيجان.

وقال له: «أمرُ خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته». قال: «بل أردُّه إلى محله يا أمير المؤمنين».

ثم انصرفا من عنده جميعًا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته.

حكاية يونس الكاتب مع الوليد بن سهل ولى العهد

وحُكى أيضًا أنه كان فى مدة ولاية هشام بن عبد الملك رجل يسمى يونس الكاتب وكان مشهورًا، فخرج مسافرًا إلى الشام ومعه جارية فى غاية الحسن والجمال وكان عليها جميع ما تحتاج إليه وكان قدر ثمنها مائة ألف درهم. فلما قرب من الشام نزلت القافلة على غدير ماء ونزل هو بناحية من نواحيه وأصاب من طعام كان معه وأخرج ركوة كان فيها نبيذ. فبينما هو كذلك وإذا بفتى حسن الوجه والهيبة على فرس أشقر ومعه خادمان فسلّم عليه وقال له: «أتقبل ضيفًا؟» قال: «نعم». فنزل عنده وقال له: «اسقنا من شرابك». فسقاه فقال: «إن شئت أن تغنى لنا صوتًا». فغنى فطرب طربًا شديدًا وسقاه مرارًا حتى مال به السكر ثم قال: «قل لجاريتك أن تغنى فغنت فطرب طربًا شديدًا وسقاه مرارًا. ولم يزل مقيمًا عنده إلى أن صليا العشاء. ثم قال له: «ما أقدمك على هذا البلد؟» قال: «ما أقضى به دينى وأصلح به حالى». فقال له: «أتبيعنى هذه الجارية بثلاثين ألف درهم؟» قال: «ما أحوجنى إلى فضل الله والمزيد منه». قال: «أيقنعك فيها أربعون ألفًا؟» قال: «فيها قضاء دينى وأبقى صفر اليدين». قال: «قد أخذناها بخمسين ألفًا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك وأشركك فى حالى ما بقيت». فقال: «قد بعتها». قال: «أفتثق بى أن أوصل إليك ثمنها فى غد وأحملها معى أو تكون عندك إلى أن أحمل ذلك إليك غدًا؟» فحمله السكر والحياء مع الخشية منه على أن قال له: «نعم قد وثقت بك فخذها وقد بارك الله لك فيها». فقال لأحد غلاميه: «احملها على دابّتك وارتدف وراءها وامضِ بها». ثم ركب فرسه وودعه وانصرف.

فما هو إلا أن غاب عن البائع ساعة فتفكر البائع فى نفسه وعرف أنه أخطأ فى بيعها وقال فى نفسه: «ما صنعت حتى أسلم جاريتى إلى رجل لا أعرفه ولا أدرى من هو؟ وهب أنى عرفته فمن أين الوصول إليه؟» ثم جلس متفكرًا إلى أن صلى الصبح ودخل أصحابه دمشق وجلس هو حائرٌ لا يدرى ما يفعل واستمر جالسًا حتى أحرقته الشمس وكره المقام فهم بالدخول فى دمشق. ثم قال فى نفسه: «إن دخلت لم آمن أن الرسول يأتى فلا يجدنى فأكون قد جنيت على نفسى جناية ثانية». فجلس فى ظل جدار كان هناك.

فلما ولى النهار وإذا بأحد الخادمين اللذين كانا مع الغلام قد أقبل عليه. فلما رآه حصل له سرور عظيم وقال فى نفسه: «ما أعرف أنى سُررت بشىء أعظم من سرورى هذا الوقت بالنظر إلى الخادم». فلما جاء الخادم قال له: «يا سيدى قد أبطأنا عليك». فلم يذكر له شيئًا من الوله الذى كان به. ثم قال له الخادم: «هل تعرف الرجل الذى أخذ الجارية؟» فقال له: «لا». قال: «هو الوليد بن سهل ولىُّ العهد». فسكت عند ذلك. ثم قال: «قم فاركب». وكان معه دابة فاركبه إياها وسارا إلى أن وصلا إلى دار فدخلاها. فلما رأته الجارية وثبت إليه

وسلمت عليه فقال لها: «ما كان من أمرك مع من اشتراك؟» قالت: «أنزلنى فى هذه الحجرة وأمر لى بما أحتاج إليه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فجلس عندها ساعة وإذا بخادم صاحب الدار قد جاء إليه ثم قال له: «قم». فقام معه ودخل به على سيده فوجده ضيفه بالأمس ورآه جالسًا على سريره. فقال له: «من أنت؟» قال: «يونس الكاتب». قال: «مرحبًا بك قد كنت والله أتشوق إلى رؤيتك فإنى كنت أسمع بخبرك فكيف كان مبيتك فى ليلتك؟» فقال له: «بخير أعزك الله - تعالى -». ثم قال: «لعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت فى نفسك إنى دفعت جاريتى إلى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أى البلاد هو؟» فقال له: «معاذ الله أيها الأمير أن أندم عليها ولو أهديتها إلى الأمير لكانت أقل ما يُهدى إليه وما هذه الجارية بالنسبة إلى مقامه».

فقال له الوليد: «والله إنى ندمت على أخذها منك وقلت هذا رجل غريب لا يعرفنى وقد دهمته وسفهت عليه فى استعجالى بأخذ الجارية، أفتذكر ما كان بيننا؟» قال: «نعم». قال: «أتبعنى هذه الجارية بخمسين ألف درهم؟» قال: «نعم» قال: «هات يا غلام المال». فوضعه بين يديه. فقال: «يا غلام هات ألفًا وخمسمائة دينار فأتى بها». ثم قال: «هذا ثمن جاريتك فضمه إليك، وهذا الألف الدينار لحسن ظنك بنا، وهذه الخمسمائة الدينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لأهلك، أرضيت؟» قال: «رضيت» وقبل يديه وقال: «والله قد ملأت عينى ويدى وقلبى». ثم قال الوليد: «والله إنى ما شبعت من غنائها علىَّ بها». فجاءت فأمرها بالجلوس فجلست فقال لها: «غنّى». فانشدت تقول هذا الشعر:

أيا من حاز كلّ الحُسن طُرًا ... ويا حلو الشمائل والدلالِ
جميع الحسن فى ترك وعُرب ... وما فى الكل مثلك فى الرجالِ
رضيتك لى من الدنيا نصيبًا ... فأنت أعزُّ من روحى ومالى

فطرب طربًا شديدًا وشكر حسن تأديبى وتعليمى إياها. ثم قال: «يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلاتها لركوبه وبغلاً لحمل حوائجه». ثم قال: «يا يونس إذا بلغك أن هذا الأمر قد أفضى إلىّ فالحق بى فوالله لأملأن بالخير يديك ولأعلين قدرك ولأغنينك ما بقيت». قال: «فأخذت المال وانصرفت. فلما أفضت إليه الخلافة سرت إليه فوفى لى والله بوعده وزاد فى إكرامى وكنت معه على أسر حال وأسمى منزلة، وقد اتسعت أحوالى وكثرت أموالى وصار لى من الضياع والأموال ما يكفينى إلى مماتى ويكفى ورثتى من بعدى، ولم أزل معه حتى قُتل رحمة الله تعالى عليه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أبى إسحاق إبراهيم الموصلى مع أبى مرة إبليس

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أن أبا إسحاق الموصلى قال: استأذنت الرشيد فى أن يهب لى يومًا من الأيام للانفراد بأهل بيتى وإخوانى، فأذن لى فى يوم السبت. فأتيت منزلى وأخذت فى إصلاح طعامى وشرابى وما أحتاج إليه وأمرت البوابين أن يغلقوا الأبواب وأن لا يأذنوا لأحد فى الدخول علىّ. فبينما أنا فى مجلسى والحريم قد حففن بى وإذا بشيخ ذى هيبة وجمال وعليه ثياب بيض وقميص ناعم وعلى رأسه طيلسان وفى يده عكاز قبضته من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق، فدخلنى غيظ عظيم بدخوله علىّ وهممت بطرد البوابين، فسلم علىّ بأحسن سلام، فرددت عليه وأمرته بالجلوس. فجلس وأخذ يحدثنى بحديث العرب وأشعارها حتى ذهب ما بى من الغضب وظننت أن غلمانى تحروا مسرتى بإدخال مثله علىّ لأدبه وظرافته فقلت له: «هل لك فى الطعام؟» فقال: «لا حاجة لى فيه». فقلت له: «وفى الشراب؟» قال: «ذلك إليك». فشربت رطلاً وسقيته مثله. ثم قال: «يا أبا إسحاق هل لك أن تغنينا شيئًا فنسمع من صنعك ما قد فقت به العام والخاص؟» فغاظنى قوله ثم سهلت الأمر على نفسى فأخذت العود وضربت وغنيت. فقال: «أحسنت يا إبراهيم». فازددت غيظًا وقلت: «ما قنع بما فعله من دخوله بغير إذن واقتراحه علىّ حتى سمانى باسمى مع جهل مخاطبتى». ثم قال: «هل لك أن تزيد ونكافئك؟» فتحملت المشقة وأخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيت وقمت به قيامًا تامًا لقوله ونكافئك.

فطرب وقال: «أحسنت يا سيدى». ثم قال: «أتأذن لى فى الغناء؟» فقلت: «شأنك». واستضعفت عقله فى أن يغنى بحضرتى بعد الذى سمعه منى. فأخذ العود، وجسه فوالله لقد خلت العود ينطق بلسان عربى فصيح بصوت أغن مليح، واندفع يغنى:

ولى كبد مقروحة من يبيعنى ... بها كبدًا ليست بذات قروح
أباها علىّ الناسُ لا يشترونها ... ومن يشترى ذا علة بصحيح
أئنُّ من الشوق الذى بجوانحى ... أنين غصيص بالشراب قريح

فوالله لقد ظننت أن الأبواب والحيطان وكل ما فى البيت تجيبه وتغنى معه من حسن صوته حتى خلت والله أنى أسمع أعضائى وثيابى تجيبه وبقيت مبهوتًا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى. ثم غنى بهذه الأبيات:

ألا يا حمامات اللوى عدنَ عودةً ... فإنى إلى أصواتكن حزينُ
فعدن على أيك فكدنَ يُميتنى ... وكدتُ بأسرارى لهن أبينُ
دعونَ فريقًا بالهدير كأنما ... شربنَ الحميا أو بهن جنونُ
فلم ترَ عينى مثلهن حمائمًا ... بكين ولم تدمع لهن عيونُ

ثم أنشد أيضًا هذه الأبيات:

ألا يا صبا نجد متى هجتِ من نجدِ ... فقد زادنى مسراك وجدًا على وجدى
لئن هتفت ورقاءُ فى رونق الضحى ... على فنن الأغصان بالبان والرندِ
بكيت مثل ما يبكى الوليدُ صبابةً ... وأبديت من الأشواق ما لم أكن أبدى

وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن البعد يشفى من الوجدِ
بكلٍّ تداوينا فلم يشفِ ما بنا على أنّ قرب الدار خيرٌ من البعدِ
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى عهد

ثم قال: «يا إبراهيم غنِّ هذا الغناءَ الذى سمعته وانحُ نحوه فى غنائك وعلّمه جواريك».

فقلت: «أعده علىّ». فقال: «لست تحتاج إلى إعادة قد أخذته وفرغت منه». ثم غاب من بين يدى. فتعجبت منه وقمت إلى السيف وجذبته ثم غدوت نحو باب الحريم فوجدته مغلقًا. فقلت للجوارى: «أى شىء سمعتن؟» فقلن: «سمعنا أطيب غناء وأحسنه». فخرجت متحيرًا إلى باب الدار فوجدته مغلقًا، فسألت البوابين عن الشيخ. فقالوا: «أى شيخ فوالله ما دخل إليك اليوم أحد».

فرجعت أتأمل أمره فإذا هو قد هتف من جانب الدار فقال: «لا بأس عليك يا أبا إسحاق إنما أنا أبو مُرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع».

فركبت إلى الرشيد فأخبرته الخبر فقال: «أعد الأصوات التى أخذتها منه». فأخذت العود وضربت فإذا هى راسخة فى صدرى، فطرب بها الرشيد وجعل يشرب عليها ولم يكن له انهماك على الشراب وقال: «ليته متعنا بنفسه يومًا واحدًا كما متعك» (كذا). ثم أمر لى بصلة فأخذتها وانصرفت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية جميل قدام هارون الرشيد

عن فتى من بنى عذرة

قالت شهر زاد: وحُكى أيضًا أن مسرورًا الخادم قال: «أرق أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة أرقًا شديدًا فقال لى: «يا مسرور مَن بالباب من الشعراء؟» فخرجت إلى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذرى فقلت له: «أجب أمير المؤمنين». فقال: «سمعًا وطاعةً». فدخلت ودخل معى إلى أن صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه السلام وأمره بالجلوس. ثم قال له الرشيد: «يا جميل أعندك شىء من الأحاديث العجيبة؟» قال: «نعم يا أمير المؤمنين أيما أحبُّ إليك ما عاينته ورأيته أو ما سمعته ووعيته؟» فقال: «حدثنى بما عاينته ورأيته». قال: «نعم يا أمير المؤمنين أقبل على بكلّك وأصغ إلى بأذنيك». فعمد الرشيد إلى مخدة من الديباج الأحمر المزركش بالذهب محشوّة بريش النعام فجعلها تحت فخذيه ثم مكّن منها مرفقيه وقال: «هلم بحديثك».

فقال جميل: «اعلم يا أمير المؤمنين أنى كنت خطبت فتاة، ثم إن أهلها رحلوا بها لقلة المرعى فأقمت مدة لم أرها. ثم إن الشوق أقلقنى وجذبنى إليها فحدثتنى نفسى بالمسير إليها. فلما كان ذات ليلة من الليالى هزنى الشوق فقمت وشددت رحلى على ناقتى وتعممت بعمامتى ولبست أطمارى وتقلدت بسيفى واعتقلت رمحى وركبت ناقتى وخرجت وكنت أسرع فى المسير، فسرت ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الأودية وصعود الجبال فأسمع زئير الأسود وعواء الذئاب وأصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلى وطاش لبى

ولسانى لا يفتر عن ذكر الله - تعالى -. فبينما أنا أسير على هذه الحالة إذ غلبنى النوم فأخذت بى الناقة على غير الطريق التى كنت فيها وغلب علىّ النوم، وإذا أنا بشىء لطمنى فى رأسى فانتبهت فزعًا مرعوبًا وإذا بأشجار وأنهار وأطيار على تلك الأغصان تغرد بلغاتها وألحانها. وأشجار تلك المرج مشتبك بعضها ببعض فنزلت عن ناقتى وأخذت بزمامها فى يدى، ولم أزل أتلطف بالخلاص إلى أن خرجت بها من تلك الأشجار إلى أرض فلاة، فأصلحت كورها واستويت راكبًا على ظهرها ولا أدرى إلى أين أذهب ولا إلى أى مكان تسوقنى الأقدار. فمددت نظرى فى تلك البريَّة فلاحت لى نار فى صدرها فوكزت ناقتى وصرت متوجهًا إليها حتى وصلت، فقربت منها وتأملت وإذا بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة وإبل سائمة.

فقلت فى نفسى: «يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فإنى لا أرى فى تلك البرية سواه». ثم تقدمت إلى جهة الخباء وقلت: «السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته». فخرج إلىّ من الخباء غلام من أبناء التسع عشرة سنة فكأنه البدر إذا أشرق والشجاعة بين عينيه. فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب إنى لأظنك ضالاً عن الطريق». فقلت: «الأمر كذلك أرشدنى يرحمك الله». فقال: «يا أخا العرب إن بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك فانزل عندى على الرحب والسعة فإذا كان الغد أرشدتك إلى الطريق». فنزلت عن ناقتى وعقلتها بفضل زمامها ونزعت ما كان علىَّ من الثياب وتخففت وجلست ساعة وإذا بالشاب قد عمد إلى شاة فذبحها وإلى النار فأضرمها وأججها، ثم دخل الخباء وأخرج أبزارًا ناعمة وملحًا طيبًا وأقبل يقطع من ذلك اللحم قطعًا ويشويها على النار ويطعمنى ويتنهَّد ساعة ويبكى أخرى، ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاءً شديدًا وأنشد يقول هذه الأبيات:

لم يبقَ إلا نفسٌ هافتٌ	ومُقلةٌ إنسانها باهتٌ
لم يبقَ فى أعضائه مفصلٌ	إلا وفيه سقمٌ ثابتٌ
ودمعهُ جارٍ وأحشاؤهُ	توقَّد إلا أنه ساكتٌ
تبكى له أعداؤهُ رحمةً	يا ويحَ من يرحمه الشامتُ

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فعلمت عند ذلك يا أمير المؤمنين أن الغلام عاشق ولهان. فقلت فى نفسى: «أهل أسأله؟» ثم راجعت نفسى وقلت: «كيف أتهجم عليه فى السؤال وأنا فى منزله؟» فردعت نفسى وأكلت من ذلك اللحم بحسب كفايتى. فلما فرغنا من الأكل قام الشاب ودخل الخباء وأخرج طشتًا نظيفًا وإبريقًا حسنًا ومنديلاً من الحرير وأطرافه مزركشة بالذهب الأحمر وقمقمًا ممتلئًا من ماء الورد الممسك، فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسى: «لم أعرف الظرف فى البادية». ثم غسلنا أيدينا وتحدثنا ساعة. ثم قام ودخل الخباء وفصل بينى وبينه بفاصل من الديباج الأحمر وقال: «ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فى هذه الليلة تعب وفى سفرتك هذه نصب مفرط». فدخلت وإذا أنا بفراش من

الديباج الأخضر، فعند ذلك نزعت ما على من الثياب وبتُّ ليلة لم أبت عمرى مثلها. فكل ذلك وأنا مفتكر فى أمر هذا الشاب.

فلما جن الليل ونامت العيون لا أشعر إلا بصوت خفى لم أسمع ألطف منه ولا أرق حاشية ،فرفعت الفاصل المضروب بيننا وإذا أنا بصبية لم أرَ أحسن منها وجهًا وهما يتحدثان فقلت: «يا لله العجب من هذا الشخص الثانى، وحين دخلت هذا البيت لم أرَ فيه غير هذا الفتى وما عنده أحد». ثم قلت فى نفسى: «لا شك أن هذه من بنات الجن» ثم أرخيت الستر وغطيت وجهى ونمت. فلما أصبحت لبست ثيابى وتوضأت لصلاتى وصليت ما كان على من الفرض. ثم قلت له: «يا أخا العرب هل لك أن ترشدنى إلى الطريق وقد تفضلت على؟» فنظر إلى وقال: «على رسلك يا وجه العرب إن الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذى يدعك إلا بعد ثلاثة أيام». فأقمت عنده ثلاثة أيام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما كان فى اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال: «أما نسبى فأنا من بنى عذرة وأما اسمى فأنا فلان ابن فلان وعمى فلان». فإذا هو ابن عمى يا أمير المؤمنين وهو من أشرف بيت من بنى عذرة. فقلت: «يا ابن العم ما حملك على ما أراه منك من الانفراد فى هذه البرية وكيف تركت نعمتك ونعمة آبائك وكيف تركت عبيدك وإماءك وانفردت بنفسك فى هذا المكان؟» فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامى تغرغرت عيناه بالدموع والبكاء. ثم قال: «يا ابن العم إنى كنت محبًا لابنة عمى فخطبتها من عمى فأبى وزوجها لرجل من بنى عذرة وأخذها إلى المحلة التى هو فيها من العام الأول. فلما بعدت عنى واحتجبتُ عن النظر إليها حملتنى شدة الشوق على ترك أهلى ومفارقة عشيرتى وخلانى وجميع نعمتى وانفردت بهذا البيت فى هذه البرية وألفت وحدتى». فقلت: «وأين بيوتهم؟» قال: «هى قريب فى ذروة هذا الجبل، وها أنا مقيم على ذلك الحال ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً أو يأتينى الأمر على رغم الحاسدين أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين». فلما أخبرنى الغلام يا أمير المؤمنين غمنى أمره وصرت من ذلك حيران لما أصابنى من الغيرة فقلت له: «يا ابن العم وهل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك وفيها إن شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يزيل الله عنك الذى تخشاه؟» فقال الغلام: «قل لى يا ابن العم». فقلت له: «إذا زارتك الجارية فاطرحها على ناقتى فإنها سريعة الرواح، واركب أنت جوادك وأنا أركب بعض هذه النياق وأسير بكما الليلة جميعها. فما يصبح الصباح إلا وقد قطعتُ بكما برارى وقفارًا، وأرض الله واسعة فضاها وأنا والله مساعدك ما حييت بروحى ومالى وسيفى».

فلما سمع ذلك قال: «يا ابن العم حتى أشاورها فى ذلك فإنها عاقلة لبيبة بصيرة بالأمور». فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو ينتظرها فى الوقت المعلوم فأبطأت عن عادتها. فرأيت الفتى خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح الذى يهبُّ من نحوها وينشق رياها وينشد هذين البيتين:

ريح الصبا تهدى إلىّ نسيمًا ... من بلدةٍ فيها الحبيبُ مقيمُ

يا ريحُ فيك من الحبيب علامةٌ أفتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكى. ثم قال: «يا ابن العم إن لابنة عمى فى هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث». ثم قال لى: «كن مكانك حتى آتيك بالخبر». ثم أخذ سيفه وترسه ثم غاب عنى ساعة من الليل، ثم أقبل وعلى يديه شىء يحمله. ثم صاح علىَّ فاسرعت عليه فقال: «يا ابن العم أتدرى ما الخبر؟» فقلت: «لا والله». فقال: «لقد فجعت فى ابنة عمى هذه الليلة لأنها قد توجهت إلينا فتعرض لها فى طريقها أسد فافترسها ولم يبقِ منها إلا ما ترى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم طرح ما كان على يده فإذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها. ثم بكى بكاء شديدًا ورمى القوس من يده وأخذ كيسًا على يده ثم قال لى: «لا تبرح إلى أن آتيك إن شاء الله تعالى». ثم سارفغاب عنى ساعة. ثم عاود وبيده رأس أسد فطرحه عن يده وجعل يبكى وزاد حزنه عليها وجعل ينشد:

ألا أيها الليثُ المغرُّ بنفسه هلكت وقد هيجتَ لى بعدها حزنا
وصيرتنى فردًا وقد كنتُ إلفها وصيرت بطن الأرض قبرًا لها رهنا
أقول لدهر ساءنى بفراقها معاذًا إليها أن ترينى لها خدنا

ثم قال: «يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التى بينِى وبينك أن تحفظ وصيتى، سترانى الساعة ميتًا بين يديك، فإذا كان ذلك فغسلنى وكفنى أنا وهذا الفاضل من عظام ابنة عمى فى هذا الثوب وادفنا معًا واكتب على قبرنا هذين البيتين:

كنا على ظهرها والعيش فى رغدٍ والشمل مجتمعٌ والدارُ والوطنُ
ففرق الدهر والتصريفُ ألفتنا وصار يجمعنا فى بطنها الكفنُ

ثم بكى بكاء شديدًا، ثم دخل الخباء وغاب عنى ساعة وخرج وسار يتهد ويصيح ثم شهق شهقة ففارق الدنيا.

فلما رأيت ذلك منه عظم على وكبر عندى حتى كدت أن ألحق به من شدة حزنى عليه. ثم تقدمت إليه فأضجعته وفعلت به ما أمرنى به من العمل وكفنتهما جميعًا ودفنتهما جميعًا فى قبر واحد. وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام ثم ارتحلت وأقمت سنتين أتردد إلى زيارتهما.

وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين. فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية الأعرابي عند معاوية

عن جور مروان بن الحكم

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين معاوية جلس يومًا في مجلس له بدمشق وكان الموضع مفتوح الطيقان من الجهات الأربع يدخل فيه النسيم من كل جانب. فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات وكان يومًا شديد الحر لا نسيم فيه وكان ذلك في وسط النهار وقد اشتدت الهاجرة إذ نظر إلى رجل يمشي وهو يتلظى من حر التراب ويحجل في مشيه حافيًا. فتأمله وقال لجلسائه: «هل خلق الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاج إلى الحركة في هذا الوقت وفي هذه الساعة مثل هذا؟» قال بعضهم: «لعله يقصد أمير المؤمنين». فقال: «والله لئن قصدني لأعطينه وإن كان مظلومًا لأنصرنه، يا غلام قف بالباب فإذا طلب الدخول على هذا الأعرابي لا تمنعه من الدخول».

فخرج فوافاه الإعرابي فقال له: «ما تريد؟» قال: «أريد أمير المؤمنين». قال له: «ادخل». فدخل وسلَّم عليه. فقال له معاوية: «ممن الرجل؟» فقال: «من بني تميم». قال: «فما الذي جاء بك في هذا الوقت؟» فقال: «جئتك مشتكيًا وبك مستجيرًا». قال: «ممن؟» قال: «من مروان بن الحكم عاملك». ثم أنشد:

معاويَ يا ذا الجود والحلم والفضل ... ويا ذا الندى والعلم والرشد والنبل

أتيتكَ لما ضاقَ في الأرض مذهبي ... فيا غوثُ لا تقطع رجائي من العدلِ

وَجُد لي بإنصاف من الجائر الذي ... بلاني بشيء كان أيسره قتلي

سباني سعادًا وانبرى لخصومتي ... وجار ولم يعدل وأفقدني أهلي

وهم بقتلي غير أن منيتي ... تأبت ولم أستكمل الرزقَ من أجلي

فلما سمع معاوية إنشاده والنار تتوقد من فيه قال له: «أهلاً يا أخا العرب اذكر قصتك وأنبئني عن أمرك». فقال له: «يا أمير المؤمنين كان لي زوجة وكنت لها محبًا وبها كلفًا وكنت قرير العين طيب النفس، وكانت لي جملة من الإبل وكنت أستعين بها على قيام حالي، فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر وبقيت لا أملك شيئًا. فلما قلّ ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهانًا ثقيلاً على الذي كان يرغب في زيارتي، فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشر المآل أخذها مني وجحدني وطردني وأغلظ عليّ، فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم راجيًا لنصرته. فلما أحضر أباها وسأله عن حالي قال: «ما أعرفه قط». فقلت: «أصلح الله الأمير إن رأى أن يحضر المرأة ويسألها عن قول أبيها تبين الحقّ». فبعث خلفها وأحضرها، فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب فصار لي خصمًا وعلى منكرًا وأظهر لي الغضب وبعثني إلى السجن.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «فصرت كأنما نزلت من السماء واستوى بي الريح في مكان سحيق. ثم قال لأبيها: «هل لك أن تزوجها مني على ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها

من هذا الأعرابي؟» فرغب أبوها في البدل وأجابه إلى ذلك، فأحضرني ونظر إلى كالأسد الغضبان وقال: «يا أعرابي طلق سعاد». قلت: «لا أطلقها». فسلط عليّ جماعة من غلمانه فصاروا يعذبونني بأنواع العذاب، فلم أجد لي بدًا إلا طلاقها ففعلت. فأعادني إلى السجن فمكثت فيه إلى أن انقضت العدة فتزوج بها وأطلقني. وقد جئتك راجيًا وبك مستجيرًا وإليك ملتجئًا». وأنشد هذه الأبيات:

في القلب مني نار ... والنار فيها استعارُ
والجسمُ مني سقيمٌ ... فيه الطبيب يحارُ
وفي فؤادي جمرٌ ... والجمر فيه شرارُ
والعين تهطلُ دمعًا ... ودمعها مدرارُ
وليس إلا بربي ... وبالأمير انتصارُ

ثم اضطرب واصطكت أسنانه ووقع مغشيًا عليه وصار يتلوى كالحيَّة المقتولة. فلما سمع معاوية كلامه وإنشاده قال: «تعدى ابن الحكم في حدود الدين، وظلم واجترأ على حريم المسلمين». ثم قال: «يا أعرابي لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط». ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان بن الحكم: «قد بلغني أنك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن يكون واليًا أن يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاتها». ثم كتب بعد ذلك كلامًا طويلاً اختصرته، ومن جملته هذه الأبيات:

وليت ويحك أمرًا لست تدركه ... فاستغفر الله من فعل امرئٍ زاني
وقد أتانا الفتى المسكين منتحبًا ... يشكو إلينا ببين ثم أحزانِ
أعطي الإله يمينًا لا أكفرها ... نعم وأبرأ من ديني وإيماني
إن أنت خالفت فيما قد كتبتُ به ... لأجعلنك لحمًا بين عقبانِ
طلّق سعاد وعجلها مجهزةً ... مع الكميت ونصر بن ذبيانِ

ثم طوى الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لأمانتهما. فأخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما إليه الكتاب وأعلماه بصورة الحال. فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام إلى سعاد وأخبرها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر من الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد. ثم كتب مروان كتابًا إلى معاوية يقول فيه:

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد ... أوفي بنذرك في رفق وإحسانِ
وما أتيت حرامًا حين أعجبتني ... فكيف أدعى باسم الخائن الزاني
وسوف تأتيك شمس لا نظير لها ... بين الخليقة من إنس ومن جانِ

وختم الكتاب ودفعه إلى الرسولين فسارا حتى وصلا إلى معاوية وسلّما إليه الكتاب. فقرأه وقال: «لقد أحسن في الطاعة وأطنب في ذكر الجارية». ثم أمر بإحضارها فلما رآها رأى صورة حسنة لم يرَ مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال. فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال: «علي بالأعرابي». فأتوا به وهو في حالة مزعجة من تغيُّر الزمان عليه.

فقال: «يا أعرابى هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار كأنهن أقمار ومع كل جارية ألف دينار وأجعل لك فى بيت المال فى كل سنة ما يكفيك ويغنيك؟» فلما سمع الأعرابى كلام معاوية شهق شهقة فظن معاوية أنه قد مات. فلما أفاق قال له معاوية: «ما بالك؟» قال: «بشرّ بال وسوء حال استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن أستجير من جورك؟» وأنشد هذه الأبيات:

لا تجعلنى فداك الله من ملك ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار

أطلق وثاقى ولا تبخل على بها ... فإن فعلت فإنى غير كفّار

ثم قال: «والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتنى ما خولته من الخلافة ما أخذته دون سعاد».

فقال له معاوية: «إنك مقر بأنك طلقتها ومروان مقرّ بأنه طلّقها ونحن نخيّرها إن اختارت سواك زوجناها إياه وإن اختارتك حولناها إليك». قال: «افعل». فقال معاوية: «ما تقولين يا سعاد مَنْ أحب إليك أمير المؤمنين فى شرفه وعزه وقصوره وسلطانه وأمواله وما أبصرته عنده أو مروان بن الحكم وعسفه وجوره أو هذا الأعرابى وجوعه وفقره؟» فأنشدت هذين البيتين:

هذا وإن كان فى جوع وإضرار ... أعزّ عندى من قومى ومن جارى

وصاحب التاج أو مروان عامله ... وكل ذى درهم عندى ودينار

ثم قالت: «والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام، وأنا له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى، وأنا أحق من صبر معه فى الضراء، كما تنعمت معه في السراء».

فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم ودفعها للأعرابى. فأخذ زوجته وانصرف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية حسين الخليع قدام هارون الرشيد

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أن هارون الرشيد أرق ليلة فوجه إلى الأصمعى وإلى حسين الخليع فأحضرهما وقال: «حدثانى وابدأ أنت يا حسين». فقال: «نعم يا أمير المؤمنين». خرجت فى بعض السنين منحدرًا إلى البصرة ممتدحًا محمد بن سليمان الربيعى بقصيدة فقبلها وأمرنى بالمقام. فخرجت ذات يوم إلى المريد وجعلت المهالبة طريقى فأصابنى حرٌّ شديد فدنوت من باب كبير لأستسقى وإذا أنا بجارية عليها قميص جلنارى ورداء صنعانى، وهى يا أمير المؤمنين متقلدة بحرز من الذهب الأحمر وهو بين نهديها، وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وقد غلب عليها الطيب وهى والهة حيرانة ذاهبة فى الدهليز تروح وتجىء فهبتها يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فإذا الدار والدهليز والشارع قد عبق بالمسك، فسلمت عليها فردت على بلسان خاشع وقلب حزين. فقلت لها: «يا سيدتى إنى شيخ غريب وأصابنى عطش أتأمرين لى بشربة ماء تؤجرين عليها؟» قالت: «إليك عنى يا شيخ فإنى

مشغولة عن الماء والزاد».

فقلت: «لأى علة يا سيدتى؟» قالت: «إنى أحب من لا ينصفنى وأريد من لا يريدنى، ومع ذلك فإنى ممتحنة بمراقبة الرقباء». قلت: «وهل يا سيدتى على بسيطة الأرض من تريدينه ولا يريدك؟» قالت: «نعم وذلك لفضل ما رُكّب فيه من الجمال والكمال والدلال». قلت: «وما وقوفك فى هذا الدهليز؟» قالت: «ها هنا طريقه وهذا وقت اجتيازه». قلت لها: «يا سيدتى فهل اجتمعتما فى وقت من الأوقات وتحدثتما حديثًا أوجب هذا الوجد؟».

فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد. قلت: «يا هذه فما بلغ من حبك لهذا الفتى؟» قالت: «أرى الشمس على حيطان أهله فأحسب أنها هو وربما أراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدى وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل». فقلت لها: «أرى بكِ من شحوب اللون ورقة البشرة ما يشهد بتباريح الهوى، وكيف لم يمسّكِ الهوى وأنت مقيمة فى أرض البصرة؟» قالت: «والله كنت قبل محبتى هذا الغلام فى غاية الدلال بهية الجمال والكمال ولقد فتنت بجميع ملوك البصرة حتى افتتن بى هذا الغلام». قلت: «يا هذه ما الذى فرق بينكما؟» قالت: «نوائب الدهر، ولحديثى وحديثه شأن عجيب وذلك أنى قعدت فى يوم نيروز ودعوت عدة من جوارى البصرة وفى تلك الجوارى جارية من سيران وكان ثمنها عليه من عمان ثمانين ألف درهم وكانت إلى مُحبة وبى مولعة فخلونا نتتمم بالشراب إلى أن يتهيأ طعامنا ويتكامل سرورنا وكانت تلاعبنى وألاعبها، فبينما نحن كذلك إذ دخل هو على حين غفلة فرأى ذلك فاغتاظ وانصرف عنى انصراف المهرة العربية إذا سمعت صلاصل لجامها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما رأى ما ذكرت لك من ملاعبتى مع جارية سيران خرج مغضبًا منى، فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين لم أزل أعتذر إليه وأتلطف به وأستعطفه فلا ينظر إلىّ بطرف ولا يكتب إلىّ بحرف ولا يكلم لى رسولاً ولا يسمع منى كثيرًا أو قليلاً». قلت لها: «يا هذه أمن العرب هو أم من العجم؟» قالت: «ويحك هو من جملة ملوك البصرة». فقلت لها: «أشيخ أم شاب؟» فنظرت إلى شزرًا وقالت: «إنك أحمق هو مثل القمر ليلة البدر لا يعيبه شىء غير انحرافه عنى». فقلت لها: «ما اسمه؟» قالت: «ما تصنع به؟» قلت: «أجتهد فى لقائه لتحصيل الوصال بينكما». قالت: «على شرط أن تحمل إليه رقعة». قلت: «لا أكره ذلك». فقالت: «اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بأبى السخاء وقصره بالمربد».

ثم صاحبت على من فى الدار: «هاتوا الدواة والقرطاس». وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة وكتبت بعد التسمية: «سيدى أترك الدعاء فى صدر رقعتى ينبئ عن تقصيرى، واعلم أن دعائى لو كان مستجابًا ما فارقتنى لأنى كثيرًا ما دعوت أن لا تفارقنى وقد فارقتنى ولولا أن الجهد تجاوز بى حد التقصير لكان ما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معينًا لها مع يأسها منك لعلمها أنك تترك الجواب، وأقصى مرادها يا سيدى نظرة إليك وقت اجتيازك فى الشارع إلى الدهليز تحيى بها نفسًا ميتة، وأجل من ذلك عندها أن تخط بخط

يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة سيدى الست لك مُحبة مدنفة فإن أجبت إلى المسألة كنت لك شاكرة ولله الحمد والسلام».

فتناولت الكتاب وخرجت وأصبحت غدوت إلى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسًا محتفلاً بالملوك ورأيت غلامًا قد زان المجلس وفاق على من فيه جمالاً وبهجة قد رفعه الأمير فوقه. فسألت عنه فإذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى: «بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها». ثم قمت وقصدت المريد ووقفت على باب داره فإذا هو قد ورد فى موكب فوثبت إليه وبالغت فى الدعاء وناولته الرقعة. فلما قرأها وفهم معناها قال لى: «يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك أن تنظر إلى البديل؟» قلت: «نعم».

فصاح على فتاة وإذا هى جارية تخجل القمرين تمشى مشية مستعجل من غير وجل. فناولها الرقعة وقال: «أجيبى عنها». فلما قرأتها اصفر لونها وقالت: «يا شيخ استغفر الله مما جئت فيه».

فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلى حتى أتيتها واستأذنت عليها ودخلت فقالت: «ما وراءك؟» قلت: «البأس واليأس». قالت: «ما عليك منه فأين الله والقدرة؟» ثم أمرت لى بخمسمائة دينار وخرجت. ثم جزت على ذلك المكان بعد أيام فوجدت غلمانًا وفرسانًا، فدخلت وإذا هم أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع إليه وهى تقول: «لا والله لا نظرت له فى وجه». فسجدت شكرًا لله يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة، وتقربت من الجارية فأبرزت لى رقعة فإذا فيها بعد التسمية: «سيدتى لولا إبقائى عليكِ أدام الله حياتكِ لوصفت شطرًا مما حصل منكِ وبسطت عذرى فى ظلامتكِ إياى إذ كنتِ الجانية على نفسكِ ونفسى المظفرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفتِ هواى، والله المستعان على ما كان من اختيارك والسلام». وأوقفتنى على ما حمله إليها من الهدايا والتحف، وإذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار، ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة». فقال الرشيد: «لولا أن ضمرة سبقنى إليها لكان لى معها شأن من الشؤون».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إسحاق الموصلى مع الجارية والأعمى

قالت شهر زاد: حكى أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال: «بينما أنا ذات ليلة فى منزلى وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الأمطار تقطر كأفواه القِرب وامتنع الغادى والمقبل من المسير فى الطرقات لما فيها من الأمطار والوحل وأنا ضيق الصدر حيث لم يأتنى أحد من إخوانى ولم أقدر أن أسير إليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامى: «أحضر لى ما أتشاغل به». فأحضر لى طعامًا وشرابًا فتنغصته إذ لم يكن معى من يؤانسنى.

ولم أزل أتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات حتى أقبل الليل، فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدى وكانت عارفة بالغناء وتحريك آلات الملاهى فقلت فى نفسى: «لو كانت الليلة عندنا لتم سرورى وقصرت ليلتى مما أنا فيه من الفكر والقلق». وإذا بداق يدق الباب وهو

يقول: «أيدخل محبوب على الباب واقف؟» فقلت فى نفسى: «لعل غرس التمنى قد أثمر».
فقمت إلى الباب فإذا بصاحبتى وعليها مرط أخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت فى الطين إلى ركبتيها وابتل ما عليها من الميازيب وهى فى قالب عجيب. فقلت لها: «يا سيدتى ما الذى أتى بكِ فى مثل هذه الأحوال؟» فقالت: «قاصدك جاءنى ووصف ما عندك من الشوق فلم يسعنى إلا الإجابة والإسراع نحوك».

فتعجبت من ذلك وكرهت أن أقول لها: «لم أرسل إليك أحدًا». فقلت: «الحمد لله على جمع الشمل بعدما قاسيت من ألم الصبر ولو كنت أبطأتِ علىّ ساعة كنت أحق بالسعى إليكِ». ثم قلت لغلامى: «هات الماء»: فأقبل بمسخنة فيها ماء حار حتى تصلح حالها. ثم أمرته أن يصب الماء على رجليها، ثم دعوت ببدلة من أفخر الملبوس فألبستها إياها بعد أن نزعت ما كان عليها وجلسنا. ثم استدعيت بالطعام فأبت. فقلت لها: «هل لكِ فى الشراب؟» قالت: «نعم». فتناولت أقداحًا. ثم قالت: «من يغنى؟» فقلت: «أنا يا سيدتى». فقالت: «لا أحب». فقلت: «بعض جوارىّ». فقالت: «لا أريد». قلت: «غنى بنفسك». قالت: «ولا أنا». قلت لها: «فمن يغنى لكِ؟» قالت: «اخرج التمس من يغنى لى». فخرجت طاعة لها إلا أنى يائس ومتيقن أن لا أجد أحدًا فى مثل هذا الوقت. فلم أزل ماشيًا حتى بلغت الشارع وإذا أنا بأعمى يخبط الأرض بعصاه وهو يقول: «لا جزى الله من كنت عندهم خيرًا إن غنّيت لم يسمعوا وإن سكتُّ استخفوا بى». فقلت له: «أمغن أنت؟» قال: «نعم». قلت له: «فهل لك أن تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا؟» قال: «إن شئت خذ بيدى».

فأخذت بيده وسرت إلى الدار وقلت لها: «يا سيدتى قد أتيت بمغنٍّ أعمى». فقالت: «على به». فأدخلته وعزمت عليه بالطعام فأكل أكل لطيفًا وغسل يديه، وقدمت إليه الشراب فشرب ثلاثة أقداح. ثم قال: «من تكون أنت؟» قلت: «إسحاق بن إبراهيم الموصلى». قال: «لقد كنت أسمع بك والآن فرحت بمنادمتك». فقلت: «يا سيدى فرحت بفرحك». ثم قال: «غنِّ لى يا إسحاق». فأخذت العود على سبيل المجون وقلت: «السمع والطاعة».

فلما أن غنيت وانقضى الصوت قال: «يا إسحاق قاربت أن تكون مغنيًا». فصغرت إلى نفسى وألقيت العود من يدى. فقال: «أما عندك من يحسن الغناء؟» قلت: «عندى جارية». قال: «مرها أن تغنى». فقلت: «هل تغنى وأنت واثق بغنائها؟» قال: «نعم». فغنت. قال: «لا ما صنعت شيئًا». فرمت العود من يدها مغضبة وقالت: «الذى عندنا جدنا به فإن كان عندك شىء فتصدق به علينا». فقال: «على بعود لم تمسه يد». فأمرت الخادم فجاء بعود جديد فجس العود وضرب فى طريق لا أعرفها واندفع يغنى وينشد هذين البيتين:

سرى يقطع الظلماء والليل عاكفٌ	حبيب بأوقات الزيارة عارفٌ
وما راعنا إلا الكلام وقولها	أيدخل محبوبٌ على الباب واقفُ

فنظرت إلى الجارية شزرًا وقالت: «سر بينى وبينك ما يسعه صدرك ساعة وأودعته لهذا الرجل». فحلفت لها واعتذرت إليها، ثم أخذت أقبل يديها حتى ضحكت ثم التفت إلى الأعمى وقلت له: «غنِّ يا سيدى». فأخذ العود وغنى:

ألا ربما زرت الملاح ربما	لمستُ بكفى البنان المخضبا

فقلت لها: «يا سيدتى من أعلمه بما نحن فيه؟» قالت: «صدقت». ثم تجنباه فقال: «إنى حاقن». فقلت: «يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه». فخرج وأبطأ. فخرجنا فى طلبه فلم نجده فإذا الأبواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندرى أفى السماء صعد أم فى الأرض هبط، فعلمت أنه إبليس وإنه قاد لى. ثم انصرفت فتذكرت قول أبى نواس حين قال هذين البيتين:

عجبتُ من إبليس فى كبره وخبث ما أضمره فى نيته

تاه على آدم فى سجدةٍ وصار قوادًا لذريته

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إبراهيم أبى إسحاق مع الفتى الجميل

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أن إبراهيم أبى إسحاق قال: «كنت منقطعًا إلى البرامكة. فبينما أنا يومًا فى منزلى وإذا ببابى يُدق فخرج غلامى وعاد وقال لى: «على الباب فتى جميل يستأذن». فأذنت له. فدخل شاب عليه أثر السقم فقال: «إن لى مدة أحاول لقاءك ولى إليك حاجة». فقلت: «ما هى؟» فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدى وقال: «أسألك أن تقبلها منى وتصنع لى لحنًا فى بيتين قلتهما». فقلت له: «أنشدنيهما». فأنشد وجعل يقول:

بالله يا طرف الجانى على كبدى لتطفئنَّ بدمعى لوعة الحزنِ

الدهر من جملة العذال فى سكنى فلا أراه ولو أدرجت فى كفنى

فصنعت له لحنًا يشبه النوح ثم غنيته فأغمى عليه حتى ظننت أنه مات. ثم أفاق وقال: «أعد». فناشدته الله وقلت: «أخشى أن تموت». قال: «ليت ذلك لو كان». وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته، فصعق صعقة أشد من الأولى، فلم أشك فى موته. وما زلت أنضح عليه من ماء الورد حتى أفاق وجلس. فحمدت الله على سلامته ووضعت دنانيره بين يديه وقلت له: «خذ مالك وانصرف عنى». فقال: «لا حاجة لى به ولك مثلها إن أعدت اللحن». فانشرح صدرى إلى المال فقلت له: «أعيد ولكن بثلاثة شروط. أولها أن تقيم عندى وتأكل طعامى حتى تقوى نفسك. والثانى أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك، والثالث أن تحدثنى بحديثك». ففعل ذلك.

ثم قال: «إنى رجل من أهل المدينة خرجت متنزهًا وقد سلكت طريق العقيق مع إخوتى فرأيت جارية مع فتيات كأنها غصن جلَّله الندى فأظللنَ حتى فرغ النهار ثم انصرفنَ فرغبت فى خطبتها وقد وجدت بقلبى جراحًا بطيئة الاندمال فعدت أتنسم أخبارها فلم أجد أحدًا ولم أقع لها على خبر ومرضت أسى وحكيت قصتى لذى قرابة لى. فقال: «لا بأس عليك هذه أيام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذٍ وأخرج أنا معك فافعل مرادك.

فاطمأنت نفسى بذلك إلى أن سال العقيق وخرج الناس فخرجت مع إخوتى وقرابتى فجلسنا فى مجلسنا بعينه.

فما لبثنا إلا والنسوة أقبلنَ كفرسى رهان. فقلت لجارية من أقاربى أن تكلمها فى أمر الخطبة، فمضت إليها وكلمتها فى ذلك». فقالت: «قولى له: لقد أحسن ما أجاب بهذا البيت:

بنا مثل ما تشكو فصبرًا لعلنا ... نرى فرجًا يشفى القلوب قريبا

وأمسكت عن الكلام خوف الفضيحة، وقمت منصرفًا فقامت لقيامى. فلم أزل مجتهدًا فى لقائها وشكوت ذلك إلى أبى فجمع أهلنا ومضى إلى أبيها راغبًا فى خطبتها فقال: «لو بدا لى ذلك قبل لفعلت ولكن اشتهر ذلك فما كنت لأحقق قول الناس».

فأعدت عليه الصوت فعرفنى منزله ثم انصرف وكان بيننا عشرة، ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتى فغنيته شعر الفتى، فطرب وشرب أقداحًا وقال: «ويلك لمن هذا الصوت؟» فحدثته حديث الفتى، فأمرنى بالركوب إليه وأن أجمله على ثقة من بلوغ أربه فمضيت إليه فأحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال: «أنت فى ذمتى حتى أزوجك إياها». فطابت نفسه وأقام معنا.

فلما أصبح الصباح ركب جعفر إلى الرشيد وحدثه بذلك، فاستظرفه وأمر أن نحضر جميعًا فاستعاد الصوت وشرب عليه. ثم أمر بكتب كتاب إلى عامل الحجاز بإحضار أبى المرأة وأهلها مبجلاً إلى حضرته والإنفاق عليهم نفقة واسعة. فلم يمض إلا يسير حتى حضروا.

فأشار الرشيد بإحضار الرجل بين يديه فحضر وأمره بتزويج ابنته من الفتى وأعطاه مائة ألف دينار وانقلب إلى أهله، ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى بأهله إلى المدينة، فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أبى عامر الوزير مع الملك الناصر

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أيها الملك السعيد أن الوزير أبا عامر بن مروان كان قد أهدى إليه غلام من النصارى لا تقع العيون على أحسن منه. فلمحه الملك الناصر فقال لسيده: «من أين هذا؟» قال: «هو من عند الله». فقال له: «أتخوفنا بالنجوم وتأسرنا بالأقمار؟» فاعتذر إليه. ثم احتفل فى هدية بعثها إليه مع الغلام وقال له: «كن داخلاً فى جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسى» وكتب معه هذين البيتين:

أمولاى هذا البدر سار لأفقكم ... وللأفق أولى بالبدر من الأرض
فأرضيكم بالنفس وهى نفيسة ... ولم أر قبلى مَنْ بمهجته يُرضى

فحسن ذلك عند الملك الناصر وأتحفه بمال جزيل وتمكن عنده. ثم بعد ذلك أُهديت للوزير جارية من أجلاء نساء الدنيا، فخاف أن ينمى ذلك إلى الناصر فيطلبها فاحتفل فى هدية أعظم من الأولى وأرسلها وصحبتها الجارية وكتب معها هذه الأبيات:

أمولاى هذه الشمس والبدر أولاً ... تقدم كيما يلتقى القمران
قرانٌ لعمرى بالسعادة ناطقٌ ... فدُمْ منهما فى كوثر وجنانِ
فما لهما فى الحسن ثالثٌ ... وما لك فى ملك البرية ثانِ

فتضاعفت مكانته عنده. ثم وشى به أعداؤه عند الناصر بأن عنده من الغلام بقية حرارة وأنه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على إهداء الغلام. فقال

الناصر: «لا تحرك به لسانك وإلا أطرت رأسك». وكتب إليه على لسان الغلام ورقة فيها: «يا مولاى أنت تعلم أنك كنت لى على الانفراد ولم أزل معك فى نعيم. وأنا وإن كنت عند السلطان فإنى أحبُّ انفرادى بك ولكننى أخشى من سطوة الملك، فتحيَّل فى استدعائى منه». ثم بعثها مع غلام صغير وأوصاه أن يقول: «هى من عند فلان وإن الملك لم يكلمه ولم يره قط». فلما وقف عليها أبو عامر ودلس عليه الخادم أحس بالشربة فكتب على ظهر الورقة هذه الأبيات:

أمن بعد أحكام التجارب ينبغى ... لذى الحزم أن يسعى إلى غابة الأسدِ
ولا أنا ممن يغلب الحبُّ عقلهُ ... ولا جاهلٌ ما يدَّعيه أولو الحسدِ
فإن كنتَ روحى قد وهبتك طائعًا ... وكيف ترد الروح إن فارقت جسدى

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد إلى استماع واش فيه بعد ذلك. ثم قال له: «كيف خلصت من الشَّرك؟» قال: «لأن عقلى بالهوى غير مشترك». واللهُ أعلم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أحمد الدنف وحسن شومان مع زينب النصابة وأمها

قالت شهر زاد: وحكى أيضًا أيها الملك السعيد أنه كان فى زمن خلافة هارون الرشيد رجل يسمَّى أحمد الدنف وآخر اسمه حسن شومان. وكانا صاحبى مكر وحيل لهما أفعال عجيبة، فبسبب ذلك خلع الخليفة على أحمد الدنف خلعة وجعله مقدم الميمنة وخلع على حسن شومان خلعة وجعله مقدم الميسرة وجعل لكل واحد منهما جامكية فى كل شهر ألف دينار، وكان لكل واحد منهما أربعون رجلاً من تحت يده، وكان «كتوبًا» على أحمد الدنف درك البرّ. فنزل أحمد الدنف ومعه حسن شومان ومن تحت أيديهما راكبين والأمير خالد الوالى بصحبتهم والمنادى ينادى حسبما رسم الخليفة أنه لا مقدم بغداد فى الميمنة إلا المقدم أحمد الدنف ولا مقدم بغداد فى الميسرة إلا حسن شومان وأنهما مسموعا الكلمة واجبا الحرمة.

وكان فى البلدة عجوز تسمَّى الدليلة المحتالة ولها بنت تسمَّى زينب النصابة. فسمعتا المناداة بذلك فقالت زينب لأمها دليلة: «انظرى يا أمى هذا أحمد الدنف جاء من مصر مطرودًا ولعب مناصف فى بغداد إلى أن تقرَّب عندالخليفة وبقى مقدم الميمنة، وهذا الولد الأقرع حسن شومان صار مقدَّم الميسرة وله سماط فى الغداة وسماط فى العشى، ولهما جوامك لكل واحد منهما ألف دينار فى كل شهر، ونحن قاعدون معطلون فى هذا البيت لا مقام لنا ولا حرمة وليس لنا من يسأل عنا».

وكان زوج دليلة مقدم سابقًا وكان له عند الخليفة فى كل شهر ألف دينار. فمات عن بنتين بنت متزوجة ومعها ولد يسمَّى أحمد اللقيط، وبنت عازبة تسمى زينب النصابة، وكانت دليلة صاحبة حيل وخداع ومناصف وكانت تتحيل على الثعبان حتى تطلعه من وكره وكان إبليس يتعلم منها المكر وكان زوجها برَّاجًا عند الخليفة وكان له جامكية فى كل شهر ألف دينار، وكان يربى حمام البطاقة الذى يسافر بالكتب والرسائل، وكان عند الخليفة كل طير لوقت حاجته أعز من واحد من أولاده. فقالت زينب لأمها: «قومى أعملى حيلاً ومناصف لعلَّه بذلك يشتهر لنا صيت فى بغداد وتكون لنا جامكية أبينا». قالت لها: «وحياتكِ يا ابنتى لألعب

فى بغداد مناصف أقوى من مناصف أحمد الدنف وحسن شومان». فقامت ضربت على وجهها لثامًا ولبست لباس الفقراء من الصوفية ولبست لباسًا نازلاً لكعبها وجبة صوف وتحزّمت بمنطقة عريضة وأخذت إبريقًا وملأته ماءً لرقبته وحطت فى فمه ثلاثة دنانير وغطت فم الإبريق بليفة. وتقلدت بسبح قدر حملة حطب وأخذت راية فى يدها وفيها خُرق حمر وصفر وطلعت تقول: «الله الله». واللسان ناطق بالتسبيح، والقلب راكض فى ميدان القبيح، وصارت تتلمح لمنصف تلعبه فى البلد. فسارت من زقاق إلى زقاق حتى وصلت إلى زقاق مكنوس مرشوش وبالرخام مفروش، فرأت بابًا مقوصرًا بعتبة من مرمر ورجلاً مغربيًا بوابًا واقفًا بالباب، وكانت تلك الدار لرئيس الشاويشية عند الخليفة وكان صاحب الدار ذا زرع وبلاد وجامكية واسعة، وكان يسمَّى بالأمير حسن شر الطريق.

وما سموه بذلك الاسم إلا لكون ضربته تسبق كلمته. وكان متزوجًا بصبية مليحة وكان يحبها، وكانت ليلة أخذها حلَّفته أنه لا يتزوج عليها ولا يبيت فى غير بيته إلى أن طلع زوجها يومًا من الأيام إلى الديوان فرأى كل أمير معه ولد أو ولدان. وكان قد دخل الحمام ورأى وجهه فى المرآة فرأى بياض شعر لحيته غطى سوادها فقال فى نفسه: «هل الذى أخذ أباك لا يرزقك ولدًا؟». ثم دخل على زوجته وهو مغتاظ.

فقالت له زوجته: «مساء الخير». فقال لها: «روحى من قدامى من يوم رأيتك ما رأيت خيرًا». فقالت له: «لأى شىء؟». فقال لها: «ليلة أخذتك حلَّفتنى أنى لا أتزوج عليكِ، ففى هذا اليوم رأيت الأمراء كل واحد معه ولد وبعضهم معه ولدان فتذكرت الموت وأنا ما رزقت بولد ولا بنت ومن لا ذكر له لا يذكر. وهذا سبب غيظى فإنك عاقر لا تحبلين». فقالت له: «اسم الله عليك أنا خرقت الأهوان من دق الصوف والعقاقير وأنا ما لى ذنب». فقال لها: «لما ارجع من السفر أتزوج عليكِ». فقالت له: «نصيبى على الله». وطلع من عندها وندما على معايرة بعضهما.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أم زينب النصابة مع امرأة الشاويش

قالت شهر زاد: فبينما زوجة الأمير حسن شر الطريق تطلّ من طاقتها وهى كأنها عروسة كنز من المصاغ الذى عليها وإذا بدليلة واقفة فرأتها فنظرت عليها صيغة وثيابًا مثمنة. فقالت لنفسها: «ما شطارة يا دليلة إلا أن تأخذى هذه الصبية من بيت زوجها وتعريها من المصاغ والثياب وتأخذى جميع ذلك». فوقفت وذكرت تحت شباك القصر وقالت: «الله الله». فرأت الصبية هذه العجوز وهى لابسة من الثياب البيض ما يشبه قبة من نور متهيئة بهيئة الصوفية وهى تقول: «احضروا يا أولياء الله».

فاطلّت نساء الحارة من الطيقان وقلن: «شىء لله من المدد، هذه شيخة طالع من وجهها النور». فبكت خاتون زوجة الأمير حسن وقالت لجاريتها: «انزلى قبلى يد الشيخ أبى على البواب وقولى له خل الشيخة تدخل لنتبرك بها». فنزلت وقبّلت يده وقالت: «سيدتى تقول لكَ: خلّ هذه الشيخة تدخل إلى سيدتى لتتبرك بها».

فتقدَّم البواب وقبَّل يدها. فمنعته وقالت له: «ابعد عنى لئلا تنقض وضوئى، أنت الآخر مجذوب وملحوظ من الأولياء، الله يعتقك من هذه الخدمة يا أبا على». وكان للبواب أجرة ثلاثة أشهر على الأمير وكان مُعسرًا ولم يعرف أن يخلصها من ذلك الأمير. فقال لها: «يا أمى اسقينى من إبريقك لأتبرك بكِ فأخذت الإبريق من كتفها وبرمت به فى الهواء وهزَّت يدها حتى طارت الليفة من فم الإبريق، فنزلت الثلاثة دنانير على الأرض فنظرها البواب والتقطها. وقال فى نفسه: «شىء لله هذه الشيخة من أصحاب التصوف فإنها كاشفت على وعرفت أنى محتاج للمصروف فتصرفت لى فى حصول ثلاثة دنانير من الهواء». ثم أخذها فى يده وقال لها: «خذى يا خالتى الثلاثة دنانير التى وقعت فى الأرض من إبريقكِ» فقالت له العجوز: ابعدها عنى فإنى من ناس لا يشتغلون بالدنيا أبدًا، خذها ووسّع بها على نفسك عوضًا عن الذى لك على الأمير».

فقال البوّاب: «شىء لله من المدد وهذا من باب الكشف». وإذا بالجارية قبَّلت يدها وأطلعتها إلى سيدتها. فلما دخلت رأت سيدة الجارية كأنها كنز انفكت عنه الطلاسم، فرحّبت بها وقبلت يدها. فقالت لها: «يا بنتى أنا ما جئتك إلا بمشورة». فقدمت لها الأكل. فقالت: «يا بنتى أنا ما آكل إلا من مآكل الجنَّة وأديم صيامى فلا أفطر إلا خمسة أيام فى السنة، ولكن يا بنتى أنا أنظرك مكدَّرة ومرادى أن تقولى لى على سبب تكديركِ». فقالت: «يا أمى فى لية ما دخلت حلَّفت زوجى أنه لا يتزوج غيرى، ولما لم يرزق منى أولادًا خرج غضبان وقال: لما أرجع من السفر أتزوج عليكِ. وأنا خائفة يا أمى أن يطلقنى ويأخذ غيرى فإن له بلادًا وزروعًا وجامكية واسعة، فإذا جاء له أولاد من غيرى يملكون المال والبلاد منى». فقالت لها: «يا بنتى هل أنتِ عمياء عن شيخى أبى الحملات فكل من كان مديونًا وزاره قضى الله دينه، وإن زارته عقيم فإنها تحبل». فقالت: «يا أمى أنا من يوم دخلت ما خرجت لا معزية ولا مهنئة». فقالت لها العجوز: «يا بنتى أنا آخذك معى وأُزوركِ أبا الحملات وأرمى حملتكِ عليه وانذرى له عسى أن يجىء زوجكِ من السفر ويرحمكِ الله فتحبلين منه ببنت أو ولد وكل شىء ولدته إن كان أنثى أو ذكر يبقى درويش الشيخ أبى الحملات».

فقامت الصبية ولبست مصاغها جميعه ولبست أفخر ما كان عندها من الثياب وقالت للجارية: «القى نظرك على البيت». فقالت: «سمعًا وطاعةً يا سيدتى». ثم نزلت فقابلها الشيخ أبو على البواب فقال لها: «إلى أين يا سيدتى؟» فقالت له: «أنا رائحة لأزور الشيخ أبا الحملات». فقال البواب: «صوم العام يلزمنى أن هذه الشيخة من الأولياء وملآنة بالولاية وهى يا سيدتى من أصحاب التصريف لأنها أعطتنى ثلاثة دنانير من الذهب الأحمر وكاشفت على من غير أن أسألها وعلمت أنى محتاج».

فخرجت العجوز والصبية زوجة الأمير حسن شر الطريق معها والعجوز الدليلة المحتالة تقول للصبية: «إن شاء الله يا بنتى لما تزورين الشيخ أبا الحملات يحصل لك جبر الخاطر وتحبلين بإذن الله - تعالى - ويحبكِ زوجكِ الأمير حسن ببركة هذا الشيخ ولا يُسمعكِ كلمة تؤذى خاطركِ بعد ذلك». فقالت لها: «أزوره يا أمى».

ثم قالت العجوز فى نفسها: «أين أعريها وآخذ ثيابها والناس رائحة وغادية؟» فقالت

لها: «يا ابنتى إذا مشيتُ فامشى ورائى على قدر ما تنظريننى لأن أمكِ صاحبة حملات كثيرة وكل من كان عليه حملة يرميها على وكل من كان معه نذر يعطيه لى ويقبل يدى». فمشت الصبية وراءها بعيدًا عنها والعجوز قدّامها إلى أن وصلتا إلى سوق التجار والخلخال يرنّ والمقوص تشنّ، فمرت على دكان ابن تاجر يسمَّى سيدى حسن وكان مليحًا جدًا لا نبات بعارضيه، فرأى الصبية مقبلة وصار يلحظها شزرًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أم زينب النصابة وابن التاجر والصباغ

قالت شهر زاد: فلما لحظت ذلك العجوز غمزت الصبية وقالت لها: «اقعدى على هذا الدكان حتى أجىء إليك». فامتثلت أمرها وقعدت قدام دكان ابن التاجر، فنظرها ابن التاجر نظرة أعقبته ألف حسرة. ثم أتته العجوز وسلَّمت عليه وقالت له: «هل أنت اسمك سيدى حسن ابن التاجر محسن؟». فقال لها: «نعم من أعلمك باسمى؟» فقالت: «دلّنى عليك أهل الخير، واعلم أن هذه الصبية بنتى وكان أبوها تاجرًا فمات وخلَّف لها مالاً كثيرًا وهى بالغة. وقالت العقلاء: اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك، وعمرها ما خرجت إلا فى هذا اليوم، وقد جاءت الإشارة ونويت فى سرى انى أزوجك بها وإن كنت فقيرًا أعطيتك رأس مال وأفتح لك عوض الدكان اثنين».

فقال ابن التاجر فى نفسه: «قد سألت الله عروسة فمنَّ علىَّ بثلاثة أشياء كيس وظرف وكساء». ثم قال لها: «يا أمى نعم ما أشرت به علىّ فإن أمى طالما قالت لى: أريد أن أزوجك، ولم أرضَ بل أقول: أنا لا أتزوج إلا على نظر عينى». فقالت له: «قم على قدميك واتبعنى وأنا أريها لك». فقام سيدى حسن معها وأخذ معه من المال ألف دينار وقال فى نفسه: «ربما نحتاج شيئًا نشتريه ونحط معلوم عقد العقد».

ثم قالت له العجوز: «كن ماشيًا بعيدًا عنها على قدر ما تنظرها بالعين». وقالت فى نفسها: «أين تروحين بابن التاجر وقد قفل دكانه فتعرينه هو والصبية؟» ثم مشت والصبية تابعة العجوز وابن التاجر تابع الصبية إلى أن أقبلت على مصبغة كان فيها معلم يسمى الحاج محمدًا. فسمع الخلخال يرن فرفع عينه فرأى الصبية والغلام، وإذا بالعجوز قعدت عنده وسلَّمت عليه وقالت له: «أنت الحاج محمد الصباغ؟». فقال لها: «نعم أنا الحاج محمد أى شىء تطلبين؟». فقالت له: «أنا دلَّنى عليك أهل الخير فانظر هذه الصبية المليحة بنتى وهذا الشاب الأمرد المليح ابنى، وأنا ربيتهما وصرفت عليهما أموالاً كثيرة، واعلم أن لى بيتًا خسِمًا وصلبته على خشب وقال لى المهندس: «اسكنى فى مطرح غيره ربما يقع عليك حتى تعمريه وبعد ذلك ارجعى إليه واسكنى فيه». فطلعت أفتش لى على مكان فدلَّنى عليك أهل الخير، ومرادى أن أسكن عندك بنتى وابنى».

فقال الصباغ فى نفسه: «قد جاءتك زبدة على فطيرة». فقال لها: «صحيح أن لى بيتًا وقاعة وطبقة، ولكن ما أستغنى عن مكان منها للضيوف والفلاحين أصحاب النيلة». فقالت له: «يا ابنى معظمه شهر أو شهران حتى نعمر البيت ونحن ناس غرباء فاجعل مكان الضيوف

مشتركًا بيننا وبينك، وحياتك يا ابنى إن طلبت أن ضيوفك تكون ضيوفنا فمرحبًا بهم نأكل معهم وننام معهم». فأعطاها المفاتيح واحدًا كبيرًا والآخر صغيرًا ومفتاحًا أعوج وقال لها: «المفتاح الكبير للبيت والأعوج للقاعة والصغير للطبقة».

فأخذت المفاتيح وتبعتها الصبية ووراءها ابن التاجر إلى أن أقبلت على زقاق فرأت الباب ففتحته ودخلت ودخلت الصبية وقالت لها: «يا بنتى هذا بيت الشيخ أبى الحملات». وأشارت لها إلى القاعة، ولكن اطلعى الطبقة وحلى إزارك حتى أجىء إليك بعد قليل». فدخلت الصبية فى الطبقة وقعدت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فأقبل ابن التاجر فاستقبلته العجوز وقالت له: «اقعد فى القاعة حتى أجىء إليك ببنتى لتنظرها». فدخل وقعد فى القاعة ودخلت العجوز على الصبية. فقالت لها الصبية: «أنا مرادى أن أزور أبا الحملات قبل أن يجىء الناس». فقالت لها: «يا بنتى نخشى عليك». فقالت لها: «من أى شىء؟». فقالت لها: «هناك ولد أهبل لا يعرف صيفًا من شتاء وهو نقيب الشيخ، فإن دخلت بنت مثلك لتزور الشيخ يأخذ حلقها ويشرم أذنها ويقطع ثيابها الحرير، فأنت تقلعين صيغتك، وثيابك لأحفظها لك حتى تزورى». فقلعت الصبية الصيغة والثياب وأعطت العجوز إياها، وقالت لها: «إنى أضعها لك على ستر الشيخ فتحصل لك البركة». ثم أخذتها العجوز وطلعت وخلتها بالقميص واللباس وخبأتها فى محل فى السلالم. ثم دخلت العجوز على ابن التاجر، فقال لها: «أين بنتك حتى أنظرها؟» فلطمت على صدرها. فقال لها: «ما لك؟» فقالت له: «لا عاش الجار السوء ولا كان جيران يحسدون لأنهم رأوك داخلاً معى فسألونى عنك فقلت: أنا خطبت لبنتى هذا العريس فحسدونى عليك فقالوا لبنتى: هل أمك تعبت من مؤنتك حتى تزوجك لواحد أبرص؟» فحلفت لها أنى ما أخليك تخطبها إلا بعد أن تنظرينه» فقال: «أعوذ بالله من الحاسدين» وكشف عن ذراعيه فرأتهما مثل الفضة، فقالت له: «لا تخش من شىء فإنى أدعك تنظرها مثل ما تنظرك». فقال لها: «خليها تجىء لتنظرنى». وقلع الفروة السمور والحياصة والسكين وجميع الثياب حتى صار بالقميص واللباس وحط الألف الدينار فى الحوائج. فقالت له: «هات حوائجك حتى أحفظها لك». وأخذتها ووضعتها على حوائج الصبية وحملت جميع ذلك وخرجت به من الباب وقفلته عليهما وذهبت.

ثم أودعت الذى كان معها عند رجل عطار وراحت إلى الصباغ فرأته قاعدًا فى انتظارها. فقال لها: «إن شاء الله يكون البيت أعجبكم». فقالت: «فيه بركة وأنا رائحة أجىء بالحمالين يحملون حوائجنا وفرشنا، وأولادى قد اشتهوا على عيشًا بلحم فأنت تأخذ هذا الدينار وتعمل لهم عيشًا بلحم وتروح تتغدى معهم». فقال لها الصباغ: «ومن يحرس المصبغة وحوائج الناس فيها؟» فقالت العجوز: «صبيك». قال الصباغ: «وهو كذلك». ثم أخذ صحنًا ومكبة معه وراح يعمل الغداء.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر الصباغ وله كلام يأتى. وأما ما كان من أمر العجوز فإنها أخذت من العطار حوائج الصبية وابن التاجر ودخلت المصبغة وقالت لصبى الصباغ: «الحق معلمك وأنا لا أبرح حتى تأتينى» فقال لها: «سمعًا وطاعةً». ثم أخذت جميع ما فيها. وإذا برجل حمَّار حشَّاش له أسبوع وهو بطَّال فقالت له العجوز: «تعال يا حمَّار». فجاءها فقالت له: «هل أنت تعرف ابنى الصباغ؟» قال لها: «أعرفه». قالت له: «هذا مسكين قد أفلس وبقى عليه ديون وكلما يُحبس أطلقه، ومرادنا أن نثبت إعساره وأنا رائحة أعطى الحوائج لأصحابها ومرادى أن تعطينى الحمار حتى أحمل عليه الحوائج للناس وخذ هذا الدينار كراه. وبعد أن أروح تأخذ الدسترة وتنزع بها الذى فى الخوابى ثم تكسر الخوابى والدنان لأجل إذا نزل كشف من طرف القاضى لا يجد شيئًا فى المصبغة». فقال لها: «إن المعلم فضله علىّ وأعمل شيئًا لله».

فأخذت الحوائج وحملتها فوق الحمار وستر عليها الستَّار وعمدت إلى بيتها. فدخلت على بنتها زينب. فقالت لها: «قلبى عندك يا أمى أى شىء عملت من المناصف؟» فقالت لها: «أنا لعبت أربعة مناصف على أربعة أشخاص ابن تاجر وامرأة شاويش وصبَّاغ وحمَّار وجئت لك بجميع حوائجهم على حمار الحمَّار». فقالت لها: «يا أمى ما بقيت تقدرين أن تشقى فى البلد من الشاويش الذى أخذت حوائج امرأته وابن التاجر الذى عرَّيته والصباغ الذى أخذت حوائج الناس من مصبغته والحمَّار صاحب الحمار». فقالت: «آه يا بنتى أنا ما أحسب إلا حساب الحمَّار فإنه يعرفنى».

وأما ما كان من أمر المعلم الصباغ فإنه جهز العيش باللحم وحمله على رأس خادمه وفات على المصبغة فرأى الحمار يكسر فى الخوابى ولم يبق فيها قماش ولا حوائج ورأى المصبغة خرابًا. فقال له: «ارفع يدك يا حمَّار». فرفع يده. وقال له الحمَّار: «الحمد لله على السلامة يا معلم قلبى عليك». فقال له: «لأى شىء وما حصل لى». فقال: «قد صرت مفلسًا وكتبوا حجة إعسارك». فقال له: «من قال لك؟» فقال له: «أمك قالت لى وأمرتنى بكسر الخوابى ونزح الدنان خوفًا من الكشاف إذا جاء ربما يجد فى المصبغة شيئًا». فقال له: «الله يخيب البعيد إن أمى ماتت منذ زمان بعيد». ودقّ صدره بيده وقال: «يا ضياع مالى ومال الناس». فبكى الحمَّار وقال: «يا ضيعة حمارى». ثم قال للصباغ: «هات لى حمارى يا صباغ من أمك». فتعلق الصباغ بالحمَّار وصار يلكمه ويقول: «أحضر لى العجوز». فقال له: «أحضر لى الحمار».

فاجتمعت عليهما الخلائق، فقال واحد منهم: «أى شىء الحكاية يا معلم محمد؟» قال له الحمَّار: «أنا أحكى لكم الحكاية». وحدثهم بما جرى له وقال: «إنى أظن أنى مشكور عند المعلم، فلما رآنى دق صدره وقال لى: أمى ماتت، وأنا الآخر أطلب حمارى منه لأنه عمل علىّ هذا المنصف لأجل أن يضيع حمارى علىَّ».

فقالت الناس: «يا معلم محمد وهذه العجوز أنت تعرفها لأنك استأمنتها على المصبغة والذى فيها». فقال: «لا أعرفها وإنما سكنت عندى فى هذا اليوم هى وابنها وابنتها». فقال واحد: «فى ذمتى أن الحمار فى عهدة الصباغ». فقيل له: «ما أصله؟» فقال: لأن الحمَّار ما

اطمأن وأعطى العجوز حماره إلا لما رأى الصباغ استأمن العجوز على المصبغة والذى فيها».
فقال واحد: «يا معلم لما أسكنتها عندك وجب عليك أن تجىء له بحماره». ثم تمشوا قاصدين البيت، ولهم كلام يأتى.

وأما ابن التاجر فإنه انتظر مجىء العجوز فلم تجىء بينتها. وأما الصبية فإنها انتظرت العجوز أن تجىء لها بإذن من ابنها المجذوب الذى هو نقيب الشيخ أبى الحملات فلم ترجع إليها، فقامت لتزور وإذا بابن التاجر يقول لها حين دخلت: «تعالى أين أمك التى جاءت بى لأتزوج بك؟» فقالت: «إن أمى ماتت فهل أنت ابنها المجذوب نقيب الشيخ أبى الحملات؟» فقال: «هذه ما هى أمى هذه عجوز نصابة نصبت على حتى أخذت ثيابى والألف دينار» فقالت له الصبية وأنا الأخرى نصبت علىَّ وجاءت بى لأزور أبا الحملات وأعرتنى. فصار ابن التاجر يقول للصبية: «أنا ما أعرف ثيابى والألف دينار إلا منكِ». والصبية تقول: «أنا ما أعرف حوائجى وصيغتى إلا منكَ فاحضر لى أمك». وإذا بالصباغ داخل عليهما فرأى ابن التاجر عريانًا والصبية عريانة فقال: «قولا لى أين أمكما؟» فحكت الصبية جميع ما وقع لها وحكى ابن التاجر جميع ما جرى له. فقال الصباغ: «يا ضياع مالى ومال الناس». وقال الحمَّار: «يا ضياع حمارى أعطنى يا صباغ حمارى». فقال الصباغ: «هذه عجوز نصابة اطلعوا حتى أقفل الباب». فقال ابن التاجر: «يكون عيبًا عليك أن ندخل بيتك لابسين ونخرج منه عريانين». فكساه وكسا الصبية وأرسلها إلى بيتها، ولها كلام يأتى بعد قدوم زوجها من السفر. وأما ما كان من أمر الصباغ فإنه قفل المصبغة وقال لابن التاجر: «اذهب بنا لنفتش على العجوز ونسلمها للوالى». فراح معه وصحبتهما الحمار ودخلوا بيت الوالى وشكوا إليه. فقال لهم: «يا ناس أى شىء خبركم؟». فحكوا له ما جرى. فقال لهم: «وكم عجوز فى البلد، روحوا وفتشوا عليها وامسكوها وأنا أقررها لكم». فداروا جميعهم يفتشون على العجوز التى احتالت عليهم ولهم كلام يأتى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أم زينب النصابة مع ابن شاه بندر التجار واليهودى

قالت شهر زاد: وأما العجوز دليلة المحتالة فإنها قالت لبنتها زينب: «يا بنتى أنا أريد أن أعمل منصفًا» فقالت لها: «يا أمى أخاف عليكِ». فقالت لها: «أنا مثل سقط الفول عاص عن الماء والنار». فقامت ولبست ثياب خادمة من خدام الأكابر وطلعت تتلمح لمنصف تعمله، فمرَّت على زقاق مفروش فيه قماش ومعلق فيه قناديل وسمعت فيه أغانى ونقر دفوف. ورأت جارية على كتفها ولد بلباس مطرَّز بالفضة وعليه ثياب جميلة وعلى رأسه طربوش مكلل باللؤلؤ وفى رقبته طوق ذهب مجوهر وعليه عباءة من قطيفة. وكان هذا البيت لشاه بندر التجار ببغداد والولد ابنه وله أيضًا بنت بكر مخطوبة وهم يعملون ملاكها فى هذا اليوم. وكان عند أمها جملة نساء ومغنيات فكلما تطلع أمه أو تنزل يتعلق بها الولد. فنادت الجارية وقالت لها: «خذى سيدكِ لاعبيه حتى ينفض المجلس».

ثم إن العجوز دليلة لما دخلت رأت الولد على كتف الجارية فقالت لها: «أى شىء عند

سيدتك اليوم من الفرح؟» فقالت: «تعمل ملاك بنتها وعندها المغنيات». فقالت فى نفسها: «يا دليلة ما منصف إلا أخذ هذا الولد من الجارية». ثم قالت بعد ذلك: «يا فضيحة الشوم». ثم أطلعت من جيبها برقة صغيرة من الصفر مثل الدينار وكانت الجارية غشيمة. ثم قالت العجوز للجارية: «خذى هذا الدينار وادخلى إلى سيدتك وقولى لها: «أم الخير فرحت لكِ وفضلك عليها ويوم المحضر تجىء هى وبناتها وينعمن على المواشط بالنقوط». فقالت الجارية: «يا أمى وسيدى هذا كلما ينظر أمه يتعلق بها». فقالت: «هاتيه معى حتى تروحى وتجيئى». فأخذت الجارية البرقة ودخلت.

أما العجوز فإنها أخذت الولد وراحت إلى زقاق فنزعت الصيغة والثياب التى عليه وقالت لنفسها: «يا دليلة ما شطارة إلا مثل ما لعبت على الجارية وأخذته منها أن تعملى منصفًا وتجعليه رهنًا على شىء بألف دينار». ثم ذهبت إلى سوق الجواهرجية فرأت يهوديًا صائغًا وقدامه قفص ملآن صيغة. فقالت لنفسها: «ما شطارة إلا أن تحتالى على هذا اليهودى وتأخذى منه صيغة بألف دينار وتحطى الولد رهنًا عنده عليها».

فنظر اليهودى بعينه فرأى الولد مع العجوز فعرفه أنه ابن شاه بندر التجار، وكان اليهودى صاحب مال كثير وكان يحسد جاره إذا باع بيعة ولم يبع هو. فقال لها: «أى شىء تطلبين يا سيدتى؟» فقالت له: «أنت المعلم عذرة اليهودى؟». لأنها كانت سألت عن اسمه. فقال لها: «نعم». فقالت له: «أخت هذا الولد بنت شاه بندر التجار مخطوبة وفى هذا اليوم عملوا ملاكها وهى محتاجة إلى صيغة، فائتِ لنا بزوجَى خلاخيل ذهبًا وزوج أساور ذهبًا وحلق لؤلؤ وحياصة وخنجر وخاتم».

فأخذت منه شيئًا بألف دينار وقالت له: «أنا آخذ هذا المصاغ على المشاورة فالذى يعجبهم يأخذونه وآتى إليك بثمنه وخذ هذا الولد عندك». فقال: «الأمر كما تريدين». فأخذت الصيغة وراحت إلى بيتها. فقالت لها بنتها: «أى شىء فعلتِ من المناصف؟» فقالت: «لعبت منصفًا أخذت ابن شاه بندر التجار وأعريته، ثم رحت رهنته على مصاغ بألف دينار فأخذتها من يهودى».

فقالت لها بنتها: «ما بقيت تقدرين أن تمشى فى البلد». وأما الجارية فإنها دخلت إلى سيدتها وقالت: «يا سيدتى إن أم الخير تسلم عليكِ وفرحت لكِ ويوم المحضر تجىء هى وبناتها ويعطين النقوط». فقالت لها سيدتها: «وأين سيدك؟». فقالت لها: «خليته عندها خوفًا أن يتعلّق بكِ وأعطتنى نقوطًا للمغنيات». فقالت لرئيسة المغنيات: «خذى نقوطكِ». فأخذته فوجدته برقة من الصفر النحاس. فقالت لها سيدتها: «انزلى يا عاهرة انظرى سيدكِ». فنزلت الجارية فلم تجد الولد ولا العجوز. فصرخت وأقلبت على وجهها وتبدل فرحهم بحزن. وإذا بشاه بندر التجار أقبل فحكت له زوجته جميع ما جرى فطلع يفتش عليه وصار كل تاجر يفتش من طريق.

ولم يزل شاه بندر التجار يفتش حتى رأى ابنه عريانًا على دكان اليهودى فقال له: «هذا ولدى». فقال اليهودى: «نعم». فأخذه أبوه ولم يسأل عن ثيابه لشدَّة فرحه به. وأما اليهودى فإنه لما رأى التاجر أخذ ابنه تعلق به وقال: «الله ينصر فيك الخليفة». فقال له التاجر: «ما بالك يا يهودى؟». فقال اليهودى: «إن العجوز أخذت منى صيغة لبنتك بألف دينار ورهنت هذا الولد عندى وما أعطيتها إلا لأنها تركت هذا الولد عندى رهنًا على الذى أخذته وما ائتمنتها

إلا لكونى أعرف هذا الولد ولدك». فقال التاجر: «إن بنتى لا تحتاج إلى صبغة فاحضر لى ثياب الولد». فصرخ اليهودى وقال: «أدركونى يا مسلمون».

وإذا بالحمَّار والصبَّاغ وابن التاجر دائرون يفتشون على العجوز فسألوا التاجر واليهودى عن سبب خناقهما فحكيا لهم ما جرى لهم معها. فقالوا: «إن هذه عجوزة نصابة ونصبت علينا قبلكما». وحكوا له ما جميع ما جرى لهم معها. فقال شاه بندر التجار: «لما لقيت ولدى الثياب فداه، وإن وقعت العجوز طلبت الثياب منها». فتوجه شاه بندر التجار بابنه إلى أمه ففرحت بسلامته. وأما اليهودى فإنه سأل الثلاثة وقال لهم: «أين تذهبون أنتم؟» فقالوا له: «إنَّا نريد أن نفتش عليها». فقال لهم: «خذونى معكم». ثم قال لهم: «هل فيكم من يعرفها؟» قال الحمَّار: «أنا أعرفها». فقال لهم اليهودى: «إن طلعنا سواء لا يمكن أن نجدها وتهرب منا، ولكن كل واحد منا يروح من طريق ويكون اجتماعنا على دكان الحاج مسعود المزين المغربى المعروف فى هذا البلد».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أم زينب النصابة مع الحمَّار والمزين المغربى

قالت شهر زاد: فتوجه كل واحد من طريق وإذا هى طلعت لتعمل منصفًا. فرآها الحمَّار فعرفها فتعلق بها وقال لها: «ويلكِ ألكِ زمان على هذا الأمر؟» فقالت له: «ما خبرك؟» قال لها: «حمارى هاتيه». فقالت له: «استر ما ستر الله يا ابنى، أنت طالب حمارك ولا حوائج الناس؟». فقال: «طالب حمارى فقط». فقالت له: «أنا رأيتك فقيرًا وحمارك أودعته لك عند المزين المغربى. فقف بعيدًا حتى أصل إليه وأقول له بلطافة أن يعطيك إياه». وتقدمت إلى المغربى وقبَّلت يده وبكت. فقال لها: «ما بالكِ؟» فقالت له: «يا ولدى انظر ولدى الذى هو واقف كان ضعيفًا واستهوى فأفسد الهوى عقله، وكان يقنى الحمير فإن قام يقول حمارى وإن قعد يقول حمارى وإن مشى يقول حمارى، فقال لى حكيم من الحكماء: إنه اختلَّ فى عقله ولا يطيبه إلا قلع ضرسين ويكوى فى أصداغه مرتين، فخذ هذا الدينار وناده قل له: «حمارك عندى». فقال المغربى: «صوم العام يلزمنى لأعطينه حماره فى كفِّه».

وكان عنده اثنان من الصنائعية فقال لواحد منهما: «رح احمِ مسمارين». ثم نادى الحمَّار، والعجوز راحت إلى حال سبيلها. فلما جاءه قال: «إن حمارك عندى يا مسكين تعال خذه وحياتى لأعطينك إياه فى كفك». ثم أخذه ودخل به فى قاعة مظلمة وإذا بالمغربى لكمه فوقع فسحبوه وربطوا يديه ورجليه وقام المغربى وقلع له ضرسين وكواه على صدغيه كيَّتين ثم تركه. فقام وقال: «يا مغربى لأى شىء عملت معى هذا الأمر؟» فقال له: «إن أمك أخبرتنى أنك مختلّ العقل لأنك هويت وأنت مريض وإن قمت تقول حمارى وإن قعدت تقول حمارى وإن مشيت تقول حمارى وهذا حمارك فى يدك». فقال له: «تلقى من الله بسبب تقليعك أضراسى». فقال له المغربى: «إن أمك العجوز قالت لى». وحكى له جميع ما قالت. فقال: «الله ينكد عليها».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية بيع أم زينب النصابة للصباغ والحمَّار وابن التاجر واليهودى والمزين

قالت شهر زاد: وذهب الحمّار هو والمغربى يتخاصمان وترك الدكان. فلما رجع المغربى إلى دكانه لم يجد فيها شيئًا، وكانت العجوز حين راح المغربى هو والحمّار أخذت جميع ما فى دكانه وراحت إلى بنتها وحكت جميع ما وقع لها وما فعلت. وأما المزين فإنه لما رأى دكانه خالية تعلّق بالحمّار وقال له: «احضر لى أمك». فقال له: «ما هى أمى وإنما هى نصابة نصبت على ناس كثير وأخذت حمارى». وإذا بالصباغ واليهودى وابن التاجر مقبلون فرأوا المغربى متعلقًا بالحمّار والحمّار مكويًا فى أصداغه. فقالوا له: «ما جرى لك يا حمّار؟» فحكى لهم جميع ما جرى وكذلك المغربى حكى قصته. فقالوا له: «إن هذه عجوز نصابة نصبت علينا». وحكوا للمغربى ما وقع.

فقفل دكانه وراح معهم إلى بيت الوالى وقالوا للوالى: «ما نعرف حالنا ومالنا إلا منك». فقال الوالى: «وكم عجائز فى البلد هل فيكم من يعرفها؟» فقال الحمّار: «أنا أعرفها ولكن أعطنا عشرة من أتباعك» فخرج الحمّار بأتباع الوالى والباقى وراءهم ودار الحمّار بالجميع وإذا بالعجوز دليلة مقبلة فقبضها هو وأتباع الوالى وراحوا بها إلى الوالى فوقفوا تحت شباك القصر حتى يخرج الوالى. ثم إن أتباع الوالى ناموا من كثرة سهرهم مع الوالى فجعلت العجوز نفسها نائمة فنام الحمّار ورفقاؤه كذلك.

فانسلت العجوز منهم ودخلت إلى حريم الوالى فقبلت يد سيدة الحريم وقالت لها: «أين الوالى؟» فقالت: «نائم أى شىء تطلبين؟». فقالت: «إن زوجى يبيع الرقيق فأعطانى خمسة مماليك أبيعهم وهو مسافر فقابلنى الوالى ففصلهم منى بألف دينار ومائتين لى وقال لى: «أوصليهم إلى البيت». فأنا جئت بهم.

وكان الوالى عنده ألف دينار وقال لزوجته: «احفظيها لنشترى بها مماليك». فلما سمعت من العجوز هذا الكلام تحققت من زوجها ذلك فقالت: «وأين المماليك؟» قالت العجوز: «يا سيدتى هم نائمون تحت شبّاك القصر الذى أنت فيه». فأطلت السيدة من الشباك فرأت المغربى لابسًا لبس المماليك وابن التاجر فى صورة مملوك والصبّاغ والحمّار واليهودى فى صورة المماليك الحليقة. فقالت زوجة الوالى: «هؤلاء كل مملوك أحسن من ألف دينار». ففتحت الصندوق وأعطت العجوز الألف الدينار وقالت لها: «يا سيدتى منها مائة دينار لكِ لأجل القلة الشربات التى شربتها والمائة الأخرى احفظيها لى حتى أحضر». ثم قالت: «يا سيدتى أطلعينى من باب السر».

فأطلعتها منه وستر عليها الستّار وراحت إلى بنتها، فقالت: «يا بنتى لعبت منصفًا وأخذت هذا الألف الدينار من زوجة الوالى وبعت الخمسة لها الحمّار واليهودى والصبّاغ والمزين وابن التاجر وجعلتهم مماليك ولكن يا بنتى ما علىَّ أضر من الحمّار فإنه يعرفنى». فقالت لها: «يا أمى اقعدى يكفى ما فعلتِ فما كل مرة تسلم الجرة». وأما الوالى فإنه لما قام من النوم قالت له زوجته: «فرحت لكَ بالخمسة مماليك الذين اشتريتهم من العجوز». فقال

لها: «أي مماليك؟» فقالت له: «لأي شيء تنكر عني؟ إن شاء الله يصيرون مثلك أصحاب مناصب». فقال لها: «وحياة رأسي ما اشتريت مماليك، من قال ذلك؟» فقالت: «العجوز الدلالة التى فصلتهم منها ووعدتها أنك تعطيها حقهم ألف دينار ومائتين لها». فقال لها: «وهل أعطيتها المال؟» قالت له: «نعم وأنا رأيت المماليك بعيني كل واحد عليه بدلة تساوى الألف الدينار، وأرسلت وصيت عليهم المقدمين». فنزل الوالى فرأى اليهودى، والحمّار والمغربى والصبّاغ وابن التاجر فقال: «يا مقدمون أين الخمسة مماليك الذين اشتريناهم من العجوز بألف دينار؟» فقالوا: «ما هناك مماليك ولا رأينا إلا هؤلاء الخمسة الذين أمسكوا العجوز وقبضوا عليها، فنمنا كلنا ثم إنها انسلّت ودخلت الحريم، وأتت الجارية تقول: هل الخمسة الذين جاءت بهم العجوز عندكم؟ فقلنا: «نعم». فقال الوالى: «والله إن هذا أكبر منصف». والخمسة يقولون: «ما نعرف حوائجنا إلا منك».

فقال لهم الوالى: «إن العجوز صاحبتكم باعتكم لى بألف دينار». فقالوا: «ما يحل من الله نحن أحرار لا نباع ونحن وإياك للخليفة». فقال لهم: «ما عرَّف العجوز طريق البيت إلا أنتم، ولكن أنا أبيعكم للغرباء كل واحد بمائتى دينار».

فبينما هم كذلك وإذا بالأمير حسن شر الطريق جاء من سفره ورأى زوجته عريانة وحكت له جميع ما جرى لها. فقال: «أنا ما خصمى إلا الوالى» فدخل عليه وقال له: «هل أنت تأذن للعجائز أن تدور فى البلد وتنصب على الناس وتأخذ أموالهم، هذه عهدتك ولا أعرف حوائج زوجتى إلا منك». ثم قال للخمسة: «ما خبركم؟» فحكوا له جميع ما جرى. فقال لهم: «أنتم مظلومون». والتفت إلى الوالى وقال له: «لأى شيء تسجنهم؟» فقال له: «ما عرَّف العجوز طريق بيتى إلا هؤلاء الخمسة حتى أخذت مالى الألف الدينار وباعتهم للحريم». فقالوا: «يا أمير حسن أنت وكيلنا فى هذه الدعوى».

ثم إن الوالى قال للأمير حسن: «حوائج امرأتك عندى وضمان العجوز علىَّ. ولكن من يعرفها منكم؟» فقالوا كلهم: «نحن نعرفها أرسل معنا عشرة مقدمين ونحن نمسكها». فأعطاهم عشرة مقدمين. فقال لهم الحمّار: «اتبعونى فإنى أعرفها بعيون زرق». وإذا بالعجوز دليلة مقبلة من زقاق وإذا بهم قبضوها وساروا بها إلى بيت الوالى، فلما رآها الوالى قال: «أين حوائج الناس؟» فقالت: «لا أخذت ولا رأيت». فقال للسجان: «احبسها عندك إلى غد». قال السجّان: «أنا لا آخذها ولا أسجنها مخافة أن تعمل منصفًا وأصير أنا ملزمًا بها». فركب الوالى وأخذ العجوز والجماعة وخرج بهم إلى شاطئ دجلة ونادى المشاعلى وأمره بصلبها من شعرها، فسحبها المشاعلى فى البكرة واستحفظ عليها عشرة من الناس وتوجه الوالى إلى بيته إلى أن أقبل الظلام وغلب النوم على المحافظين.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية أم زينب النصابة مع البدوى

قالت شهر زاد: وإذا برجل بدوى سمع رجلاً يقول لرفيقه: «الحمد لله على السلامة أين هذه الغيبة؟» فقال له: «فى بغداد وتغديت زلابية بعسل». فقال البدوى: «لا بد من دخولى بغداد وآكل فيها زلابية بعسل». وكان عمره ما رآها ولا دخل بغداد فركب حصانه وسار وهو يقول لنفسه: «الزلابية أكلها زين وذمَّةِ العرب ما آكل إلا زلابية بعسل». إلى أن وصل عند مصلب دليلة فسمعته وهو يقول لنفسه هذا الكلام، فأقبل عليها وقال لها: «أى شىء أنتِ؟» فقالت له: «أنا فى جيرتك يا شيخ العرب».

فقال لها البدوى: «إن الله قد أجارك ولكن ما سبب صلبكِ؟». فقالت له: «لى عدو زيات يقلى الزلابية فوقفت أشترى منه شيئًا فبزقت فوقعت بزقتى على الزلابية، فاشتكانى إلى الحاكم فأمر الحاكم بصلبى وقال: حكمت أنكم تأخذون لها عشرة أرطال زلابية بعسل وتطعمونها وإياها وهى مصلوبة، فإن أكلتها فحلوها وإن لم تأكلها فخلوها مصلوبة، وأنا نفسى ما تقبل الحلو». فقال البدوى: «وذمة العرب ما جئت من النجع إلا لأجل أكل الزلابية بالعسل وأنا آكلها عوضًا عنكِ». فقالت له: «هذه ما يأكلها إلا الذى يتعلق موضعى». فانطلت عليه الحيلة فحلَّها وربطته موضعها بعد ما نزعت الثياب التى كانت عليه، ثم إنها لبست ثيابه وتعممت بعمامته وركبت حصانه وراحت إلى بنتها. فقالت لها بنتها: «ما هذا الحال؟». قالت: «صلبونى» وحكت لها ما وقع.

هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر المحافظين فإنه لما صحا واحد منهم نبَّه جماعته ورأوا النهار قد طلع، فرفع واحد منهم عينه وقال: «دليلة». فأجابه البدوى وقال: «الله ما نأكل بليلة هل أحضرتم الزلابية بالعسل؟» فقالوا: «هذا رجل بدوى». فقال له: «يا بدوى أين دليلة ومن فكها؟» فقال: «أنا فككتها ما تأكل الزلابية بالعسل غصبًا لأن نفسها لا تقبلها». فعرفوا أن البدوى جاهل بحالها فلعبت عليه منصفًا وقالوا لبعضهم: «هل نهرب أو نستمر حتى نستوفى ما كتبه الله علينا؟»

وإذا بالوالى مقبل ومعه الجماعة الذين نصبت عليهم، فقال الوالى للمقدمين: «قوموا فكوا دليلة». فقال البدوى: «ما نأكل بليلة هل أحضرتم الزلابية بالعسل؟». فرفع الوالى عينه إلى المصلوب فرأى بدويًا بدل العجوز فقال للمقدمين: «ما هذا؟». فقالوا: «الأمان يا سيدى». فقال لهم: «احكوا لى ما جرى» فقالوا: «نحن كنا سهرنا معك فى العسس وقلنا: دليلة مصلوبة ونعسنا، فلما صحونا رأينا هذا البدوى مصلوبًا ونحن بين يديك». فقال: «يا ناس هذه نصابة وأمان الله عليكم». فحلوا البدوى. فتعلق البدوى بالوالى وقال: «الله ينصر فيك الخليفة أنا ما أعرف حصانى وثيابى إلا منك». فسأله الوالى، فحكى له البدوى قصته من أولها إلى آخرها.

فتعجب الوالى وقال له: «لأى شىء حللتها؟» فقال له: «ما عندى خبر أنها نصابة». فقال الجماعة: «نحن ما نعرف حوائجنا إلا منك يا والى فإننا سلمناها إليك وصارت فى عهدتك ونحن وإياك إلى ديوان الخليفة». فكان حسن شر الطريق طلع الديوان وإذا بالوالى والبدوى والخمسة مقبلون وهم يقولون: «إننا مظلومون». فقال الخليفة: «من ظلمكم؟» فتقدم كل واحد منهم وحكى له ما جرى عليه حتى الوالى قال: «يا أمير المؤمنين إنها نصبت علىَّ وباعت لى هؤلاء الخمسة بألف دينار مع أنهم أحرار».

فقال الخليفة: «جميع ما عدم لكم عندى». وقال للوالى: «ألزمتك بالعجوز». فنفض الوالى طوقه وقال: «لا ألتزم بذلك بعدما علقتها فى المصلب فلعبت على هذا البدوى حتى خلصها وعلقته فى موضعها وأخذت حصانه وثيابه». فقال الخليفة: «هل ألزم بها غيرك؟» فقال له: «الزم بها أحمد الدنف فإن له فى كل شهر ألف دينار ولأحمد الدنف من الأتباع واحد وأربعون لكل واحد فى كل شهر مائة دينار». فقال الخليفة: «يا مقدم أحمد». قال له: «لبيك يا أمير المؤمنين». قال له: «ألزمتك بإحضار العجوز». فقال: «ضمانها علىَّ». ثم إن الخليفة حجز الخمسة والبدوى عنده.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية زينب النصابة مع أحمد الدنف وجماعته

قالت شهر زاد: ثم إن أحمد الدنف نزل هو وأتباعه إلى القاعة. فقالوا لبعضهم: «كيف يكون قبضنا إياها وكم عجائز فى البلد؟». فقال واحد منهم يقال له على كتف الجمل لأحمد الدنف: «على أي شىء تشاورون حسن شومان وهل حسن شومان أمر عظيم؟» فقال حسن: «يا على كيف تستقلنى، والاسم الأعظم لا أرافقكم فى هذه المرة». وقام غضبان. فقال الدنف: «يا شباب كل قيم يأخذ عشرة ويتوجه بهم إلى حارة ليفتشوا على دليلة». فذهب على كتف الجمل بعشرة وكذلك كل قيم وتوجه كل جماعة إلى حارة. وقالوا قبل توجههم وافتراقهم: «يكون اجتماعنا فى الحارة الفلانية فى الزقاق الفلانى».

فشاع فى البلد أن أحمد الدنف التزم بالقبض على الدليلة المحتالة. فقالت زينب: «يا أمى إن كنت شاطرة فالعبى على أحمد الدنف وجماعته». فقالت: «يا بنتى أنا ما أخاف إلا من حسن شومان». فقالت البنت: «وحياة مقصوصى لآخذنَّ لكِ ثياب الواحد والأربعين». ثم قامت ولبست بدلة وتبرقعت وأقبلت على عطار له قاعة ببابين، فسلمت عليه وأعطته دينارًا وقالت له: «خذ هذا الدينار حلوان قاعتك وأعطينيها إلى آخر النهار». فأعطاها المفاتيح وراحت أخذت فرشًا على حمار الحمَّار وفرشت القاعة ووضعت فى كل ليوان سفرة طعام ومدام، ووقفت على الباب مكشوفة الوجه.

وإذا بعلى كتف الجمل وجماعته مقبلون فقبَّلت يده. فقال لها: «أى شىء تطلبين؟» فقالت: «هل أنت المقدم أحمد الدنف؟» فقال: «لا بل أنا من جماعته واسمى على كتف الجمل». فقالت لهم: «أين تذهبون؟» فقال: «نحن دائرون ونفتش على عجوز نصابة أخذت أرزاق الناس ومرادنا أن نقبض عليها، ولكن من أنتِ وما شأنكِ؟» فقالت: «إن أبى خمارًا فى الموصل فمات وخلف لى مالاً كثيرًا فجئت هذه البلدة خوفًا من الحكام وسألت الناس من يحمينى». فقالوا لى: «ما يحميك إلا أحمد الدنف». فقال لها جماعته: «اليوم تحتمين به». فقالت لهم: «اقصدوا جبر خاطرى بلقيمة وشربة ماء».

فلما أجابوها أدخلتهم فأكلوا وسكروا ووضعت لهم البنج فبنجتهم ونزعت حوائجهم ومثل ما عملت فيهم عملت فى الباقى، فدار أحمد الدنف يفتش على دليلة فلم يجدها ولم يرَ من أتباعه أحدًا إلى أن أقبل على الصبية فقبلت يده وقالت له: «أنت المقدم أحمد الدنف؟»

فقال لها: «نعم ومن أنتِ؟» قالت: «غريبة من الموصل وأبى كان خمَّارًا ومات وخلَّف لى مالاً كثيرًا وجئت به إلى هنا خوفًا من الحكام ففتحت هذه الخمَّارة فجعل الوالى علىَّ قانونًا ومرادى أن أكون فى حمياتك والذى يأخذه الوالى أنت أولى به». فقال أحمد الدنف: «لا تعطيه شيئًا ومرحبًا بكِ». فقالت: «اقصد جبر خاطرى وكل طعامى».

فدخل وأكل وشرب مدامًا فانقلب من السكر فبنجته وأخذت ثيابه وحملت الجميع على فرس البدوى وحمار الحمَّار وأيقظت عليًا كتف الجمل وراحت. فلما أفاق رأى نفسه عريانًا ورأى أحمد الدنف والجماعة مبنجين فأيقظهم بضد البنج. فلما أفاقوا رأوا أنفسهم عراة. فقال أحمد الدنف: «ما هذا الحال يا شباب نحن دائرون نفتش عليها لنصطادها فاصطادتنا هذه الماهرة، يا فرحة حسن شومان فينا، ولكن نصبر حتى تدخل العتمة ونروح». وكان حسن شومان قال للنقيب: «أين الجماعة؟» فبينما هو يسأله عنهم وإذا بهم قد أقبلوا وهم عراة. فأنشد حسن شومان هذين البيتين:

والناس مشتبهون فى إيرادهم	وتباين الأقوام فى الإصدارِ
ومن الرجال معالمٌ ومجاهلٌ	ومن النجوم غوامضٌ ودرارى

فلما رآهم قال لهم: «من لعب عليكم وعراكم؟» فقالوا: «تعهدنا العجوز نفتش عليها وما عرانا إلا صبية». فقال حسن شومان: «نِعم ما فعلت بكم». فقالوا: «هل أنت تعرفها يا حسن؟» فقال: «أعرفها وأعرف العجوز». فقالوا له: «أى شىء تقول عند الخليفة؟».

فقال شومان: «يا دنف انفض طوقك قدامه فيقول الخليفة: من يتعهد بها؟ فإن قال لك لأى شَىء ما قبضت عليها؟ فقل: أنا ما أعرفها وألزم بها حسن شومان، فالزمنى أمير المؤمنين بها فأنا أقبضها وأقبض على الصبية».

وباتوا، فلما أصبحوا طلعوا إلى ديوان الخليفة فقبَّلوا الأرض. فقال الخليفة: «أين العجوز يا مقدم أحمد؟» فنفض طوقه. فقال له: «لأى شىء؟» فقال: «أنا ما أعرفها وألزم بها شومان فإنه يعرفها هى وبنتها».

وقال: «إنها ما عملت هذه الملاعب طمعًا فى حوائج الناس ولكن لبيان شطارتها وشاطرة بنتها لأجل أن ترتب لها راتب زوجها ولبنتها مثل راتب أبيها. فشفع فيها شومان الآن وهى فى شفاعته». فقال شومان: «أعطنى الأمان يا أمير المؤمنين». فقال له: «هى فى شفاعتك» وأعطاه منديل الأمان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية حسن شومان مع زينب النصابة وأمها

قالت شهر زاد: فنزل شومان وراح إلى بيت دليلة فصاح عليها فجاوبته بنتها زينب فقال لها: «أين أمكِ؟» فقالت: «فوق». فقال لها: «قولى لها تجىء بحوائج الناس وتذهب معى لتقابل الخليفة، وقد جئت لها بمنديل الأمان فإن كانت لا تجىء بالمعروف لا تلوم إلا نفسها». فنزلت دليلة وعلقت المحرمة فى رقبتها وأعطته حوائج الناس على حمار الحمَّار وفرس البدوى. فقال

لها شومان: «بقى ثياب كبيرى وثياب جماعته». فقالت: «والاسم الأعظم إنى ما عريتهم». فقال: «صدقتِ ولكن هذا منصف بنتك زينب وهذه جميلة عملتها معك». وسار وهى معه إلى ديوان الخليفة. فتقدم حسن وعرض حوائج الناس على الخليفة وقدم دليلة بين يديه فلما رآها أمر برميها فى نطعة الدم. فقالت: «أنا فى جيرتك يا شومان». فقام شومان وقبَّل أيادى الخليفة وقال له: «العفو، أنت أعطيتها الأمان».

فقال الخليفة: «وهى فى كرامتك، تعالى يا عجوز ما اسمك؟» فقالت: «اسمى دليلة». فقال: «ما أنتِ إلا حيَّالة ومحتالة، فلقِّبت بدليلة المحتالة».

ثم قال لها: «لأى شىء عملتِ هذه المناصف وأتعبت قلوبنا؟» فقالت: «أنا ما فعلت هذه المناصف بقصد الطمع فى متاع الناس ولكن سمعت بمناصف أحمد الدنف التى لعبها فى بغداد ومناصف حسن شومان فقلت: أنا الأخرى أعمل مثلهما، وقد رددت حوائج الناس إليهم».

فقام الحمَّار وقال: «شرع الله بينى وبينها فإنها ما كفاها أخذ حمارى حتى سلطت علىَّ المزين المغربى فقلع أضراسى وكوانى فى أصداغى كيَّتين».

فأمر الخليفة للحمَّار بمائة دينار وللصبَّاغ بمائة دينار وقال: «انزل عمر مصبغتك». فدعوا للخليفة ونزلا. وأخذ البدوى حوائجه وحصانه وقال: «حرام علىَّ دخول بغداد وأكل الزلابية بالعسل». وكل من كان له شىء أخذه وانفضُّوا كلهم.

وقال الخليفة: «تمنى علىَّ يا دليلة». فقالت: «إن أبى كان عبدك حاكم البطاقة وأنا ربَّيت حمائم الرسائل وزوجى كان مقدم بغداد ومرادى استحقاق زوجى ومراد بنتى استحقاق أبيها».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية إعطاء الخليفة منصباً لدليلة ولبنتها

قالت شهر زاد: فرسم لهما الخليفة بما أرادتاه. ثم قالت له: «أتمنَّى عليك أن أكون بوابة الخان». وكان الخليفة قد عمل خانًا بثلاثة أدوار ليسكن فيه التجار وكان متدركًا بالخان أربعون عبدًا وأربعون كلبًا، وكان الخليفة جاء بهم من ملك السليمانية حين عزله وعمل للكلاب أطواقًا، وكان فى الخان عبد طباخ يطبخ الطعام للعبيد ويطعم الكلاب اللحم. فقال الخليفة: «يا دليلة أكتب عليكِ درك الخان وإن ضاع منه شىء تكونى مطالبة به». فقالت: «نعم ولكن أسكن بنتى فى القصر الذى على باب الخان فإن القصر له سطوح ولا يصح تربية الحمام إلا فى الوسع». فأمر لها بذلك وحوَّلت بنتها جميع حوائجها إلى القصر الذى على باب الخان وتسلمت الأربعين طيرًا التى تحمل الرسائل.

وأما زينب فإنها علقت الأربعين بدلة وبدلة أحمد الدنف عندها فى القصر، وكان الخليفة جعل دليلة المحتالة رئيسة على الأربعين عبدًا وأوصاهم بإطاعتها، وجعلت محل قعودها خلف باب الخان وصارت كل يوم تطلع الديوان لربما يحتاج الخليفة إلى إرسال بطاقة للبلاد فلا تنزل من الديوان إلا آخر النهار والأربعون عبدًا واقفون يحرسون الخان فإذا دخل الليل تُطلق الكلاب لأجل أن تحرس الخان بالليل.

حكاية على الزيبق المصرى مع السقا

هذا ما جرى للدليلة المحتالة فى مدينة بغداد. وأما ما كان من أمر على الزيبق المصرى فإنه كان شاطرًا بمصر فى زمن رجل يسمَّى صلاح المصرى مقدم ديوان مصر وكان له أربعون تابعًا، وكان أتباع صلاح المصرى يعملون مكايد للشاطر على ويظنون أنه يقع فيها فيفتشون عليه فيجدونه قد هرب كما يهرب الزيبق. فمن أجل ذلك لقبوه بالزيبق المصرى، ثم إن الشاطر عليًا كان جالسًا يومًا من الأيام فى قاعة بين أتباعه فانقبض قلبه وضاق صدره، فرآه نقيب القاعة قاعدًا عابس الوجه فقال له: «ما لك يا كبيرى إن ضاق صدرك فشق شقة فى مصر فإنه يزول عنك الهم إذا مشيت فى أسواقها».

فقام وخرج ليشق فى مصر فازداد غمًا وهمًا. فمرَّ على خمَّارة فقال لنفسه: «أدخل وأسكر» فدخل فرأى فى الخمَّارة سبعة صفوف من الخلق. فقال: «يا خمَّار أنا ما أقعد إلا وحدى». فأجلسه الخمَّار فى طبقة وحده وأحضر له المدام، فشرب حتى غاب عن الوجود. ثم طلع من الخمارة وسار فى مصر، ولم يزل سائرًا فى شوارعها حتى وصل إلى الدرب الأحمر وخلت الطريق قدامه من الناس هيبةً له فالتفت فرأى رجلاً سقاءً يسقى بالكوز ويقول فى الطريق: «يا معوض ما شراب إلا من زبيب، ولا وصال إلا من حبيب، ولا يجلس فى الصدر إلا لبيب». فقال له: «تعال اسقنى». فنظر إليه السقاء وأعطاه الكوز، فنظر فى الكوز وخضه وكبَّه على الأرض. فقال له السقاء: «أما تشرب؟». فقال له: «أسقنى». فملأه. فأخذه وخضه وكبه فى الأرض، وثالث مرة كذلك. فقال له: «إن كنت ما تشرب روح». فقال له: «أسقنى». فملأ الكوز وأعطاه إياه فأخذه منه وشرب ثم أعطاه دينارًا، وإذا بالسقاء نظر إليه واستقل به وقال له: «أنعم بك أنعم بك يا غلام صغار قوم كبار قوم آخرين».

فنهض الشاطر على وقبض على جلابيب السقاء وسحب عليه خنجرًا مثمنًا كما قيل فيه هذان البيتان:

اضرب بخنجرك العنيد ولا تخف	أحدًا سوى من سطوة الخـلاقِ
وتجنَّب الخلـق الذميـم ولا تكن	أبدًا بغير مكـارم الأخــلاقِ

فقال له: «يا شيخ كلمنى بمعقول فإن قربتك إن غلا ثمنها يبلغ ثلاثة دراهم والكوزان اللذان دلقتهما على الأرض مقدار رطل من الماء». قال له: «نعم». قال له: «فأنا أعطيتك دينارًا من الذهب ولأى شىء تستقل بى، فهل رأيت أحدًا أشجع منى أو أكرم منى؟» فقال له: «رأيت أشجع منك وأكرم منك، فإنه ما دامت النساء تلد ما على الدنيا شجاع ولا كريم». فقال له: «من الذى رأيت أشجع منى وأكرم منى؟» فقال له: «اعلم أن لى واقعة من العجب. وذلك أن أبى كان شيخ السقائين بالشربة فى مصر فمات وخلف لى خمسة جمال وبغلاً ودكانًا وبيتًا. ولكن الفقير لا يستغنى وإذا استغنى مات. فقلت فى نفسى أنا أطلع إلى الحجاز.

«فأخذت قطار جمال وما زلت أقترض حتى صار على خمسمائة دينار وضاع منى جميع ذلك فى الحج. فقلت فى نفسى: إن رجعت إلى مصر تحبسنى الناس على أموالهم. فتوجهت مع الحج الشامى حتى وصلت إلى حلب وتوجهت من حلب إلى بغداد، ثم سألت عن شيخ السقائين ببغداد فدلونى عليه فدخلت وقرأت له الفاتحة، فسألنى عن حالى فحكيت له

جميع ما جرى لى. فأخلى لى دكانًا وأعطانى قربة وعدة وسرحت على باب الله وطفت فى البلد. فأعطيت واحدًا الكوز ليشرب فقال لى: «لم آكل شيئًا حتى أشرب عليه لأنه عزمنى بخيل فى هذا اليوم وجاء بقلتين بين يديه. فقلت له: يا ابن الخسيس هل أطعمتنى شيئًا حتى تسقينى عليه؟ فرُح يا سقاء حتى آكل شيئًا وبعد ذلك اسقنى». فجئت إلى الثانى فقال: «الله يرزقك». فصرت على هذا الحال إلى وقت الظهر ولم يعطنى أحد شيئًا. فقلت: «يا ليتنى ما جئت إلى بغداد».

وإذا بناس يسرعون فى الجرى فتبعتهم فرأيت موكبًا عظيمًا منجرًا اثنين اثنين وكلهم بالطواقى والشدود والبرانس واللبد والفولاذ. فقلت لواحد: «هذا موكب مَنْ؟» فقال: «موكب المقدم أحمد الدنف». فقلت له: «أى شىء رتبته؟» فقال: «مقدم الديوان ومقدم بغداد وعليه درك البرّ وله على الخليفة فى كل شهر ألف دينار ولكل واحد من أتباعه مائة دينار، وحسن شومان له مثله ألف دينار، وهم نازلون من الديوان إلى قاعتهم». وإذا بأحمد الدنف رآنى فقال: «تعال اسقنى». فملأت الكوز وأعطيته إياه فخضه وكبه، وثانى مرة كذلك، وثالث مرة شرب رشفة مثلك وقال لى: «يا سقاء من أين أنت؟» فقلت له: «من مصر». فقال: «حيَّا الله مصر وأهلها، وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة؟».

«فحكيت له قصتى وأفهمته أنى مديون وهربان من الدين والعيلة. فقال: «مرحبًا بك». ثم أعطانى خمسة دنانير وقال لأتباعه: «اقصدوا وجه الله وأحسنوا عليه، فأعطانى كل واحد دينارًا». وقال لى: «يا شيخ ما دمت فى بغداد لك علينا كلما سقيتنا». فصرت أتردد عليهم وصار يأتينى الخير من الناس. ثم بعد أيام أحصيت الذى اكتسبته منهم فوجدته ألف دينار. فقلت فى نفسى: «صار رواحك إلى البلاد أصوب». فرحت إليه إلى القاعة وقبلت يديه. فقال: «أى شىء تطلب؟» فقلت له: «أريد السفر». وأنشدته هذين البيتين:

إقامات الغريب بكل أرض	كبنيان القصور على الرياح
هبوب الريح يهدم ما بناهُ	لقد عزم الغريب على الرواحِ

وقلت له: «إن القافلة متوجهة إلى مصر ومرادى أن أروح إلى عيالى». فأعطانى بغلة ومائة دينار وقال: «غرضنا أن نرسل معك أمانة يا شيخ فهل أنت تعرف أهل مصر؟» فقلت له: «نعم».

فقال: «خذ هذا الكتاب وأوصله إلى على الزيبق المصرى وقل له: «كبيرك يسلم عليك وهو الآن عند الخليفة». فأخذت منه الكتاب وسافرت حتى دخلت مصر. فرآنى أرباب الديون فأعطيتهم الذى علىّ. ثم عملت سقاءً ولم أوصل الكتاب لأنى لم أعرف قاعة على الزيبق المصرى». فقال له: «يا شيخ طب نفسًا وقر عينًا فأنا على الزيبق المصرى أول صبيان المقدم أحمد الدنف فهات الكتاب». فأعطاه إياه. فلما فتحه وقرأه رأى فيه هذين البيتين:

كتبت إليك يا زين الملاح	على ورق يسير مع الرياحِ
ولو أنى أطير لطرت شوقًا	وكيف يطير مقصوص الجناحِ

«وبعدُ فالسلام من المقدم أحمد الدنف إلى أكبر أولاده على الزيبق المصرى. والذى نعلمك به أنى قصدت صلاح المصرى ولعبت معه مناصف حتى دفنته بالحياة وأطاعتنى صبيانه ومن جملتهم على كتف الجمل وتوليت مقدم مدينة بغداد فى ديوان الخليفة ومكتوب علىَّ درك

البرّ، فإن كنت تراعى العهد الذى بينى وبينك فائت عندى لعلك تلعب منصفًا فى بغداد بقربك لخدمة الخليفة فيكتب لك جامكية وجراية ويعمر لك قاعة، هذا هو المرام والسلام».

فلما قرأ الكتاب قبّله وحطّه على رأسه وأعطى السقاء عشرة دنانير بشارة. ثم توجه إلى القاعة ودخل على صبيانه وأعلمهم بالخبر وقال لهم: «أوصيكم ببعضكم». ثم قلع ما كان عليه ولبس مشلحًا وطربوشًا وأخذ علبة فيها مزراق من عود القنا طوله أربعة وعشرون ذراعًا وهو معشق فى بعضه. فقال له النقيب: «أتسافر المخزن قد فرغ؟» فقال له: «إذا وصلت إلى الشام أرسل إليكم ما يكفيكم». وسار إلى حال سبيله.

فلحق ركبًا مسافرًا فرأى فيه شاه بندر التجّار ومعه أربعون تاجرًا قد حملوا حمولهم وحمول شاه بندر التجار على الأرض ورأى مقدمه رجلاً شاميًا وهو يقول للباقين: «واحد منكم يساعدنى». فسبوه وشتموه. فقال على فى نفسه: «لا يحسن سفرى إلا مع هذا المقدم». وكان على أمرد مليحًا فتقدم إليه وسلم عليه. فرحب به وقال له: «أى شىء تطلب؟» فقال له: «يا عمى رأيتك وحيدا وحملتك أربعون بغلاً ولأى شىء ما جئت لك بناس يساعدونك؟» فقال: «يا ولدى قد اكتريت ولدين وكسوتهما ووضعت لكل واحد فى جيبه مائتى دينار فساعدانى إلى الخانقاه وهربا». فقال له: «وإلى أين تذهبون؟» قال: «إلى حلب». فقال له: «أنا أساعدك». فحملوا الحمول وساروا وركب شاه بندر التجار بغلته وسار.

ففرح المقدم الشامى بعلى إلى أن أقبل الليل فنزلوا وأكلوا وشربوا. فجاء وقت النوم فحط على جنبه على الأرض وجعل نفسه نائمًا، فنام المقدم قريبًا منه، فقام على من مكانه وقعد على باب صيوان التاجر ولم يزل على باب صيوان التاجر إلى أن قرب الفجر فجاء ورقد عند المقدم. فلما استيقظ المقدم وجده فقال فى نفسه: «إن قلت له أين كنت يتركنى ويروح». ولم يزل يخادعه إلى أن أقبلوا على مغارة فى غابة وفى تلك الغابة سبع كاسر وكلما تمر قافلة يعملون القرعة بينهم فكلُّ من خرجت عليه القرعة يرمونه إلى السبع.

فعملوا القرعة فلم تخرج إلا على شاه بندر التجار، وإذا بالسبع قطع عليهم الطريق ينتظر الذى يأخذه من القافلة. فصار شاه بندر التجار فى كرب شديد وقال للمقدم: «الله يخيب كعبك وسفرتك، ولكن وصيتك بعد موتى أن تعطى أولادى حمولى». فقال الشاطر على: «ما سبب هذه الحكاية؟» فأخبروه بالقصة. فقال: «ولأى شىء تهربون من قط البر فأنا التزم لكم بقتله». فراح المقدم إلى التاجر وأخبره. فقال: «إن قتلته أعطيتك ألف دينار». وقال بقية التجار: «ونحن كذلك نعطيه».

فقام على وخلع المشلح فبان عليه عدة من الفولاذ، فأخذ شريط فولاذ وفرك لولبه وانفرد قدام السبع وصرخ عليه، فهجم السبع، فضربه على المصرى بالسيف بين عينيه فقسمه نصفين والمقدم والتجار ينظرونه. وقال للمقدم: «لا تخف يا عمى». فقال له: «يا ولدى أنا بقيت صبيك». فقام التاجر واحتضنه وقبله بين عينيه وأعطاه الألف دينار، وكل تاجر أعطاه عشرين دينارًا، فحط جميع المال عند التاجر وباتوا وأصبحوا عامدين إلى بغداد. فوصلوا إلى غابة الأساد ووادى الكلاب وإذا فيه رجل بدوى عاص قاطع الطريق معه قبيلة، فطلع عليهم فولت الناس من بين أيديهم. فقال التاجر: «ضاع مالى».

وإذا بعلى أقبل عليهم وهو لابس جلدًا ملآن جلاجل وأطلع المزراق وركب عُقله فى بعضها واختلس حصانًا من خيل البدوى وركبه وقال للبدوى: «بارزنى بالرمح». وهز الجلاجل فجفلت فرس البدوى من الجلاجل وضرب مزراق البدوى فكسره وضربه على رقبته فرمى دماغه، فنظره قومه فانطبقوا على علىّ. فقال: «الله أكبر». ومال عليهم فهزمهم وولُّوا هاربين. ثم رفع دماغ البدوى على رمح، وأنعم عليه التجار وسافروا حتى وصلوا إلى بغداد، فطلب الشاطر على المال من التاجر فأعطاه إياه فسلمه إلى المقدم وقال له: «لما تروح إلى مصر اسأل عن قاعتى وأعطِ المال لنقيب القاعة».

ثم بات على وأصبح ودخل المدينة وشق فيها وسأل عن قاعة أحمد الدنف فلم يدله أحد عليها، ثم تمشى حتى وصل إلى ساحة النفض فرأى أولادًا يلعبون وفيهم ولد يسمَّى أحمد اللقيط فقال علىّ: «لا تأخذ أخبارهم إلا من صغارهم». فالتفت على فرأى حلوانيًا فاشترى منه حلاوة وصاح على الأولاد، وإذا بأحمد اللقيط طرد الأولاد عنه ثم تقدم هو وقال لعلى: «أى شىء تطلب؟» فقال له: «أنا كان معى ولد ومات فرأيته فى المنام يطلب حلاوة فاشتريتها فأريد أن أعطى لكل ولد قطعة». وأعطى أحمد اللقيط قطعة، فنظرها فرأى فيها دينارًا لاصقًا بها فقال له: «رح أنا ما عندى فاحشة واسأل عنى».

فقال له: «يا ولدى ما يأخذ الكراء إلا شاطر ولا يحط الكراء إلا شاطر، أنا درت فى البلد أفتش على قاعة أحمد الدنف فلم يدلنى عليها أحد، وهذا الدينار كراؤك وتدلنى على قاعة أحمد الدنف». فقال له: «أنا أروح أجرى قدامك وأنت تجرى ورائى إلى أن أقبل على القاعة فآخذ فى رجلى حصوة فأرميها على الباب، فتعرفها». فجرى الولد وجرى على وراءه إلى أن أخذ الحصوة برجله ورماها على باب القاعة فعرفها. فقبض على الولد وأراد أن يخلص منه الدينار فلم يقدر. فقال له: «رح تستاهل الإكرام لأنك زكى كامل العقل والشجاعة، وإن شاء الله إن عملت مقدمًا عند الخليفة أجعلك من صبيانى». فراح الولد. وأما على الزيبق المصرى فإنه أقبل على القاعة وطرق الباب. فقال أحمد الدنف: «يا نقيب افتح الباب هذه طرقة على الزيبق المصرى». ففتح له الباب ودخل على أحمد الدنف وسلَّم عليه وقابله بالعناق وسلَّم عليه الأربعون. ثم إن أحمد الدنف ألبسه حلَّة وقال له: «إنى لما ولانى الخليفة مقدمًا عنده كسا صبيانى فأبقيت لك هذه الحلة». ثم أجلسوه فى صدر المجلس بينهم وأحضروا الطعام فأكلوا والشراب فشربوا وسكروا إلى الصباح.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قال أحمد الدنف لعلى المصرى: «إياك أن تشق فى بغداد بل استمر جالسًا فى هذه القاعة». فقال له: «لأى شىء فهل جئت لأنحبس؟ أنا ما جئت إلا لأجل أن أتفرج». فقال له: « يا ولدى لا تحسب أن بغداد مثل مصر هذه بغداد محل الخلافة وفيها شطار كثيرون، وتنبت فيها الشطارة كما ينبت البقل فى الأرض». فأقام على فى القاعة ثلاثة أيام. فقال أحمد الدنف لعلى المصرى: «أريد أن أقربك عند الخليفة لأجل أن يكتب لك جامكية». فقال له: «حتى يؤون الأوان». فترك سبيله.

ثم إن عليا كان قاعدًا فى القاعة يومًا من الأيام فانقبض قلبه وضاق صدره. فقال لنفسه: «قم شق فى بغداد ينشرح صدرك». فخرج وسار من زقاق إلى زقاق فرأى فى وسط الزقاق دكانًا فدخل وتغدى فيه وطلع يغسل يديه وإذا بأربعين عبدًا بالشريطات الفولاذ واللبد وهم سائرون اثنين اثنين وآخر الكل دليلة المحتالة راكبة فوق بغلة وعلى رأسها خوذة مطليّة بالذهب وبيضة من فولاذ وزردية وما يناسب ذلك، وكانت دليلة نازلة من الديوان رائحة إلى الخان. فلما رأت على الزيبق المصرى تأملت فيه فرأته يشبه أحمد الدنف فى طوله وعرضه وعليه عباءة وبرنس وشريط من فولاذ ونحو ذلك والشجاعة لائحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه. فسارت إلى الخان واجتمعت ببنتها زينب وأحضرت تخت رمل فضربت الرمل فطلع لها اسمه على المصرى وسعده غالب على سعدها وسعد بنتها زينب. فقالت لها: «يا أمى أى شيء ظهر لك حين ضربت هذا التخت؟» فقالت: «أنا رأيت اليوم شابًا يشبه أحمد الدنف وخائفة أن يسمع أنكِ أعريت أحمد الدنف وصبيانه فيدخل الخان ويلعب معنا منصفًا لأجل أن يخلص ثار كبيره وثار الأربعين، وأظن أنه نازل فى قاعة أحمد الدنف». فقالت لها بنتها زينب: «أى شيء هذا أظن أنك حسبت حسابه؟» ثم لبست بدلة أفخر ما عندها وخرجت تشق فى البلد وسارت من سوق إلى سوق حتى رأت عليًا المصرى مقبلاً عليها فزاحمته بكتفها والتفتت وقالت: «الله يحيى أهل النظر». فقال لها: «من أنتِ؟» فقالت: «أنا بنت تاجر وزوجى تاجر وعمرى ما خرجت إلا فى هذا اليوم وما ذاك إلا أنى طبخت طعامًا وأردت أن آكل فما لقيت لى نفسًا فهل يمكن أن تقصد جبر قلبى وتأكل عندى لقمة». فقال لها: «من دُعى فليجب». ومشت وتبعها من زقاق إلى زقاق. ثم قال فى نفسه وهو ماشى خلفها: «كيف تفعل وأنت غريب ولكن ادفعها عنك بلطف». ثم قال: «اجعلى الوقت غير هذا». فقالت له: «والاسم الأعظم ما يمكن إلا أن تروح معى فى هذا الوقت إلى البيت وأصافيك». فتبعها إلى أن وصلت إلى باب دار عليها بوابة عالية والضبة مغلقة. فقالت له: «افتح هذه الضبة». فقال لها: «وأين مفتاحها؟» فقالت له: «ضاع». فقال لها: «كل من فتح ضبة بغير مفتاح يكون مجرمًا وعلى الحاكم تاديبه، وأنا ما أعرف شيئًا حتى أفتحها بلا مفتاح».

فكشفت الإزار عن وجهها ثم أسبلت إزارها على الضبة وقرأت عليها أسماء أم موسى ففتحتها بلا مفتاح ودخلت، فتبعها فرأى سيوفًا وأسلحة من الفولاذ. ثم إنها خلعت الإزار وأحضرت سفرة طعام ومدام فأكلا وشربا وقامت ملأت الإبريق من البئر وصبَّت له على يديه فغسلهما. فبينما هم كذلك وإذ بها دقَّت على صدرها وقالت: «إن زوجى كان عنده خاتم من ياقوت مرهون على خمسمائة دينار فلبسته فجاء واسعًا فضيقته بشمعة فلما أدليت الدلو سقط الخاتم فى البئر، ولكن التفت إلى واجهة الباب حتى أتعرى وأنزل البئر لأجيء به». فقال لها: «عيب علىّ أن تنزلى وأنا موجود فما ينزل إلا أنا». فقلع ثيابه وربط نفسه فى السلبة وأدلته فى البئر وكان الماء فيه غزيرًا. ثم قالت له: «إن السلبة قد قصرت منى ولكن فك نفسك وانزل»، ففك نفسه ونزل فى الماء وغطس فيه قامات ولم يحصر قرار البئر.

وأما هى فإنها لبست إزارها وأخذت ثيابه وراحت إلى أمها وقالت لها: «قد أعريت عليًا المصرى وأوقعته فى بئر الأمير حسن صاحب الدار وهيهات أن يخلص». وأما الأمير حسن

صاحب الدار فإنه كان فى وقتها غائبًا فى الديوان، فلما أقبل رأى بيته مفتوحًا. فقال للسائس: «لأى شىء ما أغلقت الضبة؟» فقال: «يا سيدى إنى أغلقتها بيدى». فقال: «وحياة رأسى إن بيتى قد دخله حرامى». ثم دخل الأمير حسن وتلفت فى البيت فلم يجد أحدًا فقال للسائس: «املأ الإبريق حتى أتوضأ». فأخذ السائس الدلو وأدلاه. فلما سحبه وجده ثقيلاً. فأطل فى البئر فرأى شيئًا قاعدًا فى السطل. فألقاه فى البئر ثانيًا ونادى وقال: «يا سيدى قد طلع لى عفريت من البئر». فقال له الأمير حسن: «رُح هات أربعة فقهاء يقرأون القرآن عليه حتى ينصرف». فلما أحضر الفقهاء قال لهم: «احتاطوا بهذه البئر واقرأوا على هذا العفريت». ثم جاء العبد والسائس وأنزلا الدلو وإذا بعلى المصرى تعلق به وخبأ نفسه فى الدلو وصبر حتى صار قريبًا منهم ووثب من الدلو وقعد بين الفقهاء فصاروا يلطشون بعضهم ويقولون: «عفريت عفريت». فرآه الأمير حسن غلامًا إنسيًا فقال له: «هل أنت حرامى؟» فقال: «لا». فقال له: «ما سبب نزولك فى البئر؟» فقال له: «نزلت لأغتسل فى بحر دجلة فغطست وجذبنى الماء تحت الأرض حتى خرجت من هذه البئر». فقال: «قل الصدق». فحكى له جميع ما جرى له.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فأخرجه من البيت بثوب قديم فتوجه إلى قاعة أحمد الدنف وحكى له جميع ما وقع له. فقال: «أما قلت لك إن ببغداد فيها نساء تلعب على الرجال؟» فقال على كتف الجمل: «وبحق الاسم الأعظم أن تخبرنى كيف تكون رئيس فتيان مصر وتعريك صبية؟» فصعب عليه ذلك وندم. فكساه أحمد الدنف بدلة غيرها. ثم قال له حسن شومان: «هل أنت تعرف الصبية؟» فقال: «لا». فقال له: «هذه زينب بنت الدليلة المحتالة بوابة خان الخليفة، فهل وقعت فى شباكها يا على؟» قال: «نعم». فقال له: «يا على إن هذه أخذت ثياب كبيرك وثياب جميع صبيانه». فقال «هذا عار عليكم». فقال له: «وأى شىء مرادك؟» فقال: «مرادى أن أتزوج بها». فقال له: «هيهات سلِّ فؤادك عنها». فقال له: «وما حيلتى فى زواجها يا شومان؟» فقال: «مرحبًا بك إن كنت تشرب من كفى وتمشى تحت رايتى بلَّغتك مرادك منها». فقال له: «نعم».

فقال له: «يا على انزع ثيابك». فنزع ثيابه وأخذ قدرًا وغلى فيه شيئًا مثل الزفت ودهنه به فصار مثل العبد الأسود ودهن شفتيه وخديه وكحله بكحل أحمر وألبسه ثياب خدام وأحضر عنده سفرة كباب ومدام وقال له: «إن فى الخان عبدًا طباخًا وأنت شبيهه ولا يحتاج من السوق إلا اللحمة والخضر، فتوجه إليه بلطف وكلمه بكلام العبيد وسلِّم عليه وقل له: زمان ما اجتمعت بك فى البوظة، فيقول لك: أنا مشغول وفى رقبتى أربعون عبدًا أطبخ لهم سماطًا فى الغداء وسماطًا فى العشاء وأطعم الكلاب وسفرة لدليلة وسفرة لبنتها زينب، ثم قل له تعال نأكل كبابًا ونشرب بوظة. وادخل وإياه القاعة وأسكره.

ثم اسأله عن الذى يطبخه كم لون هو وعن أكل الكلاب وعن مفتاح المطبخ وعن مفتاح الكرار فإنه يخبرك لأن السكران يخبر بجميع ما يكتمه فى حال صحوه، وبعد ذلك بنجه والبس ثيابه وخذ السكاكين فى وسطك وخذ مقطف الخضر واذهب إلى السوق واشتر اللحم والخضر. ثم ادخل المطبخ والكرار واطبخ الطبيخ. ثم اغرفه وخذ الطعام وادخل به على دليلة

فى الخان وحط البنج فى الطعام حتى تبنج الكلاب والعبيد ودليلة وبنتها زينب. ثم اطلع القصر وائتِ بجميع الثياب منه. وإن كان مرادك أن تتزوج بزينب تجىء معك بالأربعين طيرًا التى تحمل الرسائل».

فطلع فرأى العبد الطبّاخ فسلّم عليه وقال له: «زمان ما اجتمعنا بك فى البوظة». فقال: «أنا مشغول بالطبيخ للعبيد والكلاب». فأخذه وأسكره وسأله عن الطبيخ كم لون هو؟ قال: «كل يوم خمسة ألوان فى الغداء وخمسة فى العشاء وطلبوا منى أمس لونًا سادسًا وهو الزردة ولونًا سابعًا وهو طبيخ حب الرمان». فقال: «وأى شىء حال السفرة التى تعملها؟» فقال: «أودى سفرة إلى زينب وبعدها أودى سفرة إلى دليلة وأعشى العبيد وبعدهم أعشى الكلاب وأطعم كل واحد كفايته من اللحم، وأقل ما يكفيه رطل». وأنسته المقادير أن يسأله عن المفاتيح. ثم جرده من ثيابه ولبسها هو وأخذ المقطف وراح السوق فأخذ اللحم والخضر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم رجع ودخل من باب الخان فرأى دليلة قاعدة تنتقد الداخل والخارج، ورأى الأربعين عبدًا مسلحة فقوى قلبه. فلما رأته دليلة عرفته فقالت له: «ارجع يا رئيس الحرامية أتعمل على منصفًا فى الخان؟» فالتفت على المصرى وهو فى صورة العبد إلى دليلة وقال لها: «ما تقولين يا بوابة؟» فقالت له: «ماذا صنعت بالعبد الطباخ وأى شىء فعلت به فهل قتلته أو بنجته؟» فقال لها: «أى عبد طباخ فهل هناك عبد طباخ غيرى؟» فقالت: «تكذب أنت على الزيبق المصرى». فقال لها بلغة العبيد: «يا بوابة هل المصرية بيضاء أو سوداء؟ أنا مبقيت أخدم». فقال العبيد: «ما لك يا ابن عمنا؟» فقال لدليلة: «هذا ابن عمنا سعد الله الطباخ». فقالت لهم: «إن كان هو ابن عمكم يعرف أى شىء طلبتم منه ليلة أمس ويعرف كم لون يطبخ فى كل يوم». فسألوه عن الألوان وعما طلبوه ليلة أمس. فقال: «عدس وأرز وشوربة ويخنى وماوردية ولون سادس وهو زردة ولون سابع وهو حب الرمان، وفى العشاء مثلها». فقالت لهم: «ادخلوا معه فإن عرف المطبخ والكرار فهو ابن عمكم وإلا فاقتلوه».

وكان الطباخ قد ربى قطًا فكلما يدخل الطباخ يقف القط على باب المطبخ ثم ينط على أكتافه إذا دخل. فلما دخل ورآه القط نط على أكتافه فرماه فجرى قدامه إلى المطبخ، فلحظ أن القط ما وقف إلا على باب المطبخ، فأخذ المفاتيح فرأى مفتاحًا عليه أثر الريح فعرف أنه مفتاح المطبخ ففتحه وحط الخضر وخرج فجرى القط قدامه وعمد إلى باب الكرار فأخذ المفاتيح ورأى مفتاحًا عليه أثر الدهان فعرف أنه مفتاح الكرار ففتحه. فقال العبيد: «يا دليلة لو كان غريبًا ما عرف المطبخ والكرار ولا عرف مفتاح كل مكان من بين المفاتيح وإنما هو ابن عمنا سعد الله». فقالت: «إنما عرف الأماكن من القط وميز المفاتيح من بعضها بالقرينة وهذا أمر لا يدخل على».

ثم إنه دخل المطبخ وطبخ الطعام وطلّع سفرة إلى زينب. فرأى جميع الثياب فى قصرها. ثم نزل وحط سفرة لدليلة وغدّى العبيد وأطعم الكلاب وفى العشاء كذلك. وكان الباب لا يفتح ولا يقفل إلا بشمس فى الغداة والعشى. ثم إن عليًا قام ونادى فى الخان:

«يا سكان قد سهرت العبيد والحراس وأطلقنا الكلاب وكل من طلع لا يلوم إلا نفسه». وكان على آخر عشاء الكلاب وحط فيه السم، ثم قدمه إليها فلما أكلته ماتت وبنّج جميع العبيد ودليلة وبنتها زينب. ثم طلع فأخذ جميع الثياب وحمام البطاقة وفتح وخرج وسار إلى أن وصل إلى القاعة. فرآه حسن شومان فقال له: «أى شىء فعلت؟» فحكى له جميع ما كان. فشكره.

ثم إنه قام ونزع ثيابه وغلى عشبًا وغسله به فعاد أبيض كما كان وراح إلى العبد وألبسه ثيابه وأيقظه من البنج. فقام العبد وذهب إلى الخضرى فأخذ الخضر ورجع إلى الخان. هذا ما كان من أمر على الزيبق المصرى. وأما ما كان من أمر الدليلة المحتالة، فإنه نزل عليها رجل تاجر من السكان وخرج من طبقته عندما لاح الفجر ورأى باب الخان مفتوحًا والعبيد مبنجة والكلاب ميتة. فنزل إلى دليلة فرآها مبنجة وفى رقبتها ورقة ورأى عند رأسها إسفنجة فيه ضدّ البنج. فحطها على مناخير دليلة فأفاقت. فلما أفاقت قالت: «أين أنا».

فقال لها التاجر: «أنا نزلت فرأيت باب الخان مفتوحًا ورأيتك مبنجة وكذلك العبيد. وأما الكلاب فرايتها ميتة فأخذت الورقة قرأت فيها: «ما عمل هذا العمل إلا على المصرى». فشممت العبيد وزينب بنتها ضد البنج وقالت: «أما قلت لكم إن هذا على المصرى». ثم قالت للعبيد: «اكتموا هذا الأمر». وقالت لبنتها: «كم قلت لكِ إن عليًا ما يخلى ثاره. وقد عمل هذا العمل فى نظير ما فعلتِ معه وكان قادرًا أن يفعل معنا شيئًا غير هذا ولكنه اقتصر على هذا إبقاء للمعروف وطلبًا للمحبة بيننا».

ثم إن دليلة خلعت لباس الفتوة ولبست لباس النساء وربطت المحرمة فى رقبتها وقصدت قاعة أحمد الدنف. وكان على حين دخل القاعة بالثياب وحمام الرسائل قام شومان وأعطى للنقيب حق أربعين حمامة فاشتراها وطبخها بين الرجال. وإذا بدليلة تدق الباب. فقال أحمد الدنف: «هذه دقة دليلة. قم فافتح لها الباب يا نقيب». فقام وفتح لها. فدخلت دليلة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية على الزيبق المصرى مع زريق السماك

قالت شهر زاد: فقال لها شومان: «ما جاء بك هنا يا عجوز النحس وقد تحزبتِ أنت وأخوكِ زريق السماك؟» فقالت: «يا مقدم إلا الحق على وهذه رقبتى بين يديك، ولكن الفتى الذى عمل معى هذا المنصف من هو منكم؟» فقال أحمد الدنف: «هو أول صبيانى». فقالت له: «أنت سياق الله عليه أنه يجىء لى بحمام الرسائل وغيره وتجعل ذلك إنعامًا على». فقال حسن شومان: «الله يقابلك بالجزاء يا على لأى شىء طبخت ذلك الحمام؟» فقال على: «ليس عندى خبر أنه حمام الرسائل». ثم قال أحمد الدنف: «يا نقيب هاتنا بها». فأعطاها فأخذت قطعة من حمامة ومضغتها فقالت: «هذا ما هو لحم طير الرسائل، فإنى أعلفه حب المسك ويبقى لحمه كالمسك». فقال لها شومان: «إن كان مرادكِ أن تأخذى حمام الرسائل فاقضى حاجة على المصرى». فقالت: «أى شىء حاجته؟» فقال لها: «أن تزوجيه بنتك زينب». فقالت: «أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف».

فقال حسن لعلى المصرى: «أعطها الحمام» فأعطاها إياه. فأخذته وفرحت به. فقال شومان: «لا بد أن تردى علينا جوابًا كافيًا». فقالت: «إن كان مراده أن يتزوج بها فهذا المنصف الذى عمله ما هو شطارة، وما الشطارة إلا أن يخطبها من خالها المقدم زريق فإنه وكيلها الذى ينادى: يا رطل سمك بجديدين، وقد علّق فى دكانه كيسًا حط فيه من الذهب ألفين». فعندما سمعوها تقول ذلك قاموا وقالوا: «ما هذا الكلام يا عاهرة، إنما أردت أن تعدمينا أخانا عليًا المصرى».

ثم إنها راحت من عندهم إلى الخان فقالت لبنتها: «قد خطبك منى على المصرى». ففرحت لأنها أحبته لعفته وسألتها عما جرى. فحكت لها ما وقع وقالت: «شرطت عليه أن يخطبك من خالك وأوقعته فى الهلاك». وأما على المصرى فإنه التفت إليهم وقال: «ما شأن زريق وأى شىء يكون هو؟» فقالوا: «هو رئيس فتيان أرض العراق يكاد أن ينقب الجبل ويتناول النجم ويأخذ الكحل من العين وهو فى هذا الأمر ليس له نظير، ولكنه تاب عن ذلك وفتح دكان سماك فجمع من السماكة ألفى دينار ووضعهما فى كيس وربط فى الكيس قيطان من حرير ووضع فى القيطان جلاجل وأجراسًا من نحاس وربطه فى وتدٍ من داخل باب الدكان متصلاً بالكيس».

وكلما يفتح الدكان يعلق الكيس وينادى أين أنتم يا شطار مصر ويا فتيان العراق ويا مهرة بلاد العجم. زريق السماك علّق كيسًا على وجه الدكان كل من يدعى الشطارة ويأخذه بحيلة فإنه يكون له، فتأتى الفتيان أهل الطمع ويريدون ويأخذونه فلا يقدرون لأنه واضع تحت رجليه أرغفة من رصاص وهو يقلى ويوقد النار فإذا جاء الطماع ليساهيه ويأخذه يضربه برغيف من رصاصه فيتلفه أو يقتله. فيا على إذا تعرضت له تكون كمن يلطم فى الجنازة ولا يعرف من مات». فما لك قدرة على مقارعته فإنه يُخشى عليك منه ولا حاجة لك بزواجك بزينب، ومن ترك شيئًا عاش بلاه.

فقال: «هذا عيب يا رجال فلا بد لى من أخذ الكيس، ولكن هاتوا لى لبس صبية». فأحضروا له لبس صبية فلبسه وتحنى وأرخى لثامًا ولبس اللباس والخفّ. وعمل له نهدين من حواصل الطير وملأهما باللبن وربط على بطنه بعض قماش ووضع بينه وبين بطنه قطنًا وتحزم عليه بفوطة كلها نشاء. فصار كل من ينظره يقول ما أحسن هذا الكفل، وإذا بحمّار مقبل فأعطاه دينارًا فأركبه وسار به إلى جهة دكان زريق السماك. فرأى الكيس معلقًا ورأى الذهب ظاهرًا منه، وكان زريق يقلى السمك. فقال: «يا حمّار ما هذه الرائحة؟» فقال له: «رائحة سمك زريق». فقال له: «أنا امرأة حامل والرائحة تضرنى هات لى منه قطعة سمك». فقال الحمّار لزريق: «هل أصبحت تفوح الرائحة على النساء الحوامل أنا معى زوجة الأمير حسن شر الطريق قد شمت الرائحة وهى حامل فهات لها قطعة سمك لأن الجنين تحرك فى بطنها، يا ستار اللهم اكفنا شر هذا النهار».

فأخذ قطعة سمك وأراد أن يقليها فانطفأت النار فدخل ليوقد النار فمد على المصرى يده إلى الكيس، فلما حصله خشخش الذهب الذى فيه وصلصلت الجلاجل والأجراس والحلق. فقال زريق: «ظهر خداعك يا نذل أتعمل على منصفًا وأنت فى صورة صبية، ولكن خذ ما جاءك».

وضربه برغيف من رصاص فراح خائبًا، وحط فى غيره فقام عليه الناس وقالوا: «هل أنت سوقى وإلا مضارب فإن كنت سوقيًا فنزل الكيس واكف الناس شرك» فقال لهم: «بسم الله على الرأس». وأما على فإنه راح إلى القاعة. فقال له شومان: «ما فعلت؟» فحكى له جميع ما وقع له.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم قلع لبس النساء وقال: «يا شومان أحضر لى ثياب سائس». فأحضر له، فأخذها ولبسها. ثم أخذ صحنًا وخمسة دراهم وراح إلى زريق السماك. فقال له: «أى شىء تطلب يا أسطا؟» فأراه الداهم فى يده، فأراد زريق أن يعطى له من السمك الذى على الطبلية. فقال له: «أنا ما آخذ إلا سمكًا سخنًا» فحط السمك فى الطاجن وأراد أن يقليه فانطفأت النار. فدخل ليوقدها فمد عليًا المصرى يده ليأخذ الكيس فحصل طرفه فخشخشت الأجراس والحلق والجلاجل. فقال له زريق: «ما دخل على منصفك ولو جئتنى فى صورة سائس، وأنا عرفتك من قبض يدك على الفلوس والصحن».

وضربه برغيف من رصاص. فزاغ عنه على المصرى فلم ينزل الرغيف الرصاص إلا فى طاجن ملآن باللحم السخن فانكسر ونزل بمرقته على كتف القاضى وهو سائر ونزل الجميع فى عب القاضى حتى وصل إلى فخذه فقال القاضى: «ما أقبحك يا شقى من عمل معى هذه العملة؟» فقال له الناس: «يا مولانا هذا ولد صغير رجم بحجر فوقع فى الطاجن وما دفع الله كان أعظم». ثم التفوا فوجدوا الرغيف الرصاص والذى رماه إنما هو زريق السماك. فقاموا عليه وقالوا: «ما يحلّ من الله يا زريق نزل هذا الكيس أحسن لك». فقال: «إن شاء الله أنزله». وأما على المصرى فإنه راح إلى القاعة ودخل على الرجال فقالوا له: «أين الكيس؟» فحكى لهم جميع ما جرى له. فقالوا له: «أنت أضعت ثلثى شطارته». فقلع ما عليه ولبس بدلة تاجر وخرج فرأى حاويًا معه جراب فيه ثعابين وجربندية فيها أمتعة. فقال له: «يا حاوى مرادى أن تفرج أولادى وتأخذ إحسانًا». فأتى به إلى القاعة وأطعمه وبنّجه ولبس بدلته وراح إلى زريق السماك وأقبل عليه وزمر بالزمارة. فقال له: «الله يرزقك». وإذا به طلّع الثعابين ورماها قدامه، وكان زريق يخاف من الثعابين فهرب منها داخل الدكان. فأخذ الثعابين ووضعها فى الجراب ومد يده إلى الكيس فحصّل طرفه فشنّ الحلق والجلاجل والأجراس. فقال له: «ما زلت تعمل على المناصف حتى عملت حاويًا؟» ورماه برغيف من رصاص، وإذا بجندى سائر ووراءه السائس فوقع الرغيف فى رأس السائس فبطحه. فقال الجندى: «من بطحه؟» فقال له الناس: «هذا حجر نزل من السقفية». فسار الجندى والتفتوا فرأوا الرغيف الرصاص فقاموا عليه وقالوا له: «نزل الكيس». فقال: «إن شاء الله أنزله فى هذه الليلة». وما زال على يلعب مع زريق حتى عمل معه سبعة مناصف ولم يأخذ الكيس. ثم إنه أرجع ثياب الحاوى ومتاعه إليه وأعطاه إحسانًا.

ورجع إلى دكان زريق فسمعه يقول: «أنا إن بيّت الكيس فى الدكان نقب عليه وأخذه، ولكن آخذه معى إلى البيت». ثم قام زريق وعزل الدكان ونزل الكيس وحطه فى عبه. فتبعه على إلى أن قرب من البيت فرأى زريق جاره عنده فرحٌ. فقال زريق فى نفسه: «حتى أروح إلى

البيت وأعطى زوجتى الكيس وألبس حوائجى ثم أعود إلى الفرح». ومشى وعلى تابعه. وكان زريق متزوجًا بجارية سوداء ورزق منها بولد وسماه عبد الله. وكان يعدها أنه يطهر الولد بالكيس ويزوجه ويصرفه فى فرحه.

ثم دخل زريق على زوجته وهو عابس الوجه. فقالت له: «ما سبب عبوسك؟» فقال لها: «ربنا بلانى بشاطر لعب معى سبعة مناصف على أنه يأخذ الكيس فما قدر أن يأخذه». فقالت: «هاته حتى أدخره لفرح الولد». فأعطاها إياه. وأما على المصرى فإنه تخبأ فى مخدع وصار يسمع ويرى. فقام زريق وقلع ما عليه ولبس بدلته وقال لها: «احفظى الكيس يا أم عبد الله وأنا رائح إلى الفرح». فقالت له: «نم لك ساعة». فنام فقام على ومشى على أطراف أصابعه وأخذ الكيس وتوجه إلى بيت الفرح ووقف يتفرج وأما زريق فإنه رأى فى منامه أن الكيس أخذه طائر فأفاق مرعوبًا وقال لأم عبد الله: «قومى وانظرى الكيس». فقامت تنظره فما وجدته. فلطمت على وجهها وقالت: «يا سواد حظكِ يا أم عبد الله الكيس أخذه الشاطر». فقال: «والله ما أخذه إلا الشاطر على وما أحد غيره أخذ الكيس ولا بد أن أجيء به». فقالت: «إن لم تجيء به أقفلت عليك الباب وتركتك تبيت فى الحارة».

فأقبل زريق على الفرح فرأى الشاطر عليًا يتفرج. فقال: «هذا الذى أخذ الكيس ولكنه نازل فى قاعة أحمد الدنف». فسبقه زريق إلى القاعة وطلع على ظهرها ونزل فرآهم نائمين. وإذا بعلى أقبل ودق الباب. فقال زريق: «من بالباب؟» فقال: «على المصرى». فقال له: «هل جئت بالكيس؟» فظن أنه شومان فقال له: «جئت به فافتح الباب». فقال له: «ما يمكن أن أفتح لك حتى أنظره فإنه وقع بينى وبين كبيرك رهان». فقال: «مد يدك». فمد يده إلى جنب عقب الباب فأعطاه الكيس فأخذه زريق وطلع من الموضع الذى نزل منه وراح إلى الفرح.

وأما على فإنه لم يزل واقفًا على الباب ولم يفتح له أحد. فطرق الباب طرقة مزعجة فصحا الرجال وقالوا: «هذه طرقة على المصرى». ففتح له النقيب وقال له: «هل جئت بالكيس؟» فقال: «يكفى مزاحًا يا شومان ما أعطيتك إياه من جنب عقب الباب وقلت لى: «أنا حالف أنى لا أفتح لك الباب حتى ترينى الكيس؟» فقال: «والله ما أخذته وإنما زريق هو الذى أخذه منك». فقال له: «لا بد أن أجيء به». ثم خرج على المصرى متوجهًا إلى الفرح فسمع الخلبوص يقول: «شويش يا أبا عبد الله العاقبة عندك لولدك». فقال على: «أنا صاحب السعد». وتوجه إلى بيت زريق وطلع من فوق ظهر البيت ونزل. فرأى الجارية نائمة فبنجها ولبس بدلتها وأخذ الولد فى حجره ودار يفتش فرأى مقطفًا فيه كعك العيد من بخل زريق.

ثم إن زريقًا أقبل إلى البيت وطرق الباب. فجاوبه الشاطر على وجعل نفسه الجارية وقال له: «مَنْ بالباب؟» فقال: «أبو عبد الله». فقال: «أنا حلفت ما أفتح لك الباب حتى تجيء بالكيس». فقال: «جئت به». فقال: «هاته قبل فتح الباب». فقال: «أدلى المقطف وخذيه فيه». فأدلى المقطف فحطه فيه. ثم أخذه الشاطر على وبنج الولد وأيقظ الجارية ونزل من الموضع الذى طلع منه وقصد القاعة فدخل على الرجال وأراهم الكيس والولد معه فشكروه وأعطاهم الكعك فأكلوه. وقال: «يا شومان هذا الولد ابن زريق فأخفه عندك». فأخذه وأخفاه وأتى بخروف فذبحه وأعطاه للنقيب فطبخه قِمَّة وكفنه وجعله كالميت.

وأما زريق فإنه لم يزل واقفًا على الباب. ثم دق الباب دقة مزعجة. فقالت له الجارية: «هل جئت بالكيس؟» فقال لها: «أما أخذته فى المقطف الذى أدليته؟» فقالت: «أنا ما أدليت مقطفًا ولا رأيت كيسًا ولا أخذته». فقال: «والله إن الشاطر عليًا سبقنى وأخذه». ونظر فى البيت فرأى الكعك معدومًا والولد مفقودًا. فقال: «وا ولداه». فدقت الجارية على صدرها وقالت: «أنا وإياك للوزير ما قتل ابنى إلا الشاطر الذى يفعل معك المناصف وهذا بسببك». فقال لها: «ضمانه على». ثم طلع زريق وربط المحرمة فى رقبته وراح إلى قاعة أحمد الدنف ودق الباب ففتح له النقيب ودخل على الرجال. فقال شومان: «ما جاء بك؟» فقال: «أنتم سياق على على المصرى ليعطينى ولدى وأسامحه فى الكيس الذهب». فقال شومان: «الله يقابلك يا على بالجزاء لأى شىء ما أعلمتنى أنه ابنه؟» فقال زريق: «أى شىء جرى عليه؟» فقال شومان: «أطعمناه زبيبًا فشرق ومات وهو هذا». فقال وا ولداه ما أقول لأمه؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم قام وفك الكفن فرآه قمقمة. فقال له: «أطربتنى يا على». ثم إنهم أعطوه ابنه. فقال أحمد الدنف: «أنت كنت معلقًا الكيس لكل من كان شاطرًا يأخذه، فإن أخذه شاطر يكون حقه وإنه صار حق على المصرى». فقال: «أنا وهبته له». فقال له على الزيبق المصرى: «أقبله من شأن بنت أختك زينب». فقال له: «قبلته». فقالوا: «نحن خطبناها لعلى المصرى». فقال: «أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف». ثم إنه أخذ ابنه وأخذ الكيس. فقال شومان: «هل قبلت منا الخطبة؟» فقال: «قبلتها ممن كان يقدر على مهرها». فقال له: «أى شىء مهرها؟» فقال: «إنها حالفة أن لا يتزوجها إلا من يجىء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودى والتاج والحياصة والتاسومة الذهب».

فقال على المصرى: «إن لم أجىء ببدلته فى هذه الليلة لا حق لى فى الخطبة». فقال له: «يا على تموت إن عملت معها منصفًا». فقال له: «ما سبب ذلك؟» فقالوا له: «إن عذرة اليهودى ساحر مكار غدار يستخدم الجن وله قصر خارج المملكة حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة، وذلك القصر ظاهر للناس ما دام قاعدًا فيه ومتى خرج منه فإنه يختفى ورزق ببنت اسمها قمر وجاء لها بهذه البدلة من كنز فيضع البدلة فى صينية من الذهب ويفتح شبابيك القصر وينادى: «أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم كل من أخذ البدلة تكون له».

فحاوله بالمناصف سائر الفتيان فلم يقدروا أن يأخذوها وسحرهم قرودًا وحميرًا». فقال على: «لا بد من أخذها وتتجلى بها زينب بنت الدليلة المحتالة».

حكاية على الزيبق المصرى مع عذرة اليهودى

ثم توجه على المصرى إلى دكان اليهودى فرآه فظًا غليظًا وعنده ميزان وصنج وذهب وفضة ومناقد ورأى عنده بغلة. فقام اليهودى وقفل الدكان وحط الذهب والفضة فى كيسين وحطهما فى خرج وحطه على البغلة وركب وسار إلى أن وصل خارج البلد وعلى المصرى وراءه وهو لم يشعر. ثم أطلع اليهودى ترابًا من كيس فى جيبه وعزم عليه ونثره فى الهواء فرأى الشاطر على قصرًا ما له نظير. ثم طلعت البغلة باليهودى فى السلالم وإذا بالبغلة عون

يستخدمه اليهودى فنزل الخرج عن البغلة وراحت البغلة واختفت.

وأما اليهودى فإنه قعد فى القصر وعلى ينظر فعله. فأحضر اليهودى قصبة من ذهب وعلق فيها صنية من ذهب بسلاسل من ذهب وحط البدلة فى الصينية فرآها على من خلف الباب. ونادى اليهودى: «أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم من أخذ هذه البدلة بشطارته فهى له». وبعد ذلك عزم فوضعت سفرة طعام فأكل ثم رفعت السفرة بنفسها. وعزم مرة أخرى فوضعت بين يديه سفرة مدام فشرب. فقال على: «أنت لا تعرف أن تأخذ هذه البدلة إلا وهو يسكر». فجاءه على من خلفه وسحب شريط الفولاذ فى يده. فالتفت اليهودى وعزم وقال ليده: «قفى بالسيف». فوقفت يده بالسيف فى الهواء. فمد يده الشمال فوقفت فى الهواء وكذلك رجله اليمنى وصار واقفًا على رجل.

ثم إن اليهودى صرف عنه الطلسم فعاد على المصرى كما كان أولاً. ثم إن اليهودى ضرب تخت رمل فطلع له أن اسمه على الزيبق المصرى، فالتفت إليه وقال له: «تعال من أنت وما شانك؟» فقال: «أنا على المصرى صبى أحمد الدنف وقد خطبت زينب بنت الدليلة المحتالة وعملوا على مهرها بدلة بنتك، فأنت تعطيها لى إن أردت السلامة وتسلم». فقال له: «بعد موتك فإن ناسًا كثيرًا عملوا على مناصف من شان أخذ البدلة فلم يقدروا أن يأخذوها منى فإن كنت تقبل النصيحة تسلم بنفسك فإنهم ما طلبوا منك البدلة إلا لأجل هلاكك، ولولا أنى رأيت سعدك غالبًا على سعدى لكنت رميت رقبتك».

ففرح على لكون اليهودى رأى سعده غالبًا على سعده فقال له: «لا بدّ لى من أخذ البدلة وتسلم». فقال له: «هل هذا مرادك ولا بد؟» قال: «نعم». فأخذ اليهودى طاسة وملأها ماءً وعزم عليها وقال: «اخرج من الهيئة البشرية إلى هيئة حمار». ورشه منها فصار حمارًا بحوافر وآذان طوال وصار ينهق مثل الحمير. ثم ضرب عليه دائرة فصارت عليه سورًا وصار اليهودى يسكر إلى الصباح. فقال له: «أنا أركبك وأريح البغلة». ثم إن اليهودى وضع البدلة والصينية والقصبة والسلاسل فى خشخانة. ثم طلع وعزم عليه فتبعه وحط على ظهره الخرج وركب عليه واختفى القصر عن الأعين وسار وهو راكبه إلى أن نزل على دكانه وفرغ الكيس الذهب والكيس الفضة فى المنقد قدامه.

وأما على فإنه مربوط فى هيئة حمار ولكنه يسمع ويعقل ولا يقدر أن يتكلم. وإذا برجل ابن تاجر جار عليه الزمن فلم يجد له صنعة خفيفة إلا السقاية. فأخذ أساور زوجته وأتى إلى اليهودى وقال له: «أعطنى ثمن هذه الأساور لأشترى لى به حمارًا». فقال اليهودى: «تحمل عليه أى شىء؟» فقال له: «يا معلم أملأ عليه ماءً من البحر وأقتات من ثمنه». فقال له اليهودى: «خذ منى حمارى هذا». فباع له الأساور وأخذ من ثمنها الحمار وأعطاه اليهودى الباقى وسار بعلى المصرى وهو مسحور إلى بيته. فقال على فى نفسه: «متى ما حطّ عليك الحمّار الخشب والقربة وذهب بك عشرة مشاوير أعدمك العافية وتموت».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فتقدمت امرأة السقاء تحط له عليقة وإذا به لطشها بدماغه فوقعت

على الأرض فصاحت فأدركها الجيران فضربوه وخلصوها وإذا بزوجها الذى أراد أن يعمل سقاء جاء إلى البيت. فقالت له: «إما أن تطلقنى وإما أن تردّ الحمار إلى صاحبه». فقال لها: «وأى شىء جرى؟» فقالت له: «هذا شيطان فى صفة حمار فإنه أراد أن يقتلنى». فأخذه وراح إلى اليهودى. فقال له اليهودى: «لأى شىء رددته؟» فقال له: «هذا أراد أن يقتل زوجتى». فأعطاه دراهمه وراح. وأما اليهودى فإنه التفت إلى على وقال له: «أتدخل باب المكر يا مشؤوم حتى ردك إلىّ؟ ولكن حيثما رضيت أن تكون حمارًا أنا أخليك فرجة للكبار والصغار». وأخذ الحمار وركبه وصار خارج البلد.

ثم إن اليهودى أخرج الرماد وعزم عليه ونثره فى الهواء وإذا بالقصر ظهر فطلع القصر ونزل الخرج من على ظهر الحمار وأخذ الكيسين المال وأخرج القصبة وعلّق فيها الصينية بالبدلة ونادى مثل ما ينادى كل يوم: «أين الفتيان من جميع الأقطار من يقدر أن يأخذ هذه البدلة». وعزم مثل الأول فوضع له سماط فأكل وعزم فحضر المدام بين يديه فسكر. وأخرج طاسة فيها ماء وعزّم عليها ورش منها على الحمار وقال له: «انقلب من هذه الصورة إلى صورتك الأولى». فعاد إنسانًا كما كان أولاً. فقال له: «يا على اقبل النصيحة واكتفِ شرى ولا حاجة لك بزواج زينب وأخذ بدلة ابنتى فإنها ما هى سهلة عليك وترك الطمع أولى لك وإلا أسحرك دبًا أو قردًا أو أسلط عليك عونًا يرميك خلف جبل قاف». فقال له: «يا عذرة أنا التزمت بأخذ البدلة ولا بد من أخذها وتسلم وإلا اقتلك». فقال له: «يا على أنت مثل الجوز لو لم تتكسر ما تؤكل»، وأخذ طاسة فيها ماء وعزم عليها ورش منها عليه وقال: «كن فى صورة دب» فانقلب دبًا فى الحال. وحط الطوق فى رقبته وربط فمه ودق له وتدًا من حديد وصار يأكل ويرمى له بعض لقم ويكب عليه فضل الكاس.

فلما أصبح الصباح قام اليهودى ورفع الصينية والبدلة وعزم على الدب وتبعه إلى دكانه ثم قعد فى الدكان وفرغ الذهب والفضة فى المنقد وربط السلسلة التى فى رقبة الدب فى الدكان فصار على يسمع ويعقل ولا يقدر أن ينطق. وإذا برجل تاجر أقبل على اليهودى فى دكانه وقال: «يا معلم أتبيعنى هذا الدب فإن لى زوجة وهى بنت عمى قد وصفوا لها أن تأكل لحم دب وتدهن بشحمه». ففرح اليهودى وقال فى نفسه: «أبيعه لأجل أن يذبحه ونرتاح منه». فقال على فى نفسه: «والله إن هذا يريد أن يذبحنى والخلاص عند الله». فقال اليهودى: «هو من عندى لك هدية». فأخذه التاجر ومر به على جزار فقال له: «هات العدة وتعال معى». فأخذ السكاكين وتبعه.

ثم إن الجزار تقدم وربطه وصار يسن السكين وأراد أن يذبحه. فلما رآه على المصرى قاصده فر من بين يديه وطار بين السماء والأرض. ولم يزل طائرًا حتى نزل فى القصر عند اليهودى. وكان السبب فى ذلك أن اليهودى ذهب إلى القصر بعد أن أعطى التاجر الدب فسألته بنته فحكى لها جميع ما وقع فقالت: «أحضر عونًا واسأله عن على المصرى هل هو هذا أو رجل يعمل منصفًا؟» فعزم وأحضر عونًا وسأله هل هذا على المصرى أو رجل آخر يعمل منصفًا فاختطفه العون وجاء به وقال: هذا هو على المصرى بعينه فإن الجزار كتفه وسن السكين وشرع فى ذبحه فخطفته من بين يديه وجئت به». فأخذ اليهودى طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشه منها وقال له: «ارجع إلى صورتك البشرية». فعاد كما كان أولاً.

فرأته قمر بنت اليهودى شابًا مليحًا فوقعت محبته فى قلبها ووقعت محبتها فى قلبه. فقالت له: «يا مشؤوم لأى شيء تطلب بدلتى حتى يفعل بك أبى هذه الفعال؟» فقال: «أنا التزمت بأخذها لزينب النصابة لأجل أن أتزوج بها». فقالت له: «غيرك لعب مع أبى مناصف لأجل أخذ بدلتى فلم يتمكن منها» ثم قالت له: «اترك الطمع». فقال: لا بد لى من أخذها ويسلم أبوك وإلا أقتله». فقال لها أبوها: «انظرى يا بنيتى هذا المشؤوم كيف يطلب هلاك نفسه». ثم قال له: «أنا أسحرك كلبًا»، وأخذ طاسة مكتوبة وفيها ماء وعزم عليها ورشه منها وقال له: «كن فى صورة كلب». فصار كلبًا. وصار اليهودى يسكر هو وبنته إلى الصبح.

ثم إن اليهودى قام ورفع البدلة والصينية وركب البغلة وعزم على الكلب فتبعه وصارت الكلاب تنبح عليه. فمر على دكان سقطى فقام السقطى منع عنه الكلاب فنام قدامه. والتفت اليهودى فلم يجده. فقام السقطى عزل دكانه وراح إلى بيته والكلب تابعه. فدخل السقطى داره فنظرت بنت السقطى فرأت الكلب فغطت وجهها وقالت: «يا أبتِ أتجيء بالرجل الأجنبى فتدخله علينا؟» فقال: «يا بنتى هذا كلب». فقالت له: «هذا على المصرى سحره اليهودى». فالتفتت إليه وقالت له: «هل أنتَ على المصرى؟» فأشار لها برأسه: «نعم». فقال لها أبوها: «لأى شيء سحره اليهودى؟» قالت له: «بسبب بدلة بنته قمر وأنا أقدر أن أخلصه». فقال: «إن كان خير فهذا وقته». فقالت: «إن كان يتزوج بى خلصته». فأشار لها برأسه: «نعم». فأخذت طاسة مكتوبة وعزمت عليها وإذا بصرخة عظيمة والطاسة وقعت من يدها. فالتفتت فرأت جارية أبيها هى التى صرخت وقالت لها: «يا سيدتى أهذا هو العهد الذى بينى وبينكِ وما أحد علمكِ هذا الفن إلا أنا واتفقتِ معى أنكِ لا تفعلين شيئًا إلا بمشورتى والذى يتزوَّج بكِ يتزوجنى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع السقطى هذا الكلام من الجارية قال لبنته: «ومَنْ علم هذه الجارية؟» قالت له: «يا أبتى هى التى علمتنى واسألها عن الذى علَّمها».

فسأل الجارية فقالت له: «اعلم يا سيدى أنى لما كنت عند عذرة اليهودى كنت أتسلل عليه وهو يتلو العزيمة ولما يذهب إلى الدكان أفتح الكتب وأقرأ فيها إلى أن عرفت علم الروحانى، فباعنى لك وأتيت إلى منزلك فعلمت سيدتى واشترطت عليها أن لا تفعل شيئًا إلا بمشورتى والذى يتزوج بها يتزوجنى».

وأخذت الجارية طاسة فيها ماء وعزمت عليها ورشت منها الكلب وقالت له: «ارجع إلى صورتك البشرية». فعاد إنسانًا كما كان أولاً. فسلم عليه السقطى وسأله عن سبب سحره. فحكى له جميع ما وقع له.

فقال له: «أتكفيك بنتى والجارية؟» فقال: «لا بد من أخذ زينب». وإذا بداقٍّ يدق الباب. فقالت الجارية: «مَنْ بالباب؟» قالت: «قمر بنت اليهودى، هل على المصرى عندكم؟» فقالت لها بنت السقطى: «يا ابنة اليهودى وإذا كان عندنا أى شيء تفعلين به؟ انزلى يا جارية افتحى لها الباب». ففتحت لها الباب فدخلت. فلما رأت عليًا ورآها قال لها: «ما جاء بك هنا يا بنت

اليهودى» فقالت: «أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله». فأسلمت وقالت له: «هل الرجال فى دين الإسلام يمهرون النساء أو النساء تمهر الرجال؟» فقال لها: «الرجال يمهرون النساء».

فقالت: «وأنا جئت أمهر نفسى لك بالبدلة والقصبة والسلاسل ودماغ أبى عدوك وعدو الله».

حكاية على الزيبق المصرى مع أحمد اللقيط

وسبب قتلها أباها أنه لما سحر عليًا كلبًا رأت فى المنام قائلاً يقول لها: «أسلمى». فأسلمت. فلما انتبهت عرضت على أبيها الإسلام فأبى. فلما أبى الإسلام بنجته وقتلته. فأخذ على الأمتعة وقال للسقطى: «فى غد نجتمع عند الخليفة لأجل أن أتزوج بنتك والجارية». وطلع وهو فرحان قاصدًا القاعة ومعه الأمتعة. وإذا برجل حلوانى يخبط على يديه ويقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، الناس صار كدهم حرامًا لا يروح إلا فى الغش، سألتك بالله أن تذوق هذه الحلاوة». فأخذ منه قطعة وأكلها فإذا فيها البنج فبنجه وأخذ منه البدلة والقصبة والسلاسل وحطها داخل صندوق الحلاوة وحمل الصندوق وطبق الحلاوة وسار، وإذا بقاض يصيح عليه ويقول له: «تعال يا حلوانى». فوقف له وحط القاعدة والطبق فوقها وقال: «أى شىء تطلب؟» فقال له: «حلاوة وملبسًا». ثم أخذ منهما فى يده شيئًا وقال: «إن هذه الحلاوة والملبس مغشوشان» وأخرج حلاوة من عبه وقال: «انظر هذه الصنعة ما أحسنها فكل منها واعمل نظيرها».

فأخذها الحلوانى فأكل منها وإذا فيها البنج فبنّجه وأخذ القاعدة والصندوق والبدلة وغيرها وحط الحلوانى فى داخل القاعدة وحمل الجميع وتوجه إلى القاعة التى فيها أحمد الدنف، وكان القاضى حسن شومان. وسبب ذلك أن عليًا لما التزم بالبدلة وخرج فى طلبها لم يسمعوا عنه خبرًا. فقال أحمد الدنف: «يا شباب اطلعوا فتشوا على أخيكم على المصرى». فطلعوا يفتشون عليه فى المدينة فطلع حسن شومان فى صفة قاض فقابل الحلوانى فعرفه أنه أحمد اللقيط فبنجه وأخذه وصحبته البدلة وسار به إلى القاعة، وأما الأربعون فإنهم داروا يفتشون فى شوارع البلد فخرج على كتف الجمل من بين أصحابه فرأى زحمة وقصد الناس المزدحمين فرأى عليًا المصرى بينهم مبنجًا فأيقظه من البنج.

فلما أفاق رأى الناس مجتمعين عليه. فقال على كتف الجمل: «أفق لنفسك». فقال: «أين أنا؟» فقال له على كتف الجمل وأصحابه: «نحن رأيناك مبنّجًا ولم نعرف من بنّجك» فقال: «بنجنى واحد حلوانى وأخذ منى الأمتعة ولكن أين ذهب؟» فقالوا له: «ما رأينا أحدًا ولكن تعال رح بنا إلى القاعة». فتوجهوا إلى القاعة ودخلوا فوجدوا أحمد الدنف. فسلم عليهم وقال: «يا على هل جئت بالبدلة؟» فقال: «جئت بها وبغيرها وجئت برأس اليهودى وقابلنى حلوانى فبنجنى وأخذها منى». وحكى له جميع ما جرى له وقال له: «لو رأيت الحلوانى لجازيته». وإذا بحسن شومان طالع من مخدع فقال له: «هل جئت بالأمتعة يا على؟» فقال له: «جئت بها وجئت برأس اليهودى وقابلنى حلوانى فبنجنى وأخذ البدلة وغيرها ولم أعرف أين ذهب ولو عرفت مكانه لنكبته فهل تعرف أين ذهب ذلك الحلوانى؟» قال: «أعرف مكانه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: ثم قام وفتح له المخدع فرأى الحلوانى مبنجًا فيه فأيقظه من البنجة ففتح عينيه فرأى نفسه قدام على المصرى وأحمد الدنف والأربعين فانصرع وقال: «أين أنا ومن قبضنى؟» فقال شومان: «أنا الذى قبضتك» فقال له على المصرى: «يا ماكر أتفعل هذه الفعال؟» وأراد أن يذبحه. فقال له حسن شومان: «ارفع يدك هذا صار صهرلك». فقال: «صهرى من أين؟» فقال له: «هذا أحمد اللقيط ابن أخت زينب». فقال على: «لأى شىء هكذا يا لقيط؟» فقال له: «أمرتنى به جدتى الدليلة المحتالة وما ذاك إلا أن زريقًا السماك اجتمع بجدتى الدليلة المحتالة وقال لها: إن عليًا المصرى شاطر بارع الشطارة ولا بد أن يقتل اليهودى ويجىء بالبدلة، فأحضرتنى، وقالت لى: هل تعرف عليًا المصرى؟ فقلت: أعرفه وكنت أرشدته إلى قاعة أحمد الدنف، فقالت لى: رح انصب له شركك فإن جاء بالأمتعة فاعمل عليه منصفًا وخذ منه الأمتعة. فطفت فى شوارع المدينة حتى رأيت حلوانيًا وأعطيته عشرة دنانير وأخذت بدلته وحلاوته وعدته وجرى ما جرى.

ثم إن عليًا المصرى قال لأحمد اللقيط: رُح إلى جدتك وإلى زريق السماك وأعلمهما بأنى جئت بالأمتعة ورأس اليهودى وقل لهما: غدًا قابلاه فى ديوان الخليفة وخذا منه مهر زينب ثم إن أحمد الدنف فرح بذلك وقال: لا خابت فيك التربية يا على.

حكاية على الزيبق المصرى عند الخليفة

فلما أصبح الصباح أخذ على المصرى البدلة والصينية والقصبة والسلاسل الذهب ورأس عذرة اليهودى على مزراق وطلع إلى الديوان ومعه عمه وصبيانه وقبلوا الأرض بين يدى الخليفة. فالتفت الخليفة فرأى شابًا ما فى الرجال أشجع منه. فسأل الرجال عنه فقال أحمد الدنف: «يا أمير المؤمنين هذا على الزيبق المصرى رئيس فتيان مصر وهو أول صبيانى». فلما رآه الخليفة أحبَّه لكونه رأى الشجاعة لائحة بين عينيه تشهد له لا عليه، فقام على ورمى دماغ اليهودى بين يدى الخليفة وقال له: «عدوك مثل هذا يا أمير المؤمنين». فقال له الخليفة: «دماغ من هذا؟» فقال له: «دماغ عذرة اليهودى». فقال الخليفة: «ومن قتله؟» فحكى له على المصرى جميع ما جرى له.

فقال الخليفة: «ما ظننت أنك قتلته لأنه كان ساحرًا». فقال له: «يا أمير المؤمنين أقدرنى ربى على قتله». فأرسل الخليفة الوالى إلى القصر فرأى اليهودى بلا رأس. فأخذوه فى تابوت وأحضروه بين يدى الخليفة فأمر بحرقه. وإذا بقمر بنت اليهودى أقبلت وقبلت الأرض بين يدى الخليفة وأعلمته بأنها ابنة عذرة اليهودى وأنها أسلمت. ثم جددت إسلامها ثانيًا بين يدى الخليفة وقالت له: «أنت سياق على الشاطر على الزيبق المصرى أن يتزوجنى». ووكلت الخليفة فى زواجها بعلى.

فوهب الخليفة لعلى المصرى قصر اليهودى بما فيه وقال له: «تمنَّ علىّ». فقال: «تمنيت عليك أن أقف على بساطك وآكل من سماطك». فقال الخليفة: «يا على هل لك صبيان؟» فقال: «لى أربعون صبيًا ولكنهم فى مصر». فقال الخليفة: «أرسل لهم ليجيئوا من مصر». ثم قال له الخليفة: «يا على هل لك قاعة؟» قال: «لا». فقال حسن شومان: «قد وهبت له قاعتى بما فيها يا أمير المؤمنين». فقال الخليفة: «قاعتك لك يا حسن». وأمر الخازندار أن يعطى

المعمار عشرة آلاف دينار ليبنى له قاعة بأربعة لواوين وأربعين مخدعًا لصبيانه وقال الخليفة: «يا على هل بقى لك حاجة نأمر لك بقضائها؟» فقال: «يا ملك الزمان أن تكون سياقًا على الدليلة المحتالة أن تزوجنى بنتها زينب وتأخذ بدلة بنت اليهودى وأمتعتها فى مهرها». فقبلت دليلة سياق الخليفة وأخذت الصينية والبدلة والقصبة والسلاسل الذهب وكتبوا أيضًا كتاب بنت السقطى والجارية وقمر بنت اليهودى عليه. ورتب له الخليفة جامكية وجعل له سماطًافى الغداء وسماطًا فى العشاء وجراية وعلوفة ومسموحًا. وشرع على المصرى فى الفرح حتي كمل مدة ثلاثين يومًا. ثم إن عليًا المصرى أرسل إلى صبيانه بمصر كتابًا يذكر لهم فيه ما حصل له من الإكرام عند الخليفة. وقال لهم فى المكتوب: «لا بد من حضوركم لأجل أن تحصلوا الفرح».

فبعد مدة يسيرة حضر صبيانه الأربعون وحصّلوا الفرح. فوطنهم فى القاعة وأكرمهم غاية الإكرام. ثم عرضهم على الخليفة فخلع عليهم وجلت المواشط زينب بالبدلة على على المصرى. ثم بعد ذلك اتفق أن عليًا المصرى سهر عند الخليفة ليلة من الليالى فقال له الخليفة: «مرادى يا على أن تحكى لى جميع ما جرى لك من الأول إلى الآخر».

فحكى له جميع ما جرى له من الدليلة المحتالة وزينب النصابة وزريق السماك. فأمر الخليفة بكتابة ذلك وأن يجعلوه فى خزانة الملك. فكتبوا جميع ما وقع له وجعلوه من جملة السير لأمّة خير البشر. ثم قعدوا فى أرغد عيش وأهناه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية باسم الحداد مع الخليفة هارون الرشيد

قالت شهر زاد حكى والله أعلم فى غيبه وأحكم فى ما مضى وتقدم من أحاديث الأمم أن هارون الرشيد لما كان جالسًا فى مدينة بغداد ذات ليلة من الليالى إذ قلق قلقًا عظيمًا فأرسل طلب جعفر البرمكى فأتاه وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم، وإزالة البؤس والنقم. قال: «يا أمير المؤمنين هل لك من حاجة؟» فقال له: «اعلم يا جعفر أنى قلقت قلقًا عظيمًا ولم يغمض لى جفن فى هذه الليلة». فقال له: «يا أمير المؤمنين انزل بنا إلى البستان حتى نتنزه ونتفرج على أشجاره وأزهاره وأطياره، وعلى بنفسجه وريحانه»، فقال الخليفة: «ما ينشرح خاطرى بهذا».

فقال له: «قم بنا إلى قصر التماثيل حتى نتفرج على الصور التى صورتها الكهنة من قديم الزمان». فقال له: «يا جعفر ما ينشرح أيضًا خاطرى». فقال له: «قم ننزل إلى الخزانة نتفرج على الأسلحة والكتب ونتسامر بها لعله يزول ما عندك». فقال له: «ما ينشرح خاطرى». فقال له: «قم بنا ننزل إلى بغداد وندور فى أسواقها وشوارعها وأزقتها لعله يحصل لنا نكتة نادرة يزول عنك ما أنت به». فقام هارون الرشيد وغير حلته ولبس على طراز المواصلة وجعفر البرمكى والعبد مسرور سياف النقمة كمثله وقام الثلاثة وخرجوا من باب السر وداروا فى شوارع بغداد إلى أن أتوا إلى زقاق، هب النسيم فيه وراق.

فوقف الخليفة هناك فسمع حس غناء فرفع رأسه فرأى طبقة عالية وطاقة خارجًا

منها ضوء عظيم، فأتى مقابل ذلك الضوء فرأى فيه خيال كأس وصاحبه يغنى ويقول:

شربنا مع غروب الشمس شمسًا مشعشعة إلى وقت الطلوع
وضوء الشمع بين الناس باد كأطراف الأسنة فى الدروع

فالتفت الرشيد إلى جعفر وقال: «يا جعفر ما يزيل قلقى فى هذه الليلة إلا صاحب هذا المكان». ثم قال: «دق عليه يا مسرور». فتقدم مسرور وطرق الباب، فسمع الرجل واطلع عليهم من الطاقة وقال: «من يدق الباب؟» فرفع جعفر رأسه إليه وقال له: «نحن يا حاج ناس غرباء البلاد وقد أمسى علينا المساء ونخاف من الوالى وأجرك على الله». فقال لهم صاحب الدار: «أفتح لكم ولكن بشرط أن لا تكونوا فضولية شحاذين، تقولوا هكذا حتى أفتح لكم فتأتونى وتأكلون أكلى وتشربون شربى». فضحك الخليفة هارون الرشيد حتى استلقى على قفاه. فقالوا له: «ما نحن إلا تجار». فقال لهم: «تعشيتم أم أنتم بلا عشاء؟» فقالوا له: «لله الحمد والشكر». فقال لهم: «على شرط لا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعون شيئًا لا يرضيكم». فقالوا له: «يا سيدى نجلس خرسان طرشان». فنزل حينئذ وفتح لهم الباب، فدخل هارون الرشيد وجعفر ومسرور فوجدوا قدامه بطة ملآنة ونقلاً ولحمًا وفاكهة وهو قاعد يشرب ويتنقل وينشرح، ثم جلس ذلك الرجل وأمرهم بالجلوس، فجلسوا، فقال لهم: «من أين أنتم وأين تقصدون؟» فقالوا له: «نحن ناس تجار من الموصل وكنا مدعوين عند بعض التجار فأكلنا وشربنا وخرجنا من عندهم فأمسى علينا المساء وطلبنا الخان فتهنا وما رأينا أنفسنا إلا فى هذا الزقاق فرأينا طبقتك ورأينا النور وسمعنا صوتك فقلنا: «نصمد نتعال عند هذا الرجل إلى وقت السحر ونروح إلى حال سبيلنا». فقال لهم: «باسم الله أخبر البائت عليكم ما أنتم تجار وما أنتم إلا فضولية تدورون على بيوت الناس تطرقونهم فى هذا الليل لتأكلوا أكلهم وتشربوا شربهم».

ثم التفت إلى جعفر وقال له: «أنت يا بطن الزير يا كرش النخالة يا شوارب الدب العتيق». ثم التفت إلى العبد مسرور وقال له: «وأنت يا أسود الوجه يا صباغ الرحمنان يا بطن الركوة». ثم قال: «انظروا ثلاثتكم إلى هذا الأكل وإلى هذا الشرب فكل من مد يده إليه منكم أضربه بهذه التقصيرة وأكسر يده». وقام إلى الحائط ونزل من المسمار تقصيرة قدر ذراع ونصف ووضعها تحت يده، فقال الخليفة لجعفر: «اسأله عن اسمه وما صنعته؟» فقال: «بالله عليك أن تتركنا من هذا الرجل البائت عليه أنه قوى ردى ومصارع ومعالج، انظر إلى دماغه وانظر إلى آذانه المدلاة، إن ضرب أحدًا منا ضربة بهذه التقصيرة قتله وتكون هى أمه ويروح بلاش فى هذه الليلة». فقال له الخليفة: «لا تخف اسأله عن اسمه وما هى صنعته؟» فقال: «دعنا من هذا الكلام». فقال: «لا بد أن تسأله عن اسمه وعما يتسبب به ومن أين يحصل له هذا كله فى ليله؟».

فالتفت إليهم الرجل وقال لهم: «ما الخبر يا أصحاب أتيتم الليلة وحملونى جميلكم». فلما سمع جعفر الكلام وجد له فرصة للكلام وإن الرجل صاحب البيت قد انشرح وطابت نفسه. فقال له جعفر: «يا أخى سألتك بحق هذه الصحبة أن تخبرنا عن اسمك وصنعتك ومن أين معيشتك؟» فقال الرجل: «ها ها فما قلت لكم أنكم قوادون أراذل تتكلمون فيما لا يعنيكم فتسمعون شيئًا لا يرضيكم، قوموا اخرجوا عنى لا كتب الله لكم سلامة، تحلفونى بحق

الصحبة وأية صحبة بيني وبينكم، فصدق الأقدمون: «ايش لك في القصر». قال: «امس العصر». فقالوا له: «ذكر الله أيامنا وأيامك بالخير». فقال: «وأنتم كذلك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فقال له جعفر: «يا سيدى الله يسألك عن صحبة ساعة ونحن لنا عندك من أول الليل إلى هذا الوقت وقد أحسنت وتصدقت علينا وجئنا إلى منزلك وبقى لنا عليك حق ونشتهى من إحسانك أن تزيل ما عندنا وتقول لنا ما اسمك وصنعتك وسببك وتفعل معنا جميلاً وتمام المعروف». فقال: «إن أنا كشفت لكم عن أمرى وأبحت لكم سرى فلا يتفوه أحد منكم على بكلمة خارجة عن هذا الموضع وإلا اقتله شر قتلة». فقالوا: «نعم رضينا». فقال الرجل: «اعلموا يا أضيافى أنا اسمى باسم وصنعتى حداد وأنا غاوى ملعوب مصارع ومعالج وملاكم حافظ روحى وملازم تقوى الله تعالى وكل ما لكمته لكمة يرقد على صماخ أذنه سنة». فقالوا: الله يكفينا شرك».

ثم قال: اعلموا يا أضيافى أنى أعمل بصنعتى كل يوم بخمسة دراهم إلى ما بعد العصر فأقوم آخذ بدرهم لحمًا ودرهم خمرًا ودرهم شمعة ودرهم نقلاً وفاكة والخامس أعمر منه القناديل والسراج وأشترى به رغيفين خبزًا. وما يفضل معى شىء أتغدى به. فثانى يوم أعمل بصنعتى إلى ما بعد العصر وأجدد حظوتى وما أجىء إلى البيت إلا والليل قد أقبل وأطلع أعمر حظوتى وأوقد شمعتى وأشغل الجلاس والسراج وآكل قليلاً من اللحم، ثم أحط البطة وأقدم وآكل ساعة وأنتقل ساعة، وهذا دأبى وديدنى وما أعاشر أحدًا فى الدنيا وأبقى على هذا الحال طول الليل. ولما يصبح الصباح أروح إلى صنعتى وأقضى حاجتى مثل عادتى وهذا حالى طول مدتى».

فلما سمع هارون الرشيد وجعفر كلام باسم الحداد تعجبوا منه غاية العجب وقالوا له: «والله أنك رجل حازم وبانعزالك عن الناس سالم، لكن كم لك على هذا الحال؟» قال: «عشرون سنة كل يوم أعمل بخمسة دراهم وأعمل بها المقام وما بطلت فى هذه العشرين سنة ولا يومًا واحدًا ولا تعطل مقامى ولا ليلة واحدة». فقالوا له: «يا باسم إذا أصبح غدًا الخليفة صاحب بغداد وبطل الحدادين ونادى بأن أى من فتح دكانًا أو اشتغل فى صنعة الحدادة إلى ثلاثة يشنق فمن أين يكون لك أن تعمر مقامك وخمرتك، ونقلك وفاكهتك؟» فقال باسم الحداد: «لا بشركم الله بخير والله ما يجىء منكم إلا ما تكرهه الطبيعة، وأنا فى هذه الساعة أقول لكم: لا تنكدوا على بهذا الفأل العاطل، مضى على عشرون سنة وأنا سالم من الغيظ والجوع حتى اجتمعت بكم هذه الليلة المكوسة بوجودكم وأغضبتمونى وشوشتم خاطرى، فبالله عليكم قوموا هذه الساعة واخرجوا عنى، لكن أنا الظالم على نفسى لأنى أدخلتكم إلى بيتى وكشفت لكم عن أمرى». فقالوا له: «يا باسم نحن قلنا قولاً هو منزل أو مسجل، وأنت لك عشرون سنة فى حرفتك وصنعتك فما صنع الخليفة هكذا ونحن تكلمنا معك بلعب فى قولنا إذا أصبح الخليفة وبطل الحدادين من أين يكون لك أن تجدد هذا المقام وأنت ما يفضل معك ولا درهم واحد». فقال باسم: «ها ها وتعيدون على هذا الكلام والمقال الوحش، والله إنكم متوحشون

أراذل، ولكن متى أصبح الخليفة وفعل هذا الفعل وستره الحصين ما يخلصكم منى كل من فى الدنيا وأفتش عنكم فى كل بغداد وإذا وقعت بكم أنا أعرف أى شىء أعمل معكم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقاموا يتضاحكون والرشيد قد أطبق فمه وغلب عليه الضحك على باسم الحداد وتركوه ونزلوا. ثم قال هارون الرشيد فى قلبه: «والله يا قواد لأقابلنك غدًا على ما فعلت معنا». ثم إنهم نزلوا من الطبقة وردوا على باسم الحداد الباب وساروا وطلعوا من باب السر ورجع جعفر إلى مكانه. ونام هارون الرشيد فى فراشه فما غفل غفلة حتى أصبح الصباح، فقام وصلى الصبح وخرج إلى الحكم ودخلت عليه الأمراء والوزراء والنوبة وأرباب الدولة وأهل الصولة. فما كان للخليفة شغل إلا أن نادى جعفرًا فصاح به وقال: «قل للوالى أن ينزل إلى المدينة ينادى على الحدادين بأن لا يفتحوا دكاكينهم إلى ثلاثة أيام فصاح جعفر على متولى المدينة خالد بن طالب وبلغه رسالة الملك. فقام الوالى والمقدمون والظلمة والرقاصون وأخذوا ستة مشاعل ونادوا فى شوارع بغداد وأزقتها بتلك المناداة وشاعت فى المدينة وكافة الخلق والناس، وكان المعلم الذى لباسم الحداد قد أتى إلى الدكان هو والصبى وأراد أن يفتح الدكان وإذا بالوالى والمقدمين ينادون بتلك المناداة وهى: أنه برز الأمر الشريف من عند مولانا أمير المؤمنين هارون الرشيد أى حداد فتح دكانًا، أو عمل صنعة، أو دق مطرقة، إلى ثلاثة أيام، يشنق ويصلب على باب دكانه، وقد أعذر من أنذر، ومن لا يصدق يجرب والسلام».

فقفل الحدادون دكاكينهم ورجعوا إلى بيوتهم، وأما معلم باسم فإنه لما سمع المناداة صاح بأجيره صوتًا فسقطت المفاتيح من يده وقال له: «خذ المفاتيح وارجع إلى البيت إلى رابع يوم». وأما ما كان من باسم فلما فارقه الجماعة غفل ونام، فما استفاق إلى طلعة الشمس، فقام وخرج وتمشى وما عنده خبر فخرج وغلق باب طبقته وراح، فما وصل إلى الدكان نظر أجير المعلم قاعدًا والدكان مغلوقًا فقال له: «ما بالكم اليوم ما فتحتم الدكان إن كان تعسر القفل أطبق يدى وألكمه أطير الفراشات؟» فقال المعلم: «لا». فقال باسم: «إن كان تعسرت الطبقة أمد يدى وأفك مساميرها من أصلها».

قال المعلم: «لا». قال باسم: «ما بالكم قاعدين والدكان مغلوق؟» فقال له المعلم بغيظ: «أنت غافل يا باسم أو أنت نائم فانتبه وإن كنت سكران اصح، أما تعرف إيش جرى؟» فقال باسم: «إيش جرى؟» فقال المعلم: «إن أمير المؤمنين هارون الرشيد أمر بأن كل من فتح دكانه أو عمل صنعته يشنق على باب دكانه، وقال: وقد أعذر من أنذر، ومن لا يصدق يجرب».

فلما سمع باسم من معلمه ذلك الكلام دق يدًا على يد وتفكر فى أضيافه وقال فى خاطره: «آه إن كنت أنظرهم حتى أشفى خاطرى منهم، يا جماعة قالوا كلامًا جاء صحيحًا، وستره الحصين أنه من وقت ما بشّرونى ونزلوا عرفت أن اليوم يوم مشؤوم». وبقى باسم الحداد مطرقًا فى الأرض ومفكرًا إيش يعمل حتى يعمر مقامه ويقوم بمعاشه. فقال له المعلم: «يا باسم إيش تفكر وأنت أعزب بنفسك وأنا المسكين صاحب العيلة والأولاد كيف أقعد بطالاً ثلاثة أيام وما أعمل صنعة فمن أين أقوم بمعاش العيلة؟» ثم قال: «يا أخى أنا أعرف أن هذا

الذى جرى علينا بسببك لأنك كل يوم تجىء إلينا وأنت سكران مخمور تصبحنا وتمسينا بالسكر والمعصية، والله هذا يكفيك يا من له عشرون سنة ما بطل ليلة شرب الخمر، فاخرج عنى الساعة ولا ترنى شخصك ورؤيتك»، ثم قال له: «رح اشحد وكل فى هذه الثلاثة الأيام».

ثم صرخ فيه المعلم فخرج باسم الحداد وهو غائب فى بحر الأفكار يفرك أصابعه ويعض على شفته غيظًا على أضيافه ثم زمجر وخرج وهو يقول: «إلهى أوقفنى عليهم فى هذا النار» فلما كان سائرًا فى الطريق وهو حائر فيما يعمل إذ مر على بعض حمامات بغداد فدخل إلى الحمام ليغسل وجهه فرآه بعض صناع الحمام وكان اسمه خالدًا وكان هذا خالد فى مبتدإ أمره صبيًا لهذا باسم الحداد وكان باسم يحسن إليه وجرى هو وإياه بالملعوب والصراع والعلاج، وكان باسم يدور فى الطابق ويلم الجباية ويدخل بها إلى الحمام يفرقها ويصرفها عليه إلى أن كبر وتعلم، فلما كان فى ذلك اليوم رآه خالد فسلم عليه وقبل يده وقال له: «أهلاً وسهلاً فى الحاج باسم معلمى وكبيرى، هل لك من حاجة حتى نفوز بقضائها؟» فقال له باسم: «هذا الثقيل الدم هارون الرشيد نادى على الحدادين دون أصحاب كل الصنائع: أى حداد فتح دكانه يشنق إلا إلى بعد ثلاثة أيام، وأنت تعلم بحالى أنى ما أملك عشاء ليلة واحدة، وأنا لى كل ليلة عادة وأخاف أن تنقطع هذه الليلة عادتى وما أعرف غير صنعة الحدادة». فقال له خالد البلان: «أما تعرف يا حاج باسم أن تمرح وتكيس فى الحمام وتحك رجلى الزبون وتغسل رأسه بالصابون والليفة؟ فاشتغل عندنا هذه الثلاثة الأيام وفى اليوم الرابع رح إلى شغلك وصنعتك».

وما زال يلاطفه حتى عراه وشد فى وسطه فوطة وأعطاه خالد قطعة كيس وثلاثة مواسى وحجرة رجل وليفة، ثم جاء إلى خالد زبون فأعطاه إياه، فدخل باسم الحداد إلى الحمام وخدم الزبون وغسله أحسن ما يكون، فلما خرج أعطاه درهمين. وما جاء وقت العصر حتى حصل له خمسة دراهم وهى أجرته التى كان يعمل بها فى الحدادة. فلما حصلت الخمسة دراهم فى كفه فرح فرحًا عظيمًا وقال: «وستر الله ما بقيت أموت إلا بلان وهذه الصنعة أهون على من النار والمرزيات».

ثم إنه خرج ولبس ثيابه وما كان له شغل إلا أنه راح إلى الطبقة وأخذ البطة والطاسة والجلاس ونزل حالاً وراح إلى السوق فاشترى اللحمة بدرهم ودفعها إلى الشواء ووضع عنده الطاسة. ثم إنه راح إلى الخمار وأخذ بالدرهم الثانى نبيذًا، وراح إلى العطار واشترى بالدرهم الثالث شمعة وبهارًا. وصرف الدرهم الرابع وأخذ سيراجًا للجلاس وزيتًا للسراج وأخذ رغيفين خبزًا. وبعد أن فرغ من مشترى هذه الحوائج جاء إلى الشواء فوجد اللحمة قد نضجت فأخذها فى الطاسة ومشى وهو فرحان وما وصل إلى الطبقة حتى أذن المغرب. وما كان بقى له شغل غير أنه خلع أثوابه وعلقها فى المشجب وغسل الجلس وعمره وأوقد السراج ووضعه على رأس السلم كعادته. ثم أوقد الشمعة وعبى الحظرة ووضع الفاكهة ووضع طاسة اللحم وأكل منها حتى شبع وأخذ البطة بيده الواحدة والقدح بيده الأخرى وملأه وشرب وقال: «هذا على غيظ أضيافى اللهم اجمع بينى وبينهم الليلة يا كريم».

هذا ما كان من أمر باسم، وأما ما كان من أمر الخليفة فإنه أرسل الوالى فنادى على الحدادين وحكم ونهى وأمر وأخذ وأعطى إلى أن ذهب النهار وأتى الليل بالاعتكار فأقبل على

جعفر البرمكى وقال له: «يا جعفر هذه الساعة افتكرت فى ذلك المسكين باسم الحداد يا ترى كيف حاله هذه الليلة؟» فقال جعفر: «حال الشوم يكون حاله فى هذه الليلة جلاسه مطفى وبطته فارغة وطاسته مكبوبة من فمها». فقال هارون الرشيد: «قم يا جعفر أنت ومسرور وأنا وانزلوا بنا إليه حتى نبصر حاله ونضحك عليه». فقال له جعفر: «اقعد بنا فإنه إن وقع فينا هذه الليلة ما يخلينا بخير من شره». فقال الرشيد: «بلا فشار لا بد أن نروح إليه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم إنهم غيروا لباسهم ونزلوا من باب السر وساروا إلى أن وصلوا إلى رأس الدرب والزقاق فنظروا الطاقة وقد خرج منها ضوء عظيم ورأوا خيال الكاس فى يد باسم الحداد على الحائط فتعجبوا غاية العجب، ثم رفعوا رءوسهم إلى الطاقة فسمعوا باسم الحداد ينشد ويقول أبيات شعر وهو فرحان ومسرور:

لا تشرب الخمر صرفًا	فالصرف يورث ضعفا
فاجعل من الماء نصفًا	واجعل من الراح نصفا
فذاك للمزح أشهى	وتلك للنفس أشفى

فقال هارون لجعفر: ويلك يا جعفر هذا صاحبنا قد جدد مقامه وعمل حظوته مثل عادته ونحن بطلنا الحدادين إلى ثلاثة أيام لأجل أن يبطل حظوته وكيفيته فبالله عليك تسبب لنا فى الطلوع إليه حتى نضحك عليه». فقال جعفر: «يا للشؤم أنت مرادك تعمل على قتلنا وهتك سترنا، هذا رجل مصالح مصارع وأمس ثقلنا عليه بالكلام واليوم بطلناه عن شغله ثم نطلع إليه الآن لنشتفى منه؟» فصرخ الرشيد وقال: «بلا فشار ولا بد لنا من الطلوع إليه».

فطرق جعفر باب الطبقة، وكان باسم فى تلك الساعة قد خطر ذكرهم فى باله والخمرة كانت طلعت فى رأسه وطاب عيشه وذكرهم وقال: «اللهم اجمع بينى وبينهم آه على من يأتينى بهم الليلة». وبينما هو على ذلك إذ سمع طرقة الباب فصاح: «من دق الباب؟» فقال جعفر: «نحن أضيافك البارحة المواصلة». فلما أخرج رأسه من الطاقة نظر الثلاثة قيامًا على الباب فقال: «لا أهلاً ولا مرحبًا بالقادمين علينا ولا جئتم بالسلامة والله طول النهار أفتش عنكم وها أنتم جئتم الليلة تتفوهون بكلام يكدرنى وتضيقون على المكان؟» فقال مسرور: «أى والله أنت بخيل البارحة وما سقيتنا شيئًا». ثم قال جعفر: «يا حاج باسم نحن ما جئنا الليلة إلا حتى نسأل عن حالك وما كان من أمرك اليوم لأجل بطالة الحدادين وهذا أمر عجيب فانزل افتح لنا وخبرنا ونحن الليل ما نعارضك بشىء». فقال باسم: «اعترضونى أنتم هذه الليلة وأبصروا ما يجرى عليكم من الضرب».

ثم نزل فتح لهم الباب وكان قد سكّنت الخمرة أخلاقه وطاب مزاجه، فطلعوا وجلسوا قدامه، فقال لهم باسم: «أنتم تعرفون عادتى وخصلتى وتبصرون هذه بطلة النبيذ قدامى وأنى ما أسقيكم منها دمعة لأنها بالكاد تكفينى وما أطعمكم شيئًا من اللحم ولا من النقل ولا من الفاكهة ولا حبّة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فقال له مسرور «الله لا يطعمك ولا يسقيك ما أكثر بخلك». فقال هارون الرشيد وجعفر اثاهما: «يا حاج باسم ما نذوق لك شيئًا ونحن ما جئناك إلا مكتفين لله الحمد وما نجىء إليك إلا لنحظى بمشاهدتك ونسمع منادمتك وكان خاطرنا عندك فى هذا النهار لسبب تبطيل الحدادين وما نادى عليهم الخليفة». فقال لهم باسم الحداد: «هذا كان بسبب قدومكم المشؤوم، وأنا قلت لكم البارحة لا تعارضونى بشىء فاعترضتم على وقلتم إذا أصبح الخليفة فنادى فى تبطيل الحدادين أى شىء تعمل فوالله كانت أبواب السماء مفتوحة، وأى شىء حصل لكم فى هذا الفال الوحش والنطق التعيس؟ فبالله لا تكلمونى فى هذه الليلة بكلام تعسير حتى يبقى الوقت علىَّ طيبًا».

فقالوا: «ما بقينا نقول لك شيئًا ولكن يا حاج باسم من أين جئت بهذا المقام وهذا الحظوة؟» فقال: «لى عشرون سنة وأنا مواظب على هذا الأمر وما بطل ليلة واحدة، فاتفق لى اليوم لما رجعت من سوق الحدادين وأنا مكسور الخاطر ورزقنى الله إنسانًا بلان فقال لى: اعمل اليوم بلان، فغسلت زبونًا والثانى وما أتى العصر إلا وجاءنى الخمسة دراهم وهى التى كنت أعمل بها فى الحدادة فأخذتها واشتريت اللحم والخمر والنقل والشمعة والفاكهة كما هى عادتى على غيظ الخليفة، وأنا باسم ورزقى على الله، وحق كذا وكذا وحق الحدادين والرشيد وستره الحصين ما بقيت أعمل إلا بلان وهذا الكار أربح لى من الحدادة وهل يقدر الخليفة أن يبطل الحمامات؟».

ثم إن هارون الرشيد غمز جعفرًا حتى يتعرض له فقال جعفر: «يا حاج باسم إن كان الرشيد ينادى غدًا أن لا تفتح الحمامات فمن أين تحصل معيشتك؟» فقال باسم الحداد: «ها ها ما قلت لكم سابقًا أنكم قوادون فضولية وتقولون لى إلا ما هو شؤم يا بطن الزير يا كرش النخالة يا شوارب الدب العتيق أنا ما قلت لك لا تتشاءم علىَّ بهذا الشؤم؟» فالتفت جعفر إلى الخليفة فوجده يضحك حتى انقلب على قفاه. فقال له: «أى والله هذا الذى يعجب مولانا». ثم أثنى على باسم الحداد وقال: «يا حاج باسم ريض أخلاقك هل نحن كلامنا منزل. وكلامنا معك بأنه يجرى كذا وكذا ما هو إلا مزاح وإن كان كلامنا عليك ثقيلاً فخاطرك». فقال لهم باسم الحداد: «لا كتب الله لكم السلامة ومن هو الذى يشتهيكم تجيئون إليه والله كنت مستريحًا من رؤيتكم الوحشة وكلامكم الخارج أنا لى عشرون سنة ما تعطلت ولا ليلة وأنتم جئتم أمس إلى فبطلتمونى من صنعتى التى لى فيها عشرون سنة وهذا صار بقدومكم وكعبكم المشؤوم وأنا ما بقيت أعمل حدادًا فها الخليفة أبطل الحدادين فرزقنى الله صنعة الحمام وعيشتى ومقامى قسرًا على أنف الرشيد وكسرت على أنفه بصلة». ثم ملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة وأنشد يقول أبياتًا:

ومهفهف يسعى له الندماء بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
حركته بيد وقلت له انتبه يا فرحة الجلساء والندماء
فأجابني والسكر يعقد صوته يتلجلج كتلجلج الفأفاء
أني لأفهم ما تقول وإنما غلبت على سلافة الصهباء
دعني أفيق من الخمور إلى غد وافعل بعبدك ما تشا مولائي

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

ثم إنه شرب القدح وقال: «والله طيب، هذا على كيد هارون الرشيد الذي أراد تعطيل صنعتي وتبطيل كيفتي وحظوتي» فقال الرشيد في نفسه: «لا يمكن إلا أن أبطل الحمامات وأقفلها حتى أبصر من أين تعبي حظوتك وهذا المقام من أين يكون؟» ثم إن باسمًا الحداد ملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة وأنشد يقول هذا الشعر:

بادر إلى الراح صرفًا واستمع نصحي ولا تبيتن بلا شرب فلم ترح
من خمرة كضياء الشمس بهجتها تنفي الهموم بأنواع من الفرح
ما زلت أشربها والليل معتكر حتى أكب الكرى رأسي على قدحي

فقال الرشيد: «والله طيب أنا ما يعجبني منه إلا فصاحته ومنادمته في الشراب وإنشاده الأشعار فلأجل ذلك أحتمله». ثم استمر باسم ساعة يغني وساعة يشرب وساعة يتقل وساعة يصفق ويقول الأغزال والموشحات ودوبيتات وينشد المواليات ويأكل ويشرب وينشد. وما زال على هذا الحال حتى ذهب الليل وقرب الصباح فسكر باسم حتى ما بقي يعرف القائم من القاعد.

فعند ذلك استأذنه جعفر بالرواح وقال له: «يا حاج باسم بإذن نذهب إلى منازلنا» فقال: «روحوا إلى لعنة الله ولا تعودوا تروني وجوهكم لأنه ما فيها خير». فضحكوا من كلامه ونزلوا وردوا عليه الباب وساروا إلى أن طلعوا من باب السر ودخلوا إلى أماكنهم وأوى هارون الرشيد إلى فراشه. فلما أصبح الصباح توضأ الخليفة وصلى الصبح وجلس على كرسي الحكم فأول حكومة كانت له أنه أرسل وراء الوزير جعفر وأمره أن يرسل إلى والي بغداد أن ينادي في شوارع بغداد: «معاشر الناس كافة عامة أبرز أمرًا مولانا هارون الرشيد أن كل من فتح حمامًا قبل ثلاثة أيام يشنق ويصلب على باب حانوته ومن لا يصدق يجرب والسلام». فقفلوا جميع الحمامات وأول ما قفل حمام هارون الرشيد ثم حمام الست زبيدة ثم حمام جعفر وما بقي في بغداد حمام إلا قفل فهاجت الرعية وقالوا: «أمس نادى على الحدادين واليوم نادى على الحمامات وغدًا على الخانات والقيصريات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وأما الحمام الذي اشتغل به باسم الحداد فإن المعلم أتى وقفل الحمام ووقف على الباب حزينًا والصناع حائرون يعنفون خالد البلان رفيق باسم ويقولون له: «أفلحت أمس وجئتنا بحداد ما يكفي أنه عكس صنعته حتى عكس حمامات بغداد بأسرها». فبينما هم في الكلام أتى باسم وهو من أثر الخمر يتمطى ومعه القصبة والمواسي والمسن والحجارة والليفة وهو يقول في نفسه: «ما بقيت أموت إلا بلان». ثم إنه تمشى وما عنده خبر وما زال يجري حتى وصل إليهم فوجد المعلم وصناع الحمام كلهم واقفين. فقال لهم باسم: «ما بالكم واقفين والحمام مغلوق هل تعسرت الطبلة فاطبق كفي والكمها لكمة فاطيرها إلى ناحية والباب في

ناحية؟». فضحك المعلم من قلب حزين وقال لباسم: «أتريد أن تفتح الحمام؟» فقال: «نعم يا معلم». فقال المعلم: «القمة فيها رائحة مشنوق على باب الحمام». فقال باسم: «على أى شىء تقول هذا الكلام يا معلم؟» فقال له: «ما دريت؟» فقال: «ما الخبر؟» فقال المعلم: «اليوم نادى هارون الرشيد الخليفة مناداة سلطانية أن من فتح حمامًا قبل ثلاثة أيام يشنق المعلم وجميع البلانين على باب الحمام». فلما سمع باسم كلام المعلم قال: «إيش تقول؟» فقال المعلم: «كله من قدومك المشؤوم اتركنا في حالنا ورح إلى حال سبيلك، من ثلاثين سنة ما سمعنا مثل هذه المناداة إلا فى النهار الذى جئت فيه إلينا أمس جلحت الحدادين واليوم جلحتنا نحن، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فبالله عليك اكفنا شرك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فأعطى باسم الحوائج لخالد البلان ورجع إلى الوراء وصار يرج غضبًا وقال: «آه على من يقع فى أولئك الضيوف المواصلة حتى أشفى قلبى منهم والله ما يعكسنى غيرهم وكل ما قالوا يجىء نقشًا على الحجر فإن وقعت عينى عليهم لأرينهم النجوم فى النهار». ثم أنه رجع إلى طبقته حزينًا رزينًا ما معه شىء يتغذى به فدخل إلى الطبقة وجلس متفكرًا وقال: «قد قلت حيلتى ولا أعرف كيف أعمل، صنعتنا بطلت ورحنا إلى الحمام فقفلوه وأى صنعة أروح إليها يشتمونى وأخاف أن الليلة يتعطل مقامى وما عندى شىء أقتات به». وصار ساعة يتحسر وساعة يندم وساعة يتفكر فى ضيوفه ويعض كفه غيظًا منهم. ثم قام وراح يفتش عنهم فى الخانات، وما زال على هذه الحالة إلى بعد الظهر دائرًا عليهم فما وجدهم. فقال: «أنا أبيت الليلة وما أعمر مقامى والله لا كان ذلك أبدًا». ثم إنه رجع إلى الطبقة لبس شاشه وكعب زوبوله وأخذ الكر الذى له الحواشى وقال: «أنزل إلى السوق وأبيعه وأعمل به المقام ولا أبطل حظوتى ولا تنقطع عادتى». ثم أنه نزل حالاً إلى المدرسة وقال فى نفسه: «ويلك اطلع توضأ وصلى عسى يزول عنك هذا الخمل ويمشى حالك فى صنعتك».

فطلع باسم إلى المدرسة وتوضأ وصلى، ولما فرغ من صلاته خرج ووقف على باب المدرسة وأخذ الكر فى يده ونفش حواشيه وبه ماء ثم أنه تطيلس به واستند إلى الباب يتفكر فى أى سوق يباع هذا الكر. فبينما هو يتفكر وإذا بامرأة طلعت إلى باب المدرسة فوجدت باسم طويلاً عريضًا وعلى رأسه شاش وهو متطيلس بالكر فنظرت إليه المرأة فاعتقدت أنه رسول شرع ووكيل قاض فقالت له: «يا سيدى أنت رسول شرع أو وكيل قاض؟» فقال لها وقد بحلق عينيه بها: «إن شئت أنا رسول متصرف وإن شئت أنا وكيل بإذن ومرسوم قاضى القضاة، وإن شئت أنا أحكم وأعقد وأسمع الدعوات بين الزوجين وأقدر أطلق وأرسم ومهما اشتهيت أنا أكون، فقولى لى عن حاجتك».

فقالت له المرأة: «يا حاج هذا كلام كثير ولكن أنا لى عند غريمى حق». فقال: «قولى لى عليه حتى أرفعه إلى هذا الحاكم الذى عنده ناموس وأحكام وما فى الدنيا مثله وأنا وكيلك أخلص حقك بثلثين الباطل وإن كان معك باطل أنا أعمله حقًا، الا يا حاجة أنت تعلمين أن المحاكم عندنا بالبخور ومن لا يبخر يغلب ويقهر ولا تعرفى غريمك إلا منى». فقالت له: «يا

حاج أنا أريد أن أشتكى على زوجى لأن لى عليه كسوة خمس سنين ومستحق لى فى كتابى خمسة دنانير من النفقة وما هو رجل جيد فى حق». فقال لها باسم: «وما هى صنعة زوجك؟». فقالت: «إسكاف». فقال: «مطاط الجلود امشى أرينى إياه والله لأطيرن عقله». فقالت له: «يا حاج ما نكتب دعوتنا عند القاضى ونأخذ عليها علامة القاضى؟» فقال لها: «يا مسكينة أن القاضى رسم لى أن أكتب عنه مهما شئت من الخطوط». ثم مسك بيدها ونزل بها من المدرسة وخرج خارجًا قال لها: «اكرمينى وابصرى إيش أعمل معك من الخيرات وكيف أنى ما أدع ساعة تمضى عليه إلا وهو فى صدر الحبس واقف».

فاخذت المرأة من راسها درهمين، فاخذهما ولقمهما فى شدقه وقال فى باله: «أنا باسم ورزقى على الله». ثم سار معها حتى أتى القيسيرة فكعب زربوله وأصلح عمامته وشمر عن يديه ودخل القيسيرة فأشارت المرأة إليه وغمزته على زوجها. فجاء إليه باسم فوجده أصفر اللون ضعيفًا رقيقًا ويصلى صلاة الجمعة فلم يكلمه بل حمله هو والذى تحته والقرمة التى قدامه وعلقهم بين يديه. فصاح الرجل وقد ارتعب: «يا حاج ما الخبر؟» فقال له باسم «عليك السمع والطاعة للشرع الشريف». فقال له: «يا سيدى تمهل على وانزلنى على الأرض حتى ألبس قبائى والبس شيئًافى رجلى وأمشى معك على الرأس والعين ولا أروح هكذا مهتوكًا بين الناس فيحسبونى أنى قتلت قتيلاً».

فانزله باسم هو والقرمة وحطهما على الأرض وكان التأم عليهم كل من فى القيسرة فقال الإسكاف لباسم: «يا سيدى وأين غريمى؟» فقال له باسم: «غريمك زوجتك وأنا وكيلها أدعى عليك». وأراد أن يقول: «لها عندك خمسة دنانير فقال خمسون دينارًا وارادأن يقول: لها كسوة خمس سنين فقال خمسين سنة. فصاح الإسكاف.

وقال: «يا جماعة الخير أنى تزوجتها من خمس سنين فمن أين لها معى كسوة خمسين سنة وأنا عمرى كله ما يجىء أربعين عامًا». فقال باسم: «أنا ما أعرف لهذا، أنت وغريمك قدام الحاكم». ثم قبض على صدره وخرج هو وإياه من القيسرة وتمشت المرأة قدامهم وسار باسم والإسكاف معه إلى نصف الطريق وقربوا من المدرسة، فقال الإسكاف لباسم: «يا أخى اسمع منى كلمتين». فقال باسم: «قل عشرة».

فقال: هذه زوجتى كل ما قالته غبن منى لأنى سكرت البارحة عند أصحابى وثقل رأسى فنمت عندهم وما قدرت أن أجى إليها وهذا سبب غيظها على وإذا نمت الليلة فى البيت تصطلح معى وتصبح راضية وأنا أريد منك هذه الفتوى». فقال باسم: «وما تريد من فتواى؟». فقال: «تطلق سبيلى وتأخذ منى عرفًا أخضر وتروح فى حال سبيلك وأنا اليوم أصير إلى العشاء وأجىء إلى زوجتى وأصطلح معها لأنها غضبانة علي من وقوع قضية البارحة كما أخبرتك وأخاف إذا دخلنا على القاضى يحبسنى، فبالله عليك يا قيم الوكلاء ارفق بحالى وأطلقنى».

فقال له: «هات أرضنى». فأخرج الإسكاف ثلاثة دراهم وقبل يده، فأخذها باسم ولقمها فى شدقه وقال فى نفسه: «والله طيب حصلت الخمسة دراهم وأنا باسم ورزقى على الله». ثم أنه تمشى بالإسكاف مقدار ساعة وزوجته قدامهما إلى أن عبروا فى زحمة سوق

فأطلق الإسكاف إلى حال سبيله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: ثم إن باسمًا بعد أن راح الرجل حل وسطه وكسر كعب زربوله وأرخى تشمير أكمامه ورفع الكر من على كتفه ثم جاء وقعد على مصطبة قريبًا من المدرسة، وأما المرأة فتمشت وهى فرحانة بهذا الرسول وخلاص حقها.

ثم أنها التفتت فما وجدت لا رسولاً ولا زوجها فولولت والتفتت يمينًا وشمالاً فرأت باسم قاعدًا على المصطبة كأنه ما عنده خبر فصاحت به وأتت إليه وقالت له: «يا هذا أين غريمى؟». فقال لها باسم: «وأى غريم؟» فقالت المرأة: «غريمى زوجى». فقال لها: «أنا ما أعرف لا غريمًا ولا زوجًا اذهبى وخلينى فى حالى».

فصرخت المرأة وولولت وقالت له: «أما أنت رسول شرع؟» فصرخ عليها باسم وقال لها: «تكذبين يا عجوز النحس أنا طول عمرى حداد؟» فصاحت المرأة وتعلقت بباسم وقالت: «يا مسلمون غريمى».

فالتأمت عليهما الناس وقالوا: «ما الخبر؟» فقالت: «يا جماعة هذا رسول الشرع أخذ منى درهمين على أنه يجىء لى بغريمى إلى الشرع فجاء به إلى ههنا وأخذ منه برطيلاً وأطلقه وأنا مستعينة بالله وبكم».

ثم إنها بكت وصاحت، فنظر الناس إلى باسم فعرفوه. فقالوا لها: «ويلك هذا باسم الحداد هذا طول عمره حداد ما هو يا امرأة رسول شرع».

ثم قال لهم باسم: «يا جماعة الخير ما رأيت مثل هذه العجوز النحس تعلقت فى مثل القراضة وقالت لى أنت رسول شرع بالدبوس».

فأقبلت الناس على المرأة يلومونها ويعنفونها ومنهم من شتمها وسبها وقالوا: «أنت تائهة بهذا الرجل المسكين».

وصاحوا عليها وأبعدوها عن باسم وهم يتضاحكون عليها ومنهم من قال إنها مختلة ومنهم من قال: «مجنونة». والآخر قال: «بهلولة». فرجعت المرأة حائرة طالبة بيتها.

هذا ما جرى للمرأة، وأما باسم فلما حصلت له الخمسة دراهم قال فى نفسه: «رسل الشرع هكذا لهم، وأنا ما بقيت أعمل صنعة أبدًا وما بقيت أموت إلا رسول شرع، أتكلم كلمتين آخذ درهمين، أحمل الغريم آخذ خمسة، أشهد الشهادة زور آخذ عشرين، أبطل حق الغريم آخذ خمسين».

ثم إنه أخرج الخمسة الدراهم من شدقه وما كان له شغل غير أنه توجه إلى طبقته وفتحها وأخذ البطة والطاسة والجلاس على العادة وراح اشترى بدرهم لحمًا ودفعه إلى الشواء، ثم اشترى النبيذ والشمعة والنقل والفاكهة وعبى الحظوة على التمام كالعادة، ثم أنه أخذ سيرجًا للجلاس ودخل إلى الشواء أخذ اللحمة.

وما فرغ من هذا العمل إلا وقت المغرب فطلع إلى طبقته وهو أفرح الخلق بمدامه

وحظوته وشكر الله على عدم انقطاع عادته.

ثم أوقد الجلاس والسراج والشمعة ورتب كل شيء فى مكانه ووضع البطة قدامه والقدح عن يساره وقدم طاسة اللحم إلى ما بين يديه وأكل منها كفايته. ثم رفع يده وأخذ القدح وملأه وجلاه على ضوء الشمعة.

وأنشد يقول:

إن كان فى الأرض ريحان وفاكهة	فالأرض مستوقد والجو تنور
وإن يكن فى الخريف النخل باسقة	فالأرض ريانة والجو مقرور
وإن يكن فى الشتاء الغيم متصلة	فالأرض محصورة والجو مأسور
ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا	جاء الربيع أتاك النسعل والنور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة	والنبت فيروزة والماء بلور
تبارك الله ما أحلى الربيع فلا	تمد صيفًا فإن الصيف مهدور
من شم طيب شذا ذاك الربيع يقل	ما المسك مسك ولا الكافور كافور

فهذا ما كان من باسم الحداد. وأما ما كان من الخليفة هارون الرشيد وجعفر فإنه لما أطلق المنادين فى بغداد وقفلوا جميع الحمامات أقاموا فى حكمهم وأمرهم ونهيهم إلى الليل فأتى الرشيد إلى جعفر وقال له: «يا هل ترى صاحبنا باسم الحداد كيف حاله الليلة يكون جلاسه مطفى ونقله خرابًا وحالته حالة الكلب ونشتهى أن ننزل فنراه». فقال جعفر: «يا مولانا اجلس وقر قرار العافية فإن لنا مرتين نقصده وما سلمنا منه إلا الله تعالى وحده، وأنت تعرف أنه مصارع ومعالج لو قام علينا بالعدل لعذبنا وقتلنا ثلاثتنا. وبين ما يجىء الترياق من العراق يكون الملسوع فارق». قال هارون الرشيد: لا بد لى من الاجتماع به فى هذه الليلة». فقال جعفر: «يا أمير المؤمنين ما كل مرة تسلم الجرة». فصرخ به هارون الرشيد وقال: «بلا فشار قم بنا». فقاموا وغيروا لبسهم على عادتهم ونزلوا من باب السر وجعفر حامل هم باسم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى رأس الزقاق فنظر الرشيد إلى الطبقة فوجدها تسطع بالأنوار والطاقة مشرعة وباسم الحداد قاعد والقدح بيده وهو يملأ ويشرب وهو يقول:

ألا فاسقنى حتى ترى الخمر غالبى	فلا خير فى شرب المدام بلا سكر
يقولون شرب الخمر للعقل مذهب	ولولا ذهاب العقل تبت عن الخمر

فتعجب الخليفة من أمره وقال: «يا جعفر وسر الله العظيم مقامه معبى وحظوته كاملة وهو قاعد يشرب على جارى عادته وما نقص عليه شيء». ثم دق جعفر عليه الباب. فقال باسم: «من؟» فقالوا له: «أضيافك المواصلة». فقال باسم: «لا خير ولا ميسرة». ثم قام على حيله ونظر إليهم وقال لهم: «والله العظيم إن لم تروحوا عنى هذه الليلة وإلا جعلتها ليلة أشأم الليلات عليكم». فقال جعفر: «يا أخى باسم مرادنا الليلة نطلع نكلمك كلمتين لا غير وننزل».

فجاء باسم إلى الطاقة وأشرف عليهم وقال: «ها ها ما الذى تريدون منى أنا ما بقيت أدخل إلى بيتى أحدًا أنتم كعبكم مشؤوم على جميع الحدادين وعلى جميع أصحاب الحمامات وما رأيت على وجوهكم خيرًا أبدًا».

فقال له جعفر: «خير إن شاء الله وما هو الذى جرى اليوم أما نحن الحمد لله اليوم كان علينا أبرك النهارات لأننا اليوم من أول الصبح إلى الآن لم نزل نبيع أرزاقًا إلى هذه الساعة». فقال باسم: «لقد جرى اليوم شىء وأنتم غافلون عنه». فقالوا له: «بحق الله قل لنا». فقال: «وحق الله تعالوا حتى أحكى لكم الذى جرى على لكن على شرط أن لا تكونوا خوارج وتتكلموا بكلام شؤم وقد تحقق عندى أن كل شىء تقولونه يصح ويطلع نقشًا فى الحجر فاطلعوا ولا تكثروا على الكلام». فطلعوا إلى الطبقة وصاروا عنده جلوسًا على عادتهم فنظروا إلى مقامه مهيئًا كالعادة، فتعجبوا من ذلك وقالوا: «سبحان الله العظيم الذى سخر لهذا الشيطان هذا المقام كل ليلة».

ولما استقر بهم الجلوس قال باسم: «بالله عليكم يا أضيافى ما عرفتم أى شىء صار على اليوم وماذا عمل هذا البارد هارون الرشيد؟» فقالوا: «ماذا عمل؟» وضحكوا. فقال باسم: «قام بسقاعة ذقنه وقلة عقله نادى مناداة سلطانية فى بغداد أن تقفل الحمامات جميعًا ولا تفتح إلا بعد ثلاثة أيام وأنا كنت قلت لكم البارحة إنى استخدمت فى الحمام، فلما قفل الحمام استشأموا كعبى وعنفونى وجرى على نهار لم يجر على أحد من قبلى ولا من بعدى وما بقيت أعرف إيش أعمل حتى أدبر به مقامى». فقال له الرشيد: «يا ليتك كنت رحت إلى حمام الخليفة». فقال له: «هو أول ما قفل». قال: «كنت رحت إلى حمام الست زبيدة». قال: «والآخر أيضًا قفل وكان يومًا منحوسًا حتى تشوشت العالم كلها وتعطلت الحمامات». ثم قال: «يا أضيافى ومع كل ما جرى على ما قطع الله بى لكن رزقنى خمسة دراهم كاملة وعلى عادتى جهزت بها مقامى رغمًا على أنف من يبغضنى ومن يحسدنى وعلى كيد الرشيد وكل من فى قصره».

فقال الرشيد فى نفسه جيد إن شاء الله لأنتقمن منك ومن سفاهتك، فعند ذلك ملأ باسم القدح وأشار إليهم بعد ما جلاه على ضوء الشمعة وقال: «يا أضيافى لا تشموا المشموم ولا تأكلوا شيئًا ولا تؤذونى بشىء لأن مقامى هذا لا يكاد يكفينى». فقال له مسرور: «الله لا يشبعك ولا يطعمك ولا يسقيك يا بخيل يا ملعون والله ما رأينا فى عمرنا بخيلاً مثلك». فلما سمع باسم كلامه قال له: «لأى شىء يا نقيب الزربول يا صباغ الرحمة أين الذين جئتم به أنتم معكم لا كثر الله خيركم، فالذى كنتم جئتم به كنت أضعه قدامكم. غير أنه ما فيكم خير كأنكم بحر مالح ما فيكم شربة وما تغلطون مطلقًا فتأتوننى بشىء من عشاكم حتى تأكلوا ههنا بل أنتم تقولون إنكم تجار وأنتم أبخل خلق الله، ما رأيت معكم شيئًا يحك أحد به ضرسه بل أنتم من الذين قال فيهم الشاعر:

قـــوم من البـــغل والكلابه	قـد هجـروا الأهل والقرابه
وعلقـوا خـبـزهم بحـبل	بالقـرب من مطلع السحـابه
وهـدمـوا مسـجـدًا قـديمًا	وغـربلوا الرمل والتـرابه
فـصـدت منهم فـتى لبـيـبًا	يـفـهـم اللفـظ والخطـابه
فـقـالت يا قـوم مـا دهاكم	فـقـيل لى فـارة خطفت لبـابه

فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال: «يا جعفر لقد صدق الرجل فيما قال: لكم ثلاثة أيام تأتون إليه ويدكم فارغة. يا جعفر طيب خاطره وأوعده إلى ليله غد فما نأتيه إلا ومعنا شىء يؤكل». فقال له: «يا حاج باسم لا يكون خاطرك إلا طيبًا فليلة غد ما نجىء إليك إلا ومعنا شىء نمالحك فيه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

لم يصدّق باسم ما وعده به جعفر من أنهم سيأتونه فى الليلة القادمة ومعهم شىء يؤكل. فقال لهم: «والله ما أصدقكم أنتم صدق فيكم الشاعر حيث يقول:

شرابك مختوم وخبزك لا يُرى	و لحمك بين الفرقـدين معلّقُ
نديمك عطشانٌ وضيفك جائعٌ	وكلبك هـرارٌ وبابـك مُغلَـقُ

فازداد الخليفة فى الضحك حتى استلقى على قفاه. وأما باسم فملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة وأداره ثلاث مرات وأنشد يقول:

رق الزجاج وراقت الخمرُ	وتشابها فتشاكل الأمـرُ
فكانما خمرٌ ولا قـدحٌ	وكانمـا قـدحٌ ولا خمـرُ

ثم إنه شرب القدح وتنقل قليلاً من النقل ثم جعل ساعةً يشرب وساعةً يغنى حتى سكر وهدأ الليل وما بقى يعرف ما يتكلم. فلما عاين الرشيد منه ذلك قال لجعفر: «يا جعفر الحاج باسم اختلط غزله فافتح معه باب الحديث حتى نعرف من أين عبى حظوته؟» فقال جعفر: «يا باسم». فقال له: «ماذا تريد يا شوارب الدب العتيق؟» قال: «يا حاج باسم أشتهى أن أسألك عن شىء والله ما هو حسَد ولا تشاؤم ولكن أشتهى أن نعلم بحالك ونفرح لفرحك ونحـزن لحـزنك». فقال باسم: «وأى شىء تريد تسـأل؟» فقـال: «عن اليوم وما جرى لك لما غُلقت الحمامات؟» فقال: «بشرط أن لا تتكلموا علىَّ بشىء». فقال: «نحن غدًا مسافرون».

فقال: «اعلموا يا أضيافى أنهم لما غلقوا الحمامات جئت إلى طبقتى حزينًا رزينًا ما معى فلس أتغدى به». وحكى لهم عمـا جرى من الأول إلى الآخر وليس فى الإعادة إفادة. فجئت وعمَّرت حظوتى، أفيقدر الرشيد أن يسكِّر المحاكم حتى يرجمه الناس؟ وهذه حكايتى وما بقيت أموت إلا رسول شرع إن شاء الله تعالى، وملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة ثلاث مرات وأنشد يقول:

يا محنة الدهر كفى	إن لم تكفى فعفّى
طلعت أطلب رزقى	فقيل لى قد توفى
كم جاهل فى نعيم	وعـالـم متخفى
طلعت أسمى فتمَّتْ	دُريهماتى بكفـى

وجلا القدح ثلاث مرات على ضوء الشمعة وشربه وتدشى وقال: «فى لحية الخليفة».

فقال الرشيد: «جيد يا فؤاد». وقال فى نفسه: «والله لأعمل غدًا معك عملاً يتحدث فيه الناس جيلاً بعد جيل». وكان قد أدركهم الوقت فقاموا على حيلهم وقالوا له: «خاطرك». فقال: «إلى لعنة الله». فتضاحكوا من كلامه ونزلوا وعبر الخليفة من باب السر وباتوا بقية ليلتهم.

ولما أصبح الصباح جلس الرشيد على تخت الملك وبين يديه الأمراء والوزراء والحجاب والنواب واكتمل الديوان وطلع جعفر البرمكى من باب السر فقبَّل ودعا. فصاح به الخليفة: «يا جعفر». فقال له: «لبيك وسعديك يا مولانا». فقال: «ارسل وراء القاضى الذى فى المدرسة وقل له: حسبما رسم الخليفة هارون الرشيد بأن تسأل الرسل وتستخبرهم وتستسميهم واعرف أسامى آبائهم وأجدادهم فمن كان رسول شرع قديمًا ابقه وزد فى جامكيته وكل من كان طارئًا على الشرع فأمر بضربه وجرسه فى بغداد حتى لا يبقى أحد يتجرأ على الشرع». فأرسل جعفر عرف القاضى بذلك.

هذا ما كان منهم. وأما ما كان من باسم الحداد فلما راح الجماعة من عنده نام بقية ليلته وما أفاق إلا طلوع الشمس. فقال: «اليوم تعوقنا عن الشرع». فقام على حيله وشد وسطه ونفش الشاش ولفه وسرَّح ذقنه وهو يقول: «اللهم سألتك باسمك أن لا تميت باسمًا إلا رسول شرع». وخرج من باب الطبقة وأغلق الباب ونزل بسرعة وراح اختلط بين الرسل وأما القاضى فلما أتاه مرسوم الخليفة قام على حيله وقبله ووضعه على رأسه إجلالاً لهيبته وصاح على الرسل كلهم وقال: «هاتوا الفلق والعصى والطرّ والطناطير». فقال باسم: «يا للعلىّ إيش يريدون أن يعملوا؟» فصرخ القاضى على واحد منهم فتقدم إليه. فقال له: «قدّم إلىَّ هؤلاء الرسل وأعرضهم واحدًا بعد واحد» فقال: «سمعًا وطاعة».

ثم إنه قدم إليه رسولاً. فقال له القاضى: «تعال ما اسمك واسم أبيك وجدك وكم جامكيتك ومن أين وصلت إليك الرسالة؟» فتقدم ذلك الرسول وقال: «أنا اسمى ماجد وأبى اسمه سالم وجدى اسمه نافع وجامكيتى ثلاثة غروش وفى كل سنة جوخة واصلة إلينا من أجدادنا المتقدمين بشهادة فلان وفلان» فأعطاه حلوانًا وعزله إلى ناحية وقدم غيره. فقال باسم فى نفسه: «ما خطر لهم أن يستعرضوا الرسل إلا فى هذا اليوم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كيف يصير حالى؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وما زال يعرضهم عليه واحدًا بعد واحد حتى عرضوا عليه واحدًا فسأله القاضى عن اسمه واسم أبيه وجده وقال له: «كم لك فى الرسلية؟» فقال: «سنتين». فقال لهم القاضى: «أخروه». فرموه إلى الأرض ووضعوا الفلق فى رجليه وأمرهم أن يضربوه مائتى عصا، ثم إنه أقامه وأمر بتجريسه على حمار، فلم يزل القاضى يقرّر الرسل القراريَّة ويضرب الرسل الجوالة ويجرسهم حتى ما بقى غير باسم الحداد. فلما رأى باسم الحداد ذلك قال كلمة لا يخجل قائلها: «يا جميل الستر ما هذا الحال أنا ما عملت رسولاً إلا البارحة فيا ترى ماذا يجرى على؟» فما استتم كلامه حتى سحبوه وقدموه بين يدى القاضى وهو منكس

الرأس وقد أيقن بالقتل والتجريس. فصاح به القاضي، فلكع باسم، فصاح عليه ثاني مرة، فتقدم بين يديه. فقال له القاضي: «ما اسمك؟» فقال: «اسمي باسم». فقال له القاضي: «وأبوك؟» فقال: «ما لي أب». فقال له القاضي: «ما جرى ذا أبدًا لم يكن ولد من غير والد». فقال له باسم: «يا سيدي البعيد ما له لا أب ولا أم». فضحك القاضي من كلام باسم حتى استلقى على قفاه. ثم إن القاضي كرّر عليه الكلام وقال له: «رد جوابًا كافيًا ما هو وقت مسخريات». فأطرق رأسه. فقال له القاضي: «ما كانت صنعة أبيك؟» فقال له باسم: «والله ما أعرف يا مولانا مات أبي وأنا صغير». فقال له القاضي: «وجدك ما اسمه» فقال له باسم: «يا مولانا الذي ما يعرف له أبًا كيف يعرف له جدًا؟» فقال له القاضي: «والله إنك صورة مَكرية فما هي صنعتك؟» فقال باسم: «يا مولانا صنعتي حداد». فقال له القاضي: «كم لك عندنا هنا في هذه الرّسلية؟» فقال له باسم الحداد: «من البارحة العصر». فقال له القاضي: «ما تقول يا كلب والله من زمان أدوّر عليك».

ثم إن القاضي التفت إلى السادة الشهود وقال لهم: «اسمعوا كلام هذا القوّاد». ثم إنهم سألوه واستنطقوه وسجّلوه وقالوا: «والله يا مولانا لقد دخل الدخيل في كل الأمور حتى في الرسل وكثر أذاهم وصار كل من كره حرفته يجيء فيكون رسولاً حتى الفلاحون تركوا فلاحتهم وصاروا رسلاً والقزازون تركوا أنوالهم وصاروا رسلاً وكثرت المناحيس في الرسلية والله إن مولانا أمير المؤمنين أصاب فيما أمرنا به أعزّه الله تعالى آمين وأطال بقاؤه، والله يا مولانا القاضي ما بقينا نخلي أحدًا من هؤلاء الرسل إلا من كان رسولاً ابن رسول مقررًا في الرسلية ويكون من العارفين بالأحكام والأمور الشرعية ونطرد الجوالة والجهال والمناحيس كلهم».

فقال القاضي لباسم: «أنت في الرسلية من يومين لذلك تصفع بدرّتين ويجرس مرتين».

ثم إن القاضي التفت إلى المحضر وقال لهم: «بالجريدة اضربوه وبالدرّة أدّبوه فهذا أقل جزاء قبحه الله ما أقبح صورته». فتكاثروا عليه ورموه على الأرض ووضعوا رجليه في الفلك ونزلوا على رجليه بالعصي فوق المائتين ضربة. ثم إنهم أقاموه وقد غشي عليه من كثرة الضرب وصار في أسوأ حال وطار السكر من رأسه وكتبوا عليه حجة أنه لا يتعاطى الرسلية ولا يقف على باب المدرسة. وأرادوا أن يجرسوه فوقع فيه شفاعة. ثم إن القاضي قال له: «يا نجس إياك أن تتعاطى هذه المهنة أو تجيء إلى المدرسة أو تقف على بابها». فلم يتكلم. فضربه النقباء والرسل القرارية وقالوا: «كلّم مولانا القاضي قاضي المسلمين». فرفع رأسه وقال: «والله ما بقيت أعمل رسولاً طول عمري». ثم إن باسم الحداد أنشد وجعل يقول:

حمّل عزالك فوق كتفك وارتحل   أو طاب هذا الكحل عندك فاكتحل

ثم جاء إلى طبقته حزينًا رزينًا ثم قام على حيله وشد وسطه وكان عنده عود نخل عتيق فنجره على هيئة السيف وشد زربوله وقال: «ما بقي لي في هذه المدينة لا صاحب ولا صديق فدعني أسافر إلى غير هذه البلاد وأكتسب معيشتي وأطلب القوت من غير هذه البلاد». وأنشد يقول هذه الأبيات:

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسه   شكا الفقر أو لام الصديق وأكفرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنا   تعش ذا يسار أو تموت فتُعذرا

ولا ترضَ من العيش بدون ولا تنمْ   فكيف ينام الليل من بات مُعسرًا

ثم إن باسم طلع من الدرب وسار فى المدينة ومشى فى أسواقها وهو على تلك الحالة وكل من ينظره ما يظنه إلا بلدارًا من بلدارية الخليفة. وأما هو فكان يمشى ويفرج بين يديه ورجليه يمينًا وشمالاً وذلك النبوت اللوزى فى كفه وهو يقول: «حاشا لى أن يقطع الله رزقى». فبينما باسم يشق المدينة إذ وصل إلى سوق فرأى هناك خلقًا كثيرًا وعالمًا مجتمعين حلقة فكشف خبرهم فرأى رجلين متقابضين والدم منهما سائل ولم يتجاسر أحد من الموجودين أن يفصل بينهما. فلما رأى باسم ذينك الرجلين وهما على تلك الحالة ورأى الخلق إليهما ناظرين وليس من أحد يقدر أن يدنو منهما.

تمشى بذلك اللبس والهيئة وشمر عن ذراعيه ووضع يده على قبضة السيف وضرب بنبوته الناس الواقفين فتفرقت الناس من بين يديه وتهاربوا وظنوا أنه من جانب الخليفة ورأوه رجلاً طويلاً عريضًا مهيبًا. فلما انكشف عنهما الناس دخل وأشار إليهما بالنبوت اللوزى فافترقا. فصاح شيخ السوق عليه وقال: «يا رئيس النوبة بحياة رأسك خذ منى هذه الخمسة دراهم وارفع هؤلاء إلى حضرة الخليفة حتى ينتقم منهما». فأخذ منه الخمسة دراهم ولفها فى شدقه وقال: «أنا باسم ورزقى على الله».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: وساق الاثنين فى السوق أمامه فاجتمعت عليهم الناس وخلصوهما من بين يديه وصالحوا بينهما. ولما راح باسم عنهما قال: «والله طيب هذه هى الخمسة دراهم رزقنيها الله، وما بقيت أموت إلا بلداريًا والله العظيم لأطلعنَّ إلى ديوان الرشيد وأختلط مع البلدارية». وكان للرشيد ثلاثون بلداريًا وفى كل ثلاثة أيام يأتى إلى الخدمة منهم عشرة وإذا تمت الثلاثة أيام يأتى العشرة الآخرون ويقضون خدمتهم. فسار باسم ودخل ديوان الملك واختلط مع البلدارية. فنظر العشرة على صف واحد بالخدمة كأنهم زهر بستان، وعليهم أقبية من سائر الألوان. فقال فى نفسه: «هؤلاء البلدارية ما هم مثلى ولا لباسهم كلباسى ولا لباسى يناسبهم». وصار يميزهم وينظر إليهم ويميز وجوههم ويكرّر النظر فيهم وهو على ذلك الحال ورأس النوبة باله معه.

فقال لرفقائه: «هذا الرجل اليوم ضيفنا وأظنه من بلدارية الأمراء فيكون ما وجد فى بيت أستاذه شغلاً فأتانا لعله يقع له شغل ينتفع به وإذ لم نرسله فى شغل خرج وذمنا فى بيت أستاذه وبين الناس ويصيح يقول: طلعت إلى قصر الخليفة ووقفت أمام رأس نوبة البلدارية فما قدر أن ينفعنى بشىء ونبقى الساعة فى فمه». فقال له الجماعة: «يا رئيس نوبة البلدارية إذا أردت أن تفعل خيرًا فلا تشاور عليه».

فتقدم رأس النوبة إلى بين يدى الناظر الخاص. فكتب له وصلاً على رجل حلوانى معلم كبير له قاعة وصناع ودكان وهو معامل الدوارة والخدم والجوار الذين للخليفة وأخذ منه ورقة بأن يحضر معه خمسة آلاف درهم عليه من جهة الدوارة ومن جهة الخاصة ثلاثة آلاف وأن يحضر بها إلى الخزانة ولا يتأخر. ثم أخذ رأس النوبة الورقة وراح إلى الوزير جعفر وأخذ علامته عليها. ثم رجع وصاح على باسم وقال: «يا أخانا يا بلدارى». فقال باسم: «علىَّ أنا

تصبح؟» فقال: «نعم» فهرول إليه باسم مسرعًا وقال: «نعم يا مخدوم». فقال له رئيس النوبة: «أشتهى من إحسانك أن تأخذ هذه المشرّفة الوصول الذى عليها خط الناظر والوزير الأعظم وتطلب المعلم عثمان الحلوانى معامل اليد الكريمة وتأمره أن يأتى بخمسة آلاف درهم يوردها إلى الخزانة واعمل معه صنعتك، فإذا أحسن إليك حسنة ترضيك فاتركه فى حال سبيله ومهما أعطاك خذ منه ورح إلى البيت ولا تؤاخذنا فما عملنا هذا استقلالا بقدرك وإنما فعلنا هذا لأجل طلوعك اليوم وقدومك الشريف إلينا وهذه ضيافتك ولا تؤاخذنا فى التقصير». ثم ناوله الوصل.

فأخذه باسم الحداد وشكر إحسانه وفرح وخرج من باب القصر وما رضى أن يمشى بل ركب حمارًا وساقه وشق المدينة وهو يسأل عن دكان المعلم عثمان الحلوانى فدلوه عليه، فعرف الدكان وجاء وهو راكب على الحمار ووقف على دكان المعلم عثمان معامل مولانا أمير المؤمنين فوجده جالسًا على دكة مرتفعة والصناع حواليه يعملون الحلاوة فقال له باسم الحداد ولم يسلم عليه: «لما قصرت يا معلم عثمان خليت الناظر والصاحب فى انتظارك حتى تورد الدراهم التى هى عندك فما جئت ولا أوردت له فلسًا جديدًا، فقم الساعة وامض وخذ معك الدراهم التى هى عندك حتى توردها إلى الخزانة وهذه ورقة مشرّفة معى بطلبك، والذى عليك من المال من جهة الخاص والدراهم خمسة آلاف، وأى شىء تستنظر فى روحك يا أخى، هم يعملون عندك حاصلاً وأنت صرت مستودعًا أو مشارك مولانا الخليفة، فقم الساعة اطلع معى وخذ معك الدراهم». فلما سمع الحلوانى كلام باسم ورآه بتلك الهيئة خاف منه وقام ووقف على حيله وأخذ ورقة الخليفة وباسها ووضعها على رأسه وقال لباسم بكلام لطيف وعبارة حسنة: «يا سيدى يا رئيس النوبة لا جعلك الله تعالى إلا محسنًا وما أنا إلا مملوكًا وعبدك وأشتهى من إحسانك أن تطول بالك على وتمسك على لسانك فما أنا قدر هذا الكلام وما يصير بينى وبينك إلا خير ونعمل معك كل ما تريد لكن انزل الساعة عندى». ثم إنه صاح بالصبيان والصناع فأتوا وأنزلوا باسمًا من على الحمار وانصرف المكارى صاحب الحمار بعدما أعطوه نصف درهم.

وقام المعلم من موضعه وأجلس باسمًا على الدكة فبدأ باسم ينفخ ويعبس. وأما الحلوانى فغمز بعض صبيانه فراح إلى السوق وعمل رطلين لحمًا مشويًا ولفه فى الخبز وأخذ نارنجة وباقة نعناع وقطعة قنبرسية وشقفة عسل بشهده وجاء بها إلى المعلم فأخذها المعلم وفرش منديلاً قدام باسم وقال له: «يا رأس النوبة أرجو من فضلك أن لا تؤاخذنا وأشتهى أن تفطر وتكسر الصفراء عندنا لحين ما نعمل الغداء عند الشرائحى، فإنك قد آنستنا اليوم فاجبر خاطرنا وإحسانك يحملنا اليوم». ثم إنه غمز الصناع الذين فى الدكان أن يعقدوا الحلاوة فذوّبوا قدحًا كبيرًا شربات بماء النوفر ورشوا عليه ماء ورد ومسك وناولوه للمعلم. فأخذه المعلم وناوله لباسم وقال له: «يا رأس النوبة سألتك بالله وباليوم الآخر أنك تشرب هذا القدح وتأكل من هذا الزاد شيئًا بينما يجىء من عند الشرائحى الغداء».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن المعلم حلف على باسم بالطلاق بالثلاثة. فقال له باسم: «هات يا أخى فما نخليك تحنث فى يمينك هذه وتطلق زوجتك. وقد خرج لنا اليوم قبل أن أنزل وراءك من طعام الخليفة الخاص الذى هو الطارى لى وللبلدارية الذين تحت يدى عشرة ألوان كل لون فيه ثلاث دجاجات وأنا الساعة شبعان ما أقدر أتنفس». فقال له المعلم عثمان الحلوانى: «يا رأس النوبة كل شىء هو من فضلك لكن اجبر خاطرنا فى هذا الذى قدامك لأنك قد وقعت علينا رخيصًا». فقال باسم: «إكرامًا لخاطرك أتجمّل معك وآكل». ثم إنه أخذ قدح الجلاب منه وكان قدحًا كبيرًا يسع أكثر من خمسة أرطال وهذا معوّد أن يشرب كل ليلة عشرين رطل نبيذ. فأخذ القدح وشربه على نفس واحد ثم رده للمعلم فارغًا. فقال الحلوانى فى نفسه: والله ما هذا إلا عفريت مقلوب».

ثم إن باسمًا برك على رطلى اللحم المشوى والرغيفين والقنبرسية والعسل والنعناع فأكل الجميع على نفس واحد ولا شال وجهه ولا أبقى لها أثرًا. فقال المعلم وقد تعجب منه: «هذا قد تغدى فى القصر فكيف لو جاءنا جوعان بلا غداء بالجهد كان يكفيه حمار محشى». ثم قال: «الله يسلمنى منه هذا اليوم». ثم إن المعلم اشتغل فى البيع والشراء إلى وقت العصر فأرسل صبيه إلى الشرائحى وكان قد عمل لباسم ثلاثة أطيار دجاج سمان محشيات فأتى بها الصبى من عند الشرائحى فأخذها المعلم وقدمها لباسم وقال: «والله يا رأس النوبة قد قتلناك اليوم من الجوع إحسانك يحملنا» فقال باسم: «ما لى خاطر جهّز لى المال ودعنا نطلع قبل ما يقوم المستخرج ولا نلحق مولانا الصاحب». فقال الحلوانى: «يا رأس النوبة نحن معك من بكرة إلى العصر والآن قرب المغرب وما يتغير كلامك من الأول إلى الآخر، لكن يا سيدى أشتهى من إحسانك ما تأكل من هذا الذى عملناه لك اليوم فإنه بالقَقَيْبرى ثم ما يكون من الله تعالى إلا كل خير». فبرك باسم على الثلاث دجاجات بلعها فى أسرع ما يكون وشرب فوقها قدح الجلاب ومسح يديه كأنه ما أكل شيئًا. فقال المعلم: «ائتونى بالزنبيل ألبسه لئلا يجوع فيقوم يأكلنى». ثم دخل المعلم إلى القاعة وعبى له قرطاس حلاوة مجمّعة وربطها بخيط وأخذ ورقة ووضع فيها عشرين درهمًا خرجية وجاء إلى باسم وحط القرطاس قدامه وقبّل يده وقال: «يا سيدى أن تقبل هذه منى وتساعدنى لأن اليوم غلّتى قليلة، وغدًا إن شاء الله يأتى المتعيشون كلهم فآخذ منهم وأجمع الدراهم وأطلع بها كاملة وإلا متى طلعت بها ناقصة عزّرت وضربت وبتُّ فى الحبس، لكن مرادى من فضلك وإحسانك أن تتمهل علىّ فى هذا النهار المبارك وتأخذ هذا القرطاس الحلاوة للأولاد وهذه الورقة فيها عشرون درهمًا ادخل بها الحمام».

فلما سمع باسم قوله عشرون درهمًا وعرف أن الحلوانى ما عليه ذلك الطلب العظيم بل إنما رأس نوبة البلدارية اشتهى أن ينفعه وكان قد قال له: «إذا أعطاك خدمتك اتركه ورح ولا تحضر به». فعند ذلك تبسم باسم وقال: «يا معلم إكرامك علينا واجب». فقال له المعلم: «الله يكرمك». فقال له باسم: «اقعد مكانك ولا تطلع اليوم ولا غدًا ولا الذى بعده ولا فى هذه الجمعة ولا فى هذا الشهر ولا فى هذه السنة ومن هذه الساعة إلى دائر السنة لا تطلع إليهم». ثم إنه نزل من الدكان وأخذ الحلاوة ومشى وقال: «أنا باسم ورزقى على الله أين بقيت أسافر وأين أروح؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن باسمًا تمشى وكان قد صار الوقت قريبا من المغرب فقال: «أخذت من أول النهار خمسة دراهم وفى آخر النهار أخذت عشرين درهمًا فصارت حسبتى خمسة وعشرين درهمًا». ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا ربى وإلهى لا تُمِت باسمًا إلا بلداريًا وأنا فى كل يوم أنزل فى شغل من الأشغال أحصل الذى يقسمه لى الله تعالى، وأنا وسرّ الله ما عادتى إذا كان لى عشرون سنة أدق فى المطرقة وما قطعت عادتى ولا يومًا واحدًا فكيف أبطلها وقد حصل لى كار أحصّل منه خمسة وعشرين درهمًا غير النوائل والبخاشيش». ثم إنه ما زال يجرى حتى وصل إلى الطبقة فخلع البدلة التى كان فيها على عادته وأخذ الطبقة والطاسة والجلاس وطلع يجرى وقال: «والله لأزيدن مقامى على غيظ المواصلة الفضولية». ثم إنه اشترى النبيذ واللحم وشمعتين وفاكهة ومشمومًا ونقلاً من كل شىء عوض عن الواحد اثنين وأتى بالجميع إلى الطبقة وعمل الحضرة حضرتين والسراج بفتيلين والجلاس بأربع فتائل ثم أوقد الجميع فسطع المكان بالنور بخلاف العادة.

ثم إنه جلس وملأ القدح وجلاه فى ضوء الشمعة وقال: «أنا باسم ورزقى على الله تعالى». وشرب ثلاثة أقداح كبار وملأ القدح الرابع وهو فرحان ونسى ذلك الضرب والتجريس، ثم جلا القدح على ضوء الشمعة وأنشد يقول هذه الأبيات:

يا صاحبىّ اسقيانى	من قهوة الخندريسِ
على جنينات وردٍ	يُذهبنّ همّ النفوسِ
وخذ من الورد حظًا	بالقصف ثم الجليسِ
ولا تضنّ فهذا	زمان حسو الكؤوسِ

فهذا ما كان من حديث باسم. وأما ما كان من حديث الخَليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكى ومسرور فإن الرشيد ما زال يحكم فى مجلسه إلى آخر النهار. ثم أقبل على جعفر وقال له: «يا جعفر ترى إيش يكون حال باسم الليلة؟» فقال جعفر: «إيش يكون حاله إلا حال الشؤم أكل مائة عصًا ولبسوه الطنطور وجرسوه فى كل بغداد وهو الساعة مسكين حزين، جلاسه وسراجه مطفى وبطته فارغة وطاسته ملقاة على قفاها وطبقته مظلمة وهو الساعة يدعو علينا ويقطع فينا، وحضرتك ما تختار أن تفعل؟» فقال الرشيد: «أشتهى أن ننزل إليه الليلة على العادة وننظر أحواله وطبقته المظلمة ونبصره حزينًا هذا القوّاد الذى له عشرون سنة ما بطل مقامه ولا ليلة واحدة، فهو الليلة حقيقة مقامه بطال، وأشتهى أن أراه فى حال انحرافه».

فقال جعفر: «يا أمير المؤمنين بارك الله فيك اجلس بنا واتركنا وعرضنا باق علينا، فهذا الذى كان يتقاسى وهو فى طيبة عيشه وفرحه كيف يتقاسى وهو فى همّ وغم وساعة تعطيل كيفه؟» فقال الرشيد: «لا بد من ذلك». فقال جعفر: «إن كان ولا بد نأخذ له معنا شيئًا نطعمه كما وعدناه البارحة ونسد جوعه وإذا أطعمت الفم تستحى العين، وهذا منذ عرفناه ما أخذنا له معنا شيئًا يساوى فلسًا». فقال مسرور: «الله يطعمه خُلدًا ما أبخله إيش أطعمنا هذا

القواد؟ كل ليلة يشرب الخمر ويأكل اللحم ويتنقل ونحن جالسون قدامه وما يطعمنا شيئًا». فقال الخليفة لجعفر: «والله لقد أشرت بالصواب لأنه يكون الليلة قاعدًا بلا عشاء ولا شيء عنده فخذ له من البيت مهما أردت».

فأخذ جعفر خمس دجاجات محشيات وأخذ معه صحن مأمونية وقام الثلاثة فنزلوا من باب السر وساروا حتى أتوا إلى الزقاق فوجدوا الطاقات مشرعة والنور عظيمًا خارجًا منها وضوء شمعتين وجلاسًا بأربع فتائل وسراجين فتعجبوا. ثم جاء هارون الرشيد ووقف تحت الطاقة التى هى باب الريح فسمع صوت باسم وقد أبدى الفرح والسرور وهو يملأ ويشرب ويقول: «أنا باسم ورزقى على الله تعالى» فقال الخليفة: «يا جعفر لقد تعبت مع هذا القواد وما قدرت أن أبطله ولا ليلة واحدة عن خرافته يا هل ترى إيش عمل هذا اليوم من الصنائع؟» ثم إنهم أنصتوا لما يقول فسمعوه وقد ملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة وأنشد يقول هذه الأبيات:

ارتح لراح أتت فى الكأس تبتسم	واغنم سلافتها فالراح تقتتم
عذراء بكرٌ عجوزٌ تاجها حببٌ	شمطاء يجلو سنى لألائها النغم
من خمرة كشعاع الشمس مشرقة	فى وصفها جدلٌ فى ذكرها حِكَمٌ
شمطاء عابسةً عذراء آنسةً	كلفاء عانسة تسمو بها الهممُ
حمراء ساطعة صفراء فاقعة	بيضاء ناصعة قد زانها الشيمُ
لما جفت وجفت لما سرت أسرَت	راقت ورقَّت وحيَّت حين تلتثمُ
أقداحها ذهبٌ مفتاحها طربٌ	مصباحها لهبٌ أفراحها غنمٌ
من بأسها كسبت جلاسها وسبت	فى كأسها رقصت أنفاسها نعمٌ
فى وصفها سيرٌ فى كأسها دُررٌ	فى رشفها نظرٌ فى لفظها شممٌ
ما شاب شاربها ما خاب جانبها	لو تاب طالبها ما عابه الندمُ
قد هلم طالبها مذ سام خاطبها	لو رام كاتبها وصفًا نبا به القلمُ
فى وسطها نعمٌ فى بسطها حكمٌ	لو نالها هرمٌ ما نالهُ هرَمٌ
ظنت سليمانها الساقى فمذ مُزجَت	تلا الحباب لها لا يحطمنَّكمُ

ثم إنه شرب القدح. فقال الرشد: «يا جعفر دق عليه الباب». فدق عليه الباب فصاح باسم بصوت عال قائلاً: «من هو هذا؟ أما كفانا ما جرى علينا من أولئك المواصلة لا أعطاهم الله عافية؟» فقال جعفر: «هو هو يا حاج باسم فريدٌ أنت فى العالم يا ابن الكرام» فأتى باسم إلى باب الريح واطَّلع عليهم فعرفهم لأنهم ضيوفه كل ليلة فقال: «لا أهلاً ولا سهلاً ولا مرحبًا بالثقلاء الكثفاء الفضولية، والله العظيم إن لم ترحلوا هذه الساعة وتغيّبوا وجوهكم هذه الليلة عنى وإلا أنزل إليكم وأكسر أيديكم ورجليكم». ثم صرخ بهم وقال لهم: «يا جماعة إيش لكم عندى حتى ما تنقطعوا عنى ولا ليلة» فقال له جعفر: «والله العظيم يا حاج باسم الليلة عملنا لك شيئًا بالفقيرى وجئنا به إليك، انزل افتح لنا الباب وخذه».

فقال باسم: «أنتم أحق فى الذى جئتم به أنا فى غنى عنه. أنا عندى لحم ودجاج وحلاوة وخيرات كثيرة بخلاف كل ليلة وعملت اليوم بشىء ما كان يحصل لى فى خمسة أيام،

فروحوا عنى وغيبوا عن وجهى ولا تنظركم عينى لأنكم إذا تكلمتم فى النيل يقف وإن تكلمتم على شىء فى الليل فيصير فى النهار ويقع من كل بد وتحسدون ابن آدم على العافية، وأما قولكم إنكم جئتم لى بشىء فما هى لكم بالعادة أبدًا وتقولون هكذا حتى أنزل وأفتح لكم الباب فتأتون إلىّ وتضيّقون صدرى وتحسدونى على حظوتى وكيفيتى وتضحكون على لحيتى فما لى بكم حاجة والسلام».

فقالوا: «يا حاج باسم إن لم تصدقنا فدلّ لنا شيئًا وخذ الذى معنا». فعند ذلك دلَّى لهم مقطفًا بحبل فوضعوا فيه الخمسة الأطيار الدجاج وصحن المأمونية فرفعها باسم إليه ونظر إليهم وقد ضحك وقال: «هذا عجيب من هؤلاء المواصلة فى هذه الليلة». ثم إن باسمًا نظر إليهم وقال لهم: «ويلكم لعلكم أخذتم هذه الدجاجات من كيمان بغداد أو من المزابل وأنا أعرف أنه ما يهون عليكم أن تشتروا كل دجاجة بدرهمين ونصف». فقالوا له: «هذه الدجاج وصحن المأمونية من طعام هارون الرشيد». فقال باسم: «ما كفاكم أن تكذبوا حتى تنسبوها إلى طعام هارون الرشيد، وبعد هذا كله روحوا مع السلامة وقد وصل إحسانكم». فقالوا له: «كيف نروح ونحن لا بد لنا من الحضور عندك فى هذه الليلة حتى نودّعك لأننا نحن غدًا مسافرون إلى بلادنا؟» فقال باسم: «لا كتب الله عليكم سلامة وإن لم ترحلوا وإلا وحياة رأسى أهنتكم». فقال له جعفر: «والله يا حاج باسم ما جئنا إلا حتى نودعك ومن بعد هذه الليلة ما بقيت ترانا عندك». فقال باسم: «يا أخى ما أريد وداعكم وفراقكم عيدٌ عندى ومتى كانت هذه الصحبة بينى وبينكم؟ فوالله ما أفتح لكم حتى أحلفكم أنكم لا تتعرضون لمعيشتى وأنكم من بعد هذه الليلة ما تعودون إلىّ». فحلف له جعفر والرشيد ومسرور فنزل إليهم باسم وفتح لهم الباب وطلع وطلعوا معه وجلسوا فى مجلسهم. فنظر الرشيد إلى المكان وهو يسطع أزيد من كل ليلة فتعجب غاية العجب وقال: «هذا له سبب». ثم غمز جعفرًا وقال له: «اسأله عن هذه الحضرة من أين له وما كان اليوم عمله؟» فقال جعفر: «يا أمير المؤمنين تمهل عليه قليلاً حتى يسكر وتطلع الخمرة من رأسه ونعود فى ذلك الوقت نسأله عما نريد».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فصبر الرشيد ساعة ثم إنه صاح وقال لجعفر: «اسأله». فقال جعفر: «هات يا حاج باسم سمعنا شيئًا من منادمتك وودعنا بحسن أشعارك وأخبارك» فقال باسم: «حبًا وكرامة. اعلموا يا أضيافى أن فصل الربيع هو أعدل الفصول وزمان الورد هو أحسن الأزمنة وقد قال بقراط الحكيم: من لم يبتهج بالربيع ولم يتمتع بنسيمه فهو فاسد المزاج يحتاج إلى العلاج. وقال بعض حكماء الفرس: أغلظ الناس طبعًا من لم يكن فى زمان الربيع ذا صبوة. وقال أيضًا: الربيع جميل الوجه ضحوك السن رشيق القد طيب الرائحة كريم الأخلاق حلو الشمائل». ثم إنه أنشد يقول:

جاء الربيع وجاء اللهوُ والطـرب ... فاشربْ عقارًا كلون النار تلتهبُ
أما ترى الورد يدعـو للورود على ... عـذراء بكر أتت فى لونها عجبُ

ثم إن باسمًا جلا القدح وشربه وأخذ من الورد وشمه ثم ملأ القدح وجلاه فى ضوء الشمعة وانشد هذه الأبيات:

يا راقدًا ونسيم الصبح منتبهٌ ... فى رقة الغصن والأطيار تنتحبُ
الورد ضيفٌ فلا تجهل كرامته ... يا حسنها قهوة فى الكأس تلتهبُ
يا حسنهُ زائرًا تحيا النفوس به ... يجود بالوصل جهرًا ثم يحتجبُ

ثم إن باسمًا شرب القدح فطرب هارون الرشيد طربًا شديدًا وقال: «يا حاج باسم دعنا من الأشعار ونادمنا وودعنا». فقال باسم: «حبًا وكرامة». اعلموا يا أضيافى أنه كان شيخ على زمان كسرى أنو شروان ذلك الشيخ مؤذنًا فى المسجد لأهل المحلّة يصلّى فيهم ويقوم بفرائضه، فإذا حضر أوان الورد وفصل الربيع يدفع الشيخ مفاتيح المسجد إلى أهل المحلّة ثم يغيب فى لجة لهوه وسكره فلا يظهر حتى ينقطع الورد، وكان إذا جلس على شرابه يغنى وينشد ويقول هذه الأبيات:

تبدّلتُ من ورد حبيبى ومسمعى ... شجيًا ومن لهو شرابَ مقدامِ
وخلّفتُ نسكًا واجبًا وإطاعةً ... وتهتُ زمانًا مولعًا بغرامى
فذلك دأبى إذ أرى الورد طالعًا ... فأترك أصحابى بغير إمامِ
وأرجع فى لهو وأترك مسجدًا ... يؤذن فيه من أتى بسلامِ

فقال الرشيد: «طيّب يا باسم ما أنت إلا من أظرف الناس» فقال باسم: «يا أضيافى حُكى أنه كان فى أيام كسرى أنو شروان حائك فى مدينة يعمل مدة سنة ولا يبطل لا يوم عيد ولا يوم جمعة فإذا طلع الورد طوى نوله ورفعه ثم أقبل على الشرب وعلى الورد مدة إقامته، فإذا مضى الورد عاد إلى شغله. فطلبه كسرى إلى بين يديه وشكر فعله ورتب له فى كل سنة خمسة آلاف درهم». فلما سمع الخليفة تلك الحكاية والأخبار ومناشدته فى الأشعار طرب طربًا شديدًا ثم قال لجعفر: «بالله عليك اسأله عن حاله وما كان سببه فى هذا اليوم وإيش جرى له مع القاضى والمحتسب؟».

فقال جعفر: «بالله دعنا من التعرض لهذا الرجل فنحن هذه الساعة فى طيب منادمته والرجل قد سكر وطاب عيشه وكل وقت يتحمل كلامنا فدعنا بالله يا أمير المؤمنين مما لا يرضيه». فقال له الرشيد: «والله يا جعفر لا بد من ذلك ونحن حلفنا له أننا لا نعود نرجع إليه وما نسأله غير هذه المرة». ثم إن جعفرًا قال لباسم: «يا حاج باسم بالله عليك نسألك أن تخبرنا عن هذا اليوم الذى مضى وما جرى لك فيه مع القاضى، ثم أخبرنا عن سبب مقامك وزيادتك فى حظوتك ومعاشك فى هذه الليلة ونحن ما عدنا نرجع نسألك بعدها شيئًا لأننا نحن غدًا مسافرون إلى بلدنا؟».

فلما سمع باسم هذا الكلام كبرت عيناه واحمرت وغلظت رقبته وازورّت عروقه وقامت أوداجه وصعب عليه ذلك جدًا وقال لجعفر: «يا بطن الزير يا كرش النخالة يا شوارب الدب العتيق دائمًا ما يتعرض لى إلا أنت دون أصحابك والساعة أقوم أمسك أوداجك وأنطحك أكسر راسك». فقال له جعفر بكلام لطيف: «يا حاج باسم فعلت معنا خيرًا فى الأول ونريد تمام الإحسان وهذا وداعنا منك ونشتهى أن نذكرك فى بلادنا بالخير ونثنى عليك بكل مديح وما عاد يجمعنا للزمان غير هذه الليلة ونصبح نرحل عنك وعن بلدك». فقال باسم: «إلى لعنة الله وغضبه، من عشرين سنة أعيش مثل السلطان فلما رأيت وجوهكم تكدر عيشى على سائر أوقاتى وتنغصت عيشتى ولذاتى وانتقلت من صنعة إلى صنعة وأنا كل يوم فى صنعة جديدة وشغل جديد وهذا كله بقدومكم وكعبكم المدوّر، وبعد هذا كله أنا باسم ورزقى على الله تعالى وهذا النهار جرى لى فيه عجائب وغرائب ما جرت على أحد من قبلى ولا تجرى على أحد من بعدى». فقال جعفر: «يا حاج باسم سألتك بالله العظيم وباليوم الآخر أن تحكى لنا ما جرى لك فى هذا اليوم». فقال باسم: «ولا بد من ذلك؟» فقالوا: «نعم». قال باسم: «وستر الله الحصين لأحكينّ لكم ما جرى لى اليوم ولا أدع فى قلوبكم حسرة حتى تتعجبوا من هذه الاتفاقات الغريبة والأحوال العجيبة».

اعلموا يا أضيافى أننى اليوم من غير عادة قمت من السحر ورحت إلى باب المدرسة وأنا فرحان مسرور بأنى صرت رسول شرع فرأيت المدرسة مضطربة والقاضى والمحتسب والرسل والشهود قاعدين والعصى والطناطير قدامهم وهم يعرضون الرسل وينزّلون أساميهم ويسألون عن صنائعهم؛ وجرى علىّ ما لم يجر قط فى المدرسة، وليس فى الإعادة إفادة، وليس الحكى مثل النظر. فنزلت يا أضيافى وأنا غائب عن الدنيا وكرهت الحياة وبغضت بغداد وقلت: أنا وهذا الرشيد الثقيل الدم ما نتفق فى بغداد وهذه المدينة أنا أتركها له.

ثم جئت إلى طبقتى هذه وأنا حزين متفكر كيف يكون حالى فى هذه الليلة وأنا لا أملك شيئًا ولا معى فلس جديد ولا فلس عتيق، فافتكرت ساعةً وقمت أخذت كرّى وأحضرت عود النخل الذى كنت أعلق عليه ثيابى فأخذته ونجرته شبه سيف ولقيت غلافًا عتيقًا فنزلت السيف فيه وعملت له برشقًا وألبسته قطعة مشمع وأخذت الشاش الذى لى وحشيت فيه شاشًا عتيقًا ولبادًا عتيقًا ودمَّجته وعملت فيه ألف حشوة حتى انتفش ولبستُ قبائى بعدما قطعت أكمامه وشددت وسطى بالسيف والشاش المحشى على رأسى وخرجت أتمشى وأنتقل وأنا فى يدى النبوت وصار كل من رآنى يقول: «هذا من بلدارية الخليفة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

فلما وصلت إلى سوق السلاح وجدت اثنين يتضاربان ويتجارحان وما كان أحد يقدر أن يخلص ما بينهما. فصاح علىّ معلم السوق وقال: «يا رأس النوبة خذ هذه الخمسة دراهم واحملهما إلى قصر الخليفة حتى ينتقم منهما». فأخذت الخمسة دراهم زوّادة السفر وطلعت بالاثنين معى إلى قصر الخليفة ودخلت الأبواب وتفرجت فى منصب الوزير جعفر وهو والله أشبه الناس بك يا بطن الزير بطنه هكذا مثلك ولكن أين أنت وأين هو، ذاك قسيم أمير

المؤمنين وأنت من قطاع الفضولية». ثم حكى باسم الحداد للخليفة ولجعفر ولمسرور قصة وصوله إلى المعلم عثمان الحلوانى وحكى لهم عما تمّ معه وما أكل عنده وما شرب وحكى لهم جميع ما جرى له فى ذلك النهار من أوله إلى آخره وليس فى الإعادة إفادة. فلما سمع جعفر ذلك تعجب غاية العجب ومال من الطرب وقال: «يا حاج باسم صدقت فيما نطقت والذى جرى عليك ما جرى على أحد». فقال باسم: «هذا كله على غيظ الخليفة هارون الرشيد وقد أخذت ورقة حلاوة وأكلت عنده مشويًا ومقليًا ودجاجًا وشربت شيئًا يسوى جملة دراهم وها قد جئت وغبَّيت مقامى بالزائد عن كل ليلة مرّتين، أفيقدر الخليفة أن يبطل مقامى؟» ثم إنه ملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة وأنشد يقول هذه الأبيات:

مزجناها فخامرت النفوسا	تبدّت فى زجاجتها عروسا
وطاف بها علينا كل ظبى	بحمرة خده صبغ الكؤوسا
فلو أبصرتهم لرأيت منهم	بدورًا فى الدجا حملت شموسا

ثم إنه شرب القدح وأكل قطعة لحم وقلب فستق ثم ملأ القدح وجلاه على ضوء الشمعة وأنشد يقول:

شربنا مع غروب الشمس شمسًا	مشعشعة إلى وقت الطلوع
وضوء الشمع بين الناس بادٍ	كأطراف الأسنة فى الدروع

ثم إنه شرب القدح وقال: «هذا على غيظ هارون الرشيد. أخذنا فى هذا اليوم دراهم وحلاوة وأكلت دجاجًا وأنا والله العظيم ما بقيت أموت إلا بلداريًا». هذا والخليفة قد مات من الضحك عليه ومما سمع منه وكيف اتفق له هذا السيف الجريد وحشا الشاش بالمشاقة وعرف حكايته مع البلدارية وما جرى له مع المعلم عثمان الحلوانى. فتعجب الرشيد غاية العجب ومال من الطرب وقال فى نفسه: «هذا الرجل مسعده الله فوالله لأعملنّ معه عملاً يتحدث به الناس جيلاً بعد جيل». ثم إن الخليفة وجعفرًا ومسرورًا أقاموا إلى نصف الليل عند باسم ثم استأذنوه بالذهاب فأذن لهم وقال: «دستوركم معكم الله يسلّط على الذى يشتهيكم الحمّى والشدة ولا كتب الله عليكم السلامة». فضحكوا من كلامه وتركوه ونزلوا من الطبقة وردوا عليه الباب وساروا إلى أن وصلوا إلى القصر ودخلوا إلى باب السر وتوجهوا إلى أماكنهم وباتوا فى مراقدهم.

وأول ما أصبح الصباح نهض باسم قائمًا على قدميه وقال: «يا الله يوم جديد ورزق جديد والله ما بقيت أموت إلا بلداريًا». ثم إنه لبس جراباته فى رجليه ولبس قباءه والشاش وشد السيف فى وسطه وسرّح ذقنه وفتل شواربه وأخذ فى كفه نبوت لوز طويل وخرج من الطبقة وهو لا يعرف ما يجرى له من الغيب، وما زال يمشى حتى وصل إلى القصر ودخل إليه ووصل تحت الستر ودخل إلى مجلس الرشيد وراح ووقف فى جملة العشرة البلدارية أصحاب النوبة واختلط بهم. هذا ما كان من أمر باسم.

وأما ما كان من أمر الرشيد فإنه جعل يجول بنظره إلى طائفة البلدارية حتى وقع نظره على باسم فرآه وهو واقف بينهم وقد نفش ذقنه وفتل شواربه وصدره مرتفع عال، فصاح الرشيد على جعفر فأقبل عليه، فغمزه على باسم وقال: «انظر إلى صاحبنا باسم وانظر ما

أعمل معه». وصاح الرشيد على كبير العشرة: «يا رأس النوبة». فقال: «لبيك وسعديك يا مولانا أمير المؤمنين». فقال له: «كم فى نوبتك بلداريًا؟» فقال:: «يا سيدى نحن ثلاث نوبات مؤلفة من ثلاثين بلداريًا وكل نوبة عشرة تخدم ثلاثة أيام وتتصرف، وتأتى النوبة الثانية وبعدها الثالثة وهذا ترتيبنا».

فقال الرشيد: «أريد منك أن تعزل العشرة ناحيةً وتعرضهم علىّ واحدًا بعد واحد». فقال له: «يا سيدى سمعًا وطاعة». ثم صاح عليهم وقال: «يا جماعتنا أمر أمير المؤمنين أن تتعزلوا». فانعزلوا وباسم معهم. ثم قدمهم بين يدى أمير المؤمنين. فقال باسم فى نفسه: «يا للفلى إيش يريدون أن يعملوا أمس كانت نوبة القاضى والمحتسب واليوم الله هو العالم نوبة الخليفة بنفسه، ما هذا الخلّ من ذلك الزيت؟» فلما وقفوا بين يديه قال الرشيد لواحد منهم: «ما اسمك؟» فقال: «اسمى أحمد». قال: «ابن مَنْ؟» قال: «ابن عبد الله». فقال: «كم جامكيتك يا أحمد؟» قال: «عشرة دنانير فى كل شهر وكماجة وثلاثة أرطال لحم فى كل يوم وجوخة فى كل سنة».

فقال الرشيد: «وهذه الجامكية من أين وصلت إليك وهل أنت متجدد أو عن أصل؟» فقال: «هذه الجامكية كانت لأبى فنزل لى عنها ورضيت الخدمة الشريفة». فقال له الرشيد: «أنت مستأهلها». ثم عزله ناحية وزعق على بلدار ثان فأتى إليه وقبّل الأرض بين يديه. فقال له الرشيد: «ما اسمك واسم أبيك وكم هى جامكيتك؟» فقال البلدار: «يا أمير المؤمنين اسمى خالد بن ماجد وجدّى سالم بن غانم ونحن فى الخدمة الشريفة من خلافة الشهيد ولى عشـرون دينارًا واللحم والدقيق والسكر والحب والرمّان والجراية ولنا سنين نأكل هذه الجامكية ونرثها أبًا عن جد». ثم عزله مع المتقدم وصاح على آخر وكان اسمه خالدًا وسأله كما سأل رفقاءه. وكان بعده باسم. فقال باسم: «جيد والله هذا أشر من تلك، ترى ما خطر لهم أن يعرضوا البلدارية إلا فى هذا اليوم؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم والله ما هذه مثل عرضة القاضى، يا فأل الشوم». ثم إنه رجع فى نفسه وقال: «يا ليتك أمس كنت سافرت من بغداد، لأى شىء رجوعك إليها؟ وأنت كل شىء حصل لك إلا العافية ما تحصل فى كل وقت، الساعة تجىء نوبتك ويسألك الخليفة عن اسمك واسم أبيك وكم جامكيتك فإيش تقول له؟ وإن انكشف عليك الطابق وعرفك إيش تقول له؟ إن قلت اسمى باسم الحداد فيقول لك الخليفة: أنت قواد جاسوس مَن عملك بلدارًا وأنت من أنت حتى هجمت على قصرى واختلطت مع البلدارية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖❖❖

قالت شهر زاد: وبينما باسم يحسب فى نفسه هذا الحساب والرشيد ينظر إليه ويضحك عليه ويغطى وجهه بالمنديل وكلما رأى باسمًا حائرًا فى نفسه يضحك ويغيّب وجهه حتى لا ينظره باسم. ثم إن الرشيد صاح بالبلدار الآخر وهو الذى بجانب باسم فأتى إليه وقبّل الأرض بين يديه. فسأله الرشيد عن اسمه واسم أبيه وجامكيته وسبب وصوله إليه. فأخبره عما سأله فعزله مع رفقائه الذين سألهم. ثم إنه عرض بقية البلدارية العشرة فأخبروه بمثل ما

آخر أصحابهم ولم يبقَ غير باسم وهو غائب عن الصواب والرشيد قد مات عليه من الضحك.

ثم إن الرشيد أطرق رأسه إلى الأرض ساعة وهو غائب من الضحك وواضع المنديل على فمه. ثم إنه مسك نفسه ورفع رأسه وصاح على باسم وباسم مطرق إلى الأرض غائب عن الدنيا. فصاح به ثانيًا وثالثًا ورابعًا وباسم مطرق برأسه إلى الأرض من كثرة همه لم يرد جوابًا. فجاء إليه رأس النوبة ولكزه تحت جنبه وقال له: «ويلك أجب أمير المؤمنين». فرفع باسم رأسه وقال: «ما الخبر؟» فقال له الرشيد: «إيش اسمك؟» فقال باسم الحداد: «أنا يا سيدى؟» فقال الرشيد: «نعم أنت». ثم إن باسمًا تقدم إلى بين يديه وقد اصفر لونه وارتعدت مفاصله ولم يعلم ما يكون جوابه فأطرق برأسه والرشيد قد غشى عليه من الضحك. ثم إنه التفت يمينًا وشمالاً وقال لباسم: «ما اسمك واسم أبيك وكم جامكيتك وما سبب وصولها إليك؟» فقال باسم: «لى أنا تقول يا حاج خليفة؟» فقال: «نعم». فصاح عليه جعفر وقال: «ويلك يا قطاعة البلدارية أجب أمير المؤمنين عاجلاً وأحسن خطابك وإلا يكون السيف فى رقبتك جوابك».

فارتعدت فرائصه واصفرّ لونه واصطكت أسنانه وقال فى نفسه: «أما كان الأحسن أن تترك هذه وتروح إلى غيرها يا مفلس، كل شىء يحصل لك إلا الحياة ما بقيت تعود إليك والساعة ينكشف طابقك ويأمر الخليفة بضرب رقبتك فإنَّا لله وإنا إليه راجعون». فبينما هو على مثل هذا الحديث التفت إليه الخليفة وقال له: «أنت بلدارى ابن بلدارى؟» فقال باسم: «نعم يا حاج خليفة، أنا بلدارى وابن بلدارى وأمى بلدارية». فضحك الرشيد منه حتى شبع وضحك جعفر وكل من كان حاضرًا فى المجلس.

فقال له الرشيد: «أنت بلدار وابن بلدار وجامكيتك عشرون دينارًا ورطل لحم وجراية فى كل سنة» فقال باسم: «نعم نعم يا أمير المؤمنين أسبغ الله ستره عليك». فقال له الرشيد: «جامكيتك وصلت إليك من أبيك وجدك وأنت على جامكيتك ولكن الساعة اعزل من جماعتك ثلاثة وكن أنت الرابع وانزل هات لى من حبس الدم أربعة أنفس يقرُّون على أنفسهم ويقولون نحن قتلنا فأحضرهم لى فى الساعة». فقال جعفر: «يا مولانا نرسل الوالى فيأتى بهم». فغاب الوالى قليلاً وأتى ومعه أربعة رجال مكتفين مكشوفى الرؤوس كانوا يقطعون الطريق ويخونون السبيل ويقتلون النفس التى حرّم الله قتلها.

فلما رآهم الرشيد قال لهم: «أنتم أصحاب الجرائم والذنوب الكبار؟» فقالوا: «نعم يا أمير المؤمنين نحن أولئك القوم الذين مكر الله بهم وسلط الشيطان عليهم فأطعناه وفعلنا ما فعلنا ونحن نتوب على يديك يا أمير المؤمنين». فقال الرشيد: «أنتم ما دواؤكم إلا السيف يطهركم». ثم إنه صاح بأولئك البلدارية الثلاثة وقال لهم: «كل واحد منكم يأخذ واحدًا من هؤلاء الأربعة ويشرط من ذيله ويعصب عينيه ويشهر سيفه ويقف على رأس غريمه حتى أرسم بضرب رقبته وأبصر الساعة من هو البلدارى القرارى منكم فأخلع عليه وأزيد علوفته وجرايته ومن كان فيه تهاون وتقصير أضرب رقبته». فقال البلدارية: «السمع والطاعة لله ولك». ثم تسابقوا وأخذ كل واحد منهم واحدًا من الغرماء وأجلسه القرفصاء وكتف يديه وسل سيفه ووقف على رأسه وقال: «دستورك يا أمير المؤمنين». فلما فعل الثلاثة هذه الأفعال قال باسم فى باله: «ما هذا الأمر الا خمول وكل نوبة تأتينى أنجس من أختها والله ما بقى لى خلاص إلا الموت». وإن

الرشيد صاح بباسم وقال: «ويلك أنت بلدارى قرارى خذ غريمك الذى بقى وافعل به مثلما فعل رفقاؤك». فعند ذلك ما قدر باسم أن يخالف فأخذ الرجل الرابع وشد يديه إلى خلفه وشرط ذيله وعصب عينيه ووقف على رأسه وقال فى نفسه: «كيف أعمل بالسيف أسله الساعة يخرج جريدة نخل وأصير مسخرة ويضرب الخليفة عنقى إيش هذا الطابق الذى أنا فيه؟».

ثم إنه أخذ السيف من وسطه ومسكه من قبضته وهو فى غلافه وشاله على كتفه والرشيد يضحك عليه ساعة بعد ساعة وباسم غائب عن الدنيا. ثم قال الرشيد: «يا بلدار أنت قرارى أشهر سيفك مثل رفقائك». فقال: «يا مولانا لا يُحسن أن يشهر السيف قدام أمير المؤمنين». فتركه الرشيد وقال للبلدار الأول: «اضرب عنق غريمك». فرفع سيفه وضرب غريمه فأطاح رأسه عن بدنه. فقال له الرشيد: «أحسنت يا محمد». ثم إنه خلع عليه وزاد فى جامكيته. ثم قال الثانى: «وأنت يا عثمان اضرب رقبة غريمك». فقال: «السمع والطاعة». فرفع يده حتى بان سواد إبطه وضرب غريمه أطاح رأسه عن بدنه. فقال له الرشيد: «أحسنت يا عثمان». وخلع عليه وزاد فى جامكيته.

ونادى فى الثالث وقال له: «اضرب رقبة غريمك». فقال: «حبًا وكرامة». وفعل مثل رفقائه. فخلع عليه الرشيد وزاد فى جامكيته. وزعق على باسم وقال له: «يا بلدار اضرب رقبة غريمك مثلما فعل رفقاؤك». فلم يجاوبه وكان غائبًا عن الدنيا وهو فى حسابات وهو يقول: «يا هل ترى لى خلاص من هذه الواقعة؟» فأتاه مسرور ولكزه تحت إبطه وقال له: «أجب أمير المؤمنين واعمل بما يقول وإلا الساعة يرمى رقبتك مثل هؤلاء القوم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فعند ذلك رفع باسم رأسه وقال: «نعم يا أمير المؤمنين». فقال له الرشيد: «اضرب رقبة غريمك» فقال باسم: «على رأسى وعينى». وفتل على كعبه وجاء على رأس غريمه وقال له: «أمر الخليفة بضرب عنقك فإن كنت تتشهد فتشهد هذا يومك الذى أوعدك الله به». فتشهد ذلك الرجل. فشمّر باسم عن يديه وبحلق عينيه ودار ثلاث دورات على رأس غريمه وزعق عليه وقال له: «أتشهدت؟» فقال له: «تشهدت يا سيدى هذا أمر الله وهذا يومى الذى أوعدنى به ربى». فقال باسم: «إن كنت عطشانًا حتى أسقيك وإن كنت جوعانًا حتى أطعمك وإن كنت مظلومًا فاصرخ وقل: أنا مظلوم».

وكل هذا جرى والرشيد قد غشى عليه من الضحك. فعند ذلك صرخ الرجل بأعلى صوته وقال: «مظلوم مظلوم». فقال له باسم: «تكذب أنا معى شىء ما أظهره إلا قدام الخليفة». وجر الرجل إلى قدام الخليفة وباس باسم الأرض وقال: «اسمع لى كلمتين يا أمير المؤمنين، إن معى ذخيرة من زمان جدى وجدى ورثها من جده وأبى ورثها من أبيه وأمى ورثتها من أبى وأنا ورثتها من أمى وهو هذا السيف». ورمى السيف قدام الخليفة وقال: «يا حاج خليفة هذا السيف سرٌّ عجيب وطلاسم إذا كان الرجل مظلومًا وجردته فيخرج خشبًا وإن كان حراميًا تخرج منه برقة نار تبرى عنقه مثل القلم».

فقال الخليفة: «اضرب رقبته لننظر فجرّد السيف من غلافه فخرج السيف خشبًا فقال

باسم: «مظلوم يا سيدى». فضحك عليه كل من كان حاضرًا وقال: «يا حاج خليفة هذا الرجل مظلوم أعتقه». فأعتقه والتفت الخليفة إلى رأس النوبة وقال له: «اكتب اسم الرجل معكم ويكون له جامكية مثلكم». وأعطاه الخليفة بدلة حوائج مكلفة ومائة ذهب وأعطاه جعفر كذلك ومسرور أعطاه مثلهما. وصار باسم الحداد رأس البلدارية وصار من جملة ندماء الخليفة. وما زال على ذلك حتى أتاهم هادم اللذات فماتوا جميعًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل

قالت شهر زاد: ومما يحكى أيضًا أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد والقول السديد أنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، فى أرض العجم ملك يقال له شهرمان. وكان مستقره خراسان، وكان عنده مائة سرية ولم يرزق منهن فى طول عمره بذكر ولا أنثى. فتذكر ذلك يومًا من الأيام وصار يتأسف حيث مضى غالب عمره ولم يرزق بولد ذكر يرث الملك من بعده كما ورثه هو عن آبائه وأجداده. فحصل له بسبب ذلك غاية الهمّ والغم والقهر الشديد.

فبينما هو جالس يومًا من الأيام إذ دخل عليه بعض مماليكه وقال له: «يا سيدى إن على الباب جارية مع تاجر لم يُرَ أحسن منها». فقال له: «على بالتاجر والجارية». فأتاه التاجر والجارية. فلما رآها وجدها تشبه الرمح الردينى وهى ملفوفة فى إزار من حرير مزركش بالذهب. فكشف التاجر عن وجهها فأضاء المكان من حسنها وارتخى لها سبع ذوائب حتى وصلت إلى خلاخلها كأذيال الخيل كما قال الشاعر فى المعنى هذه الأبيات:

كلفت بها وقد تمت بحسنٍ ... وكملها السكينة والوقارُ
فلا طالت ولا قصرت ولكنْ ... مكملة يضيق بها الإزارُ
قوامٌ بين إيجاز وبسط ... فلا طولٌ يعاب ولا اقتصارُ
وشعرٌ يسبق الخلخال منها ... ولكن وجهها أبدًا نهارُ

حكاية اشتراء الملك شهرمان الجارية البحرية وعدم تكلمها مع أحد

فتعجب الملك من رؤيتها وحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وقال للتاجر: «يا شيخ بكم هذه الجارية؟» قال التاجر: «يا سيدى اشتريتها بألفى دينار من التاجر الذى كان ملكها قبلى، ولى ثلاث سنين مسافرًا بها فتكلفت إلى أن وصلت إلى هذا المكان ثلاثة آلاف دينار وهى هدية منى إليك». فخلع عليه الملك خلعة سنية وأمر له بعشرة آلاف دينار. فأخذها وقبل يدى الملك وشكر فضله وإحسانه وانصرف. ثم إن الملك سلّم الجارية إلى المواشط وقال لهن: «أصلحن أحوال هذه الجارية وزينها وافرشنَ لها مقصورة وأدخلنها فيها». وأمر حجابه أن تنقل إليها جميع ما تحتاج إليه، وكانت المملكة التى هو مقيم بها على جانب البحر، وكانت مدينته تسمى بالمدينة البيضاء، فأدخلوا الجارية فى المقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحر.

ثم إن الملك دخل على الجارية فلم تقم له ولم تفكر فيه. فقال الملك: «كأنها كانت عند

قوم لم يعلموها الأدب». ثم إنه التفت إلى تلك الجارية فرآها بارعة فى الحسن والجمال والقد والاعتدال ووجهها كأنه دائرة القمر عند تمامه أو الشمس الضاحية فى السماء الصاحية. فتعجب من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فسبح الله الخالق جلّت قدرته.

ثم إن الملك تقدم إلى الجارية وجلس بجانبها وأمر بإحضار الموائد من أفخر الطعام وفيها من سائر الألوان فأكل الملك وصار يلقمها حتى شبعت وهى لم تتكلم بكلمة واحدة فصار الملك يحدثها ويسألها عن اسمها وهى ساكتة لم تنطق بكلمة ولم ترد عليه جوابًا ولم تزل مطرقة برأسها إلى الأرض. وكان الحافظ لها من غضب الملك عليها فرط حسنها وجمالها والدلال الذى كان لها.

فقال الملك فى نفسه: «سبحان الله خالق هذه الجارية ما أظرفها إلا أنها لا تتكلم ولكن الكمال لله تعالى».

ثم إن الملك سأل الجوارى هل تكلمت. فقلنَ له: «من حين قدومها إلى هذا الوقت لم تتكلم بكلمة واحدة، ولم نسمع لها خطابًا».

فأحضر الملك بعض الجوارى والسرارى وأمرهنّ أن يغنين لها وينشرحن معها لعلها أن تتكلم. فلعبت الجوارى والسرارى قدامها بسائر الملاهى واللعب وغير ذلك وغنّين حتى طرب كل من فى المجلس والجارية تنظر إليهنّ وهى ساكتة ولم تضحك ولم تتكلم.

فضاق صدر الملك وقال فى نفسه: «يا الله العجب كيف تكون جارية مليحة القوام والمنظر وتكون هذه حالتها؟» ثم إنه مال إليها بالكلية ولم يلتفت إلى غيرها وهجر جميع سراريه والمحاظى.

وأقام معها سنة كاملة كأنها يوم واحد وهى لم تتكلم. فقال لها يومًا من الأيام وقد زادت محبته لها: «يا منية النفوس إن محبتك عندى عظيمة، وقد هجرت من أجلك جميع جوارىّ والسرارى والنساء والمحاظى وجعلتك نصيبى من الدنيا وقد طولت روحى عليك سنة كاملة، وأسأل الله تعالى من فضله أن يلين قلبك لى فتكلمينى، وإن كنت خرساء فأعلمينى بالإشارة حتى أقطع الطمع من كلامك وأرجو الله سبحانه ان يرزقنى بولد ذكر يرث ملكى من بعدى فإنى وحيد فريد ليس من يرثنى وقد كبر سنى، فبالله عليك إن كنتِ تحبيننى أن تردى علىّ الجواب».

حكاية بيان جلنار البحرية وقصتها قدام الملك شهرمان

فأطرقت الجارية رأسها إلى الأرض وهى تفكر. ثم إنها رفعت رأسها وتبسمت فى وجه الملك فتخيل للملك أن البرق قد ملأ المقصورة وقالت: «أيها الملك الهمام والأسد الضرغام قد استجاب الله دعاءك وإنى حامل منك وقد آن الوضع، ولكن لا أعلم هل الجنين ذكر أو أنثى. ولولا أنى حملت منك ما كلمتك كلمة واحدة». فلما سمع الملك كلامها تهلل وجهه بالفرح والانشراح وقبل رأسها ويديها من شدة الفرح وقال: «الحمد لله الذى منّ على بأشياء كنت اتمناها، الأول كلامكِ والثانى إخباركِ بالحمل منى» ثم إن الملك قام من عندها وخرج وجلس على كرسى مملكته وهو فى الانشراح الزائد. وأمر الوزير أن يخرج للفقراء والمساكين والأرامل

وغيرهم مائة ألف دينار شكرًا لله تعالى وصدقةً عنه. ففعل الوزير ما أمره به الملك.

ثم إن الملك دخل بعد ذلك على الجارية وجلس عندها وقال لها: «يا سيدتى ومالكة رقى لماذا السكوت ولكِ عندى سنة كاملة ونهارًا قائمة نائمة ولم تكلمينى فى هذه السنة إلا فى هذا النهار فما سبب سكوتك؟» فقالت الجارية: «اسمع يا ملك الزمان واعلم أنى مسكينة غريبة مكسورة الخاطر فارقت أمى وأهلى وأخى». فلما سمع الملك كلامها عرف مرادها فقال لها: «أما قولك مسكينة فليس لهذا الكلام محل فإن جميع ملكى ومتاعى وما فيه فى خدمتك، وأنا أيضًا صرت مملوكك. وأما قولك فارقت أمى وأهلى وأخى فأعلمينى فى أى مكان هم وأنا أرسل إليهم وأحضرهم عندكِ». فقالت له: «اعلم أيها الملك السعيد أن اسمى جلنار البحرية وكان أبى من ملوك البحر ومات وخلف لنا الملك».

«فبينما نحن فيه إذ تحرّك علينا ملك من الملوك وأخذ المُلك من أيدينا، ولى أخ يسمى صالح وأمى من نساء البحر. فتنازعتُ أنا وأخى فحلفت أن أرمى نفسى عند رجل من أهل البر. فخرجت من البحر وجلست على طرف جزيرة من القمر. فجاز بى رجل فأخذنى وذهب بى إلى منزله وراودنى عن نفسى فضربته على رأسه فكاد أن يموت، فخرج بى وباعنى لهذا الرجل الذى أخذتنى منه وهو رجل جيد صالح صاحب دين وأمانة ومروّة ولولا أن قلبك أحبنى فقدمتنى على جميع سراريك ما كنت قعدت عندك ساعة واحدة وكنت رميت نفسى إلى البحر من هذا الشباك ورحت إلى أمى وجماعتى. وقد استحييت أن أسير إليهم وأنا حامل منك فيظنوا بى سوءًا ولا يصدقونى ولو حلفت لهم إذا أخبرتهم أنه اشترانى ملك بدراهمه وجعلنى نصيبه من الدنيا واختصّ بى عن زوجاته وسائر ما ملكت يمينه. وهذه قصتى والسلام».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع كلامها شكرها وقبلها بين عينيها وقال لها: «والله يا سيدتى ونور عينى إنى لا أقدر على فراقك ساعة واحدة، وإن فارقتنى متُّ من ساعتى فكيف يكون الحال؟» فقالت: «يا سيدى قد قرب أوان ولادتى ولا بد من حضور أهلى». فقال لها الملك: «وكيف يمشون فى البحر ولا يبتلون؟» فقالت: «إنا نمشى فى البحر كما تمشون أنتم فى البر ببركة الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود - عليهما السلام -. ولكن أيها الملك إذا جاء أهلى وأخوتى فإنى أعلمهم أنك اشتريتنى بمالك وفعلت معى الجميل والإحسان، فينبغى أن تصدّق كلامى عندهم ويشاهدون حالك بعيونهم ويعلمون أنك ملك ابن ملك».

فعند ذلك قال الملك: «يا سيدتى افعلى ما بدا لك مما تحبين فإنى مطيع لك فى جميع ما تفعلينه». فقالت الجارية: «اعلم يا ملك الزمان أنَّا نسير فى البحر وعيوننا مفتوحة وننظر ما فيه وننظر الشمس والقمر والنجوم والسماء كأنها على وجه الأرض ولا يضرّنا ذلك، واعلم أيضًا أن فى البحر طوائف كثيرة وأشكالاً مختلفة من سائر الأجناس التى فى البرّ واعلم أن جميع ما فى البر بالنسبة لما فى البحر شىء قليل جدًا». فتعجب الملك من كلامها. ثم إن الجارية أخرجت من كتفها قطعتين من العود القمارى وأخذت منهما جزءًا وأوقدت مجمرة النار وألقت ذلك الجزء فيها وصفرت صفرة عظيمة وصارت تتكلم بكلام لا يفهمه أحد، فطلع

دخان عظيم والملك ينظر. ثم قالت للملك: «يا مولاى قم واختف فى مخدع حتى أريك أخى وأمى وأهلى من حيث لا يرونك فإنى أريد أن أحضرهم وتنظر فى هذا المكان فى هذا الوقت العجب وتتعجب مما خلق الله - تعالى - من الأشكال المختلفة والصور الغريبة».

حكاية سحر جلنار فى طلب أهلها وحضورهم عندها

فقام الملك من وقته وساعته ودخل مخدعًا وصار ينظر ما تفعل، فصارت تبخر وتعزم إلى أن أزبد البحر واضطرب وخرج منه شاب مليح الصورة بهىّ المنظر كأنه البدر فى تمامه بجبين أزهر وخد أحمر وثغر كأنه الدرّ والجوهر وهو أشبه الخلق بأخته ولسان الحال فى حقه ينشد هذين البيتين:

البدر يكمل فى كل شهر مرةً ... وجمال وجهك كل يوم يكملُ
وحلوله فى قلب برج واحد ... ولك القلوب جميعهنّ المنزلُ

ثم خرجت من البحر عجوز شمطاء ومعها خمس جوار كأنهن الأقمار وعليهنّ شبه من الجارية التى اسمها جلنار. ثم إن الملك رأى الشاب والعجوز والجوارى يمشين على وجه الماء حتى قدموا على الجارية. فلما قربوا من الشباك ونظرتهم جلنار قامت لهم وقابلتهم بالفرح والسرور. فلما رأوها عرفوها ودخلوا عندها وعانقوها وبكوا بكاءً شديدًا. ثم قالوا لها: «يا جلنار كيف تتركينا أربع سنين ولم نعلم المكان الذى أنتِ فيه؟» والله إنها ضاقت علينا الدنيا من شدة فراقك ولا نلتذ بطعام ولا شراب يومًا من الأيام ونحن نبكى بالليل والنهار من فرط شوقنا إليك». ثم إن الجارية صارت تقبل يد الشاب أخيها ويد أمها وكذلك بنات عمها. وجلسوا عندها ساعة وهم يسألونها عن حالها وما جرى لها وعمّا هى فيه. فقالت لهم: «اعلموا أنى فارقتكم وخرجت من البحر جلست على طرف جزيرة، فأخذنى رجل وباعنى لرجل تاجر فأتى بى التاجر إلى هذه المدينة وباعنى لملكها بعشرة آلاف دينار، ثم إنه احتفل بى وترك جميع سراريه ونسائه ومحاظيه من أجلى واشتغل بى عن جميع ما عنده وما فى مدينته».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما سمع أخوها كلامها قال: «الحمد لله الذى جمع شملنا بك، لكن قصدى يا أختى أن تقومى وتروحى معنا إلى بلادنا وأهلنا» فلما سمع الملك كلام أخيها طار عقله خوفًا على الجارية أن تقبل بكلام أخيها ولا يقدر هو أن يمنعها مع أنه مولع بحبها فصار متحيرًا شديد الخوف من فراقها. وأما الجارية جلنار فإنها سمعت كلام أخيها قالت: «والله يا أخى إن الرجل الذى اشترانى من هذه المدينة وهو ملك عظيم ورجل عاقل كريم جيد فى غاية الجود وقد أكرمنى وهو صاحب مروة ومال كثير وليس له ولد ذكر ولا أنثى وقد أحسن إلىّ وصنع معى كل خير، ومن يوم جئته إلى هذا الوقت ما سمعت منه كلمة رديئة تسوء خاطرى، ولم يزل يلاطفنى ولا يفعل شيئًا إلا بمشاورتى وأنا عنده فى أحسن الأحوال وأتم النعم، وأيضًا متى فارقته يهلك فإنه لا يقدر على فراقى أبدًا ولا ساعة واحدة وإن فارقته أنا الأخرى متُّ من شدة محبتى إياه بسبب فرط إحسانه إلىّ مدة مقامى عنده فإنه لو كان أبى حيًا ما كان لى مقام عنده مثل مقامى عند هذا الملك العظيم الجليل المقدار. وقد رأيتمونى حاملة منه، الحمد

لله الذى جعلنى بنت ملك البحر وزوجى أعظم ملوك البر ولم يقطع الله تعالى بى وعوّضنى خيرًا. وأطلب من الله تعالى أن يرزقنى بولد ذكر يكون وارثًا عن هذا الملك العظيم وما خوّله الله تعالى من هذه العمارات والقصور والأملاك». فلما سمع أخوها وبنات عمها كلامها قرّت أعينهم بذلك الكلام وقالوا لها: «يا جلنار أنت تعلمين بمنزلتك عندنا وتعرفين محبتنا إياك وتتحققين أنك أعز الناس جميعًا عندنا وتعتقدين أن قصدنا لك الراحة من غير مشقة ولا تعب. فإن كنت فى غير راحة فقومى معنا إلى بلادنا وأهلنا. وإن كنت مرتاحة هنا فى معزّة وسرور فهذا هو المراد والمنى فإننا لا نريد إلا راحتك على كل حال» فقالت جلنار: «والله إنى فى غاية الراحة والهناء والعزّ والمنى». فلما سمع الملك منها هذا الكلام فرح واطمأن قلبه وشكرها على ذلك وازداد فيها حبًا ودخل حبّها فى صميم قلبه وعلم منها أنها تحبه كما يحبُّها وأنها تريد القعود عنده حتى ترى ولده منها.

حكاية ملاقاة الملك مع أهل جلنار

ثم إن الجارية التى هى جلنار البحرية أمرت جواريها أن تقدم الموائد والطعام من سائر الألوان وكانت جلنار هى التى باشرت الطعام فى المطبخ. فقدمت لهم الجوارى الطعام والحلويات والفواكه. ثم إنها أكلت هى وأهلها وبعد ذلك، قالوا لها: «يا جلنار إن سيدك رجل غريب منا وقد دخلنا بيته من غير إذنه ولم يعلم بنا وأنت تشكرين لنا فضله وأيضًا أحضرت لنا طعامه فأكلنا ولم نجتمع به ولم نرَهُ ولم يرنا ولا حضر عندنا ولا أكل معنا حتى يكون بيننا وبينه خبز وملح». وامتنعوا كلهم من الأكل واغتاظوا عليها وصارت النار تخرج من أفواههم كالمشاعل.

فلما رأى الملك ذلك طار عقله من شدة الخوف منهم. ثم إن جلنار قامت إليهم وطيبت خواطرهم. ثم بعد ذلك تمشت إلى أن دخلت المخدع الذى فيه الملك سيدها وقالت له: «يا سيدى هل رأيت وسمعت شكرى لك وثنائى عليك عند أهلى وسمعت ما قالوا لى من أنهم يريدون أن يأخذونى معهم إلى أهلنا وبلادنا؟» فقال لها الملك: «سمعت ورأيت جزاكِ الله عنا خيرًا، والله ما علمت قدر محبتى عندكِ إلا فى هذه الساعة المباركة ولم أشك فى محبتك إياى». فقالت له: «يا سيدى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وأنت قد أحسنت إلىّ وتكرمت علىّ بجلائل النعم وأراك تحبنى غاية المحبة وعملت معى كل جميل واخترتنى على جميع من تحب وتريد. فكيف يطيب قلبى على فراقك والرواح من عندك وكيف يكون ذلك وأنت تحسن وتتفضل علىّ، فأريد من فضلك أن تأتى وتسلم على أهلى وتراهم ويروك ويحصل الصفاء والودّ بينكما. ولكن اعلم يا ملك الزمان أن أخى وأمى وبنات عمى قد أحبوك محبة عظيمة لما شكرتك لهم وقالوا: «ما نروح إلى بلادنا من عندك حتى نجتمع بالملك ونسلّم عليه. فيريدون أن ينظروك ويأتنسوا بك».

فقال لها الملك: «سمعًا وطاعة فإن هذا هو مرادى». ثم إنه قام من مقامه وسار إليهم وسلّم عليهم بأحسن سلام، فبادروا إليه بالقيام وقابلوه أحسن مقابلة وجلس معهم فى القصر وأكل معهم على المائدة وأقام هو وإياهم مدة ثلاثين يومًا. ثم بعد ذلك أرادوا التوجه إلى بلادهم ومحلهم فأخذوا خاطر الملك والملكة جلنار البحرية، ثم ساروا من عندهما بعد أن أكرمهم الملك غاية الإكرام.

حكاية وضع جلنار غلاماً ورواح خاله به إلى البحر

وبعد ذلك استوفت جلنار أيام حملها وجاء أوان الوضع فوضعت غلامًا كأنه البدر فى تمامه. فحصل للملك بذلك غاية السرور لأنه ما رزق بولد ولا بنت فى عمره. فأقاموا الأفراح والزينة مدة سبعة أيام وهم فى غاية السرور والهناء. وفى اليوم السابع حضرت أم الملكة جلنار وأخوها وبنات عمها الجميع لما علموا أن جلنار قد وضعت فقابلهم الملك وفرح بقدومهم وقال لهم: «أنا قلت ما أسمّى ولدى حتى تحضروا وتسموه أنتم بمعرفتكم». فسموه باسم واتفقوا جميعًا على هذا الاسم. ثم إنهم عرضوا الغلام على خاله صالح فحمله بين يديه وقام به من بينهم وتمشى فى القصر يمينًا وشمالاً ثم خرج به من القصر ونزل به إلى البحر المالح ومشى حتى خفى عن عين الملك فلما رآه آخذ ولده وغاب عنه فى قاع البحر يئس منه وصار يبكى وينتحب. فلما رأته جلنار على هذه الحالة قالت له: «يا ملك الزمان لا تخف ولا تحزن على ولدى فأنا أحب ولدك أكثر منك، وإن ولدى مع أخى فلا تبالِ من البحر ولا تخشَ عليه من الغرق، ولو علم أخى أنه يحصل للصغير ضرر ما فعل الذى فعله، وفى هذه الساعة يأتيك بولدك سالمًا إن شاء الله تعالى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلم يكن غير ساعة إلا والبحر قد تخبط واضطرب وطلع منه خال الصغير ومعه ابن الملك سالمًا وطار من البحر إلى أن وصل إليهم والصغير على يديه وهو ساكت ووجهه كالقمر فى ليلة تمامه. ثم إن خال الصغير نظر إلى الملك وقال له: «لعلك خفت على ولدك ضررًا لما نزلت به فى البحر وهو معى؟ فقال: «نعم يا سيدى خفت عليه وما ظننت أنه يسلم منه قط». فقال له: «يا ملك البرّ إنا كحلناه بكحل نعرفه وقرأنا عليه الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود - عليهما السلام - فإن المولود إذا ولد عندنا صنعنا به ما ذكرت لك فلا تخف عليه من الغرق ولا من الخنق ولا من سائر البحار إذا نزل فيها، ومثل ما تمشون أنتم فى البرّ نمشى نحن فى البحر». ثم أخرج من جيبه محفظة مكتوبة مختومة ففض ختامها ونثرها فنزل جواهر منظومة من سائر أنواع اليواقيت والجواهر وثلثمائة قضيب من الزمرّد وثلثمائة قصبة من الجواهر الكبار التى قدر بيض النعام نورها أضوأ من نور الشمس والقمر وقال: «يا ملك الزمان هذه الجواهر واليواقيت هدية منى إليك لأننا ما أتينا بهدية قط لأننا كنا لا نعلم موضع جلنار ولا نعرف لها أثرًا ولا خبرًا، فلما رأيناك اتصلت بها وقد صرنا كلنا شيئًا واحدًا أتيناك بهذه الهدية وبعد كل قليل من الأيام نأتيك بمثلها إن شاء الله تعالى لأن هذه الجواهر واليواقيت عندنا أكثر من الحصى فى البرّ ونعرف جيدها ورديئها وجميع طرقها وهى سهلة علينا». فلما نظر الملك إلى تلك الجواهر واليواقيت اندهش عقله وحار لبّه وقال: «والله إن جوهرة من هذه الجواهر تعادل ملكى». ثم إن الملك شكر فضل صالح البحرى ونظر إلى الملكة جلنار وقال لها: «أنا استحييت من أخيك لأنه تفضل علىّ وهادانى بهذه الهدية السنية التى يعجز عنها أهل الأرض». فشكرت جلنار أخاها على ما فعل. فقال أخوها: «يا ملك الزمان إن لك علينا حقًا قد سبق وشكرنا لك قد وجب لأنك قد أحسنت إلى أختى

ودخلنا منزلك وأكلنا زادك، وقد قال الشاعر:

فلو قبْلَ مبكاها بكيتُ صبابــةً بسعدى شفيتُ النفس قبل التندُّمِ
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكـا بكاهـا فقلتُ الفضل للمتقـدمِ

ثم قال صالح: «ولو وقفنا فى خدمتك يا ملك الزمان ألف سنة على وجوهنا ما قدرنا أن نكافئك وكان ذلك فى حقك قليلاً». فشكره الملك شكرًا بليغًا وأقام صالح عند الملك هو وأمه وبنات عمه أربعين يومًا».

حكاية استئذان أهل جلنار من الملك فى الرجوع إلى أوطانهم

ثم إن صالحًا أخا جلنار قام وقبَّل الأرض بين يدى الملك زوج أخته. وقال له: «ما تريد يا صالح؟» فقال صالح: «يا ملك الزمان قد تفضلت علينا والمراد من إحسانك أن تتصدق علينا وتعطينا إذنًا فإننا قد اشتقنا إلى أهلنا وبلادنا وأقاربنا وأوطاننا ونحن ما بقينا ننقطع عن خدمتك ولا عن أختى ولا على ابن أختى، فوالله يا ملك الزمان ما يطيب لقلبى فراقكم ولكن كيف نعمل ونحن قد ربينا فى البحر وما يطيب لنا البر». فلما سمع الملك كلامه نهض قائمًا على قدميه وودَّع صالحًا البحرى وأمه وبنات عمه وتباكوا للفراق. ثم قالوا له: «عن قريب نكون عندكم ولا نقطعكم أبدًا وبعد كل قليل من الأيام نزوركم». ثم إنهم طاروا وقصدوا البحر حتى صاروا فيه وغابوا عن العين. فأحسن الملك إلى جلنار وأكرمها إكرامًا زائدًا، ونشأ الصغير منشأ حسنًا وكان خاله وجدته وخالته وبنات عمّ أمه بعد كل قليل من الأيام يأتون محل الملك ويقيمون عنده الشهر والشهرين ثم يرجعون إلى أماكنهم. ولم يزل الولد يزداد بزيادة السنّ حسنًا وجمالاً إلى أن صار عمره خمسة عشر عامًا. وكان فريدًا فى كماله وقدّه واعتداله وقد تعلم الخط والقراءة والأخبار والنحو واللغة والرمى بالنشاب وتعلَّم اللعب بالرمح وتعلَّم الفروسية وسائر ما تحتاج إليه أولاد الملوك ولم يبقَ أحد من أولاد أهل المدينة من الرجال والنساء إلا وله حديث بمحاسن ذلك الصبى لأنه كان بارع الجمال والكمال متصفًا بمضمون قول الشاعر:

طلع العذار على صحيفة خدِّه مثل الطراز فزاد فيه تحيّـرى
فكأنـه القنديـل بـات معلَّقًا تحت الدجى بسلاسلٍ من عنبرِ

حكاية أخذ الملك شهرمان العهد على أرباب دولته فى جعل بدر باسم ملكاً

فكان الملك يحبه محبة عظيمة. ثم إن الملك أحضر الوزير والأمراء وأرباب الدولة وأكابر المملكة وحلَّفهم الأيمان أنهم يجعلون بدر باسم ملكًا عليهم بعد أبيه. فحلفوا له الأيمان الوثيقة وفرحوا بذلك. وكان الملك محسنًا فى حق العالم وكان لطيف الكلام محضر خير لا يتكلم إلا بما فيه المصلحة للناس. ثم إن الملك ركب فى ثانى يوم هو وأرباب الدولة وسائر الأمراء وجميع العساكر ومشوا فى المدينة ورجعوا. فلما قاربوا القصر ترجّل الملك فى خدمة ولده وصار هو وسائر الأمراء وأرباب الدولة يحملون الغاشية قدامه. فصار كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة يحمل الغاشية ساعة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دهليز القصر وهو راكب. ثم ترجّل فحضنه أبوه هو والأمراء وأجلسوه على سرير الملك ووقف أبوه وكذلك الأمراء قدامه. ثم إن بدر باسم حكم بين الناس وعزل الظالم وولّى العادل واستمرّ فى الحكومة إلى قريب الظهر. ثم قام عن سرير الملك ودخل على أمه جلنار البحرية وعلى رأسه التاج وهو كأنه القمر فلما رأته أمه والملك بين يديه قامت إليه وقبّلته وهنأته بالسلطنة ودعت له ولوالده بطول البقاء والنصر على الأعداء. فجلس عند والدته واستراح.

ولما كان وقت العصر ركب والأمراء بين يديه حتى وصل إلى الميدان ولعب بالسلاح إلى وقت العشاء مع أبيه وأرباب دولته. ثم رجع إلى القصر والناس جميعهم بين يديه. وصار فى كل يوم يركب إلى الميدان وإذا رجع يقعد للحكومة بين الناس وينصف بين الأمير والفقير. ولم يزل كذلك مدّة سنة كاملة. وبعد ذلك صار يركب للصيد والقنص ويدور فى البلدان والأقاليم التى تحت حكمه وينادى بالأمان والاطمئنان ويفعل ما تفعل الملوك. وكان واحد أهل زمانه فى العز والشجاعة والعدل بين الناس.

فاتفق أن الملك والد بدر باسم مرض يومًا من الأيام فخفق قلبه وحسّ بالانتقال إلى دار البقاء. ثم ازداد به المرض حتى أشرف على الموت. فأحضر ولده ووصّاه بوالدته وبسائر أرباب دولته وبجميع الأتباع وحلفهم وعاهدهم على طاعة ولده ثانى مرّة واستوثق منهم بالأيمان. ثم مكث بعد ذلك أيامًا قلائل وتوفى إلى رحمة الله تعالى. فحزن عليه ولده بدر باسم وزوجته جلنار والأمراء والوزراء وأرباب الدولة وعملوا تربة ودفنوه بها. ثم إنهم قعدوا فى عزائه شهرًا كاملاً. وأتى صالح أخو جلنار وأمها وبنات عمها وعزّوهم فى الملك وقالوا: «يا جلنار إن كان الملك مات فقد خلف هذا الغلام الماهر ومن خلف مثله ما مات وهذا هو العديم النظير الأسد الكاسر والقمر الزاهر».

ثم إن أرباب الدولة والأكابر دخلوا على الملك بدر باسم وقالوا له: «يا ملك لا بأس بالحزن على الملك ولكن الحزن لا يصلح إلا للنساء فلا تشغل خاطرك وخواطرنا بالحزن على والدك فإنه قد مات ومن خلّف مثلك ما مات». ثم إنهم لاطفوه وسلّوه وبعد ذلك أدخلوه الحمام. فلما خرج من الحمام لبس بدلة فاخرة منسوجة من الذهب مرصعة بالجوهر والياقوت. ووضع تاج الملك على رأسه وجلس على سرير ملكه وقضى أشغال الناس أنصف الضعيف من القوى وأخذ للفقير حقه من الأمير، فأحبه الناس حبًا شديدًا ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة، وبعد كل مدة قليلة تزوره أهله البحرية فطاب عيشه وقرّت عينه. ولم يزل على هذه الحالة مدة مديدة.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية مشاورة جلنار مع أخيها فى تزويج بدر باسم

قالت شهر زاد: فاتفق أن خاله دخل ليلة من الليالى على جلنار وسلّم عليها فقامت له واعتنقته وأجلسته إلى جانبها وقالت له: «يا أخى كيف حالك وحال والدتى وبنات عمى؟» فقال لها: «يا أختى إنهم طيبون بخير وحظ عظيم ولم ينقص عليهم إلا النظر إلى وجهك». ثم إنها قدمت له شيئًا من الأكل فأكل ودار الحديث بينهما وذكروا الملك بدر باسم وحسنه وجماله وقده واعتداله وفروسيته وعقله وأدبه. وكان الملك بدر باسم متكئًا. فلما سمع أمه وخاله يذكرانه ويتحدثان فى شأنه أظهر أنه نائم وصار يسمع حديثهما. فقال صالح لأخته جلنار: «إن عمر ولدك سبعة عشر عامًا ولم يتزوّج ونخاف أن يجرى له أمر ولم يكن له ولد، فأريد أن أزوجه بملكة من ملكات البحر تكون فى حسنه وجماله». فقالت جلنار: «اذكرهنّ لى فإنى أعرفهنّ». فصار يعدُّهن لها واحدة بعد واحدة وهى تقول: «ما أرضى هذه لولدى ولا أزوجه إلا بمن تكون مثله فى الحسن والجمال والعقل والدين والأدب والمروءة والملك والحسب والنسب».

فقال لها: «ما بقيت أعرف واحدة من بنات الملوك البحرية وقد عددت لك أكثر من مائة بنت وأنت ما يعجبك واحدة منهنّ، ولكن انظرى يا أختى هل ابنك نائم أو لا؟» فجسته فوجدت عليه آثار النوم فقالت له: «إنه نائم فما عندك من الحديث وما قصدك بنومه؟» فقال لها: «يا أختى اعلمى أنى قد تذكرت بنتًا من بنات البحر تصلح لابنك وأخاف أن أذكرها فيكون ولدك منتبهًا فيتعلق قلبه بمحبتها وربما لا يمكننا الوصول إليها فيتعب هو ونحن وأرباب دولته ويصير لنا شغل بذلك». وقد قال الشاعر:

العشق أوّل ما يكون مجاجةً ... فإذا تكامل صار بحرًا واسعًا

فلما سمعت أخته قالت له: «قل لى ما شأن هذه البنت وما اسمها فأنا أعرف بنات البحر من ملوك وغيرهم فإذا رأيتها تصلح له خطبتها من أبيها ولو أنى أصرف جميع ما تملكه يدى عليها فأخبرنى بها ولا تخشَ شيئًا فإن ولدى نائم؟» فقال: «أخاف أن يكون يقظًا». وقد قال الشاعر:

عشقتهُ عندما أوصافه ذُكرت ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

حكاية سماع بدر باسم بأوصاف جوهرة بنت الملك السمندل

فقالت له جلنار: «قل وأوجز ولا تخف يا أخى». فقال: «والله يا أختى ما يصلح لابنك إلا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل وهى مثله فى الحسن والجمال والبهاء والكمال ولا يوجد فى البحر ولا فى البر ألطف ولا أحلى شمائل منها لأنها ذات حسن وجمال، وقد واعتدال، وخد أحمر، وجبين أزهر، وثغر كأنه الجوهر إن التفتت تخجل المها والغزلان، وإن خطرت يغار منها غصن البان، وإذا أسفرت تخجل الشمس والقمر، وتسبى كل من نظر».

فلما سمعت جلنار كلام أخيها قالت له: «صدقت يا أخى والله إنى رأيتها مرارًا عديدة وكانت صاحبتى ونحن صغار، وليس لنا اليوم معرفة ببعضنا لموجب البعد ولى اليوم ثمانية عشر عامًا ما رأيتها، والله ما يصلح لولدى إلا هى». فلما سمع بدر باسم كلامها وفهم ما قالاه من أوله إلى آخره فى وصف البنت التى ذكرها صالح وهى جوهرة بنت الملك السمندل عشقها

عشقها بالسماع وأظهر لهما أنه نائم وصار فى قلبه من أجلها لهيب النار. وغرق فى بحر لا يُدرك له ساحل ولا قرار.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم إن صالحًا نظر إلى أخته جلنار وقال لها: «والله يا أختى ما فى ملوك البحر أحمق من أبيها ولا أقوى سطوة منه. فلا تُعلمى ولدك بحديث هذه الجارية حتى نخطبها له من أبيها فإن أنعم بإجابتنا حمدنا الله تعالى، وإن ردّنا ولم يزوجها لابنك فنستريح ونخطب غيرها». فلما سمعت جلنار كلام أخيها صالح قالت: «نِعم الرأى الذى رأيته». ثم أنهما سكتا وباتا تلك الليلة. والملك بدر باسم فى قلبه لهيب النار وكتم حديثه ولم يقل لأمه ولا لخاله شيئًا من خبرها مع أنه من حبها على مقالى الجمر.

فلما أصبحوا دخل الملك هو وخاله الحمام واغتسلا. ثم خرجا وشربا الشراب وقدموا بين أيديهم الطعام فأكل الملك بدر باسم وأمه وخاله حتى اكتفوا ثم غسلوا أيديهم. وبعد ذلك قام صالح على قدميه وقال للملك بدر باسم وأمه جلنار: «عن إذنكما قد عزمت على الرواح إلى الوالدة فإن لى عندكم مدة أيام وخاطرهم مشغول علىّ وهم فى انتظارى». فقال الملك بدر باسم لخاله صالح: «اقعد عندنا هذا اليوم». فامتثل كلامه. ثم إنه قال: «قم بنا يا خالى واخرج بنا إلى البستان». فذهبا إلى البستان وصارا يتفرّجان ويتنزهان. فجلس الملك بدر باسم تحت شجرة مظللة وأراد أن يستريح وينام فتذكر ما قاله خاله صالح من وصف الجارية وما فيها من الحسن والجمال فبكى بدموع غزار وأنشد هذين البيتين:

لو قيل لى ولهيب النار متقدٌ	والنار فى القلب والأحشاء تضطرم
أهم أحبُّ إليك أن تشاهدهم	أم شربةٌ من زلال الماء قلتُ همُ

فلما سمع خاله صالح مقاله دق يدًا على يد وقال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم».

ثم قال له: «هل سمعت يا ولدى ما تكلمت به أنا وأمك من حديث الملكة جوهرة وذكرنا لأوصافها؟» فقال بدر باسم: «نعم يا خالى وعشقتها على السماع حين سمعت ما قلتم من الكلام وقد تعلّق قلبى بها وليس لى صبر عنها». فقال له: «يا ملك دعنا نرجع إلى أمك ونعلمها بالقضية وأستأذنها فى أنى آخذك معى وأخطب لك الملكة جوهرة ثم نودعها وأرجع أنا وأنت لأنى أخاف إن أخذتك وسرت من غير إذنها أن تغضب علىّ ويكون الحق معها لأنى أكون السبب فى فراقكما كما أنى كنت السبب فى افتراقها منّا وتبقى المدينة بلا ملك وليس عندهم من يسوسهم وينظر أحوالهم فيفسد عليك أمر المملكة ويخرج الملك من يدك».

فلما سمع بدر باسم كلام خاله صالح قال له: «اعلم يا خالى أنى متى رجعت إلى أمى وشاورتها فى ذلك لم تمكّنّى من ذلك فلا أرجع إليها ولا أشاورها أبدًا». وبكى قدام خاله. وقال له: «أروح معك ولا أعلمها ثم أرجع». فلما سمع صالح كلام ابن أخته حار فى أمره وقال: «استعنت بالله تعالى على كل حال».

ثم إن خاله صالحًا لما رأى ابن أخته على هذه الحالة وعلم أنه لا يحب أن يرجع إلى أمه

بل يروح معه أخرج من أصبعه خاتمًا منقوشًا عليه أسماء الله تعالى وناول الملك بدر باسم إياه وقال له: «اجعل هذا فى أصبعك تأمن من الغرق ومن غيره ومن شرّ دواب البحر وحيتانه». فأخذ الملك بدر باسم الخاتم من خاله صالح وجعله فى أصبعه. ثم إنهما غطسا فى البحر وسارا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية إخبار صالح لأمه بمراد بدر باسم وغضب أمه عليه

قالت شهرزاد: ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قصر صالح فدخلاه فرأته جدته أم أمه وهى قاعدة وعندها أقاربها. فلما دخلا عليهم قبَّلا أيديهم. فلما رأته جدته قامت إليه واعتنقته وقبّلت ما بين عينيه وقالت له: «قدوم مبارك يا ولدى كيف خلفت أمك جلنار؟» قال لها: «طيبة بخير وعافية وهى تسلم عليك وعلى بنات عمها». ثم إن صالحًا أخبر أمه بما وقع بينه وبين أخته جلنار وإن الملك بدر باسم عشق الملكة جوهرة بنت الملك السمندل على السماع. وقصّ لها القصة من أولها إلى آخرها وقال: «إنه ما أتى إلا ليخطبها من أبيها ويتزوجها».

فلما سمعت جدة الملك بدر باسم كلام صالح اغتاظت عليه غيظًا شديدًا وانزعجت واغتمت وقالت له: «يا ولدى لقد أخطأت بذكر الملكة جوهرة بنت الملك السمندل قدام ابن أختك لأنك تعلم أن الملك السمندل أحمق جبار قليل العقل شديد السطوة بخيل بابنته جوهرة على خطّابها، فإن سائر ملوك البحر خطبوها منه فأبى ولم يرضَ بأحد منهم بل ردّهم وقال لهم: «ما أنتم أكفاء لها فى الحسن ولا فى الجمال ولا فى غيرهما، ونخاف أن نخطبها من أبيها فيردنا كما رد غيرنا، ونحن أصحاب مروّة فنرجع مكسورى الخاطر».

فلما سمع صالح كلام أمه قال لها: «يا أمى كيف يكون العمل فإن الملك بدر باسم قد عشق هذه البنت لما ذكرتها لأختى جلنار وقال: «لا بد أن نخطبها من أبيها ولو أبذل جميع ملكى وزعم أنه إن لم يتزوج بها يموت فيها عشقًا وغرامًا». ثم إن صالحًا قال لأمه: «فاعلمى أن ابن أختى أحسن وأجمل منها وإن أباه كان ملك العجم بأسره وهو الآن ملكهم ولا تصلح جوهرة إلا له، وقد عزمت على أن آخذ جواهر من يواقيت وغيرها وأحمل هدية تصلح له وأخطبها منه فإن احتج علينا بأنه ملك فهو أيضًا ملك ابن ملك، وإن احتج علينا بالجمال فهو أجمل منها. وإن احتج علينا بسعة المملكة فهو أوسع مملكة منها ومن أبيها وأكثر أجنادًا وأعوانًا فإن ملكه أكبر من ملك أبيها.

ولا بد أن أسعى فى قضاء حاجة ابن أختى ولو أن روحى تذهب لأنى كنت سبب هذه القضية ومثل ما رميته فى بحار عشقها أسعى فى زواجه بها والله تعالى يساعدنى على ذلك». فقالت له أنه: «افعل ما تريد وإياك أن تغلظ عليه بالكلام إذا كلمته فإنك تعرف حماقته وسطوته وأخاف أن يبطش بك لأنه لا يعرف قدر أحد». فقال لها: «السمع والطاعة».

حكاية رواح صالح إلى الملك السمندل

وخطبة ابنته لبدر باسم

ثم إنه نهض وأخذ معه جرابين ملآنين من الجواهر واليواقيت وقضبان الزمرد ونفائس المعادن ومن سائر الأحجار وحمّلها لغلمانه وسار بهم هو وابن أخته إلى قصر الملك السمندل واستأذن فى الدخول عليه فأذن له.

فلما دخل قبّل الأرض بين يديه وسلّم بأحسن سلام.

فلما رآه الملك السمندل قام إليه وأكرمه غاية الإكرام وأمره بالجلوس فجلس.

فلما استقر به الجلوس قال له الملك: «قدوم مبارك أوحشتنا يا صالح ما حاجتك حتى إنك أتيت إلينا فأخبرنى بحاجتك حتى أقضيها لك».

فقام وقبّل الأرض ثانى مرّة وقال: «يا ملك الزمان حاجتى إلى الله وإلى الملك الهمام، والأسد الضرغام، والذى بمحاسن ذكره سارت الركبان، وشاع خبره فى الأقاليم والبلدان، بالجود والإحسان والعفو والصفح والامتنان».

ثم إنه فتح الجرابين وأخرج منهما الجواهر وغيرها ونثرها قدام الملك السمندل وقال له: «يا ملك الزمان عساك تقبل هديتى وتتفضل علىّ وتجبر قلبى بقبولها منى».

فقال له الملك السمندل: «لأى سبب أهديت لى هذه الهدية؟ قل لى قصّتك وأخبرنى بحاجتك.

فإن كنت قادرًا على قضائها قضيتها لك فى هذه الساعة ولا أحوجك إلى تعب، وإن كنت عاجزًا عن قضائها فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها».

فقام وقبّل الأرض ثلاث مرات وقال: «يا ملك الزمان إن حاجتى أنت قادر على قضائها وهى تحت حوزتك وأنت مالكها ولم أكلّف الملك مشقّة ولم أكن مجنونًا حتى أخاطب الملك فى شىء لا يقدر عليه.

فإن بعض الحكماء قال: «إذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع» فأما حاجتى التى جئت فى طلبها فإن الملك حفظه الله قادر عليها».

فقال له الملك: «اسأل حاجتك واشرح قضيتك واطلب مرادك». فقال له: «يا ملك الزمان اعلم أنى قد أتيت خاطبًا راغبًا فى الدّرة اليتيمة والجوهرة المكنونة الملكة جوهرة بنت مولانا، فلا تخيب أيها الملك قاصدك».

فلما سمع الملك كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه استهزاءً به وقال: «يا صالح كنت أحسبك رجلاً عاقلاً وشابًا فاضلاً لا تسعى إلا بسداد ولا تنطق إلا برشاد، وما الذى أصاب عقلك ودعاك إلى هذا الأمر العظيم والخطر الجسيم حتى أنك تخطب بنات الملوك أصحاب البلدان والأقاليم، وهل بلغ من قدرك أنك انتهيت إلى هذه الدرجة العالية، وهل نقص عقلك إلى هذه الغاية حتى تواجهنى بهذا الكلام؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال صالح: «أصلح الله الملك إنى لم أخطبها لنفسى ولو خطبتها لنفسى كنت كفؤًا لها بل أكثر، لأنك تعلم أن أبى ملك من ملوك البحر وإن كنت اليوم ملكنا ولكن أنا ما خطبتها إلا للملك بدر باسم صاحب أقاليم العجم وأبوه الملك شهرمان وأنت تعرف سطوته، وإن زعمت أنك ملك عظيم فالملك بدر باسم ملك أعظم، وإن ادّعيت أن ابنتك جميلة فالملك بدر باسم أجمل منها وأحسن صورة وأفضل حسبًا ونسبًا فإنه فارس أهل زمانه فإن أجبت إلى ما سألتك تكن يا ملك الزمان قد وضعت الشىء فى محله، وإن تعاظمت علينا فإنك ما أنصفتنا ولا سلكت بنا الطريق المستقيم، وأنت تعلم أيها الملك أن هذه الملكة جوهرة بنت مولانا الملك لا بد لها من الزواج، فإن كنت عزمت على زواجها فإن ابن أختى أحق بها من سائر الناس».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية غضب الملك السمندل على صالح وأمره بقتله

قالت شهر زاد: فلما سمع الملك كلام صالح اغتاظ غيظًا شديدًا وكاد عقله أن يذهب وكادت روحه أن تخرج من جسده وقال له: «يا كلب الرجال هل مثلك يخاطبنى بهذا الكلام وتذكر ابنتى فى المجالس وتقول: إن ابن أختك جلنار كفوءٌ لها.

فمن هو أنت ومن هى أختك ومن هو ابنها ومن هو أبوه حتى تقول لى هذا الكلام وتخاطبنى بهذا الخطاب، فهل أنتم بالنسبة إليها إلا كلاب؟» ثم صاح على غلمانه وقال: «يا غلمان خذوا رأس هذا اللئيم، فأخذوا السيوف وجردوها وطلبوه فولى هاربًا ولباب القصر طالبًا. فلما وصل إلى باب القصر رأى أولاد عمه وقرائبه وعشيرته وغلمانه وكانوا أكثر من ألفين فارس غارقين فى الحديد والزرد النضيد وبأيديهم الرماح وبيض الصفاح. فلما رأوا صالحًا على تلك الحالة قالوا له: «ما الخبر؟» فحدثهم بحديثه. وكانت أمه قد أرسلتهم إلى نصرته.

فلما سمعوا كلامه علموا أن الملك أحمق شديد السطوة فترجلوا عن خيولهم وجرّدوا سيوفهم ودخلوا على الملك السمندل فرأوه جالسًا على كرسى مملكته غافلاً عن هؤلاء وهو شديد الغيظ على صالح ورأوا خدّامه وغلمانه وأعوانه غير مستعدين.

فلما رآهم وبأيديهم السيوف مجردة صاح على قومه وقال: «يا ويلكم خذوا رءوس هؤلاء الكلاب».

فلم تكن غير ساعة حتى انهزم قوم الملك السمندل وركنوا إلى الفرار. وكان صالح وأقاربه قد قبضوا على الملك السمندل وكتّفوه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

فقالت: «قطع الله أبى وأزال ملكه عنه ولا جبر له قلبًا ولا رد له غربة إن كان يريد أحسن منك وأحسن من هذه الشمائل الظريفة والله إنه قليل العقل والتدبير». ثم قالت له: «يا ملك الزمان لا تؤاخذ أبى بما فعل وإن كنت أحببتنى شبرًا فأنا أحببتك ذراعًا، وقد انتقلت المحبة التى كانت عندك وصارت عندى وما بقى عندك منها إلا معشار ما عندى». ثم إنها نزلت من فوق الشجرة وقربت منه وأتت إليه واعتنقته.

حكاية سحر جوهرة لبدر باسم على هيئة طير وتفتيش صالح عنه

فلما رأى الملك بدر باسم فعلها فيه ازدادت محبته لها ووثق بها. ثم إنه قال لها: «يا ملكة والله لم يصف لى خالى صالح ربع معشار ما أنتِ عليه من الجمال ولا ربع قيراط من أربعة وعشرين قيراطًا». ثم إن جوهرة تكلّمت بكلام لا يفهم وتفلت فى وجهه وقالت له: «اخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر أحسن الطيور أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين». فما تم كلامها حتى انقلب الملك بدر باسم إلى صورة طائر أحسن ما يكون من الطيور وانتفض ووقف على رجليه وصار ينظر إلى جوهرة. وكانت عندها جارية من جواريها تسمّى مرسينة. فنظرت إليها وقالت: «والله لولا أنى أخاف من كون أبى أسيرًا عند خاله لقتلته، فلا جزاه خيرًا، فما أشأم قدومه علينا فهذه الفتنة كلها من تحت رأسه، ولكن يا جارية خذيه واذهبى به إلى الجزيرة المعطشة واتركيه هناك حتى يموت عطشانًا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فأخذته الجارية وأوصلته إلى الجزيرة وأرادت الرجوع من عنده. ثم قالت فى نفسها: «إن صاحب هذا الحسن والجمال لا يستحق أن يموت عطشانًا». ثم إنها أخرجته من الجزيرة المعطشة وأتت به إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار فوضعته فيها ورجعت إلى سيدتها وقالت لها: «قد وضعته فى الجزيرة المعطشة». هذا ما كان من أمر باسم. وأما ما كان من أمر الملك صالح خال الملك بدر باسم فإنه لما احتوى على الملك السمندل وقتل أعوانه وخدمه وصار تحت أسره طلب جوهرة بنت الملك فلم يجدها. فرجع إلى قصره عند أمه وقال: «يا أمى أين ابن أختى الملك بدر باسم؟» فقالت: «يا ولدى ما لى به علم ولا أعرف أين ذهب فإنه لما بلغه أنك تقاتلت مع الملك السمندل وجرت بينكم الحروب والقتال فزع وهرب». فلما سمع صالح كلام أمه حزن على ابن أخته وقال: «يا أمى والله إننا قد فرطنا فى الملك بدر باسم وأخاف أن يهلك أو يقع به أحد من جنود الملك السمندل أو تقع به ابنة الملك جوهرة فيحصل لنا من أمه خجل ولا يحصل لنا منها خير لأنى قد أخذته بغير إذنها». ثم إنه بعث خلفه الأعوان والجواسيس إلى جهة البحر وغيره فلم يقفوا له على خبر فرجعوا وأعلموا الملك صالحًا بذلك. فزاد همه وغمه وقد ضاق صدره على الملك بدر باسم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية هروب بدر باسم وملاقاته مع جوهرة فى الجزيرة

ثم إن جوهرة لما انتبهت علمت أن أباها قد أسر وأن أعوانه قد قتلوا فخرجت من القصر هاربة إلى بعض الجزائر.

ثم إنها قصدت شجرة عالية واختفت فوقها. ولما اقتتل هؤلاء الطائفتان فرّ بعض غلمان الملك السمندل هاربين. فرآهم بدر باسم فسألهم عن حالهم فأخبروه بما وقع. فلما سمع أن الملك السمندل قُبض عليه ولّى هاربًا وخاف على نفسه وقال فى قلبه: «إن هذه الفتنة كانت من أجلى وما المطلوب إلا أنا». فولّى هاربًا وللنجاة طالبًا وصار لا يدرى أين يتوجه فساقته المقادير الأزلية إلى تلك الجزيرة التى فيها جوهرة بنت الملك السمندل فأتى عند الشجرة وانطرح مثل القتيل وأراد الراحة بانطراحه ولا يعلم أن كل مطلوب لا يستريح ولا يعلم أحد ما خفى له فى الغيب من التقادير.

فلما رقد رفع بصره نحو الشجرة فوقعت عينه فى عين جوهرة فنظر إليها فرآها كأنها القمر إذا أشرق. فقال: «سبحان خالق هذه الصورة البديعة وهو خالق كل شىء وهو على كل شىء قدير سبحان الله العظيم الخالق البارى المصوّر، والله إن صدقنى حزرى تكون هذه جوهرة بنت الملك السمندل، وأظنها لما سمعت بوقوع الحرب بينهما هربت وأتت إلى هذه الجزيرة واختفت فوق هذه الشجرة، وإن لم تكن هذه هى الملكة جوهرة فهذه أحسن منها».

ثم إنه صار متفكرًا فى أمرها وقال فى نفسه: «أقوم أمسكها وأسألها عن حالها فإن كانت هى فإنى أخطبها من نفسها وهذه هى بغيتى». فانتصب قائمًا على قدميه وقال لجوهرة: «يا غاية المطلوب من أنتِ ومن أتى بكِ إلى هذا المكان؟» فنظرت جوهرة إلى بدر باسم فرأته كأنه البدر إذا ظهر من تحت الغمام الأسود وهو رشيق القوام مليح الابتسام فقالت له: «يا مليح الشمائل أنا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل وقد هربت فى هذا المكان لأن صالحًا وجنده تقاتلوا مع أبى وقتلوا جنده وأسروه هو وبعض جنده فهربت أنا خوفًا على نفسى».

ثم إن الملكة جوهرة قالت للملك بدر باسم: «وأنا ما أتيت إلى هذا المكان إلا هاربة خوفًا من القتل ولم أدر ما فعل الزمان بأبى».

فلما سمع الملك بدر باسم كلامها تعجب غاية العجب من هذا الاتفاق الغريب وقال: «لا شك أنى نلت غرضى بأسر أبيها». ثم إنه نظر إليها وقال لها: «انزلى يا سيدتى فإنه على شأنى وشأنك كانت هذه الفتنة وهذه الحروب، واعلمى أنى أنا بدر باسم ملك العجم وأن صالحًا هو خالى وهو الذى أتى إلى أبيكِ وخطبكِ منه، وأنا قد تركت ملكى لأجلك واجتماعنا فى هذا الوقت من عجائب الاتفاق، فقومى وانزلى عندى حتى أروح أنا وأنت إلى قصر أبيك وأسأل خالى صالحًا فى إطلاقه وأتزوج بكِ فى الحلال».

فلما سمعت جوهرة كلام بدر باسم قالت فى نفسها: «على شأن هذا اللئيم كانت هذه القضية وأسر أبىَ وقتل حجابه وحشمه وتشتتُّ أنا عن قصرى وخرجت مسبية إلى هذه الجزيرة، فإن لم أعمل معه حيلة أتحصن بها منه تمكن منى ونال غرضه». ثم إنها خادعته بالكلام ولين الخطاب وهو لا يدرى ما أضمرته له من المكايد وقالت له: «يا سيدى ونور عينى هل أنت الملك بدر باسم ابن الملكة جلنار؟» فقال لها: «نعم يا سيدتى».

حكاية رواح جلنار إلى أمها واستماع خبر ابنها

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر الملك بدر باسم وخاله صالح. وأما ما كان من أمر أمه جلنار البحرية فإنه لما نزل ابنها بدر باسم مع خاله صالح انتظرته فلم يرجع إليها وأبطأ خبره عنها فقعدت أيامًا عديدة فى انتظاره، ثم أنها قامت ونزلت فى البحر وأتت أمها.

فلما نظرتها أمها قامت إليها وقبلتها واعتنقتها وكذلك بنات عمها. ثم إنها سألت أمها عن الملك بدر باسم. فقالت لها: «يا بنتى قد أتى هو وخاله. ثم إن خاله قد أخذ يواقيت وجواهر وتوجه بها وإياه إلى الملك السمندل وخطب ابنته فلم يجبه وشدد على أخيكِ فى الكلام. فأرسلت إلى أخيكِ نحو ألف فارس ووقع الحرب بينهم وبين الملك السمندل فنصر الله أخاكِ عليه وقتل أعوانه وجنوده وأسر الملك السمندل. فبلغ ذلك الخبر ولدك فكأنه خاف على نفسه فهرب من عندنا بغير اختيارنا ولم يعد إلينا بعد ذلك ولم نسمع له خبرًا».

ثم إن جلنار سألتها عن أخيها صالح، فأخبرتها أنه جالس على كرسى المملكة فى محل الملك السمندل وقد أرسل جميع الجهات بالتفتيش على ولدك وعلى الملكة جوهرة. فلما سمعت جلنار كلام أمها حزنت على ولدها حزنًا شديدًا واشتد غضبها على أخيها صالح لكونه أخذ ولدها ونزل به البحر من غير إذنها.

ثم إنها قالت: «يا أمى إنى خائفة على الملك الذى لنا لأنى أتيتكم وما أعلمت أحدًا من أهل المملكة وأخشى إن أبطأت عليهم أن يفسد الملك علينا وتخرج المملكة من أيدينا. والرأى السديد أنى أرجع وأسوس المملكة إلى أن يدبر الله لنا أمر ولدى، ولا تنسوا ولدى ولا تتهاونوا فى أمره فإنه إن حصل له ضرر هلكت لا محالة لأنى لا أرى الدنيا إلا به ولا ألتذ إلا بحياته». فقالت لها: «حبًا وكرامة يا بنتى لا تسألى على ما عندنا من فراقه وغيبته». ثم إن أمها أرسلت من يفتش عليه. ورجعت أمه حزينة القلب باكية العين إلى المملكة وقد ضاقت بها الدنيا.

حكاية صيد الصياد لبدر باسم

وهو فى صورة طائر وبيعه إياه للملك

هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر الملك بدر باسم فإنه لما سحرته الملكة جوهرة وأرسلته مع جاريتها إلى الجزيرة المعطشة وقالت لها: «دعيه فيها يموت عطشانًا». لم تضعه الجارية إلا فى جزيرة خضراء مثمرة ذات أشجار وأنهار. فصار يأكل من الثمار ويشرب من الأنهار. ولم يزل كذلك مدة أيام وليال وهو فى صورة طائر لا يعرف أين يتوجه ولا كيف يطير.

فبينما هو ذات يوم من الأيام فى تلك الجزيرة إذ أتى هناك صياد من الصيادين ليصطاد شيئًا يتقوّت به، فرأى الملك بدر باسم وهو فى صورة طائر أبيض الريش وأحمر المنقار والرجلين يسبى الناظر ويدهش الخاطر.

فنظر إليه الصياد فأعجبه وقال فى نفسه: «إن هذا الطائر مليح وما رأيت طيرًا مثله فى حسنه ولا فى شكله». ثم إنه رمى الشبكة عليه واصطاده ودخل به المدينة وقال فى نفسه: «إنى أبيعه وآخذ ثمنه». فقابله واحد من أهل المدينة وقال له: «بكم هذا الطائر يا صياد؟» فقال له الصياد: «إذا اشتريته ماذا تعمل به؟» قال: «أذبحه وآكله». فقال له الصياد: «من يطيب

قلبه أن يذبح هذا الطائر ويأكله، إنى أريد أن أهديه إلى الملك فيعطينى أكثر من المقدار الذى تعطلينيه أنت فى ثمنه ولا يذبحه بل يتفرج عليه وعلى حسنه وجماله لأنى فى طول عمرى وأنا صياد ما رأيت مثله فى صيد البحر ولا فى صيد البر، وأنت إن رغبت فيه نهاية ما تعطينى فى ثمنه درهم، وأنا والله العظيم لا أبيعه». ثم إن الصياد ذهب به إلى دار الملك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما رآه الملك أعجبه حسنه وجماله وحمرة منقاره ورجليه فأرسل إليه خادمًا ليشتريه منه. فأتى الخادم إلى الصياد وقال له: «أتبيع هذا الطائر؟» قال: «لا بل هو للملك هدية منى» فأخذه الخادم وتوجه به إلى الملك وأخبره بما قاله. فأخذه الملك وأعطى الصياد عشرة دنانير، فأخذها وقبّل الأرض وانصرف، وأتى الخادم بالطائر إلى قصر الملك ووضعه فى قفص مليح وعلّقه وحط عنده ما يأكل وما يشرب.

فلما نزل الملك قال للخادم: «أين الطائر أحضره حتى أنظره والله إنه مليح». فأتى به الخادم ووضعه بين يدى الملك وقد رأى الأكل الذى عنده لم يأكل منه شيئًا. فقال الملك: «والله لا أدرى ما يأكل حتى أطعمه». ثم أمر بإحضار الطعام فأحضرت الموائد بين يديه فأكل الملك من ذلك. فلما نظر الطير إلى اللحم والحلويات والفواكه أكل من جميع ما فى السماط الذى قدّام الملك فبهت له الملك وتعجب من أكله وكذلك الحاضرون. ثم قال الملك لمن حوله من الخدام والمماليك: «عمرى ما رأيت طيرًا يأكل مثل هذا الطير». ثم أمر الملك أن تحضر زوجته لتتفرج عليه. فمضى الخادم ليحضرها.

فلما رآها قال لها: «يا سيدتى إن الملك يطلبك لأجل أن تتفرجى على هذا الطير الذى اشتراه فإننا لما حضرنا بالطعام طار من القفص وسقط على المائدة وأكل من جميع ما فيها، فقومى يا سيدتى تفرجى عليه فإنه مليح المنظر وهو أعجوبة من أعاجيب الزمان». فلما سمعت كلام الخادم أتت بسرعة فلما نظرت إلى الطير وتحققت غطت وجهها وولت راجعة. فقام الملك وراءها وقال لها: «لأى شىء غطيت وجهك وما عندك غير الجوارى والخدام التى فى خدمتك وزوجك؟». فقالت له: «أيها الملك إن هذ اليس بطائر وإنما هو رجل مثلك» فلما سمع كلام زوجته قال لها: «تكذبين ما أكثر ما تمزحين كيف يكون غير طائر؟» قالت له: «والله ما مزحت ولا قلت لك إلا حقًّا إن هذا الطير الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان صاحب بلاد العجم وأمه جلنار البحرية».

حكاية إبطال زوجة الملك سحر بدر باسم

فقال لها: «وكيف صار إلى هذا الشكل؟» قالت له: «إنه قد سحرته الملكة جوهرة بنت الملك السمندل». ثم حدثته بما جرى له من أوله إلى آخره وإنه قد خطب جوهرة من أبيها فلم يرض أبوها بذلك وإن خاله صالحًا اقتتل هو والملك السمندل وانتصر صالح عليه وأسره».

فلما سمع كلام زوجته تعجب غاية العجب. وكانت هذه الملكة زوجته أسحر أهل زمانها. فقال لها الملك: «بحياتى عليك أن تحليه من سحره ولا تخليه معذبًا، قطع الله تعالى يد جوهرة ما أقبحها وما أقل دينها وأكثر خداعها ومكرها». قالت له زوجته: «قل له: يا بدر باسم ادخل

هذه الخزانة». فأمره الملك أن يدخل الخزانة.

فلما سمع كلام الملك دخل الخزانة فقامت زوجة الملك وسترت وجهها وأخذت فى يديها طاس ماء ودخلت الخزانة وتكلمت على الماء بكلام لا يفهم وقالت له: «بحق هذه الأسماء العظام والآيات الكرام وبحق الله تعالى خالق السموات والأرض ومحيى الأموات وقاسم الأرزاق والآجال أن تخرج من هذه الصورة التى أنت فيها وترجع إلى الصورة التى خلقك الله عليها» فلم تتم كلامها حتى انتفض نفضة ورجع إلى صورته البشرية. فرآه الملك شابًا مليحًا ما على وجه الأرض أحسن منه.

ثم إن الملك بدر باسم لما نظر إلى هذه الحالة قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله سبحان الله خالق الخلائق ومقدّر أرزاقهم وآجالهم» ثم إنه قبّل يدى الملك ودعا له بالبقاء. وقبّل الملك رأس بدر باسم وقال له: «يا بدر باسم حدّثنى بحديثك من أوله إلى آخره» فحدّثه بحديثه ولم يكتم منه شيئًا. فتعجب الملك من ذلك ثم قال له: «يا بدر باسم قد خلصك الله من السحر فما الذى اقتضاه رأيك وما تريد أن تصنع؟» قال له: «يا ملك الزمان أريد من إحسانك أن تجهز لى مركبًا وجماعة من خدّامك وجميع ما احتاج إليه فإن لى زمانًا طويلاً وأنا غائب وأخاف أن تروح المملكة منى، وما أظن أن والدتى بالحياة من أجل فراقى والغالب على ظنى أنها ماتت من حزنها علىّ لأنها لا تدرى ما جرى لى ولا تعرف هل أنا حىّ أم ميت، وأنا أسألك أيها الملك أن تتمّ إحسانك علىّ بما طلبته منكش.

فلما نظر الملك إلى حسنه وجماله وفصاحته أجابه وقال له: «سمعًا وطاعة». ثم إنه جهز له مركبًا ونقل فيه ما يحتاج إليه وسيّر معه جماعة من خدّامه. فنزل فى المركب بعد أن ودع الملك وساروا فى البحر وساعدتهم الريح ولم يزالوا سائرين عشرة أيام متوالية. ولما كان يوم الحادى عشر هاج البحر هيجانًا شديدًا وصار المركب يرتفع وينخفض ولم تقدر البحرية أن يمسكوه.

ولم يزالوا على هذه الحالة والأمواج تلعب بهم حتى قربوا إلى صخرة من صخر البحر. فوقعت تلك الصخرة على المركب فانكسر وغرق جميع من كان فيه إلا الملك بدر باسم فإنه ركب على لوح من الألواح بعد أن أشرف على الهلاك. ولم يزل ذلك اللوح يجرى به فى البحر ولا يدرى إلى أين هو ذاهب وليس له حيلة فى منع اللوح بل سار اللوح به مع الماء والريح.

حكاية طلوع بدر باسم إلى مدينة السحرة ووصوله عند الشيخ البقال

ولم يزل كذلك مدة ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع طلع به اللوح على ساحل البحر فوجد هناك مدينة بيضاء مثل الحمامة الشديدة البياض وهى مبنية فى الجزيرة التى على ساحل البحر لكنها عالية الأركان مليحة البنيان رفيعة الحيطان والبحر يضرب فى سورها. فلما عاين الملك بدر باسم تلك الجزيرة التى فيها هذه المدينة فرح فرحًا شديدًا. وقد كان أشرف على الهلاك من الجوع والعطش فنزل من فوق اللوح وأراد أن يصعد إلى المدينة فأتت إليه بغال وحمير وخيول عدد الرمل فصارت تضربه وتمنعه أن يطلع من البحر إلى المدينة.

ثم إنه عام خلف تلك المدينة وطلع إلى البر فلم يجد هناك أحدًا فتعجب وقال: «يا ترى لمن هذه المدينة وهى ليس لها ملك ولا فيها أحد ومن أين هذه البغال والحمير والخيول التى منعتنى من الطلوع؟» وصار متفكرًا فى أمره وهو ماش وما يدرى أين يذهب ثم بعد ذلك رأى شيخًا بقالاً.

فلما رآه الملك بدر باسم سلم عليه فرد عليه السلام. ونظر إليه الشيخ فرآه جميلاً فقال له: «يا غلام من أين أقبلت وما أوصلك إلى هذه المدينة؟» فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره. فتعجب منه وقال له: «يا ولدى أما رأيت أحدًا فى طريقك؟» فقال له: «يا والدى إنما أتعجب من هذه المدينة حيث كانت خالية من الناس». فقال له الشيخ: يا ولدى اطلع إلى الدكان لئلا تهلك». فطلع بدر باسم وقعد فى الدكان. فقام الشيخ وجاء له بشىء من الطعام وقال له: «يا ولدى ادخل فى داخل الدكان فسبحان من سلمك من هذه الشيطانة» فخاف الملك بدر باسم خوفًا شديدًا ثم أكل من طعام الشيخ حتى اكتفى وغسل يديه.

ونظر إلى الشيخ وقال له: «يا سيدى ما سبب هذا الكلام فقد خوفتنى من هذه المدينة ومن أهلها؟» فقال له الشيخ: «يا ولدى اعلم أن هذه المدينة مدينة السحرة وبها ملكة ساحرة كأنها شيطانة وهى كاهنة سحارة مكارة غدّارة، والتى تنظر من الخيل والبغال والحمير هؤلاء كلهم مثلك ومثلى من بنى آدم ولكنهم غرباء لأن كل مَن يدخل هذه المدينة وهو شاب مثلك تأخذه هذه الكافرة الساحرة وتقعد معه أربعين يومًا وبعد الأربعين يومًا تسحره فيصير بغلاً أو فرسًا أو حمارًا من هذه الحيوانات التى نظرتها على جانب البحر، وإنك لما أردت الطلوع إلى البر خافوا عليك أن تسحرك مثلهم فقالوا لك بالإشارة: لا تطلع لئلا تراك الساحرة شفقةً عليك، فربما تعمل فيك مثل ما عملت فيهم» وقال له: «إنها قد ملكت هذه المدينة من أهلها بالسحر واسمها الملكة لاب وتفسيره بالعربى تقويم الشمس».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما سمع الملك بدر باسم ذلك الكلام من الشيخ خاف خوفًا شديدًا وصار يرتعد مثل القصبة الريحية وقال له: «أنا ما صدقت أنى خلصت من البلاء الذى كنت فيه من السحر حتى ترمينى المقادير فى مكان أقبح منه؟» فصار متفكرًا فى حاله وما جرى له.

فلما نظر إليه الشيخ ورآه قد اشتد خوفه قال له: «يا ولدى قم واجلس على عتبة الدكان وانظر إلى تلك الخلائق وإلى لباسهم وألوانهم وما هم فيه من السحر ولا تخف فإن الملكة وكل من فى المدينة يحبنى ويراعينى ولا يُرجفون لى قلبًا ولا يعيبون خاطرًا».

فلما سمع الملك بدر باسم كلام الشيخ خرج وقعد على باب الدكان يتفرج. فجازت عليه الناس فنظر إلى عالم لا يحصى عدده.

فلما نظره الناس تقدموا إلى الشيخ وقالوا له: «يا شيخ هل هذا أسيرك وصيدك فى هذه الأيام» فقال لهم: «هذا ابن أخى وسمعت أن أباه قد مات فأرسلت خلفه وأحضرته لأطفئ نار شوقى به». فقالوا له: «إن هذا مليح الشباب ولكن نخاف عليه من الملكة لاب لئلا ترجع عليك بالغدر وتأخذه منك». فقال لهم الشيخ: «إن الملكة لا تعصى أمرى وهى تراعينى وتحبنى

عليك بالغدر وتأخذه منك». فقال لهم الشيخ: «إن الملكة لا تعصي أمري وهي تراعيني وتحبني وإذا علمت أنه ابن أخي لا تتعرض له ولا تسوءني فيه ولا تشوش خاطري به». فأقام الملك بدر باسم عند الشيخ مدة أشهر في أكل وشرب وأحبه الشيخ محبة عظيمة.

ثم إن بدر باسم كان جالسًا على دكان الشيخ ذات يوم على جرى عادته وإذا بألف خادم وبأيديهم السيوف مجرّدة وعليهم أنواع الملابس وفي وسطهم المناطق المرصعة بالجواهر وهم راكبون الخيول العربية متقلدون السيوف الهندية وقد جاؤوا على دكان الشيخ وسلموا عليه ثم مضوا، وجاء بعدهم ألف جارية كأنهن الأقمار وعليهنّ أنواع الملابس من الحرير الأطلس مطرّزة بطرازات الذهب مرصعة بأنواع الجواهر وكلهنّ متقلدات الرماح وفي وسطهنّ جارية راكبة على فرس عربية عليها سرج من ذهب مرصع بأنواع الجواهر واليواقيت.

ولم يزلنَ سائرات حتى وصلنَ إلى دكان الشيخ وسلمنَ عليه ثم توجهنَ. وإذا بالملكة لاب قد أقبلت في موكب عظيم وما زالت مقبلة إلى أن وصلت إلى دكان الشيخ. فرأت الملك بدر باسم وهو جالس على الدكان كأنه البدر في تمامه. فلما رأته الملكة لاب حارت في حسنه وجماله واندهشت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أخذ الملكة الساحرة لبدر باسم بإذن الشيخ

قالت شهر زاد: ثم أقبلت على الدكان ونزلت وجلست عند الملك بدر باسم وقالت للشيخ: «من أين لك هذا المليح؟» فقال: «هذا ابن أخي جاءني عن قريب» فقالت له: دعه يكون عندي لأتحدث أنا وإياه» فقال لها: «أتأخذينه مني ولا تسحرينه؟» قالت: «نعم». قال: «احلفي لي». فحلفت له أنها لا تؤذيه ولا تسحره.

ثم أمرت أن يقدموا له فرسًا مليحًا مسرجًا ملجمًا بلجام من ذهب وكل ما عليه ذهب مرصع بالجواهر ووهبت للشيخ ألف دينار وقالت له: «استعن بها». ثم إن الملكة لاب أخذت الملك بدر باسم وراحت به وهو كأنه البدر في ليلة أربعة عشر وصار معها وصارت الناس كلما نظروا إليه وإلى حسنه يتوجعون عليه ويقولون والله إن هذا الشاب لا يستحق أن تسحره هذه الملعونة».

والملك بدر باسم يسمع كلام الناس ولكنه ساكت وقد سلّم أمره لله تعالى. ولم يزالوا سائرين إلى القصر. ثم ترجل الأمراء والخدام وأكابر الدولة وقد أمرت الحجاب أن يأمروا أرباب الدولة كلهم بالانصراف. فقبّلوا الأرض وانصرفوا. ودخلت الملكة والخدام والجواري في القصر فلما نظر الملك بدر باسم إلى القصر رأى قصرًا لم يرَ مثله قط وحيطانه مبنية بالذهب وفي وسط القصر بركة عظيمة غزيرة الماء في بستان عظيم. فنظر الملك بدر باسم إلى البستان فرأى فيه طيورًا تناغي بسائر اللغات والأصوات المفرحة والمحزنة، وتلك الطيور من سائر الأشكال والألوان.

فنظر الملك بدر باسم إلى ملك عظيم فقال: «سبحان الله من كرمه وحلمه يرزق من يعبد غيره».

فجلست الملكة فى شباك يشرف على البستان وهى على سرير من العاج وفوق السرير فرش عالٍ وجلس الملك بدر باسم إلى جانبها. ثم أمرت الجوارى بإحضار مائدة فأحضرن مائدة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وفيها من سائر الأطعمة فأكلا حتى اكتفيا وغسلا أيديهما.

ثم أحضرت الجوارى أوانى الذهب والفضة والبلور وأحضرن أيضًا جميع أجناس الأزهار وأطباق النقل. ثم إنها أمرت بإحضار مغنيات فحضر عشر جوارٍ كأنهن الأقمار وبأيديهنّ سائر آلات الملاهى.

ثم إن الملكة ملأت قدحًا وشربته وملأت آخر وناولته الملك بدر باسم فأخذه وشرب ولم يزالا كذلك يشربان حتى اكتفيا. ثم أمرت الجوارى أن يغنين بسائر الألحان وتخيَّل للملك بدر باسم أنه يرقص به القصر طربًا فطاش عقله وانشرح صدره ونسى الغربة وقال: «إن هذه الملكة كريمة ما بقيت أروح من عندها أبدًا لأن ملكها أوسع من ملكى وهى أحسن من الملكة جوهرة».

ولم يزل يشرب معها إلى أن أمسى المساء وأوقدت القناديل والشموع وأطلقوا البخور والمغنيات يغنين وأمرت أن يُعدّ للملك بدر باسم موضع للنوم ثم إن الملكة لاب قامت من موضعها ونامت على سرير وأمرت الجوارى بالانصراف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ولما أصبح الصباح أفرغت على الملك بدر باسم أجمل القماش وأمرت بإحضار آلات الشراب فأحضرتها الجوارى فشربا.

ثم إن الملكة أخذت بيد الملك بدر باسم وجلسا على الكراسى وأمرت بإحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما.

ثم قدمت الجوارى لهما أوانى الشراب والفواكه والأزهار والنقل. ولم يزالا يأكلان ويشربان والجوارى تغنى باختلاف الألحان إلى المساء. ولم يزالا فى أكل وشرب وطرب إلى مدة أربعين يومًا.

ثم قالت: «يا بدر باسم هل هذا المكان أطيب أو دكان عمك البقّال؟» قال لها: «والله يا ملكة إن هذا أطيب وذلك أن عمى رجل صعلوك يبيع الباقلاء». فضحكت من كلامه.

ثم إن الملك بدر باسم انتبه يومًا من نومه فلم يجد الملكة لاب فقال: «يا ترى أين راحت؟» وصار مستوحشًا من غيبتها ومتحيرًا فى أمره وقد غابت عنه مدة طويلة ولم ترجع فقال فى نفسه: «أين ذهبت؟» ثم إنه صار يفتش عليها فلم يجدها فقال فى نفسه: «لعلها ذهبت إلى البستان». فمضى إلى البستان فرأى فيه نهرًا جاريًا وبجانبه طيرة بيضاء وعلى شاطئ ذلك النهر شجرة وفوقها طيور مختلفة الألوان. فصار ينظر إلى الطيور والطيور لا تراه وإذا بطائر أسود نزل بجانب تلك الطيرة البيضاء فصارت تقاتله. ثم بعد ساعة انقلبت تلك الطيرة فى صورة بشر. فتأملها وإذا هى الملكة لاب. فعلم أن الطير الأسود إنسان مسحور وهى تسحر نفسها طيرة لأجله. فأخذته الغيرة واغتاظ على الملكة لاب من أجل الطير الأسود.

ثم إنه رجع إلى مكانه وبعد ساعة رجعت إليه وصارت الملكة لاب تمزح معه وهو شديد الغيظ عليها فلم يكلمها كلمة واحدة. فعلمت ما به وتحققت أنه رآها طيرة لأجل ذلك الطير.

فلم تظهر له شيئًا بل كتمت ما بها ثم قال لها: «يا ملكة أريد أن تأذنى لى فى الرواح إلى دكان عمى فإنى قد تشوّقت إليه ولى أربعون يومًا ما رأيته». فقالت له: «رُح إليه ولا تبطئ علىّ فإنى ما أقدر أن أفارقك ولا أصبر عنك ساعة واحدة». فقال لها: «سمعًا وطاعة» ثم إنه ركب ومضى إلى دكان الشيخ البقال. فرحب به وقام إليه وعانقه وقال له: «كيف أنت مع هذه الكافرة؟» فقال له: «كنت طيبًا فى خير وعافية إلا أنى استيقظت اليوم فلم أرها فدرت أفتش عليها إلى أن أتيت إلى البستان» وأخبره بما رآه من النهر والطيور التى كانت فوق الشجَرة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الشيخ كلامه قال له: «احذر منها واعلم أن الطيور التى كانت على الشجرة كلهم شباب غرباء فسحرتهم وجعلتهم طيورًا، وذلك الطير الأسود الذى رأيته كان من جملة مماليكها فسحرته فى صورة طير أسود وكلما تذكرته تسحر نفسها طيرةً لتقاتله، ولما علمت أنك علمت بحالها أضمرت لك السوء ولا تصفو لك. ولكن ما عليك بأس منها ما دمتُ أراعيك أنا فلا تخف فإنى رجل مسلم واسمى عبد الله وما فى زمانى أسحر منى ولكن لا أستعمل السحر إلا عند اضطرارى إليه وكثيرًا ما أبطل سحر هذه الملعونة وأخلص الناس منها ولا أبالى بها لأنها ليس لها علىَّ سبيل بل هى تخاف منى خوفًا شديدًا وكذلك كل من كان فى المدينة ساحرًا مثلها على هذا الشكل يخافون منى وكلهم على دينها يعبدون النار دون الملك الجبار.

فإذا كان فى غد تعال عندى وأعلمنى بما تعمله معك فإنها فى هذه الليلة تسعى فى هلاكك وأنا أقول لك على ما تفعله معها حتى تتخلص من كيدها».

ثم إن الملك بدر باسم ودّع الشيخ ورجع إليها فوجدها جالسة فى انتظاره فلما رأته قامت إليه وأجلسته ورحبت به وجاءت له بأكل وشرب فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما. ثم أمرت بإحضار الشراب فحضر وصارا يشربان إلى نصف الليل. ثم مالت عليه بالأقداح وصارت تعطيه حتى سكر وغاب عن حسه وعقله.

فلما رأته كذلك قالت له: «بالله عليك وبحق معبودك إن سألتك عن شىء هل تخبرنى عنه بالصدق وتجيبنى إلى قولى؟» فقال لها: وهو فى حالة السكر: «نعم يا سيدتى». قالت له: «يا سيدى ونور عينى لما لم ترنى وفتشت علىّ وجئتنى فى البستان ورأيتنى فى صورة طيرة بيضاء ورأيت الطير الأسود فأنا أخبرك بحقيقة هذا الطائر إنه كان من مماليكى وكنت أحبه محبة عظيمة فأغاظنى يومًا فسحرته فى صورة طير أسود وإنى اليوم لم أصبر عنه ساعة واحدة.

وكلما اشتقت إليه أسحر نفسى طيرة وأروح إليه. أما أنت لأجل هذا مغتاظ منى مع أنى وحق النار والنور والظل والحرور قد ازددت فيك محبة وجعلتك نصيبى من الدنيا». فقال لها وهو سكران: «إن الذى فهمته عن غيظى بسبب ذلك صحيح وليس لغيظى سبب غير ذلك». فأظهرت له المحبة ونامت ونام الآخر.

حكاية مكيدة الملكة الساحرة بدر باسم

فلما كان نصف الليل قامت والملك بدر باسم منتبه وهو يظهر أنه نائم. وصار يسترق النظر وينظر ما تفعل فوجدها قد أخرجت من كيس أحمر شيئًا أحمر وغرسته في وسط القصر فإذا هو صار نهرًا يجري مثل البحر.

وأخذت كبشة شعير بيدها وبذرتها فوق التراب وسقته من هذا الماء فصار زرعًا مسنبلاً فأخذته وطحنته دقيقًا وضعته في موضع ورجعت ونامت في مخدعها إلى الصباح. فلما أصبح الصباح قام الملك بدر باسم وغسل وجهه. ثم استأذن الملكة في الرواح إلى الشيخ فأذنت له فذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى منها وعاين.

فلما سمع الشيخ كلامه ضحك وقال: «والله إن هذه الكافرة قد مكرت بك ولكن لا تبال بها أبدًا». ثم أخرج له قدر رطل سويقًا وقال له: «خذ هذا معك واعلم أنها إذا رأته تقول لك: ما هذا وما تعمل به؟ فقل لها: زيادة الخير خير. وكل منه. فإذا أخرجت هي سويقها وقالت لك: كل من هذا السويق.

فأرها أنك تأكل منه وكل من هذا وإياك أن تأكل من سويقها شيئًا ولو حبة واحدة فإن أكلت منه ولو حبة واحدة فإن سحرها يتمكن منك فتسحرك وتقول لك: اخرج من هذه الصورة البشرية فتخرج من صورتك إلى أيّ صورة أرادتها. وإذا لم تأكل منه فإن سحرها يبطل ولا يضرّك منه شيء فتخجل هي غاية الخجل وتقول لك: إنما أنا أمزح معك. وتقرّ لك بالمحبة والمودة وكل ذلك نفاق ومكر منها. فاظهر لها أنت المحبة وقل: يا سيدتي ونور عيني كلي من هذا السويق وانظري لذّته. فإذا أكلت منه ولو حبة واحدة فخذ في كفك ماء واضربه في وجهها وقل لها: اخرجي من هذه الصورة البشرية إلى أي صورة أردت. ثم خلّها وتعال إليّ حتى أدبر لك أمرًا».

ثم ودعه بدر باسم وسار إلى أن طلع القصر ودخل عليها. فلما رأته قالت له: «أهلا وسهلاً ومرحبًا». ثم قامت له وقالت: «أبطأت عليّ يا سيدي». فقال لها: «كنت عند عمي وقد أطعمني عمي من هذا السويق» فقالت له: «ونحن عندنا سويق أحسن منه» ثم إنها وضعت سويقه في صحن وسويقها في صحن آخر وقالت له: «كل من هذا فإنه أطيب من سويقك». فأظهر لها أنه يأكل منه.

فلما علمت أنه أكل منه أخذت بيدها ماء ورشته به وقالت له: «اخرج من هذه الصورة يا لئيم وكن في صورة بغل أعور قبيح المنظر». فلم يتغير.

فلما رأته على حاله لم يتغير قامت له وقبّلته بين عينيه وقالت له: «يا محبوبي إنما كنت أمزح معك فلا تتغير عليّ بسبب ذلك».

فقال لها: والله يا سيدتي ما تغيرت عليكِ أصلاً بل أعتقد أنكِ تحبينني فكلي من سويقي هذا».

◆◆◆

حكاية جعل بدر باسم الملكة لاب بغلة

فأخذت منه لقمة وأكلتها فلما استقرت فى بطنها اضطربت فأخذ الملك بدر باسم فى كفه ماءً ورشها به فى وجهها وقال لها: «اخرجى من هذه الصورة البشرية إلى صورة بغلة زرزورية». فما نظرت نفسها إلا وهى فى تلك الحالة. فصارت دموعها تنحدر على خديها وصارت تمرغ خديها على رجليه. فقام يلجمها فلم تقبل اللجام فتركها وذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى. فقام الشيخ وأخرج له لجامًا وقال له: «خذ هذا اللجام والجمها به» فأخذه وأتى عندها. فلما رأته تقدمت إليه ووضع اللجام فى فمها وركبها وخرج من القصر وتوجه إلى الشيخ عبد الله. فلما رآها قام لها وقال لها: «أخزاك الله تعالى يا ملعونة».

ثم قال له الشيخ: «يا ولدى ما بقى لك فى هذا البلد إقامة فاركبها وسر بها إلى أى مكان شئت وإياك أن تسلّم اللجام إلى أحد».

فشكره الملك بدر باسم وودعه وسار ولم يزل سائرًا ثلاثة أيام ثم أشرف على مدينة فلقيه شيخ مليح الشيبة فقال له: «يا ولدى من أين أقبلت؟» قال: «من مدينة هذه الساحرة».

قال له: «أنت ضيفى فى هذه الليلة» فأجابه وسار معه فى الطريق. وإذا بامرأة عجوزة فلما نظرت البغلة بكت وقالت: «لا إله إلا الله إن هذه البغلة تشبه بغلة ابنى التى ماتت وقلبى متشوش عليها فبالله عليك يا سيدى أن تبيعنى إياها». فقال لها: «والله يا أمى ما أقدر أن أبيعها». فقالت له: «بالله عليك لا ترد سؤالى فإن ولدى إن لم أشترِ له هذه البغلة ميت لا محالة».

ثم إنها أطنبت عليه فى السؤال. فقال: «ما أبيعها إلا بألف دينار». وقال بدر باسم فى نفسه: «من أين لهذه العجوز تحصيل ألف دينار». فعند ذلك أخرجت من حزامها ألف دينار.

فلما نظر الملك بدر باسم إلى ذلك قال لها: «يا أمى إنى أمزح معك وما أقدر أن أبيعها». فنظر إليه الشيخ وقال له: «يا ولدى إن هذه البلد ما يكذب فيها أحد وكل من يكذب فى هذه البلد قتلوه».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية خلاص الملكة لاب من الأسر وسحر بدر باسم طائراً

قالت شهرزاد: فنزل الملك بدر باسم من فوق البغلة وسلمها إلى المرأة العجوز. فأخرجت اللجام من فمها وأخذت فى يدها ماء ورشتها به وقالت: «يا بنتى اخرجى من هذه الصورة إلى الصورة التى كنتِ عليها» فانقلبت فى الحال وعادت إلى صورتها الأولى وأقبلت كل واحدة منهما على الأخرى وتعانقتا.

فعلم الملك بدر باسم أن هذه العجوز أمها وقد تمت الحيلة عليه. فأراد أن يهرب وإذا بالعجوز صفرت صفرة عظيمة فتمثل بين يديها عفريت كأنه الجبل العظيم فخاف الملك بدر باسم ووقفت فركبت العجوز على ظهره وأردفت ابنتها خلفها وأخذت الملك بدر باسم قدامها وطار بهم العفريت.

فما مضى عليهم غير ساعة وإذا هم وصلوا إلى قصر الملكة لاب. فلما جلست على

كرسى المملكة التفتت إلى الملك بدر باسم وقالت له: «يا لئيم قد وصلت إلى هذا المكان ونلت ما تمنيت وسوف أريك ما أعمل بك وبهذا الشيخ البقال. فكم أحسنت إليه وهو يسوءُنى، وأنت ما وصلت إلى مرادك إلا بواسطته».

ثم أخذت ماءً ورشته به وقالت له: «اخرج من هذه الصورة التى أنت فيها إلى صورة طير قبيح المنظر أقبح ما يكون من الطيور». فانقلب فى الحال وصار طيرًا قبيح المنظر فجعلته فى قفص وقطعت عنه الأكل والشرب، فنظرت إليه جارية فرحمته وصارت تطعمه وتسقيه بغير علم الملكة.

ثم إن الجارية وجدت سيدتها غافلة فى يوم من الأيام فخرجت وتوجهت إلى الشيخ البقال وأعلمته بالحديث وقالت له: «إن الملكة لاب عزمت على هلاك ابن أخيك». فشكرها الشيخ وقال لها: «لا بدّ أن آخذ المدينة منها وأجعلك ملكتها عوضًا عنها». ثم صفر صفرةً عظيمة فخرج له عفريت له أربعة أجنحة.

فقال له: «خذ هذه الجارية وامضِ بها إلى مدينة جلنار البحرية وأمها فراشة فإنهما أسحر من يوجد على وجه الأرض».

وقال للجارية: «إذا وصلت إلى هناك فأخبريهما بأن الملك بدر باسم فى أسر الملكة لاب». فحملها العفريت وطار. فلم تكن إلا ساعة حتى نزل بها على قصر الملكة جلنار البحرية.

حكاية مجيء أهل بدر باسم لتخليصه وجعل الشيخ البقال ملكاً

فنزلت الجارية من فوق سطح القصر ودخلت على جلنار وقبلت الأرض وأعلمتها بما قد جرى لولدها من أول الأمر إلى آخره. فقامت إليها جلنار وأكرمتها وشكرتها ودقت البشائر فى المدينة وأعلمت أهلها وأكابر دولتها بأن الملك بدر باسم قد وُجد.

ثم إن جلنار البحرية وأمها فراشة وأخاها صالحًا أحضروا جميع قبائل الجان وجنود البحر لأن ملوك الجان قد أطاعوهم بعد أسر الملك السمندل. ثم إنهم طاروا فى الهواء ونزلوا على مدينة الساحرة ونهبوا القصر وقتلوا جميع من كان فيها من الكفرة فى طرفة عين.

وقالت للجارية: «أين ابنى؟» فأخذت الجارية القفص وأتت به بين يديها وأشارت إلى الطائر الذى فيه وقالت: «هذا ولدكِ» فأخرجته الملكة جلنار من القفص. ثم أخذت بيدها ماء ورشته به وقالت له: «اخرج من هذه الصورة إلى الصورة التى كنت عليها».

فلم يتم كلامها حتى انتفض وصار بشرًا كما كان. فلما رآته أمه على صورته الأصلية قامت إليه واعتنقته فبكى بكاءً شديدًا وكذلك خاله صالح وجدّته فراشة وبنات عم أمه وصاروا يقبلون يديه ورجليه.

ثم إن جلنار أرسلت خلف الشيخ عبد الله وشكرته على فعله الجميل مع ابنها وزوّجته بالجارية التى أرسلها إليها بأخبار ولدها. ثم جعلته ملك تلك المدينة وأحضرت ما بقى من أهل المدينة من المسلمين وبايعتهم للشيخ عبد الله وعاهدتهم وحلَّفتهم أن يكونوا فى طاعته وفى خدمته. فقالوا: «سمعًا وطاعةً».

حكاية تزويج الملك بدر باسم على

جوهرة بنت السمندل

ثم إنهم ودّعوا الشيخ عبد الله وساروا إلى مدينتهم. فلما دخلوا قصرهم تلقاهم أهل مدينتهم بالبشائر والفرح وزينوا المدينة ثلاثة أيام لشدة فرحهم بملكهم بدر باسم وفرحوا به فرحًا شديدًا. ثم بعد ذلك قال الملك بدر باسم لأمه: «يا أمى ما بقى إلا أنى أتزوج ويجتمع شملنا ببعضنا أجمعين». فقالت: «يا ولدى نعمَ الرأى الذى رأيته ولكن اصبر حتى نسأل على من يصلح لك من بنات الملوك». فقالت جدته فراشة وبنات عمه وخاله: «نحن يا بدر كلنا فى هذا الوقت نساعدك على ما تريد». ثم إن كل واحدة منهنّ نهضت ومدنت تفتش فى البلاد وكذلك جلنار البحرية بعثت جواريها على أعناق العفاريت وقالت لهنّ: «لا تتركنَ مدينة ولا قصرًا من قصور الملوك حتى تتأملنَ جميع ما فيه من البنات الحسان».

فلما رأى الملك بدر باسم اعتناءَهنّ بهذا الأمر قال لأمه جلنار: «يا أمى اتركى هذا الأمر فإنه ليس يرضينى إلا جوهرة بنت الملك السمندل لأنها جوهرة كاسمها». قالت أمه: «قد عرفت مقصودك». ثم أرسلت فى الحال من يأتيها بالملك السمندل. ففى الوقت أحضروه بين يديها ثم أرسلت إلى بدر باسم. فلما جاء بدر باسم أعلمته بمجىء الملك السمندل فدخل عليه. فلما رآه الملك السمندل مقبلاً قام له وسلّم عليه ورحّب به. ثم إن الملك بدر باسم خطب منه بنته جوهرة. فقال له: «هى فى خدمتك وجاريتك بين يديك». ثم إن الملك السمندل أرسل بعض أصحابه إلى بلاده وأمرهم بإحضار بنته جوهرة وأن يعلموها أن أباها عند الملك بدر باسم ابن جلنار البحرية.

فطاروا فى الهواء وغابوا ساعة ثم جاءوا ومعهم الملكة جوهرة. فلما عاينت أباها تقدمت إليه واعتنقته فنظر إليها وقال: «يا بنتى اعلمى أننى قد زوجتك بهذا الملك الهمام والأسد الضرغام الملك بدر باسم ابن الملكة جلنار وإنه أحسن أهل زمانه وأجملهم وأرفعهم قدرًا وأشرفهم حسبًا ولا يصلح إلا لكِ ولا تصلحين إلا له».

فقالت له: «يا أبى أنا ما أقدر أن أخالفك فافعل ما تريد فقد زال الهم والتنكيد وأنا له من جملة الخدام». فعند ذلك أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب الملك بدر باسم ابن الملكة جلنار البحرية على الملكة جوهرة.

وأهل المدينة زينوها ودقت البشائر وأطلقوا كل من فى الحبوس وكسا الملك الأرامل والأيتام وخلع على أرباب الدولة والأمراء والأكابر. ثم أقاموا الفرح العظيم وعملوا الولائم وأقاموا فى الأفراح مساءً وصباحًا مدة عشرة أيام. وجلوها على الملك بدر باسم بتسع خلع. ثم خلع الملك بدر باسم على الملك السمندل وردّه إلى بلاده وأهله وأقاربه.

ولم يزالوا فى ألذّ عيش وأهنى أيام يأكلون ويشربون ويتنعمون إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات. وهذا آخر حكايتهم - رحمة الله عليهم أجمعين -.

- تم بعون الله - المجلد الثالث من كتاب «ألف ليلة وليلة»

ويليه إن شاء الله المجلد الرابع والأخير، وأوله الليلة (٧٥٨)

حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال

فهرس كتاب
ألف ليلة وليلة

الحكاية	صفحة
حكاية بلوقيا مع جانشاه	٣
حكاية بلوقيا بعد مفارقة جانشاه	٣٢
بقية حكاية حاسب كريم الدين	٣٤
حكاية السندباد	٤١
حكاية السفرة الأولى	٤٣
حكاية السفرة الثانية	٤٨
حكاية السفرة الثالثة	٥٢
حكاية السفرة الرابعة	٥٨
حكاية السفرة الخامسة	٦٥
حكاية السفرة السادسة	٧٠
حكاية السفرة السابعة	٧٥
حكاية القماقم السليمانية	٨٠
حكاية الملك وولده والوزراء والجارية	٩٦
حكاية الوزير الأول فى كيد النساء	٩٧
حكاية الوزير الثانى فى كيد النساء	١٠٠
حكاية الوزير الثالث فى كيد النساء	١٠٢
حكاية الوزير الرابع فى كيد النساء	١٠٥
حكاية الوزير الخامس فى كيد النساء	١٠٧
حكاية الوزير السادس فى كيد النساء	١١٢
حكاية الوزير السابع فى كيد النساء	١١٩
بقية حكاية الملك وولده والوزراء والجارية	١٢٠
حكاية جودر بن عمر التاجر مع أخويه	١٢٤
حكاية جودر مع الخباز	١٢٦
حكاية جودر مع عبد السلام المغربى	١٣٦
حكاية سفره مع عبد الصمد المغربى	١٣٠
حكاية رجوعه إلى أمه مع الخرج المرصود	١٣٥
حكاية بيع أخويه له	١٣٧
حكاية أسر الملك شمس الدولة لأخويه	١٣٨
حكاية عمار القصر	١٤٠
حكاية غضب الملك شمس الدولة على جودر	١٤٢
حكاية طاعة شمس الدولة لجودر	١٤٤
حكاية تزويج الملك ابنته له	١٤٥
حكاية قتل سالم لأخويه جودر وسليم وقتل زوجة جودر لسالم	١٤٦
حكاية عجيب وغريب وسهيم الليل	١٤٧
حكاية قتل عجيب لأبيه كندمر	١٤٧
حكاية تعبير رؤيا عجيب وميلاد غريب	١٤٨
حكاية أسر مرداس عند أخ الحمل بن خالد	١٥٠
حكاية فك غريب لمرداس وقومه من الأسر	١٥٠
حكاية سفر غريب لقتل سعدان الغول	١٥٢
حكاية أسر سعدان الغول مع أبنائه عند غريب	١٥٤
حكاية التقاء غريب مع فخر تاج ابنة الملك سابور	١٥٥
حكاية سفر غريب مع فخر تاج إلى وادى الأزهار	١٥٦
حكاية سفر غريب مع فخر تاج إلى أبيها الملك سابور	١٥٧
حكاية قتال غريب مع الصمصام قاطع الطريق	١٥٧
حكاية إسلام قوم الصمصام	١٥٩
حكاية وصول غريب مع فخر تاج عند الملك سابور	١٦٠
حكاية ملاقاة فخر تاج مع أبيها وأمها	١٦١
حكاية ذهاب مرداس عند عجيب وقتل عجيب أم غريب	١٦٣

الحكاية	صفحة
حكاية وصول غريب إلى الجزيرة عند عمه الدامغ..........	١٦٤
حكاية وصول غريب إلى بابل وقتاله مع عمه جملك..........	١٦٤
حكاية أسر غول الجبل للملك جملك...	١٦٥
حكاية قتال سهيم وقتال عسكر عجيب وغريب..........	١٦٦
حكاية سرقة سيار لغريب من خيمته...	١٦٧
حكاية أسر سعدان وفك سهيم لغريب وسعدان من القيد..........	١٦٩
حكاية قتال الملك الدامغ مع عسكر عجيب..........	١٧١
حكاية قتال غريب مع الجمرقان وأسره.	١٧٢
حكاية سفر غريب في طلب عجيب....	١٧٤
حكاية إرسال الجلند بن كركر وزيره جوامرد لقتال المسلمين..........	١٧٤
حكاية الجمرقان مع القورجان ابن الملك الجلند..........	١٧٦
حكاية وصول غول الجبل لإعانة المسلمين..........	١٧٧
حكاية قتال سعدان الغول مع عسكر الجلند..........	١٧٩
حكاية أسر سعدان وتخليصه من يد الكفار..........	١٨٠
حكاية وصول غريب عند المسلمين مع عسكره..........	١٨١
حكاية إرسال غريب كتابه إلى الجلند ابن كركر..........	١٨١
حكاية سرقة سهيم لجلند بن كركر من عسكره..........	١٨٢
حكاية قتل الملك غريب لجلند بن كركر.	١٨٤
حكاية أسر غريب وسهيم عند مرعش ملك الجن..........	١٨٤
حكاية إسلام مرعش على يد غريب.....	١٨٥
حكاية قتال الكليجان والقورجان مع الكفار..........	١٨٦
حكاية تفرج غريب مع الملك مرعش على مدينة يافث..........	١٨٧
حكاية حيلة برقان على مرعش وسجنه عنده..........	١٨٩
حكاية قتال غريب مع برقان وأسر برقان عنده..........	١٨٩
حكاية قتال عسكر غريب وبرقان........	١٩١
حكاية مقاتلة غريب مع برقان والملك الأزرق وقتلهما..........	١٩٢
حكاية دخول غريب في قصر الأبلق وتزوجه بنت الملك الأزرق..........	١٩٤
حكاية وصول غريب قرب مدينته واستماعه بوصول عسكر الكفار	١٩٥
حكاية قتال عسكر غريب مع عسكر رعد شاه..........	١٩٦
حكاية قتال غريب مع بطاش..........	١٩٦
حكاية قتال غريب مع عجيب وأسره له وقتاله مع رعد شاه..........	١٩٨
حكاية أسر رعد شاه عند غريب..........	١٩٨
حكاية مقاتلة عسكر غريب مع عسكر رعد شاه..........	١٩٩
حكاية إسلام رعد شاه وسفر غريب إلى الهند..........	٢٠٠
حكاية قتل طركنان وجعل غريب رعد شاه سلطاناً على قومه..........	٢٠١
حكاية رجوع غريب مع الجماعة إلى الكوفة وصلب عجيب على بابها..........	٢٠٢
حكاية أخبار رستم بموت فخر تاج..........	٢٠٣
حكاية رستم مع عسكر العجم وغلبته عليهم..........	٢٠٤

الحكاية	صفحة
حكاية مجيء ورد شاه ملك شيراز وابن سابور لقتال غريب	٢٠٦
حكاية وصول عسكر ورد شاه عند أخيه سيران الساحر	٢٠٦
حكاية رمى غريب فى البحر	٢٠٧
حكاية اخراج أهل المركب لغريب من البحر	٢٠٨
حكاية اسلام زلزال ووصوله مع غريب عند أبيه	٢٠٩
حكاية تقييد زلزال وأمر مزلزل لمارد بهلاك غريب فى وادى النار	٢٠٩
حكاية أسر غريب عند الملكة جانشاه	٢١١
حكاية قتل الملكة جانشاه	٢١٢
حكاية مقاتلة غريب مع ولده شاه	٢١٣
حكاية ملاقاة غريب مع ولده مراد شاه	٢١٥
حكاية عبدالله بن معمر القيسى مع عتبة بن الحباب	٢١٥
حكاية هند بنت النعمان مع الحجاج	٢١٧
حكاية خزيمة بن بشر مع عكرمة الفياض	٢١٨
حكاية يونس الكاتب مع الوليد بن سهل ولى العهد	٢٢١
حكاية ابى إسحاق إبراهيم الموصلى مع ابى مرة إبليس	٢٢٣
حكاية جميل قدام هارون الرشيد عن فتى من بنى عذرة	٢٢٤
حكاية الأعرابى عند معاوية عن جور مروان بن الحكم	٢٢٨
حكاية حسين الخليع قدام هارون الرشيد	٢٣٠
حكاية إسحاق الموصلى مع الجارية والأعمى	٢٣٢

الحكاية	صفحة
حكاية إبراهيم ابى إسحاق مع الفتى	٢٣٤
حكاية ابى عامر الوزير مع الملك الناصر	٢٣٥
حكاية احمد الدنف وحسن شومان مع زينب النصابة وأمها	٢٣٦
حكاية أم زينب النصابة مع امرأة الشاويش	٢٣٧
حكاية أم زينب النصابة وابن التاجر والصباغ	٢٣٩
حكاية أم زينب النصابة مع ابن شاه بندر التجار واليهودى	٢٤٢
حكاية ام زينب النصابة مع الحمار والمزين والمغربى	٢٤٤
حكاية بيع أم زينب النصابة للصباغ والحمار وابن التاجر واليهودى والمزين	٢٤٥
حكاية أم زينب النصابة مع أحمد الدنف وجماعته	٢٤٨
حكاية حسن شومان مع زينب النصابة وأمها	٢٤٩
حكاية اعطاء الخليفة منصبًا للدليلة المحتالة ولبنتها	٢٥٠
حكاية على الزيبق المصرى مع السقاء	٢٥١
حكاية على الزيبق المصرى مع زريق السماك	٢٥٨
حكاية على الزيبق مع عذرة اليهودى	٢٦٢
حكاية على الزيبق مع أحمد اللقيط	٢٦٦
حكاية على الزيبق عند الخليفة	٢٦٧
حكاية باسم الحداد مع الخليفة هارون الرشيد	٢٦٨
حكاية بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل	٢٩٦
حكاية بيان جلنار البحرية قصتها قدام الملك شهرمان	٢٩٧
حكاية سحر جلنار فى طلب أهلها	٢٩٩

الحكاية	صفحة
وحضورهم عندها........	
حكاية ملاقاة الملك مع أهل جلنار......	٣٠٠
حكاية وضع جلنار غلاماً ورواح خاله به إلى البحر.........	٣٠١
حكاية استئذان أهل جلنار من الملك فى الرجوع إلى أوطانهم........	٣٠٢
حكاية أخذ الملك شهرمان العهد على أرباب دولته فى جعل بدر باسم ملكاً....	٣٠٢
حكاية مشاورة جلنار مع أخيها فى تزويج بدر باسم........	٣٠٤
حكاية سماع بدر باسم بأوصاف جوهرة بنت الملك السمندل..........	٣٠٤
حكاية إخبار صالح لأمه بمراد بدر باسم وغضب أمه عليه........	٣٠٦
حكاية رواح صالح إلى الملك السمندل وخطبته ابنته لبدر باسم.........	٣٠٧
حكاية غضب الملك السمندل على صالح وأمره بقتله..........	٣٠٨
حكاية هروب بدر باسم وملاقاته مع جوهرة فى الجزيرة..........	٣٠٩
حكاية سحر جوهرة لبدر باسم بهيئة طير وتفتيش صالح عنه...........	٣٣٠
حكاية رواح جلنار إلى أمها واستماع خبر ابنها..........	٣١١
حكاية صيد الصياد لبدر باسم وهو فى صورة طائر وبيعه للملك..........	٣١١
حكاية إبطال زوجة الملك لسحر من بدر باسم.........	٣١٢
حكاية طلوع بدر باسم إلى مدينة السحرة ودخوله عند الشيخ البقال......	٣١٣
حكاية أخذ الملكة الساحرة لبدر باسم بإذن الشيخ إلى بيتها..........	٣١٥
حكاية مكيدة الملكة الساحرة على بدر باسم..........	٣١٨
حكاية جعل بدر باسم الملكة لاب بغلة....	٣١٩
حكاية خلاص الملكة لاب من السحر وسحر بدر باسم طائراً..........	٣١٩
حكاية مجىء أهل بدر باسم لتخليصه وجعل الشيخ البقال ملكاً..........	٣٢٠
حكاية تزويج الملك بدر باسم على جوهرة بنت الملك السمندل..........	٣٢١
الفهرس..........	٣٢٣

مطبعة الدار البيضاء
ت : ٦٤٠٥٢٨٦